نــور الأبصــار

فى

مناقــب آل بيت النبى المخــتار ﷺ

تأليف
الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى

ضَبَطَهُ وَصَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
محمد رضوان مهنا

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

مكتبة الإيمان - للنشر والتوزيع
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الدكتور/ عبد العزيز محمد سالمان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، وعلى آل بيته الأخيار الطيبين الأطهار الذين قال فيهم ربهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وبعد: فإن الله خلق آدم واصطفاه واصطفى من ولده إبراهيم، واصطفى من إبراهيم إسماعيل واصطفى محمداً ﷺ من ولد إسماعيل فجعله خياراً من خيار من خيار كما قال عن نفسه ﷺ وبعثه للناس كافة، وجعل حبه من حب الله وحب آل بيته من حبه، وقد تسابق الكثير من علماء المسلمين منذ فجر الإسلام وحتى اليوم فى ذكر مناقب آل بيته ﷺ ومن بين هؤلاء المؤلف الذى بين أيدينا «نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار ﷺ».

وهو بحق نور للأبصار والبصائر لما احتواه بين دفتيه من ذكر رسول الله ﷺ وآل بيته وصحابته وعترته وأعلام شريعته وأقطاب حقيقته.

ومؤلف الكتاب هو الشيخ العالم مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى المولود بقرية شبلنجا إحدى قرى محافظة القليوبية، وحفظ القرآن الكريم بكُتاب القرية ثم انتقل إلى الأزهر الشريف حيث تلقى العلم على يد كبار مشايخ عصره.

ويذكر لنا المؤلف أن دافعه إلى تأليف نور الأبصار أنه قد أصابه رمد فشفاه الله بفضل آل بيت رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول: «أصاب عينى رمد فوفقنى الفرد الصمد لزيارة السيدة نفيسة بنت حسن الأنور فزرتها وتوسلت بها إلى الله وبجدها الأكبر فى كشف ما أنا فيه، وإزالة ما أكابده وأقاسيه، ونذرت إن شفانى الله لأجمعن كليمات من كتب السادة الأعلام تشتمل على ذكر بعض مناقب آل بيت النبى ﷺ الكرام...».

وفكرة الكتاب عندما ظهرت لدى مؤلفه كانت تتمثل فى موجز صغير يتناول بعض مناقب أهل بيت النبى ﷺ. إلا أن هذه الفكرة تطورت لتتناول - فى عرض مجمل بديع - حياة الرسول ﷺ وذلك حتى تتم الفائدة ولا يفوته شرف الكتابة عنه ﷺ.

ونجده قبل أن يدلف إلى السيرة النبوية المباركة يحشد قدراً كبيراً من الأحاديث النبوية

والآيات الكريمة التى وردت فى فضل الخلفاء الأربعة أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلىٍّ رضى الله عنهم أجمعين.

ثم يدخل بنا الشيخ إلى الروضة النبوية الشريفة ليس كمحدث ولا مؤرخ ولا مفصل لسيرة، وإنما كان ذلك بأسلوب رشيق خفيف على النفس فيعطى الكثير من المعلومات فى صحائف قليلة فيبدأ بذكر نسبه ﷺ ومولده ومرضعاته وبعثته وهجرته ثم يبين دلائل نبوته ومعجزاته وشيئا من خصائصه وشمائله.. ثم يضع بين أيدينا عدداً غير قليل من أحاديث الرسول ﷺ حتى تعم الفائدة. ثم يذكر غزواته ﷺ ويختتم السيرة العطرة بذكر أعمامه وعماته وأولاده وخدمه.. إلخ.

ثم يثنى المؤلف بذكر قطوف من سيرة الصديق الأكبر سيدنا أبى بكر رضى الله عنه واضعاً بين يدينا خطبه ومواعظه بعد أن يذكر نسبه وأولاده وزوجاته.... إلخ.

ثم يعرض لمواقف من سيرة الفاروق عمر وسيدّنا عثمان ذى النورين رضى الله عنهما... ويذكر لنا الشيخ أنه تناوب سيرة الخلفاء الثلاثة: أبى بكر، وعمر، وعثمان ليس باعتبارهم من آل البيت وإنما تيمناً ببركتهم وتتميماً للفائدة مع مالهم من قرابة النسب والمصاهرة.

وبعد ذلك يتناول الشيخ سيرة أمير المؤمنين علىٍّ بن أبى طالب بقدر من التفصيل على اعتبار أنه ـ كرم الله وجهه ـ أول أهل البيت وزوج ابنته ووالد السبطين والذى قال له النبى ﷺ: «أنت منى وأنا منك». وقال له أيضاً: « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى»؛ وقد ذكر المؤلف قدراً كبيراً من الحكم والمواعظ البليغة التى اشتهر بها سيدنا علىٌّ كرم الله وجهه.

ولا ينسى قبل أن يخرج من بستان علىٍّ بن أبى طالب أن يعرفنا بابنه محمد المشهور بابن الحنفية والذى كان صاحب الراية يوم موقعة الجمل.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى اللب والجوهر فيفصل القول فى آل البيت ابتداء من سيدنا الحسن السبط بن سيدنا علىٌّ كرم الله وجهه، وسيدنا الحسين شقيقه: ابنى فاطمة الزهراء ريحانة رسول الله ﷺ.

ثم يتناول المؤلف بعد ذلك سيرة باقى أئمة آل البيت فيذكر مناقب على بن الحسين الملقب بزين العابدين، ومحمد الباقر بن على زين العابدين، وجعفر الصادق بن محمد الباقر، وموسى الكاظم بن جعفر الصادق، وعلى الرضا بن موسى الكاظم، ومحمد الجواد، وعلى الهادى، الحسن الخالص بن على الهادى، ثم ينتهى إلى محمد بن الحسن الخالص.

ثم يستعرض شيخنا سيرة جماعة من أهل البيت ممن لهم فى القاهرة مزارات مشهورة ابتداءً من السيدة سكينة بنت الإمام الحسين رضى الله عنهما، والسيدة رقية بنت الإمام على ابن أبى طالب، والسيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسينى، والسيدة زينب بنت الإمام على كرم الله وجه، والسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين، والسيدة عائشة بنت جعفر الصادق، والسيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور، وسيدنا زيد بن على زين العابدين، وحسين أبى على المشهور بأبى العلاء الحسينى ، والسيدة فاطمة بنت على الرضا.

ثم يعرض لنا الشيخ مناقب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، فيبدأ بالإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، ثم إمام دار الهجرة مالك بن أنس، ثم يتناول ـ فى تفصيل ـ مناقب الإمام الشافعى شيخ مذهبه. . . وينتهى بذكر مناقب الإمام أحمد بن حنبل.

ويختتم المؤلف كتابه ختاماً لطيفا، حيث يذكر لنا بعض مناقب وكرامات الأقطاب الأربعة: سيدى أحمد الرفاعى، وسيدى عبد القادر الجيلانى، وسيدى أحمد البدوى، وسيدى إبراهيم الدسوقى، وكلهم من آل البيت حين ينتهى نسبهم إلى الإمام الحسين بن على بن أبى طالب.

وقد عرض الكتاب فى صورة مبسطة غاية البساطة بأسلوب واضح ليس فيه غموض فيستطيع كل قارئ ـ أيًا كانت درجة ثقافته ـ أن يرتاده وينهل منه.

وهو بحق موسوعة شاملة لأئمة الشريعة وأقطاب الحقيقة، مزود بكم هائل من الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى فضل الشخصيات التى عرض لها، ويحتوى ـ بالإضافة إلى التاريخ ـ على قدر كبير من الحكم والمواعظ والطرائف والنوادر.

نسأل الله أن ينفعنا به وينفع به كل من قرأه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور

عبد العزيز سالمان

●●●●●

ترجمة المؤلف

● نسبه:

هو السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي نسبة إلى شبلنجا قرية من قرى مصر بينها وبين «بنها العسل» مسيرة نحو ساعتين بسير الأثقال من الجانب الشرقي، قال ابن الأثير: «بنها» بكسر الباء والعامة تفتح باءها من قرى مصر بارك النبي ﷺ فيها وفي عسلها.

مولده: ولد صاحب الترجمة سنة نيف وخمسين بعد المائتين والألف، وتربى في حجر والده بالقرية المذكورة وحفظ القرآن بها وهو ابن عشر سنين وقدم الجامع الأزهر لتجويد القرآن قبل أن يبلغ الحلم سنة ١٢٦٧.

● تلقيه للعلم:

واشتغل بالعلم عن جهابذة الوقت. فحضر دروس الفقه على العلاّمة الشيخ محمد الخضري الدمياطي المتوفى: يوم الثلاثاء لثلاث خلت من صفر سنة ١٢٩٨، وحضر عليه أيضا المواهب اللدنية، وشرح عبد السلام على جوهرة التوحيد، ومختصر البخاري للزبيدي، وبعض صحيح مسلم، والشمايل مرتين وحكم ابن عطاء الله مرتين، وفضائل رمضان، والهمزية، والبردة، وبانت سعاد، وبعض جمع الجوامع. وحضر الفقه أيضا على العلامة الشيخ محمد الأشموني حفظه الله تعالى، وحضر عليه أيضاً شرح الهدهدي، وتفسير الجلالين، ومغني اللبيب، وشرح السعد، وجمع الجوامع، وبعض المطوّل، والبردة، وحضر دروس الفقه أيضا على العلاّمة الشيخ محمد الإنبابي رحمه الله تعالى، وحضر عليه أيضاً شرح الملوي على السمرقندية، وشرح ابن عقيل، وشرح الأشموني في النحو، ورسالة الشيخ الفضالي في التوحيد، ومولد النبي ﷺ لابن حجر. وحضر على السيد عبد الهادي نجا الأبياري رحمه الله تعالى مغني اللبيب، ومتن الكافي وبعض المطوّل. وحضر على العلاّمة الشيخ محمد عليش رحمه الله تعالى شرح الأشموني، وإيساغوجي بالمشهد الحسيني. وحضر على إمام المحققين الشيخ إبراهيم السقاء. شرح الملوي على السلم. وحضر على العلاّمة الشيخ أحمد كبوه رحمه الله تعالى، الجامع الصغير. وحضر أيضاً ابن عقيل على العلاّمة الشيخ إبراهيم الشرقاوي رحمه الله تعالى. وحضر على الشيخ سيد الشرشيمي الشرقاوي رحمه الله تعالى، شرحي الشذور، والقطر. وحضر على العلاّمة الشيخ إبراهيم السنجلفي رحمه الله تعالى، شرح القطر أيضا. وحضر على العلاّمة الشيخ محمد المرصفي المدعو بأبي سليمان رحمه الله تعالى شرح الأزهرية. وحضر على الشيخ

نصر الهوريني رحـمه الله. شرح الشيخ خـالد على الآجرومية. وحضـر شرح الكفراوى. على الشيخ على السندبيسى رحمه الله تعالى.

وحضـر على الشيخ أحمد السنهـورى، شرح الآجرومـية أيضاً. وحضـر على الشيخ محمد الطوخى رحمـه الله تعالى، متن الآجرومية. وحضر كتباً صـغيرة على أشياخ يطول شرحـهم، كالسنوسـية وغـيرها. وطالع كـتبـاً مع بعض إخوانه من أهل العلم، كـالمنهج، والأشمـونى، ورسالة الصـبيـان البيـانية، ومتن السلم فى المنطق، ومـتن الشفاء للـقاضى عياض، ومختـصر ابن أبى جمرة وغير ذلك. وطالع كتباً كـثيرة أيضا فى التاريخ والأدب. وطالع متن الشعرانى وطبقاته. وطبقات المناوى، وطبقات ابن السبكى.

• تآليفه:

واختصر تـاريخ الجبرتى فى جزءين صغيـرين أخذ فيهما اللب وترك القـشر، وله فتح المنان بتفـسير غريب جمـل القرآن، وهو جزء صغيـر تعرض فيه لأسـباب النزول والناسخ والمنسـوخ، ورواية حفـص عن عاصم، ورسم بعض الـكلمات القـرآنيـة بما أن الوقف تابع للرسم.

• شمائله:

صفته معتدل القامة، نحيف الجسم، لونه البياض يضرب إلى حمرة، خفيف العارضين.

• خصاله:

يميل إلى العزلة ويأنس بنفسه، ويألف زيـارة القبور والمشاهد، ولا يعظم غنيا لغناء أو لطمع فى جاه، ولا يحقـر فقيراً لفقـره بل ربما أجله لخصلة حسنة فيـه كعلم وعمل. وفى المغنى للمتنبى:

وَلَسْتُ بنظـــارٍ إلى جانـبِ الغِنَى   إذا كانتِ العلياءُ فى جانبِ الفَقْرِ

• مكان تدريسه:

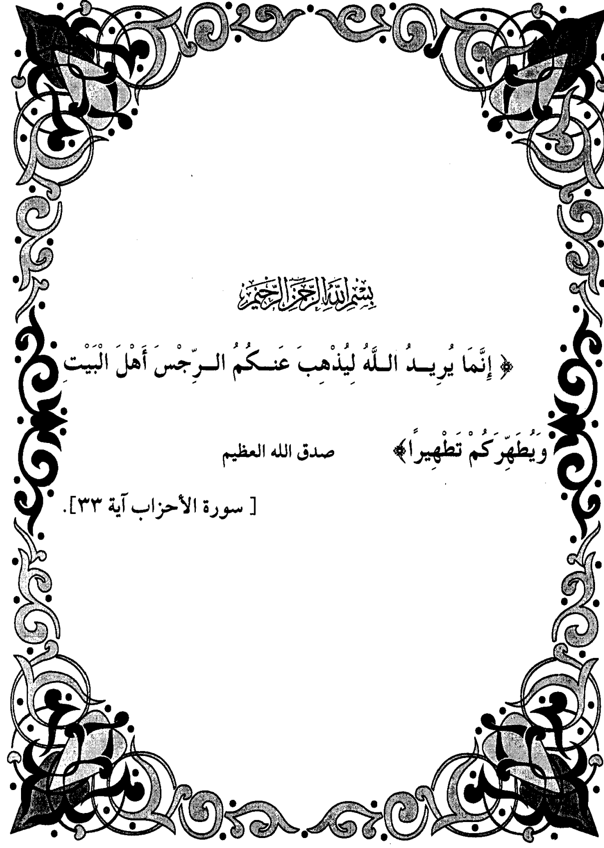
ولم يزلْ المتَرْجَمُ له يزاولُ العلم مطالعة وإملاء بزاوية الأستاذ: السيد محمد البكرى بن أبى الحسن البكرى التى بجوار الجامع الأزهر من ناحية بابه المعروف بباب الشوربة على يسار الطالب للقراءة.

قال الشعرانى رضى الله عنه: كان لسيدى محمد بن أبى الحسن البكرى قدم فى الولاية والعلم مع حداثة سنه، وكانت الدنـيا خادمة، له واقتنى الخيل المسـومة، وكنتُ إذا مرضتُ أخشى أن يعودنى، وهل مثلى يسعى له سيدى: محمد بن أبى الحسن البكرى؟، وكانت له

شطحات فى درسه يعنى بها الجن الحاضرين درسه لا يفهمها الحاضرون من الإنس أهـ.

وكان والده: أبو الحسن يسأله الشيخ الرملى فى المسائل الفقهية. سأله مرة: هل الركعتان اللتان قبل الظهر أفضل أم الركعتان اللتان بعده؟ فقال له: إذا قلنا: بأن التابع يَشْرُفُ بشَرَفِ المتبوع فالركعتان اللتان بعده أفضل. ولأبى الحسن رضى الله عنه تفسير جليل موجود بكتيبة السادات الوفائية، وله شرح على منهاج الشيخ النووى. ولولده سيدى محمد أيضاً مؤلفات جليلة: منها كتاب فى التاريخ لم يكن فى كتب التاريخ أحسن منه، والله أعلم.

●●●●●



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا يُرِيـدُ الـلَّهُ لِيُذْهِبَ عَنـكُمُ الـرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ صدق الله العظيم

[سورة الأحزاب آية ٣٣].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسبغ علينا جلابيب النعم، واصطفى سيدنا محمداً ﷺ على سائر العرب والعجم، وفضل آل بيته على المخلوقات، ورفعهم بفضله وكرمه أعلى الدرجات، فأحرزوا قصبات سبق سيادة الدنيا والآخرة، واتصفوا بالكمالات الظاهرة والباطنة والمحاسن الفاخرة، فهم نور حدقة كل زمان، ونور حديقة كل عصر وأوان، المميزون بالفضل عمن سواهم، الخاذلون لمن أبغضهم وعاداهم، معادن العلوم والمعارف، أولو الفصاحة والبلاغة واللطائف، أحمده سبحانه وتعالى على تزايد آلائه الوافرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لهول الآخرة، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صاحب العلامات، المبعوث بالآيات الواضحة والبراهين القاطعة المؤيد بالمعجزات، ﷺ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين من تمسك بهم كان من الفائزين المتمسكين بالسبب المتين.

وبعد: فيقول فقير رحمة ربه المهيمن السيد الشبلنجى الشافعى المدعو بمؤمن: أصاب عينى رمد فوفقنى الله الفرد الصمد لزيارة السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور، فزرتها وتوسلت بها إلى الله، وبجدها الأكبر فى كشف ما أنا فيه، وإزالة ما أكابده وأقاسيه، ونذرت إن شفانى الله لأجمعن كليمات من كتب السادة الأعلام، تشتمل على ذكر بعض مناقب أهل بيته ﷺ الكرام، فمضى زمن يسير وحصل الشفاء، فأخذت فى الأسباب وعزمت على الوفاء، فما كان من نفسى إلا أن حدثتنى بالإحجام ، وثبطتنى ومنعتنى من أن أحوم حول هذا المرام، قائلة أنت قليل البضاعة، ولست أهلاً لتلك الصناعة، ولعلمى بأن هذا الأمر ميدان الفرسان، ومورد الصناديد من الرجال الشجعان، ضربت عنه صفحاً مدة من الزمان، وصار عندى نسيا منسيا، متروكاً فى زوايا النسيان، حتى ذكرت ذلك لبعض الإخوان، أصلح الله لى ولهم الحال والشأن، فحرضنى على الإقدام، وحملنى على توسيع دائرة الغرض من الكلام فى هذا المقام، بذكر رؤساء الصحابة الأربعة الخلفاء المهتدين، والأئمة الأربعة المجتهدين أئمة الدين، هذا مع أنى رجعت عنه القهقرى، وذهبت عنى حالة من يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ثم تذكرت قول القائل:

وقول الآخر:

أسيرُ خلفَ ركابِ النُجُبِ ذا عرجٍ	مُؤملاً جَبْرَ ما لاقيتُ من عوجٍ
فإنْ لَحِقْتُ بهم مِنْ بَعْدِ ما سبقوا	فكم لِرَبِّ الورى فى الناسِ من فرجٍ
وإن ظللتُ بقاعِ الأرضِ مُنقطعاً	فما على أعرجٍ فى الناسِ من حرجٍ

ومَنْ ذا الذى تَرضَى سجاياهُ كُلُّها　　　كفى المرءُ نُبْلاً أنْ تُعَدّ معايبُه

فرجع عزمى وزال تردّدى وكسلى وانتصبت لجمع كتاب تقرّ به أعين الناظرين، وتستشرف له أولو الرغبة وتشدّ إليه رحال الطالبين. وسميته: «نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار». ورتبته على أربعة أبواب وخاتمة . الباب الأول: فى ذكر سيرة النبىﷺ والخلفاء الأربعة: أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ رضى الله عنهم. الباب الثانى: فى ذكر الحسن والحسين، وباقى الأئمة الاثنى عشر . الباب الثالث: فى ذكر جماعة من أهل البيت لهم بمصر القاهرة مساجد معمورة ومزارات مشهورة. الباب الرابع: فى ذكر الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب. الخاتمة: فى ذكر الأربعة الأقطاب الأشائر، وقد التزمت فى هذا الكتاب أن أذكر أسماءهم وكناهم وألقابهم وآباءهم وأمهاتهم ومواليدهم ووفاتهم ومدة أعمارهم، وأسماء حجابهم، وشعرائهم، ونقش خاتمهم، ومعاصريهم، وغير ذلك كذكر صفاتهم.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وسبباً للفوز بجنات النعيم إنه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير، وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون ربنا الملك الوهاب المعبود.





الباب الأول
فى ذكر سيرته ﷺ وخلفائه الأربعة

واعلم أنه قد جاء فى فضلهم رضى الله عنهم آياتٌ وأحاديثٌ كثيرةٌ عامةٌ وخاصةٌ، ولنذكر لك نبذة عامة فنقول ونستمد من الله التوفيق لأقوم طريق: عن عكرمة رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ (١) الآية. قال: «إذا كان يوم القيامة يؤتى بسرير من ياقوتة حمراء طوله عشرون ميلاً فى عشرين ميلاً ليس فيه صدع ولا وصل معلق بقدرة الله تعالى، فيجلس عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه،ثم يؤتى بسرير من ياقوتة صفراء على صفة السرير الأول، فيجلس عليه عمر رضى الله عنه، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة خضراء على صفة الأول، فيجلس عليه عثمان رضى الله عنه، ثم يؤتى بسرير من ياقوتة بيضاء على صفة الأول فيجلس عليه علىٌّ رضى الله عنه، ثم يأمر الله الأسرَّة أن تطير بهم، فتطير بهم الأسرّة إلى تحت ظل العرش، ثم تسبل عليهم خيمة من الدرّ الرطب لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع وكلّ ما خلق الله تعالى لكانت فى زاوية من زوايا تلك الخيمة، ثم يرفع إليهم أربعَ كاسات: كأس لأبى بكر، وكأس لعمر، وكأس لعثمان، وكأس لعلىٍّ رضى الله عنهم أجمعين، فيقول وذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾، ثم يأمر الله جهنم أن تمحض بأمواجها، وتقذف الرافض والكافر على وجهها، فيكشف الله عن أبصارهم، فينظرون إلى منازل أمة محمد ﷺ فى الجنة فيقولون: هؤلاء الذين سعد بهم الناس ونحن شقينا ثم يردون إلى جهنم أهـ. من عمدة التحقيق. وفيه أيضا: ذكر الكسائى فى كتابه قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أن نوحاً عليه السلام كان كلما صنع فى السفينة شيئاً تأكله الأرضة ليلاً فشكا إلى الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه اكتب عليها «عيونى من خلقى» قال: يارب وما عيونك من خلقك؟ قال: هم أصحاب نبيى محمد ﷺ: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلىّ. فكتبهم نوح عليه السلام على جوانبها الأربعة فحفظت قال: وإذا تأملت ما ذكره الكسائى مع قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ (٢) تجد فيه السر الأعظم، والفضل الذى تقصر دونه الغايات أهـ. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبرنى جبريل قال: يا محمد خلق الله آدم وأدخل الروح فى صدره أمرنى أن أخرج تفاحة من جنات عدن فأخرجتها وعصرتها فى حلق آدم خمس نقط، فالنقطة الأولى خلقك منها، والثانية أبو بكر، والثالثة عمر، والرابعة عثمان، والخامسة علىّ وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (٣). فالبشر والنسب والصهر: أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ رضى الله عنهم أجمعين». وفى تفسير الخطيب يروى عن أبى بن كعب أنه قال: «قرأت على

(١) سورة الحجر آية ٤٧ . (٢) سورة القمر آية ١٣ . (٣) سورة الفرقان آية ٥٤ .

النبيﷺ: والعصر ثـم قلت ما تفسيرها يا رسـول الله؟ فقالﷺ: والعصـر قسم من الله أقسم ربكم بآخـر الـنهـار إن الإنسـان لفى خسـر أبو جـهل. إلا الذين آمنوا أبو بـكر، وعـملوا الصالحات عمر، وتواصـوا بالحق عثمان، وتواصوا بالصبر عليّ". وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه أهـ. أخرج ابن عساكر عن عليٍّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحـملنى إلى دار الهجرة وأعتق بـلالاً، ورحم الله عمر يقول الحق وإن كان مـرا، رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة، رحم الله عليًا اللهم أدر الحق معه حيث دار». وأخرج الطبرانـى عن سهل قال: «لما قدم النبيﷺ مـن حجة الوداع صـعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيهـا الناس إنِّى راض عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبيـر وسعـد وعبد الرحـمن بن عوف والمهاجـرين الأولين فاعـرفوا لهم ذلك».

وروى أبو سـعيـد الخدرى رضى الله عنه عن النبيﷺ أنه قـال: « دخلت الجنة فبـينما أنا أطوف فى رياضها وبين أنهارها وأشجارها إذ ضربت بيدى إلى ثمرة، فأخذتها فانفلقت فى يدى على أربع قطع فخرج من كـل قطعة حوراء لو أخرجت ظفرها لفـتنت أهل السموات والأرض، ولو أخرجت كفـها لغلب ضوؤها ضوء الـشمس والقمر، ولو تبـسمت لملأت ما بين السماء والأرض مسكا من رائحتـها، فقلت للأولى لمن أنت؟ قالت: لأبى بكر الصديق، فقلت: امضى إلى قصر بَعْلَك فمضتْ، وقلت للـثانية: لمن أنت؟ فقالت: لعمر بن الخطاب، فقلت: امـضى إلى قصر بَعْلَكَ فمـضتْ، وقلت للثالثة: لمن أنـت؟ قالت: للمختـضب بدمه المقتول ظلماً عثمان بن عفان فَـقلت لها: امضى إلى قصر بَعْلَك فمضتْ، وقلت للرابعة: لمن أنت؟ فـسكتت ثم قالت: والله يا رسـول الله إن الله تعالى خـلقنى على حسن فـاطمة، ولقـد سـمانى على اسـمهـا، وزوجنى من علىٍّ بن أبى طالب قـبل أن يتزوج فـاطمة بألف عـام».

وروى عن النبيﷺ أنه قـال لأبـى بكر رضى الله عنه: « يا أبا بكر خـلقنى الله عـزَّوجلَّ من جوهرة من نور فنظر إليها الرب جلّ جـلاله وتقدست أسماؤه فأوقفنى بين يديه فاسـتحييت منه فعـرقت فسقط منى أربع نقط، فـخلقك يا أبا بكر من أول نقطة، وخلق عمر من الثـانية وخلق عثـمان من الثالثة: وخلق عليًّا من الرابعـة فنورك يا أبا بكر ونور عمر وعثـمان وعليٍّ من نورى» أهـ. من الروض الفائق. وفى بحـر العلوم عن ابن عباس رضى الله عنهـما: لما خلق الله آدم ظهر فـى ظهره نور محـمد ﷺ فكانت الملائكة تقف خلفـه ينظرون إلى ذلك النور، فقـال آدم: يارب ما لهـؤلاء ينظرون من خلفى إلى ظهرى؟ قـال: ينظرون إلى نور محمد خاتم الأنبياء الذى أخـرجه من ظهرك، قال: يارب اجعل نوره بحيث أراه فظهر فى سبابته فقال: يارب هل بقى فى ظهرى من هذا النور شيء؟ قال: نعم نور أصحابه، قال: يارب اجعله فى بقـية أصابعى، فـجعل نور أبى بكر فى الوسطى، ونور عمـر فى البنصر، ونور عـثمان فى الخـنصر، ونور على فى الإبهـام، وكان آدم ينظر تلك الأنوار تتـلألأ فى

خلال أصابع يمينه؛ إلى أن أكل من الشجرة وعوتب بذلك فنقل ذلك كله إلى ظهره أهـ.

وعن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك: « **اللهم إنك باركت لأمتى فى صحابتى فلا تسلبهم البركة واجمعهم عليه ـ يعنى أبا بكر ـ ولا تشتت أمره، فإنه لم يزل يؤثر أمرك على أمره. اللهم وأعز عمر وصبر عثمان وقوّ علياً وثبت الزبير بن العوام واغفر لطلحة وسلم سعداً ووفق عبد الرحمن وألحق بى بالسابقين الأولين والأنصار والتابعين بإحسان** ». وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله أختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين فاختار من أصحابى أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً**». وروى عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله ﷺ عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله عزّوجلّ افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فمن أبغض واحداً منهم لم يقبل الله له صلاةً ولا زكاةً ولا صوماً ولا حجاً ويحشره من قبره إلى النار** ». وفى المعنى قيل:

مَنْ أحسنَ الظنَّ فى الله الكريم وفى ... رسوله كان مكتوباً من الشرفا
ومَنْ أحبَ صحابَ المصطفى فله ... جناتُ عدنٍ يرى فى ظلها غرفا
ومَنْ يكنْ باغضاً فيهم. فإن له ... نارَ الجحيم ويضحى باكياً أسفاً
فهم نجومُ الهدى فى كلِّ ظلمةٍ ... والله حَسْبِى فيما قلتُه وكفى

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه. عن النبى ﷺ أنه قال: « **إن لحوضى أربعة أركان: ركن منه فى يد أبى بكر، والثانى فى يد عمر، والثالث فى يد عثمان، والرابع فى يد علىّ، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحبّ عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحبّ عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان، ومن أحبّ علياً وأبغض عثمان لم يسقه علىٌّ، ومن أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور رب العالمين، ومن أحسن القول فى علىٍّ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول فى أصحابى فهو مؤمن، ومن أساء القول فى أصحابى فهو منافق**». وفى المعنى قيل:

هُمُو صحابةُ خيرِ الخلق أيَّدَهم ... ربُّ السماء بتوفيق وإيثار
فحبُّهم واجبٌ يُشْفَى السقيمُ به ... فمَنْ أحبَّهم ينجو من النار

وروى أبو ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « **من أدخل السرور على أصحابى فقد أدخل السرور علىّ، ومن أدخل السرور علىَّ فقد سرّ الله، ومن سرَّ الله كان حقا على الله أن يسره ويدخله الجنة**». وقال رسول الله: « **لا يجتمع حبّ هؤلاء الأربعة إلا فى قلب**

مؤمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: مرحباً بالمواسى بماله مرحباً بالمؤثر على نفسه، ثم أقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: مرحباً بالمفرق بين الحق والباطل، مرحباً بمن أكمل الله به الدين وأعز به المسلمين، ثم أقبل عثمان رضى الله عنه فقال: مرحباً بصهرى وزوج ابنتى الذى جمع الله به نورى السعيد فى حياته الشهيد فى مماته ويل لقاتله من النار، ثم أقبل على بن طالب رضى الله عنه فقال: مرحباً بأخى وابن عمى والذى خلقت أنا وهو من نور واحد، معاشر المسلمين هؤلاء لا يتفق حبهم إلا فى قلب مؤمن ولا يتفرق إلا فى قلب منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ».

(لطيفتان) الأولى قيل: إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما كانا فى بعض أشغال النبى ﷺ فأدركتهما صلاة العصر، فقال عمر بن الخطاب لعثمان: تقدَّم فصلِّ بنا؛ فقال عثمان: أنت أولى منى بالتَّقدُّم يا عمر فإن رسول الله ﷺ قدّمك وأثنى عليك؛ فقال عمر: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«نعم الرجل عثمان صهرى وزوج ابنتى ومن جمع الله به نورى»**. فقال عثمان: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«عمر أكمل الله به الإسلام»**. فقال عمر: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«عثمان تستحى منه الملائكة»** فقال عثمان: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« عمر أكمل الله به الدين وأعزّ به المسلمين»**. فقال عمر: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن»**. فقال عثمان: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام»**. فقال عمر رضى الله عنه: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقك: **« غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة »**. فقال عثمان: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقك: **« اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب»** . وسماك رسول الله ﷺ الفاروق وفرق الله تعالى بك الحق والباطل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض. (اللطيفة الثانية) روى أبو هريرة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال على لأبى بكر: تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألحّ عليه فقال أبو بكر: تقدم أنت يا علىّ فقال علىّ رضى الله عنه: ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقه: **«ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدى على رجل أفضل من أبى بكر الصديق»** . فقال أبوبكر رضى الله عنه: ما أنا بالذى يتقدَّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: **«أعطيت خير النساء لخير الرجال»**. فقال علىٌّ: أنا لا أتقدَّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ:

« من أراد أن ينظر إلى آدم وإلى يوسف وحسنه وإلى موسى وصلاته وإلى عيسى وزهده وإلى محمد ﷺ وخلقه لينظر إلى عليّ » . فقال عليٌّ رضى الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: « إذا اجتمع العالم فى عرصات القيامة يوم الحسرة والندامة ينادى مناد من قبل الحق عزوجل: يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوبك الجنة». فقال أبو بكر رضى الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ يوم حنين وخيبر وقد أهدى إليه تمر ولبن: « هذه هدية من الطالب الغالب إلى علىّ بن أبى طالب» فقال عليٌّ رضى الله عنه: أنا لا أتقدَّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ : « أنت يا أبا بكر عينى». فقال أبو بكر رضى الله عنه: أنا لا أتقدّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «يجئ عليٌّ على مركب من مراكب الجنة فينادى مناد يا محمد كان لك فى الدنيا والد حسن وأخ حسن أما الوالد الحسن فأبوك إبراهيم الخليل وأما الأخ فعلىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه ». فقال علىّ: أنا لا أتقدّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة يجئ رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول: يا أبا بكر الربُّ جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار ابعث من شئت إلى الجنة وابعث من شئت إلى النار». فقال أبو بكر: أنا لا أتقدّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: «إن جبريل عليه السلام أتانى فقال لى: يا محمد إن الله عزّوجلَّ يقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحبّ عليّاً فسجدتُ شكراً وأحبُّ فاطمة فسجدتُ شكراً وأحبّ حسناً وحسيناً فسجدتُ شكراً »فقال عليٌّ رضى الله عنه : « أنا لا أتقدّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: « لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح عليهم » . فقال أبو بكر رضى الله عنه: لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: « إن عليّاً يجئ يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مركب من البدن فيقول أهل القيامة: أى نبى هذا فينادى مناد هذا حبيب الله علىُّ بن أبى طالب». فقال عليٌّ رضى الله عنه: أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: « غداً يسمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة ادخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر». فقال أبو بكر رضى الله عنه: أنا لا أتقدَّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: « بين قصرى وقصر إبراهيم الخليل قصر علىٍّ بن أبى طالب». فقال عليٌّ رضى الله عنه: أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ: « إن أهل السموات من الكروبيين الروحانيين والملأ الأعلى لينظرون فى كل يوم إلى أبى بكر الصديق». فقال أبو بكر رضى الله عنه: أنا لا أتقدَّم على رجل قال الله فى حقه وحق أهل بيته: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (١) فقال عليٌّ رضى الله عنه: أنا لا أتقدَّم على رجل قال الله فى حقه: ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٢) فنزل جبريل عليه السلام على الصادق الأمين من عند ربِّ العالمين، وقال: يا محمد العليُّ الأعلى يقرئك

(١) سورة الإنسان آية ٨.
(٢) سورة الزمر آية ٣٣.

السلام، ويقـول لك: إن ملائكة: سبع السمـوات لينظرون فى هذه الساعـة إلى أبى بكر الصديق وإلى علىٍّ بن أبى طالب ويسمعون ما جرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعضـهما لبعض، فـقم إليهمـا، وكن ثالثهما فـإن الله قد حفـهما بالرحمـة والرضوان وخصهما بحسن الأدب والإسلام والإيمان. فخـرج النبى ﷺ إليهما فوجدهما كما ذكر له جبريل، فقبل النبى ﷺ وجه كل واحد منهما وقال:

«وحق من نفس مـحمد بيـده لو أن البحـار أصبحت مـدادًا والأشجـار أقلامًا وأهل السموات والأرض كتابًا لعجزوا عن فـضلكما وعن وصف أجركما» أورده صاحب الروض الفائق وأنشد:

مَنْ ذا يطيقُ بأن يحصى الثناءَ على ... محـمد وعلى الصـدّيق صاحـبه
وقـد رقى عـمـرُ الـفـاروقُ منزلةً ... وحـاز عـزا وفخـرًا فى مـراتبـه
وحاز عـثمـانُ فضلاً بالـنبى وقد ... أثْنتْ جـميعُ البـرايا عن مناقبـه
وذو الفـــقـــار علىٌّ المرتضـى فله ... بحرٌ من العلم يبدو من عـجائبه
فهم مـلاذٌ لمَنْ خافَ الحـسابَ إذا ... ضـاقتْ عليه أمـورُ فى مذاهبـه
عليـهم صلواتُ الله مـا لمعتْ فى ... الليـلِ أنوارُ برقٍ فى غـيـاهبه

وفى حياة الحيوان: سـأل النبى ﷺ ربه أن يريه أهل الكهف فقال الله تعالى: إنك لن تراهم فى دار الدنيـا، ولكن ابعث إليهـم أربعة من خـيار أصـحابك ليـبلغوهم رسـالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك، فـقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السـلام: كيف أبعث إليهم؟ قال: ابسط كساءك وأجلـس على كل طرف من أطرافه واحداً على الأول أبا بكر رضى الله عنه، وعلى الثـانى عـمر رضى الله عنـه، وعلى الثالث عـليًا وعلى الرابع أبا ذر، ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهمـا السلام فإن الله عزَّ وجلَّ أمرها أن تطيعك؛ ففعل النبى ﷺ ما أمره به، فحملتـهم الريح وانطلقت إلى باب الكهف فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجراً فـقام الكلب ينبح عليهم حين أبـصر القوم وحمل عليهم، فلمـا دنا منهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردّ الله عليهم أرواحهم، فقاموا بأجمعهم فقالوا: وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتم، ثم جلسوا يتحدثون فآمنوا بمحمد ﷺ وقـبلوا دينه الإسلام وقالوا: بلغوا محـمداً منا السلام، ثم أخذوا مضـاجعهم، وعادوا إلى رقدتهم اهـ.

ويروى عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قـال: «رأيت النبى ﷺ متوكـئاً على أبى بكر وهو يقول: هكذا نموت وهكذا ندخل الجنة».

(عجيبة ذكرها غير واحد): روى إمامنا محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه قال: رأيت بمكة أسقفاً يطوف بالكعبة فقلت له: ما الذى أخرجك عن دين أبائك؟ فقال: تبدلت

خيراً منه قلت: وكيف ذاك؟ قال: ركبت البحر، فلما توسطناه انكسرت المركب، فلم تزل الأمواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب، فحمدت الله على ذلك وقلت: آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بأمره، فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش، فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها، فلما كان فى جوف الليل وإذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول: لا إله إلا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار عمر الفاروق فاتح الأمصار عثمان القتيل فى الدار علىٌّ سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر فلما طلع الفجر قالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الموفق للتسديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضل الشهيد علىّ بن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الملك المجيد، ثم أقبلت إلى البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوام بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسى الهلكة ثم هربتُ فنطقتْ بلسان فصيح: يا هذا قف وإلا تهلك فوقفتُ فقالتْ: ما دينك؟ فقلت: دين النصرانية.

فقالت: ويلك ارجع إلى دين الحنفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمى الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً فقلت: وكيف الإسلام؟. فقالت: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول‌الله، فقلتها. فقالت: أتمم إسلامك بالترضى على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، فقلت: ومن أتاكم بذلك؟ قالت: قوم منا حضروا عند رسول الله ﷺ سمعوه يقول: «إذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق فصيح: إلهى قد وعدتنى أن تشيد أركانى فيقول الجليل جلّ جلاله: قد شيدت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وزينتك بالحسن والحسين. ثم قالت الدابة: أتريد المقام ههنا أم الرجوع إلى أهلك؟ فقلت: الرجوع إلى أهلى. فقالت: اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك، وإذا بمركب أقبلت تجرى فأومأت إليهم فدفعوا إلى زورقاً فنزلت فيه، ثم جئت إليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فقالوا: ما الذى جاء بك إلى هنا؟ فقصصت عليهم قصتى، فتعجبوا كلهم، وأسلموا عن آخرهم ببركة رسول الله ﷺ، فعليك يا أخى بمحبة رسول رب العالمين وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، ولتكن محبتك لأصحابه ﷺ على وجه صادق ولا يضر التفاوت إن كان سببه ما بلغك من تفاوت مراتبهم التى ظهرت من رسول الله ﷺ قال الشيخ الشعرانى فى منته: سمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكفى فى محبة أصحاب رسول الله ﷺ أن تحبهما المحبة العادية إنما الواجب علينا أن لو كنا نعذب من جهتهم بمحبتنا لهم لا نرجع عن محبتهم كما لا نرجع عن إيماننا بالتعذيب كما وقع لبلال وصهيب وعمار وكما وقع للإمام أحمد بن حنبل فى مسألة خلق القرآن، فمن لا يحتمل فى حب الصحابة مثلما حمل هؤلاء فمحبته مدخولة ا هـ. ثم قال فتأمل يا أخى فى نفسك فربما تكون محبتك مجازية لا حقيقة لتجنى

ثمرتها يوم القيامة. قال الشيخ الشعرانى فى منه أيضاً: ومما أنعم الله به علىّ رؤيتى أولاد أصحاب رسول الله ﷺ بالعين التى كنت أرى بها والدهم لو أدركته حتى كأنى بحمد الله تعالى صحبت جميع أصحاب رسول الله ﷺ فى تفاوت مراتبهم التى ظهرت من رسول الله ﷺ دون ما يقع فى نفوسنا نحن من التعظيم فربما أدخل علينا العصبية فى محبتنا بخلاف من كان محبته للصحابة تبعاً لما بلغه عن رسول الله ﷺ، فإنه يكون سالماً من العصبية فى عقديته.

(وحكى) عن المحب الطبرى مفتى الحرمين أن الشريف أبا نمى قال له: بأىّ طريق قدمتم أبا بكر على علىٍّ مع غزارة علمه وقربه من رسول الله ﷺ، فقال له: «سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر». وقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». وقرأنا هذا الحديث بالسند الصحيح إلى رسول الله ﷺ، وقبض رسول الله ﷺ، فقالت الصحابة: من رضيه رسول الله ﷺ لديننا رضيناه لدنيانا فقال الرشيف أبو نمى: نعم؛ فعمر فقال المحب الطبرى: وأما عمر فإن أبا بكر عند موته اختاره للمسلمين، قال الشريف: نعم؛ فعثمان، فقال المحب الطبرى: إن عمر جعل الأمر شورى بين من توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فقدموا عثمان، فقال الشريف فمعاوية فقال المحب الطبرى: هو مجتهد كما أن علياً كان مجتهداً فقال الشريف: فمع من تقاتل لو أدركتهما؟ فقال: مع على رضى الله عنه فقال الشريف: فجزاك الله عنا خيرا. قال الشعرانى: فانظر يا أخى هذا الكلام النفيس من هذا العالم الذى لا يخرج عن التبعية فى شىء فعلم أن الواجب علينا أن نحب أصحاب رسول الله ﷺ تبعا لحب رسول الله ﷺ، ونحب أولادهم كذلك لحب رسول الله ﷺ لا بحكم الطبع وتقدم أولاد فاطمة على أولاد أبى بكر الصديق كما كان أبو بكر يقدمهم على أولاده عملا بحديث «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين». وقيل مرة للإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: لم قدموا عليك أبا بكر وعمر؟ فقال: إن الله هو الذى قدمهما على لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (١). وقد ركن رسول الله ﷺ إلى أبى بكر وعمر وتزوج ابنتيهما ولو كانا ظالمين لما تزوج رسول الله ﷺ ابنتيهما، ولا ركن إليهما. وقد ذكر الشيخ عبد الغفار القوصى رضى الله تعالى عنه فى كتابه المسمى بالوحيد فى علم التوحيد: أنه كان له صاحب من أكابر العلماء فمات فرآه بعد موته فسأله عن دين الإسلام فتلكأ فى الجواب. قال: فقلت له أما هو حق؟ فقال: نعم هو حق. فنظرت إلى وجهه فإذا هو أسود كالزفت وكان فى حياته رجلاً أبيض. فقلت له: ما الذى سوّد وجهك كما أرى إن كان دين الإسلام حقا؟ فقال بخفض صوت: كنت أقدم بعض الصحابة على بعض بالهوى والعصبية. قال:

---

(١) سورة هود: آية ١١٣.

وكان هذا العـالمُ من بلد تُنسب إلى الرفض اهـ. وبلغنا أن معاوية رضى الله عنه قـال يوماً لواحد من جلسائه أيكم يأتينى بالزرقاء الكنانية فأتوة بهـا فقال لها: تذكرين ركوبك الجمل الأحمر مع علىٍّ؟ فقـالت: نعم أذكر ذلك. قال: لقد شاركته فى سـفك الدماء. فقالت: بشرك الله بخير مثلك من يحدث جليسـه بما يسره، فقال: أوقد سرك ذلك؟ فقالت: نعمْ. فقال: والله (لوفاؤكم) بحقه بعد مماته أعجب إلىّ من وفائكم بحقه فى حال حياته اهـ.

(وحكى) المحب الطبرى رحمه الله تعالى: أن جماعة من الروافض أتوا إلى خادم قبر رسول الله ﷺ بمال جزيل ليوصله إلى ناظر الحرم، ويمكنهم من قتل أبى بكر وعمر رضى الله عنهمـا، فقـبل الناظر ذلك سراً وبقى الخـادم فى تشويش عظيم ومـا بقى إلا أن الليل يدخل، ويأتون بالمسـاحى والزنابيل، ويحفـرون عليهـما وكـانوا أربعين رجـلا قال المحب الطبرى: فأخـبرنى الخادم أنهم لما دخلوا المسجد فى الليل خسف الله بهـم الأرض أجمعين فلم يطلع منهم أحد إلى يوم تاريخه، وطلع الجذام فى ناظـر الحرم حتى تقطعت أعضاؤه، ومات على أسوأ حال، قال: ثم إن جمـاعة من الروافض الذين كانوا أرسلوا الأربعين رجلا بلغهم الخسف فأتوا المدينة متنكرين، وعملوا الحيلة على الخادم وأدخلوه داراً لا ساكن فيها، وقطعوا لسانه ومثلوا به؛ فجاءه النبى ﷺ فمـسح عليه وعلى فمه، فأصبح وليس به ضرر، ثم عملوا عليـه الحيلة ثانى مـرة، وقطعوا لسانه وضـربوه ضرباً شديداً؛ فـجاءه النبى ﷺ فمسح عليه فأصبح وما به ضرر فعـملوا عليه الحيلة ثالثاً وضربوه، وقطعوا لسانه، وأغلقوا عليه الباب؛ فـجاءه رسول الله ﷺ فمسح عليـه فأصبح وما به ضرر اهـ. قال الشـيخ عبد الغفار القـوصى رضى الله عنه: وكذلك بلغنا أن رجلا كان يَسُبُّ أبـا بكر وعمر رضى الله عنهما وتنهاه زوجته وولده عن ذلك، فلم يرجع فـمسخه الله تعالى خنزيراً فى عنقه سلسلة عظيمـة، وصار ولده يدخل على الناس عليـه ينظرونه، ثم مات بعد أيام، فـرماه ولده فى مزبلة، قال الشـيخ عبد الغفار: ورأيتـه أنا بعينى حال حياتـه، وهو يصرخ صراخ الخنازير، ويبكى ثم أخبـرنى الشيخ محب الـدين الطبرى: أن شخـصاً ذكر له أنه اجـتمع بولد هذا الرجل، وذكر له القصة وأنه كان يضـربه ويقول له: سب أبا بكر وعمر فلم يفعل اهـ. من المنن. فإن قلت: ذكـرت أبا بكر وعمر وعـثمان فى هذا الـكتاب وليسـوا من أهل البيت. قلت: ذكرتهم تيمناً ببركتهم وتتميماً للفائدة، وأيضاً هم من أقاربه ﷺ كما ستقف عليه إن شاء الله تعـالى فى ترجمة كل واحد منهم فى الـكلام على نسبه، وفى هذا القدر كـفاية، والله ولى التوفيق والهداية.

●●●●●

فصل

فى ذكر نسبه ﷺ ومولده ومرضعاته وما يتصل بذلك

من المعلوم أن الكلام على ما يتعلق بسيرته ، وقد أفرد بالتآليف التى لا تكاد تدخل تحت الحصر، والغرض ههنا ما ذكر طرف مما يتعلق بهﷺ فى هذه العجالة على سبيل الإيجاز تبركاً به ﷺ. إذا علمت هذا فنقول: هو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور فى نسبه ﷺ، وهو الجد الخامس له ﷺ.

نَسبٌ كأن عليه من شمس الضحى	نوراً ومن فَلَقِ الصباح عمودا
ما فيه إلا سيدٌ من سيدٍ	حاز المكارمَ والتقى والجودا

وولد ﷺ بمكة عند طلوع الفجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل. وفى المواهب اللدنية وقيل: ولد ليلا، فعن عائشة كان بمكة يهودى يتجر فيها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟، قالوا: لا نعلمه. قال: انظروا يا معشر قريش، واحصوا ما أقول لكم ولد الليلة نبى هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعيرات متواترات كأنهن عرف فرس انتهى، والقول الأول مروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (واختلف فى مكان ولادته ﷺ) فقيل: ولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج، وقيل: بالشعب، وقيل: بالردم وقيل: بعسفان كذا فى المواهب اللدنية، ونزل على يد الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رافعاً بصره إلى السماء واضعاً يديه على الأرض وفيه من الإشارة ما لا يخفى مكحولا تظيفاً مسروراً، أى مقطوع السر وهو ما تقطعه القابلة من السرة مختوناً، أى على صورة المختون، وقيل: ختنه جده عبد المطلب سابع ولادته. قال العلماء: ويمكن الجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون ولد مختوناً ختاناً غير تام فتمم جده ختانه، وقيل: ختنه جبريل يوم شق صدره عند حليمة السعدية مرضعته.

(فائدة) قال كعب الأحبار: ولد مختوناً من الأنبياء ثلاثة عشر آدم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين اهـ. من حياة الحيوان. ومات أبوه عبد الله وأمه حامل به؛ ولهذا كان المسمى له، والعاق عنه ﷺ سابع ولادته جده عبد المطلب، والكلام على ما يتعلق بمولده ﷺ أفرد

بالتأليف، وهذه العجالة مبنية على التخفيف. وأرضعته ﷺ من النساء ثمان منهن أمه آمنة ثلاثة أيام وقيل: سبعة وثويبة الأسلمية جارية أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ أياماً قبل قدوم حليمة وخولة بنت المنذر وأم أيمن ذكرهما اليعمري؛ وامرأة سعدية غير حليمة ذكرها ابن القيم؛ وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة نقله السهيلي عن بعضهم في الكلام على قوله ﷺ: «أنا ابن العواتك». (وفي حياة الحيوان): العواتك ثلاث نسوة كن من أمهات النبي ﷺ، إحداهن: عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان وهي أم عبد مناف بن قصي، والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج وهي أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ، والعواتك: جمع: عاتكة، وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب، وأكثرهن إرضاعاً له ﷺ حليمة السعدية وصرح بعضهم بإسلام زوجها بل وبنيها أيضاً، ولما خافت عليه ردته إلى أمه فخرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار. أي: أخوال جده عبد المطلب وهي راجعة به وماتت ودفنت بالأبواء، وكان عمره ست سنين على ماقاله ابن إسحاق؛ فحضنته أم أيمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه، وحملته إلى جده عبد المطلب بمكة. فكفله إلى تمام ثمان. وأصابه ﷺ في السنة السابعة رمد شديد ولما مرض جده عبد المطلب مرض الموت أوصى به إلى عمه أبي طالب لفخامته وكونه شقيق أبيه عبد الله، فافتخر بشرف كفالته وتربيته ﷺ، وكان يرى منه الخير والبركة كشبع عياله إذا أكل معهم وعدم شبعهم إذا لم يأكل معهم ونزول المطر الغزير حين استسقى به لقحط أصاب أهل مكة وسافر به إلى الشام في تجارة، فلما نزل الركب بصرى رآه ﷺ راهبٌ بها يقال: له بحيرا وهو في صومعته وكان قد انتهى إليه علم النصرانية، فصنع للقوم طعاماً كثيراً لأجله ﷺ، وكثيرا ما كانوا يمرون به لا يكلمهم، ولا يعرض عليهم، ثم قال لعمه ارجع بابن أخيك، واحذر عليه من اليهود، فلما فرغ أبو طالب من تجارته رجع مسرعاً إلى مكة وسافر أيضاً ﷺ مع عميه الزبير والعباس ابني عبد المطلب إلى اليمن للتجارة. وثبت أنه ﷺ آجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم، وكذا ثبت في حق غيره من الأنبياء كموسى، قيل من حكم ذلك: أن من رعى الغنم التي هي أضعف البهائم يسكن في قلبه الرأفة واللطف، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه أولا. ولما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة وهو يدعى في مكة بالأمين سافر إلى الشام في تجارة لخديجة، وأنفذت معه عبدها ميسرة، وتزوجها في هذه السنة أيضا، وكانت هذه السفرة ثالث سفرة آجر نفسه فيها لخديجة. ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة جددت قريش بناء الكعبة لصدع جدرانها بسيل دخل بعد حريق أصابها من تبخير لها، فكان النبي ﷺ ينقل معهم الحجارة، فلما وصلوا إلى موضع الحجر اختلفوا فيمن يضعه، ثم رضوا بأن يضعه ﷺ بيده فوضعه. ولما قربت أيام الوحي حبب إليه الخلوة، فكان يختلي في غار

حراء، ويتعبد فيه قيل: بالذكر، وقيل: بالفكر، وفى كلام الشيخ محيى الدين: أن تعبده قبل نبوته كان بشريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: غير ذلك،وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحى قيل: مدتها ستة أشهر،وثبت أنه لما دنا زمن الوحى كثر رجم الشياطين بالنجوم مع إصابتها، وانقطع بالمرة استراق السمع من حينه، وماروى من رجمهم بها ليلة مولده وقبلها فى أزمنة الرسل فعلى ثبوته كان قليلا وتارة يصيب وتارة لا يصيب. وأما فى زمن قرب الوحى إليه ﷺ فكان يصيب ولابد من الكثرة كذا فى سيرة الحلبى. ولما تم له أربعون سنة قيل: وأربعون يوماً وعشرة أيام، وقيل: شهران يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وقيل: لسبع وقيل: لأربع وعشرين ليلة. كذا فى المواهب جاء جبريل بالنبوة وهو فى غار حراء فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فضمه حتى بلغ منه الجهد ثم أطلقه. فقال له: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ، فضمه كذلك ثم أطلقه فقال: له اقرأ فقال: ﴿ما أنا بقارىء﴾ فضمه كذلك، ثم أطلقه فقال له: ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾، ثم نزل به الجبل إلى الأرض فضربها برجله، فنبعت عين ماء فتوضأ، وأمر النبى ﷺ أن يفعل كفعله ثم صلى به ركعتين وقال: الصلاة هكذا وغاب عنه فانطلق ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده وأخبرها الخبر، وقال: خشيت على، فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة وكان امرءاً تنصر فى الجاهلية يكتب الكتاب العربى، وفى رواية العبرانى فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن العم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟، فأخبر رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل على موسى ياليتنى فيها جذعاً ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجى هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وكان مدة فترته ثلاث سنين، كما جزم به ابن إسحاق، ثم نزل عليه جبريل بسورة «يا أيها المدثر».

وتتابع الوحى ونزولها ابتداء رسالته ﷺ فهى متأخرة عن نبوته بثلاث سنين،وقيل: مقارنة لنبوته، وصار يدعو الناس إلى الله تعالى خفية لعدم الأمر بالإظهار وكان من أسلم إذا أراد الصلاة ذهب إلى بعض الشعاب ليستخفى بصلاته من المشركين حتى اطلع نفر من المشركين على سعد بن أبى وقاص، وهو فى نفر من المسلمين يصلون فى بعض الشعاب، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون، وقاتلوهم، فضرب سعد رجلا منهم فشجه، وهو أول

دم أهريق فى الإسلام، فعند ذلك دخل ﷺ هو وأصحابه فى دار الأرقم مستخفين بصلاتهم وعبادتهم إلى أن أمر الله تعالى بإظهار الدين، وهدى عمر بن الخطاب إلى الإسلام بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست من النبوة على الراجح، وكانت مدة إخفائه ثلاث سنين، وفى هذه المدة كانت قريش تؤذيه ﷺ، وتؤذى من آمن به حتى عذبوا جماعة من المستضعفين كبلال وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبيه ياسر وأمه سمية وأخيه عبد الله، ثم مات ياسر فى العذاب، وطعن أبو جهل لعنه الله سمية بحربة فى فرجها فماتت، فكانت أول شهيدة فى الإسلام، ولكثرة إيذائهم هاجر جمع من المسلمين إلى الحبشة بإشاراته ﷺ، فأكرمهم النجاشى، منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته رقيه بنت رسول الله ﷺ، وعند بلوغ خروجهم قريشاً خرجوا فى أثرهم، فلم يظفروا بأحد منهم، وهذه هى: الهجرة الأولى من هجرتى الحبشة وكانت فى رجب سنة خمس من النبوة، ثم بعد مكثهم بالحبشة دون ستة أشهر رجع كثير منهم لما بلغهم: سجود المشركين مع رسول الله عند قراءته سورة والنجم وظنوا إسلامهم.

●●●●●

فصل

تعاهد قريش على قتله ﷺ وموت عمه أبى طالب وذهابه إلى ثقيف والطائف وابتداء إسلام الأنصار وما يتصل بذلك

قال فى المواهب اللدنية: ولما رأت قريش عز النبى ﷺ بمن معه وعز أصحابه بالحبشة، وإسلام عمر بن الخطاب وفشو الإسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بنى هاشم وبنى المطلب، وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ومنعوه ممن أراد قتله؛ فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واشتوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة بن هاشم فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة، وانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبى طالب، ودخلوا معه شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش، وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، وكانت قريش قد قطعت عنهم الميرة، وكان لا يصل إليهم شىء إلا سراً، وكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم. ثم قال رجال فى نقض الصحيفة: وكان قد أطلع الله نبيه على أمرها أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا اسم الله فقط، فأخبر عمه بذلك، فأخبرهم أبو طالب انتهى. وكان الذين سعوا فى إنزالها خمسة هشام بن الحرث وهو رئيسهم وهو أول من مشى فى نقضها، وزهير بن عاتكة بنت عبد المطلب وأبو البحترى وزمعة اجتمعوا بالحجون، وأجمعوا على نقضها، فقال لهم زهير: أنا أول من يتكلم، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير فى حلة جميلة فطاف سبعاً ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة إنا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم كما ترون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة قال أبو جهل: كذبت والله. لا تشق قال زمعة: أنت والله أكذب. أى من كل كاذب لا من زهير ما رضينا كتابتها حين كتبت، وقال أبو البحترى: صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها، ولا نقره وقال المطعم: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. قال أبو جهل: هذا أمر قد قضى بليل اشتورتم فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس فقام المطعم إلى الصحيفة فشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان اسم الله كما قال ﷺ، فأخرجوهم من الشعب، وذلك فى السنة العاشرة، وقد ذكر هؤلاء الخمسة صاحب الهمزية بقوله:

فُديتْ خمسة الصحيفة بالـ	خمسة إن كان للكرام فداءُ
فتيةٌ بيتوا على فعل خير	حمد الصبحُ أمرَهم والمساءُ
يا لأمر أتاه بعد هشام	زمعةُ إنه الفتى الأتاءُ
وزهيرُ والمطعمُ بنُ عدىٍّ	وأبو البحترى من حيث شاءوا
نقضوا مبرمَ الصحيفة إذ شد	تْ عليهم من العدا الأنداءُ

وفى السنة العاشرة من النبوة أول ذى القعدة مات عمه ﷺ أبو طالب بعدما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر واحد وعشرين يوما، وفى المواهب اللدنية وكانت سنه سبعاً وثمانين سنة، روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده عبد الله بن أمية وأبا جهل بن هشام. فقال: يا عَمّ قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله تعالى، فقال له أبو جهل: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول: ياعم قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله ويقولان له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ حتى كان آخر كلمة تكلم بها أبو طالب أنا أموت على ملة عبد المطلب، ثم مات وروى عن علىٍّ رضى الله عنه أنه قال: لما مات أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ بموته فبكى ثم قال: اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ففعلت وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياما ولا يخرج من بيته حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (1) الآية. قال ابن عباس: عارض رسول الله ﷺ جنازة أبى طالب وقال: وصلت رحمك وجزاك الله خيراً ياعم.

(تنبيه) الكفر على أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر نفاق، وكفر عناد. أما كفر الإنكار فهو: ألا يعرف الله بالقلب ولا يعترف باللسان، وأما كفر الجحود فهو: أن يعرف الله بقلبه ولكن لا يقر بلسانه ككفر إبليس، وكفر اليهود بمحمد ﷺ من هذا القبيل قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(2)، أى جحدوا. وأما كفر النفاق فهو: أن يقر بلسانه ولكن لا يدين به ولا يكون منقاداً ومطيعاً ككفر أبى طالب فإنه قال:

ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمد	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذارُ مسبة	لوجدتَنى سمحًا بذاك مُبينا
ودعوتَنى وعرفتُ أنك ناصحى	ولقد صدقتَ وكنتَ فيه أمينا

(1) سورة التوبة الآية ١١٣.
(2) سورة البقرة آية ٨٩.

وجميع الأنــواع الأربعة المذكورة سواء فى أن الله تعـالى لا يغفر لأصحابـها إذا ماتوا عليها نعوذ بالله منها، (وفى هذه السنة) العاشـرة من النبوة كانت وفاة خديجة الكبرى رضى الله عنها. روى أن خديجة لما مرضت مرض الموت دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها: يا خديجة أما علمت أن الله قد زوجنى معك فى الجـنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسيـة امرأة فـرعون؟ قالت: أفـعل ذلك رسول الله؟ قـال: نعم. قالت: بالرفـاء والبنين فتوالت على رسول الله ﷺ فى هذه الـسنة مصيبتان موت عـمه أبى طالب وخديجة رضى الله عنهـا؛ (وفى هذه السنة العاشـرة أيضا خـرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وإلى ثقـيف قيل: وحده وقيل: مـعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجـة لثلاث ليال بقين من شوال يستنصرهم وهو مكروب لموت عمه أبى طالب قـال محمد بن كعب القرظى: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عـمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سـادة ثقيف وأشرفهم وهم: إخوة ثلاثة عبد ياليل بمثناة تحتية بعـدها ألف ثم لام مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم لام، ومسعود، وحبيب بنى عمـرو بن عمير، وفى شرح المواهب وعند أحدهم: امرأة من قريش من بنى جـمح فجلس إليهم ودعـاهم إلى الله عزّ وجلّ، وكلمـهم بما جاءهم به من نصرته على الإسلام والقيـام معه على من خالفه من قومه، فقـال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسـلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غـيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب مـا ينبغى لى أن أكلمك فقـام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا على وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومـه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفـهاءهم وعبيـدهم يسبونه ويصيـحون به حتى اجتمع الناس عليه، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه.

وفى المواهب قال موسى بن عقبة: رموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، زاد غيره وكـان إذا أذلقته الحجارة قعـد إلى الأرض فيأخذون بعضـديه فيقيمـونه فإذا مشى رجمـوه، وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقـيه بنفسـه حتى لقد شج فى وجـهه شجـاجا، وألجئوا النبى ﷺ إلى ظل شجرة فجلس فيه مـحزوناً وابنا ربيعة كانا فى الحائط ينظران إليه فلما رأيا ما لقيه من سفهاء ثقيف تحركت له رحمهـما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً إليه يقال له: عداس، فقالا: خذ قطفـاً من هذا العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له: يأكل منه ففعل عداس ثم أقـبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ، فلمّا وضـع رسول الله ﷺ يده قال: «بسم الله الرحـمن الرحيم» ثم أكل فنـظر عداس إلى وجهه ثم قـال: إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد فقـال رسول الله ﷺ: من أى البلاد أنت؟ وما دينـك؟ قال: أنا نصرانى وأنا رجـل من أهل نينوى، فقـال رسول الله ﷺ: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه وأسلم، وينظر إليه

ابنا ربيعة فيقول أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه، قال: يا سيدى ما فى الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى. وقد أورد البغوى فى تفسيره حديث عداس فى سورة الأحقاف عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ (1). وذكره غيره؛ ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف حين يئس من خير ثقيف محزوناً، روى أن الله أرسل إليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة. قال العلماء: أى بعد نقلهما إلى الطائف، وقيل: الضمير لأهل مكة لأنهم سبب ذهابه إلى ثقيف فقال عليه الصلاة والسلام: بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً، فقال له ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رءوف رحيم، ثم سار إلى حراء. وفى أسد الغابة: ولما عاد من الطائف أرسل إلى مطعم بن عدى يطلب منه أن يجيره فأجاره ودخل المسجد معه وكان رسول الله ﷺ يشكرها له، وكان رجوعه من الطائف لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذى القعدة، (وفى رجوعه ﷺ) من الطائف نزل نخلة وهو: موضع على ليلة من مكة فصرف إليه سبعة من جن نصيبين وهى مدينة بالشام، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وهو يقرأ سورة الجن كما قاله مغلطاى، فلما رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾(2)، وأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (2) كما فى الصحيحين وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية. (وفى السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار، روى: أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتتبع آثار الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنة، وذى المجاز فى المواسم، ويقول من يؤوينى من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى فله الجنة، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردونه أقبح رد ويؤذونه ويقولون: قومك أعلم بك إلى أن أراد الله إظهار دينه فساقه ﷺ إلى هذا الحى من الأنصار، وهو لقب إسلامى لنصرتهم النبى ﷺ، وكان يسمون: أولاد قيلة والأوس والخزرج، فلقى فى منى بعض الخزرج عند العقبة التى بجنب منى. فقال: من أنتم؟ قالوا: من الخزرج. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟، فجلسوا فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لأن يهود المدينة كانوا يقولون لهم: إن نبياً يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود إليه وأسلم منهم ستة فقال لهم: تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى، فقالوا: ندعو إلى ما دعوتنا إليه فإن أجابوا فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم فى العام القابل، وأمرهم بالكتمان عن أهل مكة، فلما وصلوا المدينة لم يبق فيها دار إلا وفيها ذكره، ثم فى العام الثانى لقيه

(1) سورة الأحقاف آية ٢٩.
(2) سورة الجن آية ١، ٢.

اثنا عشر خمسة من الستة الأول، والبقية من الخزرج أيضا إلا رجلين فمن الأوس، وهذه هي: العقبة الثانية، فأسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم، ثم رجعوا وأظهر الله الإسلام فيهم، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم ثم أرسلوا يطلبون من يعلمهم القرآن، فأرسل إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يده جمع كثير منهم سيد الأوس سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وأسلم بنو عبد الأشهل كلهم في يوم واحد رجالا ونساء؛ ثم قدم في العام الثالث في الموسم نحو سبعين رجلا، وهي: العقبة الثالثة، فبايعهم على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود وحضر العباس هذه الثالثة وأكد عليهم صدق الحديث.

(تنبيه) بعضهم يسمى العقبة الثالثة ثانية (وفى السنة) الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بسنة كما قاله ابن شهاب عن ابن المسيب: أسرى بالنبى ﷺ وعرج به يقظة ليلة السبت لسبع وعشرين خلت من ربيع الأول قاله ابن الأثير والنووى فى شرح مسلم وقيل: فى ربيع الآخر قاله النووى فى فتاواه، وقيل: فى رجب وعليه العمل الآن وقيل: غير ذلك. وأما مناماً فوقع له ذلك ثلاثاً وثلاثين مرة على ما ذكره الشعرانى، وفرضت عليه فى تلك الليلة الصلوات الخمس قيل: كما هى الآن فى عدد الركعات وهو الأصح، وقيل: ركعتين ركعتين ثم فرض عام الهجرة بعدها إتمام الرباعية أربعا، والثلاثية ثلاثاً فى الحضر، وكانت الصلاة أول الإسلام ركعتين بالغداة قال الحلبى: أى قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى قال الحلبى أى: قبل غروب الشمس والأكثر على أن البداءة بصلاة ظهر اليوم التالى لتلك الليلة قال الخطيب: فإن قيل: فلم لم يبدأ بالصبح؟ وأجاب بجوابين: الأول: أنه حصل التصريح بأن أول وجوب الخمس من الظهر وعزاه للمجموع. الثانى: أن الإتيان بالصلاة متوقف على بيانها ولم تبين إلا عند الظهر انتهى. وقيل: كانت البداءة بصلاة صبحه.

(فائدة) قال صاحب الكنز المدفون: سألنى سائل عن ركوبه ﷺ البراق ليلة الإسراء هل انتهى به إلى بيت المقدس خاصة أم صعد عليه السموات؟ قال: فتأملت الأحاديث الواردة فى ذلك فوجدت منها ما هو ساكت عن ذلك، ومنها ما هو مصرح بالثانى، ومنه حديث أنس أخرجه الإمام أحمد بن عفان أنبأنا همام قال: سمعت قتادة يحدث أنس فذكره ولفظه «ثم أتيت بدابة قال: فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى بى إلى السماء الدنيا ولم يذكر بيت المقدس»، وفى رواية حذيفة «والله ساراً بالبراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار». رواه الترمذى. قال الحلبى: كانت صلاته ﷺ قبل فرض الصلوات الخمس إلى الكعبة وبعده إلى بيت المقدس جاعلا الكعبة، بينه وبين بيت المقدس ليكون مستقبلا لها أيضاً فلما قدم المدينة لم يمكنه هذا الجعل فشق عليه استدبار الكعبة فهذا

سبب تحويل القبلة. (وفى هذه الليلة) شق صــدره ﷺ، وقد وقع شق صدره الشريف ﷺ خمس مــرات: مرة فى طفولته عند حليــمة وهى متــفق عليها، ومرة وهو ابن عــشر سنين وأشهر رواهــا مسلم، ومرة ليلة الإسراء، ومــرة حين جاءه الملك بالوحى ذكرها بعــضهم، ومرة فى النوم، وفى ليلة الإسراءرأى ربه بعينى رأســه على الصحيح وكلمه، ورؤيته له فى الدنيا من خصــوصياته ﷺ، وهى مســتحيلة شرعــاً على غيره فى الدنيا، ولما أصــبح أخبر الناس فكذبه الكفار، وسألوه عن صــفة بيت المقدس، ولم يكن رآه قبل، فرفعــه له جبريل حتى وصفه لهم.

●●●●●

فصل
فى ذكر الهجرة وما يتصل بها

قال أهل السير: لما أبرم عقد المبايعة بين النبى ﷺ وبين أهل المدينة، ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة من إيذاء المشركين، ولم يصبروا على جفوتهم رخص لهم فى الهجرة إلى المدينة، روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا إلى رسول الله ﷺ ثم استأذنوه فى الهجرة، فقال: قد رأيت دار هجرتكم وهى أرض سبخة ذات نخل بين لابتين، ثم مكث بعد ذلك أياماً وخرج إلى أصحابه وهو مسرور، فقال: قد أُخبرت بدار هجرتكم ألا وهى: يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج، فخرجوا أرسالا أى قطائع سرا إلا عمر بن الخطاب فإنه أعلن بالهجرة ولم يمنعه أحد من كفار مكة هو وأخوه زيد بن الخطاب، ولم يبق معه ﷺ إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب كذا قال ابن إسحاق وغيره، ثم لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ أصاب منعة وأصحاباً بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم تحذروا خروجه ﷺ واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة، وهى دار قصى بن كلاب وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها وفيها يتشاورون، وحجبوا الناس عن الدخول إليهم لئلا يدخل أحد من بنى هاشم فيطلع على حالهم. قال ابن دريد: كانوا خمسة عشر رجلا وقال ابن دحية: كانوا مائة رجل ولما جلسوا للتشاور تبدى لهم إبليس فى صورة شيخ نجدى جليل، وفى رواية وبيده عكازة يتوكأ عليها وعليه جبة صوف وبرنس أخضر متطيلساً، فوقف على باب الدار فلما رأوه قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذى تواعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا يعدمكم منه رأى ونصح، وإن كنتم تكرهون جلوسى معكم فلا أقعد معكم، فقالت قريش بعضهم لبعض: هذا الرجل من نجد لا من مكة ولا يضركم حضوره فشرعوا فى الكلام، وقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل يعنى محمدا ﷺ قد كان من أمره ما كان وإنا والله لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا فقال أبو البحترى بن هشام، وفى رواية قال هشام بن عمرو: رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة، فصرخ عدو الله الشيخ النجدى وقال: بئس الرأى رأيتم والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فوثبوا وانتزعوه من أيديكم. قالوا: صدق الشيخ، وقال هشام: وفى رواية أبو البحترى رأيى تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم؛ فقال الشيخ النجدى: والله ما

هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقة وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به فوالله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحمل على حى من العرب فيغلب عليهم من قوله وحديثه فيبايعوه ثم يسير بهم فيطأكم به؛ فقالوا: صدق والله الشيخ، فقال أبو جهل: والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ فقال: رأيى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطى كل فتى سيفاً صارما ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل كلها فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فيرضون منا بالعقل، قال الشيخ النجدى لعنه الله: القول ما قال هذا الفتى وهو أجودكم رأيا ولا أرى لكم غيره، فتفرقوا على رأى أبى جهل مجمعين على قتله، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وقال له: لا تبت على فراشك الذى تبيت عليه الليلة، وأذن الله تعالى له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله ﷺ عليًا رضى الله عنه أن ينام على فراشه، فنام فى مضجعه وقال: اتشح ببردتى فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه، ثم خرج رسول الله ﷺ فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يقرأ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ⑧ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (١) ،قال ابن إسحاق: إن رسول الله ﷺ فيما بلغنى أخبر علياً بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ليؤدى عنه الودائع التى كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته،وبات المشركون يحرسون عليًا على فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبى ﷺ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم،تنتظرون فقال: ما تنتظرون ههنا فقالوا: محمدًا، فقال: قد خيبكم الله والله قد خرج عليكم ما ترك منكم أحداً إلا وضع على رأسه التراب، وفى رواية أبى حاتم وصححها الحاكم من حديث ابن عباس: ما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً وذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(٢) ،وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: « كان لا يخطئ أن يأتى رسول الله ﷺ بيت أبى بكر أحد طرفى النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله تعالى فيه لرسوله فى الهجرة أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها؛ قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ فى هذه الساعة إلا لأمر حدث، قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر، فقال رسول الله ﷺ: أخرج عنى من عندك فقال: يا نبى الله هما ابنتاى، وفى رواية البخارى إنما هم أهلك وما ذاك فداك أبى وأمى. قال: إن

(١) سورة يس آية ٨. (٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

الله تعالى قد أذن لى فى الخروج والهجرة قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله، قال: نعم، وفى الجمل على الهمزية قال أبو بكر: فخذ إحدى راحلتى وكان قد اشترى راحلتين أى ناقتين قبل ذلك بستة أشهر فعلفهما منتظراً للخروج عليهما، فقال النبى: آخذها فأخذها منه بأربعمائة درهم كما اشتراها أبو بكر، وقيل: إنه أبرأه منها فيما بعد، وبقيت هذه الناقة عند النبى مدة حياته حتى ماتت فى خلافة أبى بكر، وتزودا أى أخذا الزاد من بيت أبى بكر وخرجا منه ليلة الجمعة فوصلا إلى غار ثور ليلا، فأقاما فيه بقية ليلتهما وليلة السبت وليلة الأحد وخرجا من ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الإثنين فكانت مدة سفرهما ثمانية أيام ولما فقدته قريش طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره فى كل وجه، فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع ذلك الأثر عند ثور وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة، ولما دخل الغار أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار، وروى أنهما باضتا، وأمر الله العنكبوت فنسج فى أعلاه وجاء فتيان قريش بسلاحهم وجعل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير إلا حمامتين، فعرفوا أنه ليس فيه أحد وقال بعضهم: ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف لعنه الله: وما حاجتكم فى الغار إن فيه عنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد اهـ. روى الشيخان عن أنس قال: قال أبو بكر: «نظرت إلى أقدام المشركين من الغار على رءوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، وروى أن النبى ﷺ قال: اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخولهم الغار، وقد أشار لذلك صاحب البردة بقوله:

وما حوى الغارُ من خيرٍ ومن كرمٍ	وكلُّ طرفٍ من الكفار عنه عَمِى
فالصدقُ فى الغار والصِّدِّيقُ لم يرِما	وهم يقولون ما الغارُ من أرِم
ظنوا الحمامَ وظنوا العنكبوتَ على	خَيْرِ البرية لم تَنْسِجْ ولم تَحُم
وقايةُ الله أغنتْ عن مُضاعفة	من الدروعِ وعن عالٍ من الأُطُم[1]

وكان عبد الرحمن بن أبى بكر مع صغر سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة، وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن، واستأجرا عبد الله بن الأرقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له إسلام ودفعا راحلتيهما له ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وخرجا وساروا، وسار معهم عامر بن فهيرة وأخذوا طريق البحر، وبينما هم فى الطريق إذ عرض لهم سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه إلى ركبتيها والأرض صلبة فناداهم بالأمان فخلصت فأتاهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فأبوا، وقالا: أخف عنا، فرجع وصار لا يلقى أحداً إلا رده، ويقول:

---

(١) الأطم: القصر والحصن المبنى من الحجارة .

سبرت الطريق فلم أجد أحداً. وإلى هذا أشار البوصيرى فى الهمزية بقوله:

ونحا المصطفى المدينةَ واشتا … قتْ إليه مِنْ مكةَ الأنحاءُ
وتغنَّتْ بمدْحه الجنُّ حتى … أطربَ الإنسَ منه ذاك الغناءُ
واقتفى أثرَه سراقةُ فاستْهـــ … وتْه فى الأرض صافنٌ جرداءُ
ثم ناداه بعد ما سيمتُ الخســـ … فُ وقد يُنْجِدُ الغريقَ النداءُ

ووقع فى طريق الهجرة عجائب، منها: أنهم مرورا بقديد على أم معبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقى من يمر بها، وكانت السنة مجدبة، فطلبوا منها لبناً أو لحماً يشترونه فلم يجدوا، فنظر ﷺ إلى شاة خَلّفها الجهد والضعف عن أن تسرح مع صواحباتها، فسألها هل بها لبن؟ فقالت: هى أجهد من ذاك، فقال: أتأذنين لى أن أحلبها؟. قالت: نعم فدعا بها وبإناء فاعتقلها ومسح ضرعها، وسمى الله تعالى فدرت فحلب وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانياً وذهبوا فجاء زوجها فأخبرته الخبر، فقال: هذا والله صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته. وفى سيرة الحلبى: أن أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها وأخوها وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك وبقيت تلك الشاة يحلبونها ليلا ونهاراً إلى أن ماتت فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ومنها: ما رواه الزمخشرى فى ربيع الأبرار عن هند بنت الجون: نزل رسول الله ﷺ خيمة خالتها أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج فى عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحنا وهى كأعظم دوحة وجاءت بثمرة كأعظم ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روى ولا سقيم إلا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها، فكنا نسميها المباركة، ويأتينا من البوادى من يستشفى بها ويتزود منها حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها ففزعنا فما راعنا إلا نعى رسول الله ﷺ، ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها فما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين علىٍّ رضى الله عنه، فما أثمرت بعد ذلك. وكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها، فبينما نحن فزعون مهمومون إذ أتانا خبر قتل الحسين بن علىٍّ رضى الله عنهما ويبست على أثر ذلك وذهبت انتهى. ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه ﷺ صاروا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرون إلى الظهيرة فانتظروا يوماً وعادوا إلى بيوتهم وإذا بيهودى ارتقى مكاناً عاليا فرآه مقبلا فصاح وقال: هذا جدكم أى حظكم يا بنى قيلة، أى: الأوس والخزرج، فخرجوا إليه سراعاً بسلاحهم فنزل بقباء وكان يوم الاثنين قيل: أول ربيع الأول وقيل: ثانى عشر، وأدركه علىٌّ كرم الله وجهه هو ومن معه من ضعفاء المسلمين بقباء ولم يقم بعد خروج النبى ﷺ بمكة إلا ثلاثة أيام ثم أمر رسول ﷺ بالتاريخ

فكتب من حين الهجرة، وكانوا قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل، وأقام ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف اثنين وعشرين يوماً، وقيل: أربع عشرة ليلة وقيل ثلاثاً وقيل: أربعة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده على التقوى من أول يوم ثم خرج رسول الله ﷺ من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وكانوا مائة فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونونين ممدوداً ثم ركب ﷺ وسار، فكان كلما مر بدار من دور الأنصار سألوه النزول عندهم فيقول: خلوا سبيلها أى ناقته فإنها مأمورة وأرخى زمامها فاستمرت إلى أن بركت بموضع باب المسجد ثم ثارت وهو عليها حتى بركت بباب أبى أيوب رئيس بنى النجار أخوال عبد المطلب ثم ثارت وبركت فى مبركها الأول ثم صوتت فنزل عنها، وقال: هذا المنزل إن شاء الله تعالى: وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ فرحاً شديدا، قال أنس بن مالك رضى الله عنه: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ، المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت الخدور على الأجاجين عند قدومه ويقلن:

طَلَعَ البدرُ علينا   من ثنياتِ الوداعِ
وجبَ الشكرُ علينا   ما دعا لله داعِ
أيها المبعوثُ فينا   جئتَ بالأمرِ المطاعِ

وروى البيهقى عن أنس قال: لما بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جوار من بنى النجار يقلن:

نحن جوارٌ من بنى النجار   يا حبذا محمدٌ من جارِ

فقال ﷺ: أتحببننى؟ قلن: نعم يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: إن قلبى يحبكن وكان مبرك ناقته ﷺ مربدا للتمر بكسر الميم وفتح الموحدة، أى محلا لجمعه وتجفيفه ليَتِيمَيْن فى حجر أسعد بن زرارة، فدعا بهما وكان جالساً بدار أبى أيوب وساومهما على المربد، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبله هبة وابتاعه منهما بعشرة دنانير أداهما من مال أبى بكر ثم بنى فيه مسجده وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوعاً وجعل ارتفاعه قامة وجعل قبلته إلى بيت المقدس إلى أن حولت القبلة إلى الكعبة فحولها ثم زاد فيه النبى ﷺ بعد فتح خيبر لكثرة الناس، فلما استخلف أبو بكر لم يحدث فيه شيئاً، فلما استخلف عمر رضى الله عنه وسعه بدار العباس بن عبد المطلب وكان عمر سأله يبيعها فوهبها العباس لله وللمسلمين، ثم لما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه بناه بالحجارة وجعل أعمدته حجارة وسقفه بالساج وزاد فيه ونقل إليه الحصى من العقيق، وبنى ﷺ فى ذلك المربد حجرتى زوجتيه سودة، وعائشة، وأما بقية حجر زوجاته فبناها عند الحاجة

إليها، ومكث ﷺ فى بيت أبى أيوب سبعة أشهر إلى أن أتم المسجد والحجرتين، وفى شرح المقاصد قال: وفى الصحيح فى ذكر بناء المسجد كنا نحمل لبنة لبنة وعَمّارُ لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويح عَمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن اهـ. وكان النبى ﷺ ينقل معهم الصخر ويقول:

اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة فانصرْ الأنصارَ والمهاجرةَ

وحصل لأبى بكر وبلال وبعض المهاجرين كعامر بن فهيرة وعك بالمدينة، روى: أن هواء المدينة كان عفنا وخما وكانت مشهورة بالوباء فى الجاهلية فإذا دخلها غريب يقال له: إن أردت أن تسلم من الوعك والوباء فانهق مثل الحمار فإذا فعل سلم فاستوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق مزاجهم، فمرض كثير منهم وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قياما فكان المشركون والمنافقون يقولون: أضناهم حمى يثرب نقله بعضهم. وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعك قال القسطلانى بضم الواو وكسر العين: أى حم أبو بكر وبلال قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كلُّ امرئٍ مصبحٌ فى أهله والموتُ أدنى من شراك نَعْله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عَقيرته ويقول:

ألا ليتَ شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولى إذْخِر[1] وجليلُ؟
وهل أرِدَنْ يوما مياهَ مجنة؟ وهل يبدون لى شامةَ وطفيل؟

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة، قال القسطلانى: وكانت إذ ذاك مسكن اليهود وهى الآن ميقات مصر، وفيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والهلاك والدعاء للمسلمين بالصحة وإظهار معجزته ﷺ، فإن الجحفة من يومئذ لا يشرب أحد من مائها إلا حم اهـ. وكان بلال يقول: اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، وآخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد ثمانية أشهر من مقدمه. كذا فى أسد الغابة، فعقدوا عقدها، وقيل: كتبوا بذلك كتاباً وكان ذلك فى دار أنس بن مالك، وفى رواية فى المسجد على أن يتوارثوا بعد الممات دون ذوى الأرحام ثم نسخ. قيل: لم يقع به توارث بل نسخ الحكم قبل العمل به وخط ﷺ للمهاجرين فى أرض ليست لأحد وفيما وهبته له الأنصار.

---

(١) نبات طيب الرائحة .

فصل

فى ذكر شىء من خصائصه ودلائل نبوته ﷺ

الكلام على خصائصه ﷺ منحصر فى ثمانية أنواع:

(النوع الأول ما اختص به فى ذاته فى الدنيا) اختص ﷺ بأنه أول النبيين خلقاً وبتقدم نبوته نبيًا وآدم منجدل فى طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه، وأنه أول من قال: بلى يوم (ألست بربكم)؟ وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما فى الملكوت وذكر الملائكة له فى كل ساعة، وذكر اسمه فى الأذان والتبشير به فى الكتب السابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وأمته، وحجب إبليس من السموات لمولده وشق صدره على قول، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وسائر الأنبياء كان الخاتم فى يمينهم، وبأن له ألف اسم، وبأنه سمى من أسماء الله بنحو سبعين اسماً عدها مسلم، وبأنه سمى أحمد ولم يسم أحد قبله، وبأنه أرجح الناس عقلا، وبأنه أوتى كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا الشطر، وبغطه ثلاثاً عند ابتداء الوحى عدها البيهقى، وبرؤيته جبريل على صورته التى خلق عليها، وبانقطاع الكهانة لمبعثه، وحراسة السماء، وبإحياء أبويه له حتى آمنا به وبوعده بالعصمة من الناس، وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والقرب إلى قاب قسين، وبوطئه مكانا ما وطئه بنى مرسل ولا ملك مقرب، وإحياء الأنبياء له وصلاته بهم والملائكة، وباطلاعه على الجنة والنار، ورؤيته للبارى تعالى مرتين، وقتال الملائكة معه، وإيتائه الكتاب وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب، وبأن كتابه محفوظ من التبديل والتحريف على مرّ الدهور، ومشتمل على ما اشتمل عليه جميع الكتب وزيادة جامع لكل شىء، مستغن عن غيره ميسر للحفظ، وبأنه معجزة مستمرة إلى يوم الدين ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها.

(النوع الثانى ما اختص به وأمته فى شرعه ﷺ) اختص ﷺ: بإحلال الغنائم، وجعل الأرض كلها مسجداً ولم تكن الأمم تصلى إلا فى البيع والكنائس، والتيمم والوضوء على قول وهو الأصح فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم وبمجموع الصلوات الخمس، وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالأذان والإقامة، وافتتاح الصلوات بالتكبير وبالتأمين وبالركوع على ما ذكره جماعة من المفسرين وبقول الله: ربنا ولك الحمد، باستقبال الكعبة، وبالصف فى الصلاة كصفوف الملائكة، وبالجماعة فى الصلاة، وبتحية السلام وبالجمعة وبساعة الإجابة وبعيد الضحى، وشهر رمضان وأن الشياطين تصفد فيه وأن الجنة تزين فيه وأن خلوف فم الصائم فيه أطيب عند الله من ريح المسك، وباستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وبالغفران فى آخر

ليلة منه وبالسحور وتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلا إلى الفجر ـ وكان محرماً على من قبلنا بعد النوم وكذا كان فى صدر الإسلام ـ وبليلة القدر كما قاله النووى فى شرح المهذب وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته، وصوم عاشوراء كفارة سنة لأنه سنة موسى، وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنه لأنه شرع التوراة، وبالاسترجاع عند المصيبة، وبالحولقة ولأهل الكتاب الشق وبالنحر ولهم الذبح قاله مجاهد وعكرمة وبالعذبة للعمامة وهى سيما الملائكة، وبالإتزار فى الأوساط، وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا، واشتق لهم اسمان من أسماء الله المسلمون والمؤمنون، وسمى دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع الإصر عنهم الذى كان على الأمم قبلهم، وإحلال كثير مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج، ورفع المؤاخذة بالخطإ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس، وأن من هم بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة فإن عملها كتبت سيئة واحدة، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشراً، ووضع عنهم قتل النفس فى التوبة، وقرض موضع النجاسة وربع المال فى الزكاة، وشرع لهم نكاح أربع ورخص لهم نكاح الكتابية ونكاح الأمة ومخالطة الحائض سوى الوطء وفى إتيان المرأة على أى شق شاء، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية، وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر، وعصموا من الاجتماع على ضلالة واجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذاباً ـ والطاعون لهم شهادة ورحمة ـ وما دعوا استجيب لهم ويغفر ذنوبهم بالاستغفار، ووعدوا ألا يهلكوا بجوع ولا بعدو من غيرهم يستأصلهم ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم، وإذ شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة ـ وكانت الأمم السالفة إذا شهدت منهم مائة ردت شهادتهم، وهم أقل الأمم عملا وأكثرهم أجراً وأقصرهم أعماراً، واوتوا العلم الأول والعلم الآخر وفتح عليهم خزائن كل شىء حتى العلم، وأوتوا الإسناد والإنساب والإعراب وتصنيف الكتب ولا تزال طائفة منهم على الحق حتى يأتى أمر الله، وفيهم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال، ومنهم من يصلى إماماً بعيسى ابن مريم ومنهم من يجرى مجرى الملائكة فى الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال، وعلماؤهم كأنبياء بنى إسرائيل وتسمع الملائكة فى السماء أذانهم وتلبيتهم وهم الحامدون لله على كل حال ويكبرون على كل شرف ويسبحون عند كل هبوط ويقولون عند إرادة فعل الأمر: إن شاء الله تعالى، وإذا غضبوا هللوا وإذا تنازعوا سبحوا ومصاحفهم فى صدورهم وسابقهم سابق ومقتصدهم ناج وظالمهم مغفور له، ويلبسون ألوان ثياب الجنة ويراعون الشمس للصلاة، وهم أمة وسط عدول بتزكية الله لهم وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا، وافترض عليهم ما افترض على الرسل والأنبياء وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وأعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء وقال الله فى غيرهم: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ

أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١). وفى حقهم: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٢).

ونودوا فى القرآن بـ «يا أيها الذين آمنوا» ونوديت الأمم فى كتبهم بـ «يا أيها المساكين» وشتان ما بين الخطابين.

(النوع الثالث ما اختص به فى ذاته فى الآخرة) اختص ﷺ بأنه: أول من تنشق عنه الأرض وأول: من يفيق من الصعقة، وبأنه يحشر فى سبعين ألف ملك، ويحشر على البراق ويؤذن باسمه فى المواقف، ويكسى فى الموقف أعظم الحلل من الجنة، وبأنه يقوم على يمين العرش وبالمقام المحمود وأن بيده لواء الحمد وآدم ومن دونه تحت لوائه وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم، وأول من يؤذن له بالسجود، وأول من يرفع رأسه، وأول من ينظر إلى الله تعالى، وأول شافع، وأول مشفع وبالشفاعة العظمى فى فصل القضاء وبالشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب وبالشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها وبالشفاعة فى رفع درجات ناس فى الجنة جوز اختصاصها النووى والتى قبلها به وبالشفاعة فيمن خلد فى النار من الكفار أن يخفف عنهم وبالشفاعة فى أطفال المشركين ألا يعذبوا، وأنه أول من يجوز على الصراط، وأن له فى كل شعرة من رأسه ووجهه نوراً وليس للأنبياء إلا نوران ويأمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر بنته على الصراط، وأنه أول من يقرع أبواب الجنة وأول من يدخلها وبعده أمته، وبالكوثر والوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة وقوائم منبره ذوائب الجنة ومنبرة على ترعة من ترع الجنة، وما بين قبره ومنبرة روضه من رياض الجنة، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه قيل: إن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم وقيل: ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب، والله أعلم بالصواب.

(النوع الرابع ما اختص به فى أمته فى الآخرة) اختص ﷺ بأن: أمته أول من تنشق عنهم الأرض من بين الأمم، ويأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، ويكونون فى الموقف على كوم عال، ولهم نوران كالأنبياء وليس لغيرهم إلا نور واحد، ولهم سيما فى وجوهم من أثر السجود يؤتون كتبهم بأيمانهم، وعجل الله عذابها فى الدنيا وفى البرزخ لتوافى القيامة ممحصة الذنوب وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها وما سعت وما سعى لها ـ وليس لمن قبلهم إلا ما سعى ـ، قاله عكرمة ويقضى لهم قبل الخلائق، ويدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب.

(١) سورة الأعراف آية ١٥٩...	(٢) سورة الأعراف آية ١٨١..

(النوع الخامس ما اختص به من الواجبات لحكمة زيادة الزلفى والدرجات)

اختص ﷺ بوجوب صلاة الضحى والوتر والتهجد أى: صلاة الليل، والسواك، والأضحية والمشاورة على الأصح، وركعتى الفجر لحديث فى المستدرك وغيره وغسل الجمعة، ورد فى حديث ضعيف وقضاء دين من مات من المسلمين معسراً على الصحيح، وقيل: كان يفعله تكرماً وأن يقول إذا رأى ما يعجبه: لبيك إن العيش عيش الآخرة فى وجه. حكاه فى الروضة. وأصلها: وأن يؤدى فرض الصلاة كاملة كما ذكره الماوردى وغيره. ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام كما فى زوائد الروضة عن القفال وجزم به ابن سبع.

(النوع السادس ما اختص به من المحرمات) اختص ﷺ بتحريم الزكاة والصدقة عليه وفى صدقة التطوع قولان كذا نقل عن مغلطاى وتحريم الزكاة على آله قيل: والصدقة أيضاً وعليه المالكية وعلى موالى آله فى الأصح، وتحريم كون آله عمالا على الزكاة فى الأصح وصرف النذر والكفارة إليهم وأكل ثمن أحد من ولد إسمعيل ورد به حديث فى المسند والمنّ ليستكثر ومد العين إلى ما منع به الناس ونكاح الكتابية قيل: والتسرى بها ونكاح الأمة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حراً، ولا يلزمه قيمته، ولا يشترط فى حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول وله الزيادة على واحدة؛ قال إمام الحرمين: ولو قدر نكاح الغرر فى حقه لا يلزمه قيمة الولد قال ابن الرفعة: وفى تصور ذلك فى حقه نظر.

(النوع السابع ما اختص به من المباحات) اختص ﷺ بإباحة المكث فى المسجد جنباً وفيها خلاف وبأنه لا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً ولا باللمس أى بلمس المرأة والذكر فى أحد وجهين، وبإباحة الصلاة بعد العصر وبإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن ونكاح أكثر من أربع نسوة وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبلا ولىّ وبلا شهود وفى حال الإحرام وبغير رضا المرأة فلو رغب فى نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة وحرم على غيره خطبتها أو مُزَوّجة وجب على زوجها طلاقها، وكان له تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها وله أن يتزوجها بغير إذنها وإذن وليها وله إجبار الصغير من غير بناته وزوّج ابنة عمه حمزة مع وجود عمها العباس وقدم الأقرب وقال لأم سلمة: مرى ابنك أن يزوجك فزوجها منه وهو يومئذ صغير، وزوجه الله من زينب فدخل بها بتزويج الله بغير عقد، وعبر فى الروضة عن هذه بقوله: وكانت المرأة تحل له بتحليل الله وله نكاح المعتدة من غيره فى وجه حكاه الرافعى، والجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها فى أحد وجهين وبين المرأة وبنتها فى وجه حكاه الرافعى، وعتق أمته وجعل عتقها صداقها، وترك

القسم بين أزواجه فى أحد وجهين وهو المختار ولا يجب عليه نفقتهن فى وجهه كالمهر وعلى الوجوب لا يقتدر ولا ينحصر طلاقه فى الثلاث فى أحد وجهين وعلى الحصر قيل: تحل له من غير محلل، وقيل: لا تحل له أبداً وكان أن يستثنى فى كلامه بعد حين، ولا يكره له الفتوى والقضاء فى حال الغضب. ذكره النووى فى شرح مسلم وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة، وليس لنا أن نصلى إلا على نبى أو ملك، وضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحى عن غيره إلا بإذنه، وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها، وأفتى الغزالى بكفر من عارض أولاد تميم الدارى فيما أقطعه لهم وقال إنهﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى.

(النوع الثامن ما اختص به من الكرامات والفضائل) اختص ﷺ بأنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه فى الليل والظلمة كما يرى بالنهار والضوء وبأن ريقه يعذب الماء الملح ويغذى الرضيع وإبطه أبيض غير متغير اللون لا شعر عليه وما تثاءب قط ولا احتلم قط، وكذلك الأنبياء الثلاثة وعرقه أطيب من المسك وكان إذا مشى مع الطويل طاله وإذا جلس تكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، ولم يقع ظله على الأرض، ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر، ولا يقع ذباب على ثيابه، ولا آذاه قمل، وكانت الأرض تطوى له إذا مشى وأعطى قوة أربعين فى الجماع والبطش، عن أنس قال: «فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش». كذا فى سيرة مغلطاى، ولم ير له أثر قضاء حاجة بل كانت الأرض تبتلعه وكذلك الأنبياء، ولا يجوز للمضطر أكل ميتة نبى، وهو حى فى قبره يصلى فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء، ولهذا قيل: لا عدة على أزواجه، وموكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين، وتعرض عليه أعمال أمته ويستغفر لهم، والمصيبة بموته عامة لأمته إلى يوم القيامة، ومن رآه فى المنام فقد راه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بصورته، ومن أمره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله فى أحد وجهين واستحب فى الآخر، وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها وتثبت صحبته لمن اجتمع به ولو لحظة بخلاف التابعى مع الصحابة فلا تثبت إلا بطول الزمن عند أهل الأصول، والفرق عظم منصب النبوة فكان ﷺ بمجرد ما يقع بصره على الأعرابى الجلف ينطق بالحكمة، وأصحابه كلهم عدول فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة، ولايكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن زيارة سائر القبور بل يستحب كما قاله العراقى فى نكته، والمصلى بمسجده لا يبصق عن يساره كما هو فى السنة فى سائر المساجد. ويحرم التقدم عليه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد، وتجب محبة أهل بيته وأصحابه، ومن قذف أزواجه فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس وغيره،

ولم تبغ امرأة نبى قط، وأولاد بناته ينسبون إليه ولا يتزوج على بناته، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار. وفى هذا القدر كفاية لأولى الأبصار، وقد جمع بعض خصائصه ﷺ جلال الدين السيوطى فى رسالة سماها «أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب».

(وأما دلائل نبوته ﷺ) التى فى الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل فقد أخبر بها الثقات ممن أسلم من علماء اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وأسيد وهم ممن أسلم من علماء اليهود وبحيرا ونسطورا الحكيم وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان النجاشى وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى، وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالم النصارى والمقوقس صاحب مصر، وروى عن كعب الأحبار أنه قال: نجد مكتوباً يعنى فى التوراه: محمد رسول الله عبد مختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون يكبرون الله فى كل نجد ويحمدونه فى كل منزل رعاة للشمس مناديهم ينادى فى السماء صفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء لهم دوى فى الليل كدوى النحل، مولده بمكة ومهاجرته بطابة وملكه بالشام، نقله بعضهم عن المصابيح، وعند عبد الله بن سام: إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ يعنى فى التوراه: يا أيها النبى إنا أرسالناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا تدفع السيئة بالسيئة، ولكن تعفو وتغفر، ولن أقبضك حتى أقيم بك الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، وأفتح بك أعيناً عمياً وآذانا صماً وقلوباً غلفاً كذا ذكره البيهقى فى دلائل النبوة؛ وعن عبد الله بن سلام قال: إن فى الجزء الآخر الذى تتم به التوراه آية من جملتها بالعربية هكذا جاء الله، وفى المواهب تجلى الله من طور سيناء وأشرف من ساعير واستعلن من جبال فاران وهم اسم عبرانى وليست ألفه الأولى همزة وهى: جبال بنى هاشم التى كان رسول الله ﷺ يتحنث فى أحدها وفيه ابتداء الوحى وهى ثلاثة أجبل أحدها: أبو قبيس، والثانى: قيقعان، والثالث: حراء وهو شرقى فاران ومنفتحه الذى يلى قيقعان إلى بطن الوادى وهو شعب بنى هاشم وفيه مولده ﷺ فى أحد الأقوال: قال ابن قتيبة: وليس فى هذا غموض لأنه أراد مجئ كتابه ونوره كما قال الله عزوجل: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[1] . أى أتاهم أمره قال العلماء: وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف فى أن فاران هى مكة والمراد إنزاله القرآن على محمد ﷺ، وظهور أمره وشريعته والله أعلم. ومن دلائل نبوته ﷺ: خاتمه الذى بين كتفيه، ومن

---

(١)سورة الحشر آية ٢.

البشائر: ما روى عن أبى بن كعب لما قدم تبع المدينة ونزل بقباء إلى أحبار اليهود فقال: إنى مخرب هذا البلد حتى لا يقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين العرب، فقال شامول اليهودى وهو يومئذ أعلمهم: أيها الملك إن هذا البلد يكون إليه مهاجر نبى من ولد إسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وإن منزلك الذى أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كثير فى أصحابه. قال تبع: فمن يقاتله وهو نبى كما تزعمون؟. قال: يسير إليه قوم فيقتتلون هنا. قال: فأين يكون قبره؟. قال: بهذا البلد. قال: فإن قوتل فلمن تكون الدائرة؟. قال: تكون عليه مرة وله مرة، وبهذا المكان الذى أنت به غلبته فيقتل به أصحابه مقتلة ثم يقتلون فى مواطن ثم تكون العاقبة له فيظهر فلا ينازعه فى هذا الأمر أحد. قال: وما صفته؟. قال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يركب البعير، ويلبس الشملة سيفه على عاتقه ولا يبالى من لاقى له أخ وابن عم حتى يظهر أمره. قال: تبع فما لى بهذا البلد من سبيل وما كان ليكون خرابه على يدى، فخرج تبع. وفى المحاضرات والمسامرات لسيدى محيى الدين: أن كعب الأحبار رأى حبراً من اليهود يبكى، فقال: ما يبكيك؟. قال: ذكرت بعض الأمر. فقال له كعب: أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقنى؛ فقال: يارب إنى أجد أمة فى التوراة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال. قال موسى: رب اجعلهم أمتى قال: هم أمة أحمد يا موسى. قال الحبر: نعم. قال كعب: فأنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة؟ فقال: رب إنى أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا: نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة؟ فقال يارب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله وإذا هبط وادياً حمد الله الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء. غر محجلون من أثر الوضوء فاجلعهم أمتى. قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال: رب إنى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب فاصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد واحداً منهم إلا مرحوماً فاجعلهم أمتى؟. قال: نعم أمة أحمد يا موسى. قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك الله هلا تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى عليه السلام نظر فى التوراه فقال: رب إنى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ثياب أهل الجنة يصطفون فى صلاتهم كصفوف الملائكة

أصواتهم فى صلاتهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد إلامن برئ من الحسنات مثلما برئ الحجر من ورق الشجر. قال موسى فاجعلهم أمتى قال: هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلهم أمتى؟. قال: تلك أمة أحمد، قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم المسبحون المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى. قال: تلك أمة أحمد، قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة يأكلون الفىء فاجعلهم أمتى فإن تلك أمة أحمد؟ قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة يجعلون الصدقة فى بطونهم يؤجرون عليها فاجعلهم أمتى. قال: تلك أمة أحمد، قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يفعلها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلهم أمتى. قال: تلك أمة أحمد قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذ هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتى قال: تلك أحمد، قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر فيقتلون قرون الضلالة المسيخ الدجال فاجعلها أمتى قال: تلك أمة أحمد، قال الحبر: نعم. فلما عجب موسى عليه السلام من الخير الذى أعطاه الله محمداً ﷺ وأمته قال: ياليتنى من أصحاب محمد، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: يارب اجعلنى من أمة محمد. قال الحبر: نعم. فأوحى الله تعالى إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ .وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ـ إلى قوله ـ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1]﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[2]. انتهى.

(وأما أسماؤه ﷺ فكثيرة) بعضها ورد فى القرآن، وبعضها ورد فى الأحاديث الصحيحة، وبعضها ورد فى الكتب السالفة، وقد قالوا: كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى واختلفوا فى أن الاسم هو عين المسمى أو غيره. أما فى القرآن: فمحمد وأحمد والرسول والنبى والشاهد والبشير والنذير والمبشر والمنذر والداعى إلى الله والسراج المنير والرءوف الرحيم والمصدق والمذكر والمزمل والمدثر وعبد الله والكريم والحق المبين والنور وخاتم النبيين والرحمة والنعمة والهادى وطه ويس على قول. وأما ما فى الأحاديث فمنها: الماحى والحاشر والعاقب والمقفى ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم ورحمة مهداة والقتال والمتوكل والفاتح والخاتم والمصطفى والأمى. وأما ما فى كتب الأنبياء فمنها: الضحوك وحمياطا أو حمطايا وأحمد وبارقليط وفارقليط، وفى المواهب اللدنية؛ وحَمْياطا

(١) سورة الأعراف آية ١٤٤، ١٤٥.
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٩.

بفتح الحاء المهملة وسكون الميم. قال أبو عمرو: سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال: معناه يحمى الحر من الحرام ويوطئ الحلال، وأما أُحِيْد بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة فدال قال القسطلانى: كذا وجدته فى بعض نسخ الشفاء المعتمدة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وكسرالحاء وسكون المثناة التحتية فقال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: اسمى فى القرآن محمد وفى الإنجيل أحمد وفى التوراة أحيد لأنى أحيد عن أمتى نار جهنم وأما حَمْطايا بفتح الحاء المهملة وسكون الميم فقال الهروى: أى حامى الحرام، وأما بارْقَليط وفارَقَليط بالموحدة وبالفاء وفتح الراء والقاف وسكون الراء مع فتح القاف وبكسر الراء وسكون القاف فقد وقع فى إنجيل يوحنا ومعناه: روح الحق، وقال ثعلب: معناه الذى يفرق بين الحق والباطل، ومعلوم أن أكثر هذه الأسماء المذكورة صفات وإطلاق الاسم عليها مجاز.

(**فائدة**) ذكر الحسين بن محمد الدمغانى فى: «كتاب شوق العروس وأنس النفوس» نقلا عن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبى ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشيطان عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وفى الجبال عند الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام وعند البهائم عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار، وفى التوراة موذ موذ، وفى الإنجيل طاب طاب، وفى الصحف عاقب، وفى الزبور فاروق، وعند الله طه ويس، وعند المؤمنين محمد ﷺ. ذكر هذا كلة القسطلانى فى «المواهب» وذكر فيه من الأسماء والألقاب والكنى ما يزيد على أربعمائة. قال ابن دحية: أسماؤه ﷺ تقرب من الثلثمائة، وأنهاها بعض الصوفية إلى ألف .

(وأما ألقابه ﷺ): فكثيرة مثل: صاحب البراق وصاحب التاج ـ والمراد به العمامة لأن العمائم تيجان العرب كما جاء فى الحديث ـ وصاحب المعراج والهراوة والنعلين، وصاحب الخاتم والعلامة وصاحب البرهان والحجة، وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة وصاحب الفضيلة وصاحب الدرجة الرفيعة وصاحب الشفاعة وسيد أولاد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب ورسول رب العالمين والمصطفى والمجتبى والمزكى.

(**وأما كنيته**) ﷺ المشهورة: فأبو القاسم لأن أكبر أولاده القاسم والعرب تكنى الشخص بأكبر أولاده فى الغالب.

فصل

فى ذكر بعض شمائله ومعجزاته ﷺ

فى أسد الغابة وغيره كان ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأعظم من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر لا يجاوز شعره شحمة أذنه، أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم. سهل الخدين ليس بالطويل الوجه ولا بالكلثم. واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب. أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلقة بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر عريض بعيد ما بين المنكبين جليل الكتدين بين منكبيه خاتم النبوة وهو شامة سوداء تضوب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كخط عارى الثديين والبطن أشعر الذراعيين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينوب عنهما الماء إذا زال زال تقلعا يخطو تكفؤاً ويمشى هونا ذريع المشية كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعاً من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه، يبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحزان دائم الفكر ليس له راحة لا ينطق فى غير الحاجة طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه ببسم الله ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثاً ليس بالجاحف ولا المهين يعظم النعم وإن دقت لا يذم شيئا منها ولا يذم مذاقاً ولا يمدحه بل إن أعجبه أكل منه وإلا تركه يأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابع ويلعق إذا فرغ الوسطى فالتى تليها فالإبهام، ويشرب فى ثلاثة أنفاس مصاً لا عباً قاعداً وشرب قائما يأكل ما وجد ولا يتكلف ما فقد وإذا لم يجد شيئا حتى شد الحجر على بطنه وطوى الليالى المتتابعة لا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وإذا أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها كلها وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام، وكان أكثر طعامه التمر وما أكل خبزاً منخولا ولا على خوان بل كان يأكل على السفرة وربما وضع طعامه على الأرض ولا يأكل متكئاً وكان يقول: آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد؛ وما كان هذا لضيق بل باختياره. وكان يعجبه من اللحم الذراع، وكان يحب الدباء ويتتبعها من جوانب القصعة، والبقلة الحمقاء والعسل والحلوى، وأحب الفاكهة إليه العنب والبطيخ

قال الغزالى كان يأكل البطيخ بخبز وبسكر ويستعين بيديه جميعاً اهـ. وكان يدفع ضرر الأطعمة بعضها ببعض فربما أكل تمراً بزبد وبطيخاً أو قثاء برطب، وكان لا يأكل وحده ونهى عن أكل الخبز وحده والنوم عقب الأكل وكان يلبس ما يجد وكثيراً ما يلبس ثوباً واحداً ولا يسبل القميص والإزار بل يجعلها فوق كعبيه أو إلى نصف ساقه ويجعل كم قميصه إلى الرسغ وكان أحب الثياب إليه القميص وليست عمامته كبيره ولا صغيرة. قال المناوى: لم يتحرر فى طولها وعرضها شىء ولبس العمامة البيضاء والسوداء والصفراء والأكثر البيضاء وكان فى الغالب يرخى لعمامته عذبة بين كتفيه أقل ما ورد فى قدرها أربعة أصابع وأكثره ذراع ولبسها قلنسوة وبغيرها والقلنسوة بدون عمامة، وكان يكثر التقنع واشترى السراويل وكان أحب الصبغ إليه الصفرة ولبس خاتماً من فضة فصه منه وخاتماً من فضه فصه عقيق فى اليمين تارة وفى اليسار أخرى ولكنه فى اليمين أكثر يجعل الفص جهة كفه وكان نقش خاتمه محمد رسول الله ثلاثة أسطر، وكان فراشه من أدم حشوه ليف وربما نام على الحصير وعلى الأرض وكان يحب الطيب ويكتحل عند النوم بالإثمد ثلاثا فى كل عين ويدهن رأسه ويأخذ بالمقص أطراف شاربه ومن عرض لحيته وطولها ويسرحها بالمشط مع الماء، وكان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا بذكر الله تعالى ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا جلس إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك يعطى كل من جالسه حقه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو ما يسره من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء مجلسه حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع عنده الأصوات، وكان ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل ما لا يشتهى ولا يؤيس ولا يخيب فيه مؤمله قد تطهر من ثلاث، المراء والإكثار ومالا يعنيه، وتزكى الناس نفسه من ثلاث كان: لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرتجى ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رءوسهم الطير فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده إن تكلم أنصتوا له حتى يفرغ وكان لا يقطع على أحد حديثه.

خدمه أنس بن مالك رضى الله عنه عشر سنين إلى أن توفاه الله تعالى فما قال لشىء فعله لم فعلته ولا لشىء لم يفعله لِمَ لَمْ تفعله ما عاب طعاماً كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه.

كان يقول فى السراء: الحمد لله المنعم المتفضل، وكان يقول فى الضراء: الحمد لله على كل حال، وكان يذكر الله على كل أحيانه، وكان يسلم على العبيد والإماء والصبيان، وكان يمازح الصغير ويلاعب الوليد ويمازح العجوز ولا يقول إلا حقاً، روى: «أن امرأة جاءته فقالت: يارسول الله احملنى على جمل. فقال: إنما أحملك على ولد الناقة. قالت: لا يطيقنى. قال: لا أحملك إلا على ولد الناقة. قالت: لا يطيقنى. فقال لها الحاضرون: وهل

الجمل إلا ولد الناقة؟». وجاءت له امرأة أخرى فقالت: يارسول الله زوجي مريض وهو يدعوك، فقال: لعل زوجك الذى فى عينيه بياض. فرجعت وفتحت عين زوجها، فقال لها: مالك. فقالت: أخبرنى رسول الله ﷺ أن فى عَينيك بياضاً. فقال: وهل أحد إلا وفى عينيه بياض، وقالت له امرأة أخرى: يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال: ياأم فلان: « إن الجنة لا يدخلها عجوز». فولت المرأة باكية. فقال ﷺ: «إنها لا تدخلها وهى عجوز إن الله يقول: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾[1]. وكان ﷺ يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويقول: «لو دعيت. إلى كراع لأجبت»، وكان يخصف نعله ويحلب شاته ويركب الحمار ردفاً، ويرقع الثوب، ويطحن مع الخادم ويأكل معه، ويجعل بضاعته من السوق، ويصافح الغنى والفقير، ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره، وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك. وقال: «ولا تفضلونى على يونس بن متى ولا ترفعونى فوق قدرى فتقولون فىّ: ما قالت النصارى فى المسيح إن الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا». وكان يأخذ الخبيص ويقول: «إنما أنا عبد الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا». وكان يأخذ الخبيص ويقول: « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وروى: أنه ﷺ دخل عليه رجل، فقام بين يديه، وأخذته رعدة من هيبته. فقال له: هوّن عليك فإنى لست بملك ولا جبار وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته. وعن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب صدره، وكان ينقل اللَّبِنَ على عاتقه مع أصحابه عند بناء مسجده ﷺ هذا ولسان حاله يفصح عن قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

(**فائدة**) قال أبو هريرة رضى الله عنه سادات الأنبياء خمسة: نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وتوفى ﷺ وليس فى رأسه ولحيته إلا عشرون شعرة بيضاء. قال أبو بكر: يارسول الله قد شبت فقال ﷺ: «شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت». رواه الترمذى، وفى رواية «شيبتنى هود وأخواتها». وبالجملة فهو ﷺ: أجل وأعظم من أن يحيط ناعت بوصفه ولكن ما وصفه إلا بقدر ما ظهر له منه ﷺ.

(وأما معجزاته ﷺ فكثيرة): منها القرآن وهو أعظمها، وانشقاق القمر فرقتين حين طلبت منه قريش آية فكانت، فرقة على جبل أبى قبيس، وفرقة دونه وشاهد ذلك الدانى والقاصى، واستمر كذلك حتى غرب، وكانت ليلة أربع عشرة. فازداد الذين آمنوا إيماناً.

---

(١) سورة الواقعة آية ٣٧.

وقالت الكفار: هذا سحر مستمر، وكان انشقاقه فى السنة التاسعة من النبوّة، وشق صدره وإخباره عن بيت المقدس صبح ليلة الإسراء حين سأله المشركون عن صفته، وحبس الشمس له عن الغروب حتى قدمت العير التى لقيته فى منصرفه من المعراج، وأخبرهم بأنها تقدم فى يوم كذا. فلما كان ذلك اليوم دنت الشمس للغروب ولم تجىء العير وردها بعد غروبها على بن أبى طالب بدعوته ﷺ ليدرك علىّ صلاة العصر أداء، وخروجه على المجتمعين بباب داره ليقتلوه، ووضعه التراب على رءوسهم ولم يشعروا، ورميه يوم حنين قبضة من تراب فى وجوه القوم فهزمهم الله تعالى، ونسج العنكبوت على فم الغار، ووقوف الحمامتين الوحشيتين على بابه، ونبات الشجرة فى بابه وما جرى لسراقة وشاة أم معبد ودعوته لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يعز الله به الإسلام فكان ذلك. ودعوته لعلى رضى الله عنه أن يذهب الله عنه الحر والبرد فلم يشتك واحداً منهما بعد. فكان يلبس ثياب الشتاء فى الصيف وثياب الصيف فى الشتاء ولا يتأثر. ولعبد الله بن عباس أن يعلمه الله التأويل ويفقهه فى الدين فكان ذلك، ولأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد فعاش فوق المائة، وكان أكثر الأنصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ذكر من صلبه. وشهادة الضب له بالرسالة والذئب كذلك. فقد ورد: أنه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال: ألا تتقى الله تنزع منى رزقًا رزقه الله إلىّ؟، فتعجب الراعى من كلامه، فقال له الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بيثرب يخبر الناس بأخبار ما قد سبق وبما هو آت. فأتى الراعى النبى ﷺ وأخبره بذلك فجاء الذئب فقال ﷺ: هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له شيئا من أموالكم. قالوا: والله لا نفعل. وأخذ رجل من القوم حجراً فرماه به فأدبر وله عواء. وفى رواية: أن الذئب قال للراعى: أنت أعجب، فقال له: لم؟ فقال: لأن النبى بعث بيثرب وأنت مع غنمك تارك له وبينك وبينه هذا الجبل. فقال للذئب: إذا مضيت إليه فمن يحرس غنمى؟. قال الذئب: أنا أحرسها لك فذهب والذئب يحرسها إلى أن وصل إليه ﷺ فأسلم ورجع. فوجدها بحالها والذئب يحرسها فذبح له شاة منها وأطعمها له. وحديث الضب مشهور على الألسنة قال الجمل: لكنه غريب ضعيف بل قال بعضهم: لا يصحّ إسناداً ولا متناً: وهو أن أعرابياً اصطاد ضباً فلما رأى النبى طرحه بين يديه وقال: لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب. فقال: ياضب. قال: لبيك وسعديك. قال: من تعبد؟ قال الذى فى السماء عرشه وكلمات أخرى. قال: من أنا؟ قال: أنت رسول الله رب العالمين. فأسلم الأعرابى. وشهادة الظبية له بالرسالة. وقد روى حديثها البيهقى وأبو نعيم والطبرانى قال الحافظ ابن كثير: لا أصل له ومن نسبه إلى النبى فقد كذب، وهو بينما رسول الله ﷺ فى صحراء إذا هتف هاتف وقال: يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فإذا ظبية مشدودة فى وثاق أعرابى نائم عندها، فقال: ما حاجتك؟ فقالت: صادنى هذا الأعرابى

ولى فى هذا الجبل ولدان فأطلقنى أذهب فأرضعهما وأرجع. قال: وتفعلين. قالت: عذبنى الله عذاب العشار أى المكاس إن لم أفعل. فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابى. فقال: يارسول الله ألك حاجة؟. قال: نعم تطلق هذه الظبية. فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله. ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع الذى كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر وكان عموداً من عمدان المسجد إذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضع المنبر الذى بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى تصدع أى الجذع وانشق فنزلﷺ وضمه إليه حتى سكن. وقال: والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوّت هكذا إلى يوم القيامة وخيره بين أن يعيده إلى مغرسه فيثمر كما كان وبين أن يغرسه فى الجنة يأكل أهلها من ثمره. فقال: أختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقد أحترق فى حريق المسجد الذى وقع فى القرن السادس انتهى. جمل على الهمزية. ومن معجزاته ﷺ شهادة الشجر له بالرسالة وإتيانه إليه فستره حتى قضى حاجته، وسكون جبل أحد لما ضربه عليه الصلاة والسلام برجله، وشكوى بعير أعرابى له قلة العلف وكثرة العمل، وشكوى بعض الطيور له أخذ بيضه فأمر من أمر برده، وتسبيح الحصى فى كفه، وتسبيح الطعام بين أصابعه ونبع الماء من بينها حتى روى الجيش العظيم وسقوا إبلهم وخيلهم وملئوا أسقيتهم، وقد وقع ذلك مراراً، ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه وتفله فى عين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أرمد يوم حنين فعوفى من ساعته ولم ترمد بعد ذلك، وعلى عينى رجل ابيضتا حتى لم يبصر بهما شيئاً فأبصر، ومسحه على رأس الأقرع فذهب داؤه، وعلى رجل عبد الله بن عتيك وقد كانت انكسرت فكأنها لم تنكسر قط، وإحياء بنت دعا أباها إلى الإسلام فقال: لا أؤمن بك حتى تحيى لى ابنتى، فذهب معه إلى قبرها فناداها. فقالت: لبيك وسعديك، فقال: أتحبين أن ترجعى إلى الدنيا. فقالت: لا والله إنى وجدت الله خيراً لى من أبوىّ ووجدت الآخرة خيراً من الدنيا، وإحياء أبويه له حتى آمنا به على ما قيل، وإعطاؤه عكاشة بن محصن يوم بدر جزلا من حطب فانقلب فى يده سيفاً، وكذلك وقع لعبد الله بن جحش يوم أحد، وإخباره بالمغيبات كإخباره عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه وبموت النجاشى يوم موته وصلى عليه يوم موته مع أصحابه وقوله لثابت بن قيس: «تعيش حميداً وتقتل شهيداً». فقتل يوم اليمامة وقوله للحسن بن على رضى الله عنهما: « إن ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». فصالح معاوية، وإخباره بأن عثمان بن عفان تصيبه بلوة شديدة. فحوصر فى داره وقتل. وبأن عمر يموت شهيداً. وقوله للزبير فى حق على:

تقاتله وأنت ظالم له. وقوله لعمار: تقتلك الفئة الباغية فقتل بصفين. وقوله لعلى بن أبى طالب: «أشقى الناس رجلان الذى عقر الناقة والذى يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه حتى تبتل منه هذه وأشار إلى لحيته». فكان كما قال. وقوله لزوجاته: ليت شعرى أيتكن ينبحها كلاب الحوءب أيتكن صاحبة الجمل الأديب بدال مهملة فموحدتين أى كثير الشعر يقتل حولها كثير؟ فكانت عائشة رضى الله عنها، ومعجزاته ﷺ لا تحصى، وفضائله لا تستقصى ﷺ.

●●●●●

فصل
فى ذكر نبذة من أحاديثه ﷺ

ينكشف لك بها وجه قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصاراً» وكلها صحيحة الأسانيد لم يقع فيها حديث ضعيف إلا نادراً سبق به القلم التقطتها من الجامع الصغير برمزها وها هى هذه: ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك. ابن آدم لا بقليل تقتع ولا بكثير تشبع. ابن آدم إذا أصبحت معافى فى جسدك آمناً فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء (عدهب)؛ عن ابن عمر: أتانى جبريل فقال: يامحمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس. الشيرازى فى الألقاب (ك هب) عن سهل بن سعد (هب) عن جابر (حل) عن على، أتانى جبريل فقال: بشر أمتك أنّ من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. قلت: ياجبريل وإن سرق وإن زنى. قال: نعم. قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى قال: نعم وإن شرب الخمر. (حم ت ن حب) عن أبى ذر: اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا مصابيح الآخرة. (فر) عن أنس: اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتى ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء. (هب) عن ابن مسعود: اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن. (حم ت ك هب). وعن أبى ذر (حم ت هب) عن معاذ وابن عساكر عن أنس: اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة ولا يحبها الله، وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك، ولا تسبنّ أحداً. الطيالسى (حب). عن جابر ابن سليم: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب. (حم ت حب). عن أبى هريرة: اتق دعوة المظلوم فإنما يسأل الله تعالى حقه وإن الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه (خط). عن على: اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فى الصلاة. اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله فى الضعيفين: المرأة الأرملة والصبى اليتيم. (هب). عن أنس: اتقوا الله فى الضعيفين: المملوك والمرأة. ابن عساكر عن ابن عمر: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن

سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم. (حم خدم). عن جابر: اتقوا النار ولم بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة. (حم ق). عند عدى. اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت. الحكيم عن عبد الله بن بسر المازنى: اثنان لا ينظر الله إليهما يوم القيامة قاطع الرحم وجار السوء .(فر) عن أنس: اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر. (ك هب). عن ابن عباس: اجتنبوا الوجوه لا تضربوها (عد). عن أبى سعيد: اجتنبوا التكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله: اكتبوا عبدى هذا فى الجبارين. أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق وعبد الغنى بن سعيد فى إيضاح الإشكال (عد) عن أبى أمامه: أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله (حب) وابن السنى فى عمل يوم وليلة (طب هب). عن معاذ. أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكيناً من جوع، أو دفع عنه مغرماً، أو كشف كرباً (طب). عن الحكم بن عمير: أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم (طب) عن ابن عباس: أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان (هب). عن أبى جحيفة. أحب الأمال إلى الله الحب فى الله والبغض فى الله (حم). عن أبى ذر: أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً (طب). عن أسامة بن شريك: أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدى (ع حب هب). والضياء عن جابر: أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً (ت هب). عن أبى هريرة (طب) عن ابن عمر عن ابن عمرو (قط) فى الافراد (هد هب) عن على (خد هب) عن على موقوفاً أحب العرب لثلاث: لأنى عربى، والقرآن عربى، وكلام أهل الجنة فى الجنة عربى. (عق طب ك هب) عن ابن عباس: احبسوا صبيانكم حتى تذهب فوعة العشاء فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين (ك). عن جابر: أحسنوا إقامة الصفوف فى الصلاة (حم حب). عن أبى هريرة: احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفىء الله نورك [خذ طس هب) عن ابن عمر: أخبرنى جبريل أن حسيناً يقتل بشاطىء الفرات. ابن سعد عن على: اختلاف أمتى رحمة. نصر المقدسى فى الحجة والبيهقى فى الرسالة الأشعرية بغير سند وأورده الحليمى والقاضى حسين وإمام الحرمين وغيرهم. ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل إلينا. اخلعوا نعالكم عند الطعام فإنها سنة جميلة (ك). عن أبى عبس ابن جبير. أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنك ولاتَخُنْ من خانك (تخ دت ك). عن أبى هريرة (قط)، والضياء عن أنس (طب) عن أبى أمامة (د) عن رجل من الصحابة (قط) عن أبى ابن كعب: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه. أبو النصر عبد الكريم الشيرازى فى فوائده (فر)، وابن النجار عن على: أدخل الله الجنة رجلا سهلا مشتريا وبائعاً قاضياً ومقتضياً (حم ن هـ ب). عن عثمان ابن عفان: ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين

فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء (حل). عن أبى هريرة: أدنى أهل الجنة منزلة: الذى له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء (حم ت حب). والضياء عن أبى سعيد: أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف. ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت عن الضحاك بن حمزة مرسلاً. إذا آتاك الله مالا فليُر عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً ولا يحب البؤس ولا التباؤس (تخ طب). والضياء عن زهير بن أبى علقمة: إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه (عد هب). عن عبد الله بن جراد: إذا أتى علىّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربنى إلى الله تعالى فلا بورك فى طلوع شمس ذلك اليوم (طس عد حل). عن عائشة: إذا أتاكم الزائر فأكرموه (هـ). عن أنس: إذا أتاكم السائل فضعوا فى يده ولو ظلفاً محرقاً (عد). عن جابر: إذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه (هب فر). عن أبى هريرة (هب) عن ابن مسعود وكردوس موقوفاً عليهما: إذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه الماء (ت ك هب). عن قتادة: إذا أحب الله عبداً قذف حبه فى قلوب الملائكة، وإذا أبغض الله عبداً قذف بغضه فى قلوب الملائكة، ثم يقذفه فى قلوب الآدميين (حل). عن أنس: إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته فى منزله فليخبره أنه يحبه لله (حم). والضياء عن أبى ذر: إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه فى الدين، وألهمه رشده. والبزار عن ابن مسعود: إذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقههم فى الدين ووقر صغيرهم كبيرهم ورزقهم الرفق فى معيشتهم والقصد فى نفقاتهم وبصرهم عيوبهم فيتوبوا منها، وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملا. (قط). فى الإفراد عن أنس: إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة. (طب حم حل). عن أبى عزة: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره فإذا مضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة. (فر)، عن أنس وعلى: إذا أراد الله بقوم قحطاً نادى مناد فى السماء: ياأمعاء اتسعى، وياعين لا تشبعى، ويابركة ارتفعى. ابن النجار فى تاريخه عن أنس وهو مما بيض له الديلمى: إذا أراد أحدكم من امرأة حاجته فليأتها وإن كانت على تنور. (حم طب). عن طلق بن على: إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك. الرافعى فى تاريخ قزوين. عن ابن عباس: إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات. (د ن هـ حب ك). عن أبى هريرة وأبى سعيد معًا: إذا اشترى أحدكم لحماً فليكثر مرقته، فإن لم يصب أحدكم لحماً أصاب مرقاً وهو أحد اللحمين. (ت ك هب). عن عبد الله المزنى: إذا أصاب أحدكم مصيبةٌ. فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى بها خيراً منها. (دك). عن أم سلمة (ت هـ) عن أبى سلمة: إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تبكر إلى اللسان

فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا. (ن). وابن خزيمة (هب) عن أبى سعيد: إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيتة. (حم م). عن جابر بن سمرة: إذا أكل أحدكم طعاماً فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة. (حم م ت)، عن أبى هريرة (طب)، عن زيد بن ثابت (طس). عن أنس: إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإنه الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله. (حم م د) عن أبى عمر (ن). عن أبى هريرة: إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غفر لهما. (د). عن البراء: إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء. (حم ق ت). عن ابن مسعود: إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً. (ق ع). عن عائشة رضى الله عنها: إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدرى ما خلفه عليه، ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: باسم ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. (ق د). عن أبى هريرة: إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح. (خم ق). عن أبى هريرة: إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال: ها ضحك منه الشيطان. (خ). عن أبى هريرة: إذا دعى أحدكم إلى وليمة فليجب وإن كان صائما. ابن منيع عن أبى أيوب إذا ذكر مسعود (عد) عنه وعن ثوبان (عد). عن عمر: إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها، وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها. (ت). عن أبى هريرة: إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذى كان عليه (م دهـ). عن جابر: إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة، فإن العين حق. (ع طب ك). عن عامر ابن ربيعة: إذا رأى أحدكم أمرأة حسناء فأعجبته، فليأت أهله، فإن البضع واحد، ومعها مثل الذى معها. (خط). عن عمر: إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم فقد تودع منهم. (حم طب ك هب). عن ابن عمر (طس) عن جابر: إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص. (فر). عن أبى هريرة: إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك من استدراج. (حم طب هب). عن عقبة بن عامر: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان. (حم ت)، وابن خزيمة (حب ك م ن هق). عن أبى سعيد: إذا رأيتم الحريق فكبروا فإنه يطفئ النار. (عد). عن ابن عباس: إذا رأيتم العبد ألم الله به الفقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيه. (فر). عن ابن عباس: إذا سمعتم أصوات الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً. (حم ق د ت). عن أبى هريرة: إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا، وإذا سمعتم

برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا فإنه يصير إلى ما جبل عليه (حم) عن أبى الدرداء: إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفرعنه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه بعيد منكم فأنا أبعدكم منه (حم ع) عن أبى أسيد وأبى حميد: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع. (حم دحب) عن أبى ذر: إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل فى وسطه. (هـ) عن ابن عباس: إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه. (حم م د ن) عن جابر (ت هـ) عن أبى قتادة: اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم. (د تدك هق) عن ابن عمر: ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء (طب) عن جرير (طب ك) عن ابن مسعود: ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً. (طب) عن سهل بن سعد: إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث. مالك (ق) عن ابن عمر: إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه. (حم ق) عن أبى هريرة: إذا نمتم فأطفئوا المصباح فإن الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت، وأغلقوا الأبواب وأوكئوا الأسقية وخمروا الشراب. (طب ك) عن عبد الله ابن سرجس: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. (خ) عن أبى هريرة: إذا وضع الطعام فاخلعوا نعالكم فإنه أروح لأقدامكم. الدارمى (ك) عن أنس: أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. (حم ق ٣) عن ابن عمر: أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه خوناً فى نفسها ولا ماله. (طب هب) عن ابن عباس: أربع من سنن المرسلين. الحياء، والتعطر، والنكاح، والسواك. (حم ت هب) عن أبى أيوب: أربعة يبغضهم الله: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزانى، والإمام الجائر. (ن هب؟) عن أبى هريرة: استعد للموت قبل نزول الموت. (طب ك هب) عن طارق المحاربى: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة. (حم خ هـ) عن أنس: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل. (طب) عن أخت حذيفة: أشكر الناس لله أشكرهم للناس. (حم طب هب) والضياء عن الأشعث ابن قيس (طب هب) عن أسامة بن زيد (عد) عن ابن مسعود: أشهد بالله وأشهد لله لقد قال لى جبريل: يا محمد إن مدمن الخمر كعابد وثن. الشيرازى فى الألقاب وأبو نعيم فى مسلسلاته، وقال صحيح ثابت عن على: وأشهدوا النكاح وأعلنوه. الحسن بن سفيان (طب) عن هبار بن الأسود: أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد:

ألا كُلُّ شىءٍ ما خَلا اللهَ باطلُ(١)

---

(١) صدر البيت وعجزه: «وكلُّ نَعيمٍ لامَحَالَةَ زَائِلُ» .

(ق هـ) عن أبى هريرة: اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم ما يشغلهم. (حم د ت هـ ك) عن عبد الله بن جعفر: اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم. ابن سعد عن القاسم بن محمد مرسلا: اضمنوا لى ست خصال أضمن لكم الجنة: لا تظالموا عند قسمة مواريثكم، وأنصفوا الناس من أنفسكم، ولا تجبنوا عن قتال عدوكم، ولا تغلوا غنائمكم، وأنصفوا مظلومكم، (طب) عن أبى أمامة:

أطفال المشركين خدم أهل الجنة. (طس) عن أنس (ص) عن سلمان موقوفاً: أطفال المؤمنين فى جبل فى الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم الله إلى آبائهم يوم القيامة. (حم ك) والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه،(تخ) وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (ع طب) عن عائشة (طب هب) عن ابن عباس (عد) عن ابن عمر، ابن عساكر عن أنس (طس) عن جابر ، تمام (خط) فى رواية مالك عن أبى هريرة تمام عن أبى بكرة: اطلبوا المعروف فى رحماء أمتى تعيشوا فى أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإن اللعنة تنزل عليهم، يا على إن الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهلا فحببه إليهم وحَبب إليهم فعاله ووجه إليهم طلابه كما وجه الماء فى الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلها إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة. (ك) عن على: اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء. (حم م ت) عن ابن عباس (خ ت) عن عمران بن حصين: أطوعكم لله الذى يبدأ صاحبه بالسلام. (طب) عن أبى الدرداء:

أطول الناس أعناقاً يوم القيامة المؤذنون. (حم) عن أنس: أطيب الطيب المسك (حم م دن) عن أبى سعيد: أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور (حم طب ك) عن رافع بن خديج (طب) عن ابن عمر: اعبد الله لا تشرك به شيئا وأقم الصلاة المكتوبة وأدّ الزكاة المفروضة وحج واعتمر وصم رمضان وانظر ما تحب للناس أن يأتوه إليك فافعله بهم وما تكره أن يأتوه إليك فذرهم منه (طب) عن أبى المنتفق: اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، واعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك فى الموتى، واذكر الله تعالى عند كل حجر وكل شجر، وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية. (طب هب)عن معاذ بن جبل: اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مجابات وعليك بصلاة الغداء وصلاة العشاء فاشهدهما فلو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا. (طب) عن أبى الدرداء: اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام. (ت) عن أبى هريرة: اعدلوا بين أولادكم فى النُّحَل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف. (طب) عن النعمان بن بشير: اعزل الأذى عن طريق المسلمين. (م هـ) عن أبى برزة: أعظم النساء أيسرهن مؤنة. (حم ك هب) عن عائشة: أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة فى جماعة. (حل هب) عن ابن عمر: اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل

هرمك، وغناك قبل فقرك. (هب) عن ابن عباس (حم) فى الزهد (حل هب) عن عمرو بن ميمون مرسلا: اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو متبعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك. البزار (طس) عن أبى بكر: أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين. (ك هب) عن أنس: أفضل الكلام: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. (حم) عن رجل: أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، أفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه وأفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عزوجل. (طب) عن ابن عمر: أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً. (هـ ك) عن ابن عمر: أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول. (حم م ن) عن حكيم بن خزام: أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم. (هـ) عن أبى هريرة: افضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين. (م) عن ابن مسعود: أفشوا السلام تسلموا (خدع حب هب) عن البراء: أفشوا السلام بينكم تحابوا. (ك) عن أبى موسى: أفشوا السلام كى تعلو (طب) عن أبى الدرداء: اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى الصلاة. (طب) عن ابن عباس: اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة. (حم م) عن أبى أمامة: اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به. (حم ع طب هب) عن عبد الرحمن بن شبل: اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتهم، وإياكم ولحون أهل الكتابين أهل الفسق فإنه سيجيء بعدى قوم يرجعونه بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم. (طس هب) عن حذيفة: اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن. تمام عن أبى أمامة: اقرءوا على موتاكم يس (حم ده حب ك) عن معقل ابن يسار: اقيموا الصفوف فإنما تصفون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدى إخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفاً وصله الله ومن قطع صفاً قطعه الله عزوجل. (حم د طب) عن ابن عمر: أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور. (خ) عن أنس: أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه. (طب هب) عن ابن مسعود: أكثر من يموت من أمتى بعد قضاء الله تعالى وقدره بالعين. الطيالسى (تخ) والحكم والبزار والضياء عن جابر: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال. (حم ق ٣) عن أنس: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال. (خ ن) عن أبى هريرة:

وأما أول أشراط الساعة: فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى الغرب، وأما أول ما

يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها. (حم خ ن) عن أنس: أما صلاة الرجل فى بيته فنور فنوّروا بها بيوتكم. (حم هـ) عن عمر: إن الله إذا أنزل عاهة من السماء على أهل الأرض صرفت عن عمار المساجد. ابن عساكر عن أنس:

إن الله تعالى افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ويقيناً كان كفارة لما مضى. (ن هب) عن عبد الرحمن بن عوف: إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته. (ن حب) عن أنس: إن الله تعالى قال: من عادى لى وليّاً آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطيته وإن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءلته. (خ) عن أبى هريرة: إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة: وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته. (حم ع) عن شداد بن أوس: إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال. (هـ) عن عمران: إن الله تعالى يحب معالى الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها. (طب) عن الحسين بن على:

إن الله تعالى يحب الرجل له الجار السوء يؤذيه فيصبر عن أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله بحياة أو موت. (خط) وابن عساكر عن أبى ذر: إن الله تعالى يحب أبناء السبعين ويستحى من أبناء الثمانين. (حل) عن على: إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات (طب) عن عبادة بن الصامت: إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة. (ن) عن ابن عمر: إن الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء فى أدبارهن. (ن هـ) عن خزيمة بن ثابت: إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. (حم ق ت هـ) عن ابن عمر إن الله تعالى يقول: إن الصوم لى وأنا أجزى به إن للصائم فرحتين: إذا أفطر فرح، وإذا لقى الله تعالى فجزاه فرح. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. (حم م ن) عن أبى هريرة وأبى سعيد معاً: إن الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما. (دك) عن أبى هريرة: إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك؛ وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك. (حم ت هـ ك) عن أبى هريرة: إن الله تعالى يقول: إذا أخذت

كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى إلا الجنة. (ت) عن أنس: إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك. فيقول: هل رضيتم. فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟. فيقولون: يا رب وأى شئ أفضل من ذلك؟. فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً. (حم ق ت) عن أبى سعيد إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدى بى إن خيراً فخير وإن شراً فشر. (طس حل) عن واثلة: إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالا فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذى لعن فإن كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها. (د) عن أبى الدرداء: إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو: الران الذى ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (١) (حم ت ن هـ حب ك هب) عن أبى هريرة: إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمعُ قرعَ نعالهم أتاه ملكان فيقعداه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟. فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ويفسح له فى قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون، وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟. فيقول: لا أدرى كنت أقول: ما يقول الناس. فيقال له: لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه. (حم ق د ن) عن أنس: إن الغسل يوم الجمعة يسل الخطايا من أصول الشعر استلالا. (طب) عن أبى أمامة: إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ. (حم) عن عطية العوفى: إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علىّ. الحرث عن عوف بن مالك: إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر. (حم ت) عن أبى سعيد: إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين والخميس. (حم د) عن أسامة بن زيد: إن المتحابين فى الله فى ظل العرش. (طب) عن معاذ: إن المجالس ثلاثة سالم وغانم وشاحب. (حم ع حب) عن أبى سعيد: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه. ابن سعد عن عبد الله بن جعفر: إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بك وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها. (م ت) عن أبى هريرة: إن المرأة خلقت من ضلع وإن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها. (حم حب ك) عن سمرة: إن المرأة تقبل فى صورة شيطان، وتدبر فى صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يردّ ما فى نفسه. (حم م ت ن) عن جابر: إن المرأة تنكح: لدينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك. (حم م ت ن) عن

(١) سورة المطففين: آية ١٤.

جابر: إن إناساً من أمتى يأتون بعدى يود أحدهم لو اشترى رؤيتى بأهله وماله. (ك) عن أبى هريرة: إن القبر أول منازل الآخرة فإن مَنْ نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه. (ت هـ ك) عن عثمان بن عفان: إن الكافر ليعظم حتى إن ضرسه لأعظم من أُحُد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه. (هـ) عن أبى سعيد: أن المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤنة، وإن الصبر يأتىَ من الله على قدر المصيبة. الحكيم والبزار والحاكم فى الكنى (هب) عن أبى هريرة: إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة. رواه ابن ماجه عن على: إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل أو صورة. (حم ت حب) عن أبى سعيد: إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب. (حم خد م د.ت) عن ابن عمر: إن أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن. (م) عن ابن عمر: إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى فى كل جمعة فيقول لهم: تمنوا على ما شئتم. فيلتفتون إلى العلماء فيقولون: ماذا نتمنى؟ فيقولون: تنموا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا. ابن عساكر عن جابر: إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم جرت وأنهم ليبكون الدم. (ك) عن أبى موسى: إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وإن أول أهل الجنة دخولا هم أهل المعروف. (طب) عن أبى أمامة: إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غداً فى الآخرة . (طب) عن ابن عباس: إن أولى الناس بى يوم القامة أكثرهم علىّ صلاة. (تخ ت حب) عن أبى مسعود: إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى فأيتهما ماكانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا. [حم م د هـ) عن ابن عمر: إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد؟. (ت ك) عن أبى هريرة: إنّ لصاحب الحق مقالا. (حم) عن عائشة (حل) عن أبى حميد الساعدى: إن لك من الأجر على قدر نصيبك ونفقتك . (ك) عن عائشة: إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلفى ثوباً حتى ترقعيه. (ت ك) عن عائشة: إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هى؟: أولها ملامة وثانيها: ندامة، وثالثها: عذاب يوم القيامة إلا من عدل. (طب) عن عوف بن مالك: أنزلوا الناس منازلهم (م د) عن عايشة: أنشد الله رجال أمتى لا يدخلون الحمام إلا بمئزر وأنشد الله نساء أمتى لا يدخلن الحمام. ابن عساكر عن أبى هريرة: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل: كيف أنصره ظالماً؟. قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره. (حم خ ت) عن أنس: أهل الجنة عشرون ومائة ثمانون منها من هذه الأمة أربعون من سائر الأمم (حم ت هـ حب ك) عن بريدة. (طب) عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن أبى موسى: أهل

الجور وأعوانهم فى النار. (ك) عن حذيفة: أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف. (طب) عن عبد الله بن جعفر: أوصيك بتقوى الله تعالى فى سر أمرك وعلانيته وإذا سألت فأحسن ولا تسألن أحداً شيئاً ولا تقبض أمانة ولا تقض بين اثنين. (حم) عن أبى ذر. أوصى الخليفة من بعدى: بتقوى الله وأوصيه بجماعة المسلمين أن يعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم ويوقر عالمهم، وألا يضربهم فيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وألا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم (هق) عن أبى أمامة: ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط. مالك (حم م ت ن) عن أبى هريرة: ألا أرقيك برقية رقانى بها جبريل؟ تقول: باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد ترقى بها ثلاث مرات. (هـ ك) عن أبى هريرة. ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب؟: الله الله ربى لا أشرك به شيئا. (حم د هـ) عن أسماء بنت عميس: ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير ديناً أداه الله عنك؟ قل: اللهم أكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عن سواك .(حم ت ك) عن على: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفوراً لك؟ قل: لا إله إلا الله العلى العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين. (ت) عن على ورواه (خط) بلفظ: إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك، ألا يارب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا يارب مكرم لنفسه وهولها مهين. ألا يارب مهين لنفسه وهو مكرم لها، ألا يارب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خلاق. ألا وإن عمل أهلُ الجنة حَزْنَ بربوة، ألا وإن عمل أهل النار سهل بسهوة. ألا يارب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلا. ابن سعد (هب) عن أبى البجير. إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين (حب هب) عن معاد. أيّما وال ولى أمر أمتى بعدى أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا نجاه الله بعدله وإن كان جائراً انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يَنْخَرِّق به الصراط فأول ما ما يتقى به النار أنفه ووجهه . أبو القاسم بن بشران فى أماليه عن على: أيّما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فإنها نعمةُ من الله سبقت إليه فإن قبلها بشكرها، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله عليه بها سخطاً. ابن عساكر عن عطية بن قيس: أيّما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساه الله تعالى من حلل الجنة. أيّما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيّما مسلم سقى مسلمًا على ظمئ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم. (حم د ت) عن أبى سعيد: وفى هذا القدر كفاية والله ولى التوفيق والهداية.

فصل

فى غزواته ﷺ وما يذكر معها

واعلم أن النبى ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وشهرين ثم توفى ﷺ. ففى السنة الأولى فرض عليه الجهاد وبعث حمزة بن عبد المطلب فى الثلاثين من المهاجرين يعترض عيراً لقريش فى رمضان، وبعث عبيدة بن الحرث فى ستين رجلا من المهاجرين إلى بطن رابغ، بعث سعد بن أبى وقاص إلى الخرار بخاء معجمة وراءين عين قرب الجحفة فى ذى القعدة فى عشرين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش «(وأول غزواته ﷺ غزوة الأبواء» على ما قاله ابن إسحق وجماعة) والأبواء قرية بين مكة والمدينة تسمى «غزوة ودان» وكانت على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة، وفى هذه السنة كان بدء الأذان لما استشار النبى ﷺ أصحابه فيما يجمعهم للصلاة، ورأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه فى منامه الأذان، وفيها أعرس بعائشة رضى الله عنها، وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات، وكانت ركعتين بعد مقدمه بشهر، وفيها صلى صلاة الجمعة، وأول خطبة خطبها فى الإسلام، وفيها آخى بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر، وفيها صلى النبى ﷺ صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر، وعلى تبع اليمانى وكان قد آمن بالنبى ﷺ قبل مبعثه بسبعمائة سنة، وهو أول من كسا البيت. نقله ابن عبد البر وكانت وفاته يوم قدومه المدينة. قاله ابن العماد، فى السنة الثانية من الهجرة فى نصف شعبان حولت القبلة إلى الكعبة وفيها فرضت زكاة المال قبل فرض رمضان. كما أشار إليه النووى فى باب السير من الروضة. وفرض الصوم فى أواخر شعبان، وفيها غزوة بدر الكبرى وكانت يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان وفى الثامن والعشرين منه فرضت زكاة الفطر، وفيها صلى النبى ﷺ صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى وضحى بكبشين أملحين أقرنين. وفيها أعرس علىّ بفاطمة رضى الله عنهما فيها غزوة بواط وذى العشيرة وبنى قينقاع والسويق وفى المواهب بواط بفتح الباء الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخره طاء مهملة موضع من ناحية رضوى والعشيرة بضم العين ثم شين معجمة وهى أرض لبنى مدلج بناحية الينبع كذا فى القاموس وكانت بعد بواط بأيام قلائل وقينقاع بفتح القاف وضم النون. (وغزوة السويق) كانت فى خامس ذى الحجة من السنة الثانية وذلك أنه لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن يغزو محمدا وأصحابه، فخرج من مكة فى مائتى راكب حتى نزل قريباً من المدينة بمحل بينه وبينها نحو ميل فقطع جانباً من النخل ولقى رجلين من الأنصار فقتلهما فبلغ النبى ﷺ، فخرج فى طلبه، فهرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابه.

وفى السنة الثالثة من الهجرة: حرمت الخمرة فى شوال منها وقيل: فى الرابعة. وولد الحسن بن على رضى الله عنهما وفيها غزوة أحد وحمراء الأسد وغطفان وسرية كعب بن الأشرف، وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسمى بذلك لتوحده وانقطاعه عن الجبال وهو الذى قال فى حقه ﷺ: أحد جبل يحبنا ونحبه. قيل: فيه قبر هرون أخى موسى عليهما الصلاة والسلام وكانت وقعته يوم السبت فى شوال سنة ثلاث بالاتفاق. كذا فى المواهب وحمراء الأسد مكان بينه وبين المدينة ثمانية أميال.

وفى السنة الرابعة: كانت غزوة بنى النضير وذات الرقاع وصلاة الخوف، وقيل: فى التى بعدها، وفيها مولد الحسين بن على رضى الله عنهما ونزلت آية التيمم كما قاله فى الروضة وفيها كان رجم اليهوديين اللذين زنيا وفيها قصرت الصلاة فى السفر. وفى السنة الخامسة: غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع وتسمى غزوة المصطلق وفيها كان حديث الإفك على ما رجحه الحاكم وغيره، وقيل: فى سنة ست على ما قاله ابن إسحق وجزم به الطبرى وغيره، وقيل: سنة أربع قاله موسى بن عقبة وفيها نزلت آية الحجاب، وقيل: فى التى قبلها وفيها سابق الخيل وفيها غزوة الخندق وهى الأحزاب على ما قاله ابن إسحق، وقال موسى بن عقبة: كانت سنة أربع وغزوة بنى قريظة. وفى السنة السادسة من الهجرة: كانت غزوة الحديبية وهى قرب مكة وكانت مستهل القعدة منها، وكانوا ألفا فصالحوا النبى ﷺ، وبايعوا النبى ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة وفيها قحط الناس، فاستسقى لهم النبى ﷺ فسقوا فى رمضان، وفيها غزوة بنى لحيان وغزوة الغابة. وفى السنة السابعة من الهجرة: كانت عمرة القضاء مستهل القعدة منها وكان ﷺ فى ألفين وساق من المدينة ستين بدنة فنحرها وأقام بمكة ثلاثاً ورجعوا. وفيها غزوة خيبر، وإسلام أبى هريرة وبَعْثه ﷺ الرسلَ إلى الملوك واتخاذ الخاتم لختم الكتب وتحريم الحمر الأهلية والنهى عن متعة النساء، وفيها جاءته مارية القبطية، وبغلته دلدل وفيها غير ذلك. وفى السنة الثامنة: كانت غزوة الفتح فتح مكة وكانت فى رمضان منها لنقض قريش العهد، وطاف النبىﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشرين من رمضان وحوله ثلثمائة وستون صنما وكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب فى يده قائلا: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1] فيقع الصنم لوجهه وفيها كان قدوم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص وإسلامهم. وفيها غزوة حنين وغزوة الطائف. وفيها اتخاذ المنبر والخطبة عليه. وقيل: اتخاذه كان فى سنة تسع قاله ابن الجوزى فى مولده. وفيها مولد إبراهيم ابنه ﷺ ووفاة زينب بنتهﷺ وفيها غير ذلك. وفى السنة التاسعة: كانت غزوة تبوك، وهدم مسجد الضرار، وقدوم الوفود، وتتابعها، وحج فيها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ومعه ثلثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة

(١) سورة الإسراء: ٨١ .

لينبذ إلى كل ذى عهد عهده وألا يحج بعد العام مشرك وألا يطوف بالبيت عريان، وفيها مات النجاشى، وأم كلثوم بنته ﷺ وفيها غير ذلك. وفى السنة العاشرة: كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام فخرج النبى ﷺ من المدينة يوم الخميس من ذى القعدة ومعه أربعون ألفا وقيل: سبعون ألفا وقيل: مائة ألف. وقيل: غير ذلك فكانت وقفته بالجمعة ونزل عليه ﷺ فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (١) . الآية . ولم يحج النبى ﷺ بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لا يعرف عددها. واعتمر بعد أن هاجر أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء وتسمى عمرة القضية، وعمرة من الجعرانة فى أثر وقعة حنين، وعمرة مع حجته ففى الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ اعتمر أربع عُمَر. وقد اختلف فى السنة التى فرض الله عليها فيها الحج فقيل: فى سنة خمس وقيل: ست وقيل: سبع وقيل: ثمان وقيل تسع وفى السنة العاشرة أيضاً : أسلم جرير بن عبد الله البجلى ونزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٢) بمنى يوم النحر فى حجة الوداع وقيل: قبل وفاته بثلاثة أيام ومات فيها إبراهيم ابنه ﷺ انتهى.

من حاشية الشنوانى على المولد بتصرف وزيادات من غيرها وهذه أسماء الغزوات التى قاتل فيها ﷺ بنفسه (بدر وأحد والخندق والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف) كذا قال ابن إسحق، ولم يقتل النبى ﷺ بيده الشريفة إلا رجلا واحدًا: وهو أبى بن خلف يوم أحد والسر فى قتله: أنه كان له فرس يطعمه القديد من اللحم والبُرّ وكان إذا لقى النبى ﷺ بمكة يقول له: أنا أقتلك على فرسى هذا. فيقول له ﷺ: بل أنا أقتلك وأنت عليه فلما كان يوم أحد جاء ذلك اللعين وهو على فرسه وهو يقول: أين محمد؟ لانجوت إن نجا فأراد الصحابة أن يحولوا بينه وبينه فنهاهم ﷺ وقال: أفرجوا له ثم تناول حربة من بعض أصحابه ثم نظر درعه ﷺ فرأى ترقوته من حلقه فضربه فخر صريعاً. فكبرت الصحابة إذا ذاك فلما رجع إلى قريش قال: قلتنى والله محمد. قالوا: ذهب الله فؤادك والله ما بك بأس. إنه قد كان قال لى بمكة: أنا أقتلك وفى رواية قال له أبو سفيان: ويلك ما بك إلا خدشة فقال: مه أبا سفيان والله لو بصق على محمد لقتلنى وقد قال ﷺ: «اشتد غضب الله على من قتل نبيا أو قتله نبى». أما من قتل فظاهر وأما من قتله نبى فلأن اعتناء النبى بقتله أدل دليل على عظم عتوّ وفساده كهذا اللعين. ذكره البابلى فى سيرته.

(وهذه سراياه وبعوثه ﷺ): (سرية عبيدة بن الحرث إلى أحياء من أسفل ثنية المرة وهى ماء بالحجاز وتقدمت أول الفصل، وسرية حمزة إلى ساحل البحر من ناحية العيص

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة النصر آية ١.

وتقدمت كذلك، وسرية سعد ابن أبى وقاص، وبعث محمد بن مسلمة فيما بين أحد وبدر إلى كعب بن الأشرف، وسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وسرية زيد بن حارثة، وسرية مرثد، بن أبى مرثد وسرية منذر بن عمرو، وسرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، وسرية عمر بن الخطاب، وسرية على بن أبى طالب، وسرية أب العوجاء السلمى، وسرية عكاشة بن محصن، وسرية أبى سلمة بن أبى سلمة بن عبد الأسد، وسرية محمد ابن مسلمة، وسرية بشر بن سعد، وسرية زيد بن حارثة، وسرية زيد بن حارثة أيضاً وسرية عبد الله بن رواحة وسريته أيضاً لبشير بن رزام اليهودى، وسرية عبد الله بن عتيك، وسرية زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة لؤنة وفيها استشهد سيدنا جعفر، وسرية كعب بن عمر والغفارى، وسرية عيينة بن حصن بن حذيفة بن زيد ابن العنبر، وسرية غالب بن عبد الله الكلبى، وسرية عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة وسرية أبى حدرد وأصحابه إلى بطن آضم قبل وسرية زبى عبيدة بن الجراح ذكره ابن إسحق وزاد ابن هشام بعث عمرو بن أمية الضمرى بعثه ﷺ لقتل أبى سفيان بمكة، وسرية زيد بن حارثة إلى المدينة، وسرية سالم بن عمير بن عدى وبعث ﷺ علقمة بن محدر فى طلب القوم الذين قتلوا وقاص بن محرز بوادى قرد وبعث كرز بن جابر فى طلب الرعاء الذين قتلوا راعى رسول الله ﷺ، وسرية على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى اليمن مرة أخرى، وسرية أسامة بن زيد إلى الروم فمات رسول الله ﷺ قبل خروجه، وولى أبو بكر رضى الله عنه فأمضاها). وكل سرياه ﷺ كانت بعد الهجرة كالغزوات وفى سنة سبع من الهجرة جاءت رؤساء يهود المدينة إلى لبيد بن الأعصم وكان ساحراً فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم يصنع شيئاً ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره سحراً ينكؤه. فجعلوا له ثلاثة دنانير فسحره فى مشط له ﷺ ومشاطة من شعر رأسه أعطاها له غلام يهودى كان يخدمه ﷺ أحياناً، وعقد فى وتر إحدى عشرة عقدة فيها إبر مغرورة ودفن ذلك فى بئر ذروان فمكث ﷺ متغير المزاج من ذلك سنة وقيل: ستة أشهر وقيل: أربعين يوماً فلما اشتد به الحال ونزل جبريل فأخبره فبعث عليًا فاستخرج ذلك وصار كلما حل عقدة وجد خفة حتى قام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال. وقد مسخ الله ماء تلك البئر حتى صار كنقاعة الحناء. ثم أحضر رسول الله ﷺ لبيدا فاعترف واعتذر بأن الحامل له على ذلك دنانير جعلها له اليهود فى مقابلة سحره فعفا عنه. ولم يؤثر السحر فى عقله بل فى بعض جوارحه. وقد نافق جماعة من أهل المدينة كان رئيسهم عبد الله بن أبى بن سلول. وفيهم أنزل الله سورة المنافقين. (وفى السنة السابعة) أيضاً: من الهجرة بعد فتح خيبر سمته امرأة يهودية؛ ففى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم قال القسطلانى بتثليث

السين: أهدتها له زينب بنت الحرث اليهودية امرأة سلام بن مشكم وكانت سألت أى عضو من الشاة أحب إليه؟. فقيل: الذراع فأكثرت فيها من السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل منها معه بشر بن البراء فأساغ لقمته ومات منها وعند البيهقى أنه عليه السلام أكل وقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة. وقال لها: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبياً فيطعمك الله، وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك. قال: فما عرض لها، وزاد عبد الرزاق، واحتجم على الكاهل قال: قال الزهرى: وأسلمت فتركها، وعند ابن سعد أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها انتهى.

●●●●●

فصل

فى ذكر أعمامه ﷺ وعماته وأزواجه وخدمه وما يتصل بذلك

فى ذخائر العقبى: وكان له ﷺ اثنا عشر عما بنو عبد المطلب أبوه ثالث عشرهم: (الحرث وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير، ويكنى أبا الحرث وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار وقثم وعبد الكعبة وحجل، ويسمى المغيرة وحمزة والعباس). انتهى، ولم يعقب منهم إلا خمسة: (الحرث والعباس وأبو طالب وأبو لهب وعبد الله). وكان أكبرهم الحرث وبه كان يكنى عبد المطلب وشهد معه حفر زمزم، ولم يدرك الإسلام منهم إلا أربعة: (أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس) ولم يسلم إلا حمزة والعباس قال ﷺ: « **سيد الشهداء يوم القيامة حمزة** »وقال ﷺ: «**عمى وصنو أبى العباس**» روى خمسة وثلاثين حديثاً.

(وأما عماته) فست: (صفية وإسلامها معروف محقق وهى أم الزبير بن العوام، وأورى وعاتكة وفى إسلامهما خلاف، وأم حكيم وبرة، وأميمة)، ولا خلاف فى عدم إسلامهن وكلهن شقيقات عبد الله والد النبى ﷺ إلا صفية.

(وأما زوجاته) اللاتى دخل بهن ولم يفارقهن، فثنتا عشرة امرأة، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: ما تزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئاً من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى عز وجل (الأولى منهن): خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبدالعزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى القرشية الأسدية، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأعصم. وكان صداقها اثنتى عشرة أوقية ونصفا من الذهب ولم يتزوج عليها حتى ماتت وروت حديثا واحداً (الثانية): سودة بن زمعة تزوجها فى السنة العاشرة من النبوة وكانت قبله تحت ابن عمها ولما كبرت أراد طلاقها ﷺ فسألته ألا يفعل وجعلت يومها لعائشة وعاشت إلى أن ماتت فى خلافة عمر رضى الله عنه. (الثالثة) عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة القرشية تزوجها ﷺ بمكة وهى بنت ست سنين وقيل: سبع ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين وقيل: عشر وكان مولدها سنة أربع من النبوة. كذا فى المواهب وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر وكان صداقها أربعمائة درهم وكانت أحب نسائه إليه وكنيتها أم عبد الله ابن أختها أسماء بنت أبى بكر، وروت عائشة رضى الله عنها ألفى حديث ومائتى حديث وعشرة أحاديث، وتوفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين وصلى أبو هريرة عليها ودفنت بالبقيع ليلا. (الرابعة): حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل القرشية، أمها زينب بنت مظعون بن حبيب تزوجها ﷺ فى شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة على الأشهر وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين، وكان صداقها أربعمائه درهم، روت ستين حديثا، وتوفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها

مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ. (الخامسة): زينب بنت خزيمة بن الحرث العربية الهلالية تزوجها ﷺ سنة ثلاث من الهجرة وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع وكان عمرها إذ ذاك ثلاثين سنة، ولم يمت من أزواجه فى حياته إلا هى، وخديجة، وريحانة على القول بأنها زوجة.

(السادسة): أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة، تزوجها ﷺ فى آخر شوال سنة أربع وقيل: سنة اثنتين قالت لولدها: زوجنى من رسول الله ﷺ فزوجها، واستدل به على أن الابن يلى عقد أمه وهو خلاف مذهبنا معاشر الشافعية، روت ثلثمائة حديث وثمانية وعشرين حديثا، توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح، وعاشت أربعاً وثمانين سنة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع. (السابعة): زينب بنت جحش بن رباب العربية أمة أميمة بنت عبد المطلب، كان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة فلما فارقها زيد تزوجها رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة وقيل: سنة ثلاث وقيل: سنة أربع وأصدقها أربعمائة درهم وهى إذ ذاك بنت خمس وثلاثين سنة روت عشرة أحاديث وتوفيت سنة عشرين وقيل إحدى وعشرين، وقد بلغت ثلاثاً وخمسين سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ودفنت بالبقيع. (والثامنة): جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار الخزاعية المصطلقية، قال ابن هشام: اشتراها ﷺ من ثابت بن قيس وأعتقها ثم تزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ويقال: أسلم أبوها وزوجه إياها، روت سبعة أحاديث وتوفيت بالمدينة فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وكان عمرها سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم. (التاسعة): ريحانة بنت يزيد من بنى النضير كانت من سبى بنى قريظة فاصطفاها ﷺ لنفسه وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الإسلام ودينها، فاختارت الإسلام. فأعتقها، وتزوجها وأعرس بها فى المحرم سنة ست وطلقها ﷺ لشدة غيرتها عليه فأكثرت البكاء. فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت فى مرجعه من حجة الوداع ودفنت بالبقيع وقيل: كانت موطوءة له بملك اليمين. ولذا لم يعدها أكثر أهل السير من زوجاته.

(العاشرة): أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشية الأموية أمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان بن مظعون زوجها إياه خالد بن سعيد بن العاص بالحبشة، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتثبتت هى على الإسلام. فبعث النبى ﷺ عمرو بن أمية إلى النجاشى فأمهرها النجاشى عنه أربعمائة دينار وتولى عقد نكاحها خالد لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشى للنبى ﷺ سنة سبع على خلاف فى جميع ذلك، ماتت سنة أربع وأربعين. (الحادية عشرة): صفية بنت حيى بن أخطب غير العربية من بنى النضير من بنى إسرائيل من سبط هرون بن عمران، أمها برة بنت شمول كان أبوها سيد بنى النضير قتل مع بنى قريظة اصطفاها ﷺ

لنفسه من سبى خيبر فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها. وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة، روت عشرة أحاديث وتوفيت فى رمضان سنة خمسين أو اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع. (الثانية عشرة): ميمونة بنت الحرث العربية الهلالية، أمها هند بنت عوف بن زهير وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد. روت ستة وسبعين حديثاً، وماتت سنة إحدى وخمسين وعاشت ثمانين سنة، وهى آخر زوجة تزوجها رسول الله ﷺ، وآخر من توفين من أزواجه؛ وتوفى رسول الله ﷺ عن تسع منهن جمعت أسماؤهن فى قول بعضهم:

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... إليهنّ تُعْزَى المكرماتُ وتنسبُ
فعائشةُ ميمونةُ وصفيةُ ... وحفصةُ تتلوهُنَّ هندُ وزينبُ
جُوَيْرِيةُ مع رملةَ ثم سودة ... ثلاثٌ وستٌ ذِكْرُهُنَّ مُهذبُ

(تنبيه) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فى بهجة الحاوى: وأفضلهن خديجة وعائشة وفى أفضليتهما خلاف، صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت له: قد رزقك الله خيرا منها: لا والله ما رزقنى خيراً منها. آمنت بى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس. وفى شرح عبد السلام على الجوهرة ما نصه: وأما الزوجات الشريفات فأفضلهن خديجة وعائشة، وفى أفضليتهما خلاف صحح ابن العماد تفضيل خديجة وفاطمة فتكون أفضل من عائشة، ولما سئل السبكى عن ذلك فقال: نختاره وندين الله به: أن فاطمة بنت محمد ﷺ أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة واختار السبكى: أن مريم أفضل من خديجة لقوله ﷺ: «خير نساء العالمين مريم بنت عمران، ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد ﷺ، ثم آسية بنت مزاحم امرأة فرعون». وللاختلاف فى نبوتهما وقال شيخ الإسلام فى شرح البخارى الذى أختاره الآن فى الأفضلية محمولة على أحوال: فعائشة أفضلهن من حيث العلم، وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له ﷺ فى المهمات، وفاطمة من حيث القرابة، ومريم من حيث الاختلاف فى نبوتها وذكرها فى القرآن مع الأنبياء وآسية امرأة فرعون من هذه الحيثية، لكن لم تذكر مع الأنبياء، وعلى ذلك تنزل الأخبار الواردة فى أفضليتهن وهذا جيد إن قلنا: إن التفضيل بالأحوال وكثرة الخصال الجميلة. وأما إن قلنا إنه باعتبار كثرة الثواب، فالأقرب الوقف كما هو قول الأشعرى رضى الله عنه.

وفى كلام البرهان الحلبى: أن زينب بنت جحش تلى عائشة رضى الله عنهما ولم يقف أستاذنا على نص فى باقيهن ولا فى مفاضلة بعض أبنائه الذكور على بعض ولا فى المفاضلة بينهم وبين البنات الشريفات سوى ما شرف الله به الذكور على الإناث مطلقاً ولا بينهن

سوى فاطمة، فإنها أفضل بناته الكريمات ولا باقى البنات سوى فاطمة مع الزوجات الطاهرات وإن جرت علة فاطمة بالبضعة فى الجميع، فالوقف أسلم والله أعلم انتهى.

(أما سراريه) ﷺ فأربع: (مارية القبطية أهداها له المقوقس مع أختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية، وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من قباطى مصر، وخصى له اسمه مأبور، وبغلة شهباء وهى دلدل وحماراً أشهب، وهو عفير ويقال له: يعفور وعسلا من عسل بنها فأعجب العسل النبى ﷺ ودعا لعسل بنها بالبركة قال ابن الأثير: بنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبى فى عسلها والناس اليوم يفتحون الباء انتهى. قال ﷺ: «ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم رحما وصهرا». والمراد بالرحم أم إسمعيل بن إبراهيم الخليل جده ﷺ وعليهما أفضل الصلاة والسلام فإنها كانت قبطية، والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم وهى مارية فإنها كانت أيضاً قبطية ولما ولدت مارية إبراهيم. قال النبى: أعتقها ولدها، توفيت فى خلافة سيدنا عمر سنة عشر وصلى عليها ودفنت بالبقيع، وريحانة على خلاف، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش وجارية أخرى قرظية).

(وأما أولاده) ﷺ فسبعة على الأصح ثلاثة ذكور وأربع بنات، (وأول مولود له القاسم وبه كان يكنى، ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم، ولم يعرف لها اسم، ثم عبد الله وكان يسمى الطيب والطاهر، وقيل: الطيب والطاهر غير عبد الله وكلهم ولدوا بمكة من خديجة إلا إبراهيم فولد بالمدينة وأمه مارية (فأما القاسم) فمات بمكة وعمره سنتان وقيل: أقل، وقيل: أكثر، وهو أول ميت مات من ولده (وأما عبد الله) فمات أيضاً بمكة صغيراً. (وأما إبراهيم) فولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وعق عنه ﷺ يوم سابعه بكبشين وسماه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة ومات سنة عشر وعمره إذ ذاك سنة وعشرة أشهر وقيل سنة وستة أشهر ودفن بالبقيع. (وأما زينب) فقال ابن إسحق: سمعت عبد الله بن محمد ابن سليمان يقول: ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ فى سنة ثلاثين من مولده ﷺ، وأدركت الإسلام، وأسلمت وهاجرت وكان أبوها يحبها انتهى. وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى، قال الحلبى: الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء المفتوحة اهـ. قال بعضهم: والذى عليه غيره أنه كان أسير ثم لما أسلم زوجها. جمع ﷺ بينهما قال بعضهم: ولم يفرق بينهما من أول البعثة لأن تحريم نكاح المشرك للمسلمة إنما كان بعد الهجرة، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان الإسلام فرق بين زينب وبين أبى العاص إلا أن رسول الله ﷺ لا يقدر أن يفرق بينهما. وكان مغلوباً بمكة، وولدت زينب لأبى العاص: عليًا وأمامة فأما على فمات مراهقا، وأما أمامة فتزوجها على بن أبى طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة. وتزوجها بعد موت على رضى الله عنه المغيرة بن نوفل بن

الحرث بن عبد المطلب بوصية من على. وكان رسول الله ﷺ يحب أمامة وهى التى كان يحملها فى الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها. وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة. (وأما رقية) بنته ﷺ فولدت ولرسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة، وكان تزوجها عتبة بن أبى لهب، وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه. فلما نزلت: ﴿تبت يدا أبى لهب﴾ قال أبو لهب لهما: رأسى من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتى محمد. ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما. عن قتادة أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبى ﷺ فقال له: كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبنى ولا أحبك، ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً. فقال له ﷺ: «أما إنى أسأل الله أن يسلط عليك كلبه». فخرج فى تجر من قريش حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له: الزرقاء ليلا، فجاء الأسد تلك الليلة. فجعل عتبة يقول: يا ويل أمى هو والله آكلى كما دعا على محمد. أقاتلى ابن أبى كبشة وهو بمكة وأنا بالشام فعدى عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه فدغه، وقيل: إن عتبة هو الذى أكله السبع لا عتيبة بالتصغير، وأن الذى أسلم عتيبة وهو ما فى الشفاء.

(تنبيه) أبو كبشة: جد من أجداده ﷺ من جهة أمه كذا فى تفسير الخطيب، وإنما نسب إليه النبى ﷺ؛ لأن أبا كبشة خالف قريشاً وعبد الشعرى، فلما خالف رسول الله دين قريش قال مشركو قريش: نزعه أبو كبشة. وقيل: إن أباه من الرضاع زوج حليمة السعدية كان يدعى بأبى كبشة كذا فى ذخائر العقبى. ثم تزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه رقية بمكة وكان بوحى من الله تعالى، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوحى إلى أن أزوج كريمتى عثمان بن عفان**». أخرجه الطبرانى فى معجمه، وزاد عليه بعد قوله كريمتى يعنى رقية وأم كلثوم. وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكانت ذات جمال. وفى حياة الحيوان: لما هاجرت إلى الحبشة كان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم جميعاً. وولدت لعثمان بالحبشة ولداً سماه عبد الله وكان يكنى به قال مصعب: وبلغ الغلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات. وقال: غيره وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل فى حفرته أبوه عثمان رضى الله عنه، توفيت رقية بالمدينة وكان عثمان قد تخلف عن بدر لأجلها فجاء زيد بن حارثة بشيراً بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها ولما عزى بها رسول الله ﷺ قال: الحمد لله دفن البنات من المكرمات. خرجه الدولابى وكانت وفاتها لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً من مقدمه ﷺ المدينة ذكره ابن قتيبة. (وأما أم كلثوم) ابنته ﷺ فقد تقدم أن عتيبة بن أبى لهب كان تزوجها ثم فارقها قبل الدخول، فلما ماتت رقية أختها تزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه بوحى من الله وأمر منه تعالى. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «لقى النبى ﷺ عثمان عند باب المسجد. فقال يا عثمان: هذا جبريل أخبرنى أن الله

تعالى قد أمرنى أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها». خرجه ابن ماجة والحافظ أبو القاسم الدمشقى والإمام أبو الخير القزوينى الحاكم وعنه قال عثمان: «لما ماتت امرأته بنت رسول الله بكيت بكاء شديداً فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟. قلت: أبكى على انقطاع صهرى منك. قال: فهذا جبريل يأمرنى بأمر الله أن أزوجك أختها، وأن أجعل صداقها مثل صداق أختها». أخرجه الفضائلى، وعن سعيد بن المسيب قال: «آم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ، وآمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر بعثمان، فقال: له هل لك فى حفصة؟. وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه فذكر عمر للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ: هل لك فى خير من ذلك؟ أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان خيراً منها أم كلثوم». خرجه أبو عمرو وقال: حديث صحيح، وعن ربعى ابن حراش عن عثمان: «أنه خطب إلى عمر ابنته فبلغ ذلك النبى ﷺ فلما راح إليه عمر قال: يا عمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان، على خير له منك؟ قال: نعم يا نبى الله قال: زوجنى ابنتك وأزوج عثمان ابنتى». خرجه الخجندى، وأم كلثوم عرفت: بكنيتها ولم يعرف لها اسم، واختلف فى أيهما أكبر هى أم رقية وهى أكبر سنا من فاطمة، ماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها أبوها ﷺ ونزل فى حفرتها علىٌ والفضل وأسامة ابن زيد وأبو طلحة الأنصارى وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب عمتها وشهدت أم عطية غسلها ولم تلد رضى الله عنها. (وأما فاطمة) ابنته ﷺ فولدت وقريش تبنى الكعبة قبل النبوة بخمس سنين وهى أصغر بناته وأمها خديجة بنت خويلد رضى الله عنهما، عن أبى جعفر قال: دخل العباس على علىٌ وفاطمة وأحدهما يقول للآخر: أينا أكبر؟. فقال العباس: ولدت يا على قبل بناء قريش البيت بسنوات. وولدت أنت وقريش تبنى البيت ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين. خرجه الدولابى، وكان رسول الله ﷺ يحبها حبا شديداً فعن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: **«ما لك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك فى فيها فكأنك تريد أن تلعقها عسلا؟ فقال ﷺ: إنه لما أسرى بى أدخلنى جبريل الجنة فناولنى تفاحة فأكلتها فصارت نطفة فى ظهرى فلما نزلت من السماء واقعت خديجة. ففاطمة من تلك النطفة فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها»**.

أخرجه أبو سعد فى شرف النبوة، وفى رواية قالت عائشة: **«إنك تكثر تقبيل فاطمة فقال ﷺ: إن جبريل ليلة أسرى بى أدخلنى الجنة فأطعمنى من جميع ثمارها فصار ماء فى صلبى فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التى أكلتها»**. خرجه الفضل بن خيرون كذا فى ذخائر العقبى، قال بعضهم وهذه الروايات تقتضى كون ولادة فاطمة بعد البعثة؛ لأن الإسراء كان بعد البعثة، وصرح أبو عمرو بأن ولادة فاطمة كانت سنة إحدى وأربعين من مولده ﷺ انتهى.

وفى درر الأصداف رد ذلك وعبارته: وأما خبر أتانى جبريل بسفرجلة من الجنة فأكلتها

ليلة أسرى بى فأتت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت لرائحة الجنة شممت رقبة فاطمة. فقال الأئمة ردا على تصحيح الحاكم له: إنه كذب موضوع جلى الوضع، لأن فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن ليلة الإسراء. ذكر ذلك ابن حجر فى شرح الهمزية انتهى. روى البخارى ومسلم والترمذى عن النبى ﷺ أنه قال: «إنه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد». وفى كتاب معالم العترة النبوية مرفوعاً إلى قتادة عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائها فاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون». وعن عائشة رضى الله عنها: قالت لفاطمة رضى الله عنها ألا أبشرك إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد ﷺ وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». وعن النبى ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ فتمر وعليها ريطان خضروان». وفى بعض الروايات حمروان، وفى المسند للإمام أحمد بن حنبل عن حذيفة بن اليمان قال: «سألتنى أمى متى عهدك بالنبى ﷺ؟. فقلت لها: منذ كذا وكذا وذكرت مدة طويلة فنالت منى وسبتنى. فقلت لها: دعينى آتى رسول الله ﷺ وأصلى معه المغرب ثم لاأدعه حتى يستغفر لى ذلك. قال: فأتيت النبى ﷺ فصليت معه المغرب والعشاء ثم انتقل ﷺ من صلاته فتبعته فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فتبعته فسمع مشيتى خلفه فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة. فقال: مالك؟ فحدثته بحديث أمى فقال: غفر الله لك ولأمك ثم قال: أما رأيت العارض الذى عرض لى؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربى فى أن يسلم على ويبشرنى أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء العالمين». وفى المسند أيضا عن عائشة قالت: «أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: مرحباً بابنتى. ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثاً فبكت. فقلت: استخصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ثم أسر لها حديثا فضحكت فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قيل لها؟

فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ حتى قبض رسول الله ﷺ، فسألتها فقالت: أسر إلى فقال: إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة وإنه عارضنى به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف أنا لك. فبكيت فقال: ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين؟. فضحكت لذلك». وأخرج تمام والبزار والطبرانى وأبو نعيم أنه ﷺ قال: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار». وفى رواية: «فحرمها الله وذريتها على النار» وأخرج الديلمى

مرفوعا «إنما سميت فاطمة فاطمة: لأن الله فطمها ومحبيها عن النار».

وأخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات أنه ﷺ قال لها: «إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك». وروى عن مجاهد قال: «خرج النبى ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة فقال: من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، وهى بضعة منى، وهى قلبى، وهى روحى التى بين جنبى من آذاها فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله».

وروى الأصبغ بن نباتة عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ثم ينادى مناد من بطنان العرش إن الجليل جلَّ جلاله يقول: نسكوا رءوسكم وغضوا أبصاركم فإن هذه فاطمة بنت محمد ﷺ تريد أن تمر على الصراط». وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه «أنه ﷺ مر فى السماء السابعة قال: فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ولآسية امرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصوراً من ياقوت ولفاطمة بنت محمد سبعين قصرا من مرجان أحمر مكللا باللؤلؤ أبوابها من عود واحد». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول شخص يدخل الجنة علىٌّ وفاطمة بنت محمد ﷺ. (تزوجها) علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. فى شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وبنى بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة، نقل الشيخ أبو على الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سنان مرفوعا إلى أنس رضى الله عنه قال: «كنت عند رسول الله ﷺ فغشيه الوحى فلما أفاق. قال لى: يا أنس أتدرى ما جاءنى به جبريل؟. قال: قال لى: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوج فاطمة من علىٍّ فانطلق وادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدتهم من الأنصار. قال: فانطلقت فدعوتهم فلما أن أخذوا مجالسهم. قال رسول الله ﷺ: الحمد لله المحمود بنعمته وبقدرته المطاع سلطانه المهروب إليه من عذابه النافذ أمره فى أرضه وسمائه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله عزَّ وجلَّ جعل المصاهرة نسبا لاحقا وأمرا مفترضاً وحكماً عادلا وخيراً جامعاً وشج به الأرحام وألزمها الأنام فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[1]. وأمر الله تعالى يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2]، ثم إن الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة من علىٍّ وأشهدكم أنى زوجت فاطمة من علىٍّ على أربعمائة مثقال فضة، إن رضى بذلك على السنة القائمة، والفريضة الواجبة، فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم. قال: وكان علىٌّ رضى الله تعالى عنه غائبا فى حاجة لرسول الله ﷺ قد بعثه

(١) سورة الفرقان: آية ٥٤ . (٢) سورة الرعد: آية ٣٩ .

فيها؛ ثم أمر لنا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال: انتبهوا، فبينما نحن كذلك إذ أقبل عليٌّ رضى الله عنه. فتبسم إليه رسول الله ﷺ، وقال: يا عليُّ إن الله أمرنى أن أزوجك فاطمة وإنى قد زوجتها على أربعمائة مثقال فضة. فقال على: رضيت يا رسول الله، ثم إن علياً خر ساجداً شكراً لله. فلما رفع رأسه قال له رسول الله ﷺ: بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب، قال أنس: والله أخرج منهما الكثير الطيب». ولم تضحك فاطمة رضى الله عنها بعد وفاة أبيها ﷺ قط. وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سارت إلى قبر أبيها بعد موته ﷺ ووقفت عليه وبكت ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على يمينها ووجهها ثم أنشأت تقول:

ماذا عَلَيّ منْ شَمّ تُربةَ أحمدَ ... ألاَ يُشَمُّ مدى الزمانِ غواليا
صُبَّتْ عَلَيَّ مصائبُ لو أنّها ... صُبَّتْ على الأيامِ عُدْنَ لياليا

ولها رضى الله عنها ترثى أباها ﷺ:

أَغبَّرَ آفاقُ السماءِ وكُوِّرَتْ ... شمسُ النهار وأَظلم العصران؟
والأرضُ من بعد النبى كئيبةٌ ... أسفًا عليه كثيرةُ الأحزان
فَلْيَبْكه شرقُ البلاد وغربُها ... ولتبكه مضـرٌ وكلُّ يمان
وليبكهَ الطودُ الأشمُ وجوه ... والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ
يا خاتمَ الرُّسْلِ المبارك صنوه ... صَلّى عليك مُنزِلُ القرآنَ

توفيت رضى الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، وهى بنت ثمان وعشرين سنة، ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها علىٌّ رضى الله تعالى عنه. وقيل: صلى عليها العباس رضى الله تعالى عنه، ونزل فى قبرها هو وعلىٌّ والفضل بن العباس. وفى كتاب الذرية الطاهرة للدولابى قال: لبثت فاطمة بعد وفاة النبى ﷺ ثلاثة أشهر، وقال عروة بن الزبير وعائشة: لبثت ستة أشهر، ومثله وعن ابن شهاب الزهرى وهو الصحيح روى أن عليًا رضى الله تعالى عنه لما ماتت فاطمة رضى الله عنها وفرغ من جهازها ودفنها رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعاً شديداً ثم أنشأ يقول:

أرى عِلَلَ الدنيا عَلَيّ كثيرةً ... وصاحبُها حتى المماتِ عليلُ
لكلٍّ اجتماعٍ من خليلين فُرْقَةٌ ... وكلُّ الذى دونَ الفراقِ قليلُ
وإنّ افتقادى فاطمًا بعد أحمدَ ... دليلٌ على ألا يدومَ خليلُ

وروى جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما قال: لما ماتت فاطمة رضى الله عنها كان على رضى الله تعالى عنه يزور قبرها فى كل يوم. قال: فأقبل ذات يوم فانكب علىّ القبر وبكى وأنشأ يقول:

مَالِى مررتُ على القبور مُسلمًا ... قبر الحبيب فلم يرد جوابى
يا قبرُ مَالَكَ لا تُحبُ مناديًا ... أَمَلِلْتَ بعدى خلةُ الأحباب

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قال الحبيبُ: وكيفَ لى بجوابِكم؟ ... وأنا رهينُ جنادلَ وترابِ
أَكَلَ الترابُ محاسنى فنسيتكم ... وحُجِبْتُ عن أهلى وعن أترابى
فعليكم منى السلامُ تقطعتْ ... منى ومنكم خلةُ الأحبابِ

(وأما أولادها) رضى الله عنها: (فالحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب، وزاد الليث بن سعد، رقية وماتت وهى صغيرة لم تبلغ). ولم يتزوج علىٌّ رضى الله عنه على فاطمة رضى الله عنها حتى ماتت. وكانت أول أزواجه رضى الله عنهما.

(وأما خدمه ﷺ) فمنهم: (أنس بن مالك الأنصارى وكان من أخصهم، خدمه من حين قدومه إلى المدينة إلى أن توفى، وعبد الله بن مسعود وكان صاحب سواكه ونعليه إذا قام ﷺ ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما فى ذراعيه وكان يمشى أمامه بالعصا حتى يدخل الحجرة ومعيقيب الدوسى وكان صاحب خاتمه ﷺ، وعقبة بن عامر الجهنى وكان صاحب بغلته ﷺ يقودها فى الأسفار، وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته ﷺ كان يرحلها له وبلال وكان على نفقاته).

(وأما مواليه ﷺ الذين أعتقهم): (فزيد بن حارثة وهبته له خديجة قبل النبوة فتبناه وكان حبه عليه الصلاة والسلام، وابنه أسامة، وأخو أسامة لأمه أيمن ابن أم أيمن بركة الحبشية، وأبو رافع وكان قبطيا أعتقه ﷺ لما بشره بإسلام العباس، وشُقران بضم الشين كما فى المواهب والسيرة الحلبية واسمه صالح وكان حبشيا وقيل: فارسيا، وثوبان وأنجشه وكان أسود ورباح وكان أسود، ويسار وكان نوبياً وكان على لقاح رسول الله ﷺ وهو الذى قتله العرنيون، وسفينة وكان أسود، وهو الذى لقيه سبع حين ضل فى بعض الأمكنة فقال له: يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله ﷺ، فمشى أمامه حتى أقامه على الطريق، وسلمان الفارسى لأنه ﷺ هو الذى أدى عنه نجوم الكتابة لكنه حر فى الأصل واسترق ظلما.

وخصى أهداه له المقوقس يقال له: مأبور لم يسلم بل بقى نصرانيا وآخر يقال له: سندر. ومن النساء: أم أيمن وأميمة، وسيرين، وقيسر اللتان أهداهما له المقوقس مع مارية وهما أختاها، وذكر بعضهم أنه وهب سيرين لحسان بن ثابت ووهب قيسر لجهم بن قيس، (وروى) : أنه ﷺ أعتق فى مرض موته أربعين رقبة) .

(وأما نقباؤه ﷺ فاثنا عشر نقيباً)، وفى المحاضرات، ولم يكن لنبى قبله هذا القدر بل كان لكل نبى سبعة وهم: (أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وجعفر بن أبى طالب ومصعب بن عمير وبلال وعمار والمقداد وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود) اهـ.

(وأما نجباؤه ﷺ فكلهم من الأنصار) وهم: (سعد بن خيثمة من بنى عمرو بن عوف وسعد بن الربيع من بنى النجار، وسعد بن عبادة من بنى عبد الأشهل، وعبد الله بن رواحة، وأبو الهيثم بن التيهان، والبراء بن معرور، ورافع بن مالك بن مالك الأزرقى، وعبد الله بن عمرو بن حرام وهو أبو جابر، وعبادة بن الصامت من بنى سلمة، والمنذر بن عمرو من بنى ساعدة) اهـ من المسامرات.

(وأما حواريوه ﷺ فكلهم من قريش) وهم: (اثنا عشر رجلا: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبى طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون، فالذى جمع بين النجابة والحوارية: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وجعفر وعثمان بن مظعون، فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضى الله عنهم أجمعين) اهـ. من المحاضرات للشيخ محيى الدين.

(وأما نوابه ﷺ الذين استعملهم على المدينة فى وقت خروجه لغزو أو عمرة أو حج) فأبو لبابة، وبشير بن عبد المنذر، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى، وأبو ذر الغفارى، وعبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى، وسباغ بن عرفطة، وغيلة ابن عبد الله الليثى، وعوف بن أضبط الديلمى، وأبو رهم كلثوم، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن حارثة، والسائب بن عثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وسعد بن عبادة، وأبو دجانة الساعدى)، وما استعملهم فيه ﷺ مذكور فى المحاضرات.

(وأما أمراؤه ﷺ) فمنهم: (باذان بن ساسان من ولد بهرام أمره على اليمن وهو أول أمير فى الإسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم، وخالد بن سعيد أمره على صنعاء وزياد بن لبيد الأنصارى البياضى أمره على حضر موت، وأبو موسى الأشعرى، وأمره على زبيد وعدن، ومعاذ بن جبل وأمره على الجند، وأبو سفيان بن حرب وأمره

على نجران، ويزيد ابنه وولاه تيما، وعتاب بتشديد الفوقية بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وولاه مكة).

(وأما كتابه ﷺ): (فعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية، وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمى، وحنظلة بن الربيع وعبد الله بن سعد بن أبى سرح أخو عثمان من الرضاع، فهؤلاء كتاب الوحى رضى الله عنهم أجمعين. وفى حياة الحيوان: وكان المداوم على الكتابة زيداً ومعاوية انتهى، وكان الزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات، وكان حذيفة بن اليمان يكتب حوض النخل، وكان المغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات، وكان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك، وقد كتب له أبو بكر رضى الله عنه حين هاجر فى الطريق).

(وأما من جمع القرآن حفظا على عهده ﷺ): (فأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصارى، وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وتميم الدارى وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصارى أورده العلامة الدميرى فى حياة الحيوان.

(وأما من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ). **(فعلى والزبير ومحمد بن مسلمة والمقداد وعاصم بن أبى الأفلح.**

(وأما من كان يحرسه ﷺ) فسعد بن أبى وقاص وسعد بن معاذ وعباد بن بشر وأبو أيوب الأنصارى ومحمد بن مسلمة الأنصارى فلما نزل قوله تعالى: **﴿والله يعصمك من الناس﴾** [1]، ترك الحراسة انتهى. من حياة الحيوان.

(وأما من كان يفتى على عهده ﷺ): (فأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان الفارسى وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعرى) كذا فى حياة الحيوان.

(وأما مؤذنوه ﷺ): (فبلال بن رباح وأمه حمامة وهو مولى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء إلا أن عمر لما فتح الشام أذن بلال فتذكر الناس النبى ﷺ فبكوا بكاء شديدا، قال أسلم مولى عمر رضى الله تعالى عنهما: لم أر باكياً أكثر من يومئذ. توفى بلال سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة من الهجرة بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة. وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق

وابن أم مكتوم واسمه عمرو القرشى الأعمى وفى الكشاف اسمه عبد الله وأم مكتوم أم أبيه هاجر إلى المدينة قبل النبى ﷺ وفيه أنزل الله: **﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ﴾**[2]، وسعد

(١) سورة المائدة: ٦. (٢) سورة عبس: ١، ٢.

ابن أبى عائذ أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظى أذن بقباء لرسول الله ﷺ، وأبو محذورة الجمحى المكى كان يؤذن لرسول الله ﷺ بمكة نقله بعضهم.

(فائدة) قال النيسابورى: الحكمة فى كونه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن أنه لو أذن لكان كل من تخلف عن الإجابة كافرا، وقال أيضاً: ولأنه كان داعياً فلم يجز أن يشهد لنفسه، وقال غيره لو أذن وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لتوهم أن ثم نبيا غيره. وقيل: لأن الأذان رآه غيره، فى المنام فوكله إلى غيره، وأيضاً كان لا يتفرغ إليه من أشغاله، وأيضاً قال عليه الصلاة والسلام: «الإمام ضامن والمؤذن أمين» فدفع الأمانة إلى غيره وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: «إنما لم يؤذن لأنه كان إذا عمل عملا أثبته، أى جعله دائماً وكان لا يتفرغ لذلك لانشغاله بتبليغ الرسالة، وهذا كما قال عمر: لولا الخلافة لأذنت قال: وأما من قال: إنه امتنع لئلا يعتقد أن الرسول غيره فخطأ لأنه ﷺ كان يقول فى خطبته: وأشهد أن محمدا رسول الله أورده شهاب الدين أحمد بن العماد فى كتابه «كشف الأسرار عما خفى عن الأفكار» انتهى.

(وأما قضاته عليه الصلاة والسلام) فأمير المؤمنين علىٌّ بن أبى طالب ومعاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعرى ولى كل منهم القضاء باليمن.

(وأما رسله ﷺ): فعمرو بن أمية الضمرى ودحية بن خليفة الكلبى، وعبد الله بن حذافة السهمى، وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى، وشجاع بن وهب الأسدى، وسليط بن عمرو العامرى، وعمرو بن العاص، والعلاء بن الحضرمى.

(وأما شعراؤه ﷺ) الذين كانوا يذبون عن الإسلام: فكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة الخزرجى الأنصارى، وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصارى دعا له النبى ﷺ فقال: اللهم أيده بروح القدس، يقال: أعانه جبريل بسبعين بيتاً.

(وأما إخوته ﷺ من الرضاع): فعمه حمزة أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب على ولدها مسروح فهو أخوهما، وأخوه أيضا ﷺ عبد الله، وأنيسه، وجذامة وهى الشيماء وأمهم حليمة وأبوهم الحرث بن عبد العزى السعدى والشيماء هى التى كانت فى سبى حنين وأرته ﷺ، عضته فى ظهرها فعرفها وبسط لها رداءه وزودها وردها إلى قومها حسبما سألت.

(وأما حيواناته ﷺ) فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل: أكثر منها السكب شبه بسكب الماء وأنصابه لشدة عدوه وهو أول فرس ملكه ﷺ وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف وكان له من البغال ست منها بغلة شهباء يقال: لها دلدل أهداها له مقوقس مصر، وهى أول بغلة ركبت فى الإسلام. وعاشت حتى ذهبت أسنانها وكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها على رضى الله تعالى عنه الخوارج بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفية وماتت بسهم رماها به رجل، وكان له ﷺ حماران يقال:

لأحدهما: يعفور وللآخر: عفير بضم العين المهملة على الصواب، وكان له من الإبل ثلاث ناقة يقال لها: القصوى، وناقة يقال لها: الجدعاء، وناقة يقال لها: العضباء وهى التى كانت لا تُسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام:

«إنَّ حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه». ويقال: إن العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته ﷺ حتى ماتت. وقيل: إن التى لم تُسبق فسبُقت هى القصوى وقيل: الأسماء الثلاثة لواحدة وقيل: القصوى واحدة والجدعاء والعضباء واحدة، وكان له من الغنم مائة وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها، وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى شيئا منها، واقتنى ﷺ الديك الأبيض وكان يبيت معه فى البيت. نقله بعضهم وكان له ﷺ شاة تسمى غوثة وقيل: غيثة وعنزة تسمى اليمن كذا فى أسد الغابة.

(وأما سيوفه ﷺ): فالغضب والرسوب والبتار والحتف وذو الفقار وكان مكتوباً على أحد سيوفه ﷺ هذا البيت:

فى الجبن عارٌ وفى الإقدام مكرمـــةُ والمرؤ بالجبن لا ينجو من القدر

وهو الذى أعطاه رسول الله ﷺ لأبى دجانة يوم أحد وكان قد طلبه أبو بكر وعمر وعلىّ فلم يعطهم إياه وقال: لا أعطيه إلا بحقه فقال أبو دجانة: ما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى. فقال: أنا آخذه بحقه فأخذه وكان أبو دجانة رجلا شجاعاً يختال عند الحرب، وذو الفقار كان فى وسطه مثل فقرات الظهر وكان لا يفارقه ﷺ فى حرب من الحروب يقال: إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة، ونقل غير واحد أن ذو الفقار كان لمنبه بن الحجاج السهمى كان مع ابنه العاص يوم بدر فقتله علىٌ وجاء بالسيف إلى رسول الله ﷺ فأعطاه رسول الله ﷺ عليًا رضى الله عنه فقاتل به يوم أحد وفيه قال يوم أحد ابن أبى نجيح:

لاسيفَ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علـــىٌ

(وفى الفصول المهمة) يروى أن بلقيس أهدت إلى سليمان عليه السلام سبعة أسياف كان ذو الفقار منها، وقد جاء فى بعض الروايات عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ فقال له: إن صنماً باليمن معفراً بالحديد فابعث إليه فادقه وخذ الحديد، قال علىٌ رضى الله تعالى عنه: فدعانى رسول الله ﷺ وبعثنى إليه، فذهبت، ودفنت الصنم، وأخذت الحديد، وجئت به إلى رسول الله ﷺ فاستضرب منه سيفين فسمى: أحدهما: ذا الفقار، والآخر: مخذما، فتقلد رسول الله ﷺ ذا الفقار، وأعطانى مخذما، ثم أعطانى ذا الفقار بعد ذلك فرآنى وأنا أقاتل به يوم أحد فقال:

لاسيف إلا ذو الفقـــار ولا فتى إلا علـــــىٌ

قال ابن إسحق: وفى هذا اليوم هاجت ريح فسُمع هاتف يقول:

لاسيفَ إلا ذو الفقــارِ ولا فتـى إلا علــــىُّ

فإذا ناديتم هالكـــاً فابكوا الولى بنَ الولى

وأنشد الخطيب ضياء الدين أخطب خوارزم الموفق أحمد الخوارزمى المالكى رحمه الله تعالى:

أسدُ الإله وسيفُه وقناتُه كالظفرِ يوم صياله والنابِ

جاء النداءُ من الإله وسيفه بدم الكَماة يَسحُ فى تَسْكاب

لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علىٌّ هازمُ الأحزابِ

(وأما دروعه ﷺ فسبعة): السعدية وفضة وذات الفضول وذات الوشاح وذات الحواشى والبتراء والخرنق. (وأما قسِّيه ﷺ) فثلاثة: الروحاء والصفراء والبيضاء، وقيل: ستة. (وأما رماحه ﷺ) فثلاثة وقيل: خمسة قال الشيخ محيى الدين: لم يسمها لنا أحد ممن روينا عنهم (وكان) له ثلاثة أتراس، وكان له ثلاث حباب وكان اسم عمامته السحاب، واسم رايته العقاب، واسم لوائه الحمد، واسم قصعته الغراء وكان يحملها أربعة رجال فيها أربع حلق حديد (وكان له من الحراب) خمس منها حربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة بفتح العين المهملة والنون والزاى كانت تحمل بين يديه يوم العيد وتركز بين يديه ويصلى إليها، فى أسفاره، وفى أسد الغابة كانت تحمل معه فى العيد تجعل بين يديه يصلى إليها وله حربة كبيرة اسمها البيضاء، (وكان له مجن) قدر ذراع أو أكثر بيسير ذو رأس يمشى به ويعلق بين يديه على بعيره، وكان له قضيب من شوحط قيل هو الذى كان تداوله الخلفاء وكان له مخصرة بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة وهى ما يمسكه بيده من عصا أو مقرعة، وكان له خوذتان، والخوذة ما يجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة، وكان له ﷺ قدحان اسم أحدهما: الريان، والآخر: المضبب، وله تور من حجارة يقال له: المخضب يتوضأ منه، وله مخضب من شبه، والشبه النحاس الأصفر، وله ركوة تسمى الصادر، وله فسطاط يسمى الركى، وله مرآة تسمى المدلة، ومقراض يسمى الجامع، ونعل يسميها الصفراء.

(تتمة فى مرضه ﷺ الذى مات فيه وما يتصل به) لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة أقام بها بقية ذى الحجة تمام سنة عشر ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام المحرم وصفر، وفى يوم الأربعاء من آخر صفر بدأ بالنبى ﷺ وجعه، فحم، وصدع وأشار فيه إشارة ظاهرة بخلافة أبى بكر بثنائه على المنبر عليه كما فهم دون بقية الصحابة قوله فى

آخر خطبته: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» أنه ﷺ يعنى نفسه فبكى. وقال: فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا فقابله ﷺ بقوله: «إن أمنّ الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام. ثم قال: لا يبقى فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبى بكر». ثم أكد أمر الخلافة بأمره صريحاً أن يصلى بالناس فصلى أبو بكر بالناس، سبع عشرة صلاة وبقية الصلاة فى مدة مرضه صلاها بهم، وقد ورد أنه ﷺ وجد خفة فى اليوم الذى توفى فيه، فخرج ﷺ وأبو بكر يصلى بالناس الصبح فصلى النبى ﷺ خلفه مؤتماً به، وأذن له نساؤه أن يمرض فى بيت عائشة لما رأين من حرصه على ذلك، فدخل بيتها يوم الاثنين، وفى البخارى: أن عائشة رضى الله عنها كانت تقول: إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته، دخل على عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك. فقلت: آخذ لك فأشار برأسه أن نعم فتناوله فاشتد عليه. وقلت: ألينه لك فأشار برأسه أن نعم. فلينته وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه. يقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات. ثم نصب يده فجعل يقول: فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده اهـ. ولما مات رسولُ الله ﷺ طاشت عقول الصحابة، فخبل عمر رضى الله عنه. وأخرس عثمان رضى الله عنه، وأقعد علىّ رضى الله عنه، وعن أنس رضى الله عنه قال: لما توفى النبى ﷺ قام عمر بن الخطاب فى المسجد خطيباً فقال: لا أسمعنّ من أحد يقول: إنّ محمداً قد مات ولكنه أرسل إليه كما أرسل موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة. وفى تتمة المختصر: لما قبض الله نبيه ﷺ قال عمر: مَنْ قال إن محمداً رسول الله ﷺ مات علوت رأسه بسيفى هذا وإنما ارتفع إلى السماء انتهى. وفى البخارى عن أبى سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر رضى الله عنه أقبل على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فَتَيَمَّمَ رسولَ الله ﷺ وهو مُغَشّى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التى كتب عليك فقدمتها: قال الزهرى: وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أنّ أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد: مَنْ كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومَنْ كان منكم يعبدُ الله فإن الله حَيٌّ لا يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن

يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (1) ،وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

(فائدة) روى: «أن جبريل عليه السلام نزل على النبى ﷺ فى مرض موته فقال: يا جبريل هل تنزل من بعدى؟ فقال: نعم يا رسول الله أنزل عشر مرات أرفعُ العشرَ جواهرَ من الأرض. قال: يا جبريل وما ترفع منها؟ قال: الأول أرفع البركة من الأرض، الثانى أرفع المحبة من قلوب الخلق، الثالث أرفع الشفقة من قلوب الأقارب، الرابع أرفع العدل من الأمراء، الخامس أرفع الحياء من النساء، السادس أرفع الصبر من الفقراء، السابع أرفع الورع والزهد من العلماء، الثامن أرفع السخاء من الأغنياء، التاسع أرفع القرآن، العاشر أرفع الإيمان».

(وغسله ﷺ) على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم ابن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ وأحضروا أوس بن خولى جد بنى عوف فكان على يسنده ويغسله، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشُقران يصبان الماء عليه وأعينهم معصوبة، روى عن علىٍّ رضى الله تعالى عنه أنه قال: أوصانى رسول الله لا يغسله غيرى فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طميت عيناه. **(وكفن ﷺ)** فى ثلاثة أثواب بيض سحولية، أى من عمل سحولة قرية باليمن ليس فيها قميص ولا عمامة. قال ابن إسحق: ثوبان سحريان وبرد وأدرج فيها إدراجاً انتهى. ثم بخر بالعود وصار الناس يدخلون للصلاة عليه طائفة بعد طائفة أفذاذاً لم يؤمهم أحد. وقيل: لم يصل عليه أحد، وإنما كان الناس يدخلون ليدعوا ويتضرعوا. **(واختلفت الصحابة فى الموضع الذى يدفن فيه)** فقال بعضهم: يدفن بالبقيع وبعضهم ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل فقال أبو بكر: ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدفن نبى إلا حيث قبض». فاتفقوا على ذلك فحفر قبره وصنع له لحد ووضع فيه. **(وأنزله فى قبره ﷺ)** علىٌّ بن أبى طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأوس بن خولى، وكان دفنه ﷺ ليلة الأربعاء فيكون مكث بعد موته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومها وبعض ليلة الأربعاء؛ لأنه توفى ﷺ يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، فعن ابن عباس رضى الله عنهما ولد النبى ﷺ يوم الاثنين، واستنبىء يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين ودخل مكة يوم الاثنين، ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين، وسبب تأخير دفنه اشتغالهم ببيعة أبى بكر حتى تمت وقيل: لعدم اتفاقهم على موته ﷺ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر، يوماً وقيل: أربعة عشر وقيل: اثنا عشر وقيل: غير ذلك، وتوفى ﷺ، وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح وكذا أبو بكر وعمر وعائشة.

---

(1) سورة آل عمران آية ١٤٤.

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه

يقال: كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وهو رضى الله تعالى عنه ابن أبى قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن أسد بن تيم بن مرة، يلتقى هو ورسول الله فى مرة بن كعب بين كل منهما وبين مرة ستة أشخاص، وأمه أم الخير: سلمى بنت صخر بن عامر وهى بنت عم أبى قحافة، وقيل: اسمها ليلى بنت صخر بن عامر أسلمت قديماً حين كان المسلمون فى دار الأرقم، وسمى عتيقا؛ لأن النبى ﷺ نظر إليه فقال: هذا عتيق من النار، وفى رواية: من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر، وقيل: غير ذلك، وسماه النبى ﷺ صديقاً فقال: يكون بعدى اثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث إلا قليلا، وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحلف بالله تعالى أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق لتصديقه خبر الإسراء، وكان مولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام فيكون أصغر من النبى ﷺ بسنتين وأربعة أشهر وأيام وأسلم وهو ابن سبع وثلاثين، وقيل: ثمان وعاش فى الإسلام ستا وعشرين سنة، وهو أول من أسلم من الرجال قال فى عمدة التحقيق: رأيت فى بعض الكتب أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما كان تاجراً فى زمن الجاهلية كان سبب إسلامه أنه رأى يوماً فى منامه وهو بالشام أن الشمس والقمر نزلا فى حجره ثم أخذهما بيده وضمهما إلى صدره وأسبل عليهما رداءه. وذهب إلى راهب النصارى يسأله عن الرؤيا. فحضر عند الراهب وسأله عن الرؤيا وطلب منه التعبير. فقال له الراهب: من أين أنت؟ قال: من مكة. قال: ومن أى قبيلة؟ قال :من بنى تميم. قال: وما شأنك؟ قال: التجارة فقال له: يخرج فى زمانك رجل يقال له: محمد الأمين تتبعه، ويكون من قبيلة بنى هاشم وهو نبى آخر الزمان لولاه ماخلق الله السموات والأرضين وما يكون فيها وما خلق آدم وما خلق الأنبياء والمرسلين، وأنت تدخل فى دينه وتكون وزيره وخليفته من بعده ،وقد وجدت نعته وصفته فى الإنجيل والزبور، وإنى أسلمت وآمنت به وكتمت إسلامى خوفاً من النصارى. قال: فلما سمع أبو بكر صفة النبى ﷺ رق قلبه واشتاق إلى رؤيته وقدم مكة فوجده فكان يحبه ولا يصبر ساعة عن رؤيته. فلما طال الأمر قال له رسول الله ﷺ يوما: يا أبا بكر كل يوم تجىء إلى وتجلس معى ولا تسلم، فقال أبو بكر: إن كنت نبيا فلا بد لك من معجزة.

فقال النبى ﷺ: أما يكفيك المعجزة التى رأيتها بالشام وعبرها لك الراهب، فلما سمع ذلك أبو بكر قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله انتهى.

وأسلم على يده من العشرة: سيدنا عثمان، وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهم. (بويع له) فى السقيفة يوم وفاة رسول الله ﷺ، حيث ذهب هو وعمر بن الخطاب إلى سقيفة بنى ساعدة من الأنصار يتشاورون فى أمر الخلافة، فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الأنصار: منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، وكثر اللغط وارتفعت الأصوات فقال عمر لأبى بكر: أبسط يدك فبسط يده فبايعه، ثم بايعه المهاجرون، ثم الأنصار ثم كانت بيعة العامة من الغد وتخلف عن بيعته على بن أبى طالب وبنو هاشم والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عبادة الأنصارى، ثم بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلا سعد بن عبادة فإنه لم يبايع أحداً إلى أن مات. وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر من موت فاطمة على الصحيح. ولما ولى خطب الناس «فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخير منكم وإن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينونى وإن زغت فقومونى».

(صفة أبى بكر) كان نحيفا خفيف اللحم أبيض خفيف العارضين معروق الوجه ناتئ الجبهة غائر العينين يخضب بالحناء والكتم، وقوله: معروق الوجه، أى قليل اللحم، ولم يشرب الخمر لا جاهلية ولا إسلاماً، ولم يسجد لصنم قط شهد المشاهد كلها (وقد ورد فى فضله آيات وأحاديث كثيرة)، ففى الكشاف وغيره أن قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ﴾[1] الآية. نزلت فى أبى بكر وأبيه أبى قحافة عثمان وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو، قال على بن أبى طالب: الآية نزلت فى أبى بكر الصديق. أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره. قال البغوى فى تفسيره: اجتمع لأبى بكر إسلام أبويه وأولاده جميعاً فادرك أبو قحافة النبى ﷺ وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبى ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة انتهى. ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[2].

---

(١) سورة الأحقاف: ١٥.

(٢) سورة التوبة ٤٠.

أجمع المسلمون على أن الصاحب أبو بكر، ومنها: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (١). قال بعض المفسرين: نزلت فى أبى بكر وأبى سفيان بن حرب، ومنها قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾(٢) إلى آخر السورة، قال البغوى: فى حق أبى بكر عند الجميع وعن ابن عباس فى رواية عطاء فى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ (٣).

إنها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كذا فى تفسير البغوى، وعن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر لم يكن يحنث فى يمين حتى أنزل الله آية كفارة اليمن، وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى قوله: والذى جاء بالحق محمد وصدق به أبو بكر. قال ابن عساكر: هكذا الرواية ولعلها قراءة لعلى، وعن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٤). قال: نزلت فى أبى بكر وعمر، وعن ابن حاتم عن شوذب فى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾(٥).

قال: نزلت فى أبى بكر، وعن ابن عمر وابن عباس فى قوله تعالى: « وصالحوا المؤمنين»(٦) أنها أنزلت فى أبى بكر وعمر وعن الحسن البصرى فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٧). قال: هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتد العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام.

(من الأحاديث) ما أخرجه الشيخان عن جبير بن مطعم قال: أتت امرأة إلى النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك. كأنها تقول: الموت. قال: إن لم تجدينى فائتى أبا بكر، وعن أنس قال: بعثنى بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن أسأله إلى من ندفع له صداقاتنا فأتيته فسألته، فقال: إلى أبى بكر، وعن ابن عباس. قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ تسأله شيئاً فقال لها: تعودين، فقالت: يا رسول الله إن عدت فلم أجدك ـ تعرض بالموت فقال: إن جئت ولم تجدينى فائتى أبا بكر فإنه الخليفة من بعدى، وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ فى مرضه: ادعى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله، والمؤمنون إلا أبا بكر، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر. فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله؟، وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه: قال: جئت بأبى قحافة إلى النبى ﷺ فقال: له هلا تركت

---

(١) سورة الليل: ١ ـ ٤.
(٢) سورة الليل ١٧، ١٨.
(٣) سورة الزمر ٩.
(٤) سورة آل عمران ١٥٩.
(٥) سورة الرحمن ٤٦.
(٦) سورة التحريم: ٤.
(٧) سورة المائدة: ٥٤.

الشيخ حتى آتيه. قال: بل هو أحق أن يأتيك قال: إنا نحفظه لأيادى ابنه عندنا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ما أجد عندى أعظم من أبى بكر واسانى بنفسه وماله، وأنكحنى ابنته. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى، وعن ابن سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: إن من أمنّ الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام. وعن أبى الدرداء قال: رآنى النبى ﷺ أمشى أمام أبى بكر فقال: يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة؟ ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبى بكر رضى الله تعالى عنه. وعن على بن أبى طالب قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبى بكر، عمر رضى الله تعالى عنهما، وعن على رضى الله تعالى عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فاقبل أبو بكر وعمر. فقال: يا على. هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ولا تخبرهما يا على. قال: فما أخبرتهما حتى ماتا. وستأتى أحاديث أخر عامة فيهما رضى الله تعالى عنهما، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر: أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار، وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: لما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُم﴾[1]. قال أبو بكر: يا رسول الله لو أمرنى أن أقتل نفسى لفعلت. قال: صدقت، وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: حب أبى بكر وشكره واجب على أمتى، وعن عائشة مرفوعاً كلهم يحاسبون إلا أبا بكر، وقال رسول الله ﷺ: أبو بكر عتيق فى السماء عتيق فى الأرض، رواه الديلمى. وقال رسول الله ﷺ: أبو بكر أفضل هذه الأمة إلا أن يكون نبى، وقال رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق لذهب الإسلام وقال رسول الله ﷺ: مثل أبى بكر مثل اللبن فى الصفاء. وقال رسول الله ﷺ: مثل أبى بكر كالغيث أينما وقع نفع.

(ومن الأحاديث الواردة فى فضل أبى بكر وعمر معاً) ما روى أبو سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء: ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراى من أهل السماء: فجبريل وميكائيل، وأما وزيراى من أهل الأرض: فأبو بكر وعمر. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وذكر تمام العشرة، وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من

(١) سورة النساء: ٦٦.

المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما، وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال: هكذا نبعث يوم القيامة. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر وعمر، وعن أبى أروى الدوسى قال: كنت عند النبى ﷺ وأقبل أبو بكر وعمر فقال: الحمد لله الذى أيدنى بكما، وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: أتانى جبريل آنفا فقلت: يا جبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال: لو حدثتك بفضائل عمر بن الخطاب منذ مالبث نوح فى قومه ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبى بكر. وعن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر: لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما، وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حب أبى بكر وعمر ومعرفتهما من السنة، وعن بسطام بن مسلم قال: قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر: لا يتأمر عليكما أحد من بعدى، وعن أنس مرفوعاً: حب أبى بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر. وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه: أن النبى ﷺ قال: إن لكل نبى خاصة من أمته وأنا خاصتى من أصحابى أبو بكر وعمر.

(تنبيه) خص الله أبا بكر بأربع خصال: سماه الصديق ولم يُسم أحد الصديق غيره، وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، ورفيقه فى الهجرة، وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود، وعن أبى جعفر قال: كان أبو بكر من النبى ﷺ مكان الوزير فكان يشاوره فى جميع أموره، وكان ثانيه فى الإسلام، وثانيه فى الغار، وثانيه فى العريش يوم بدر، وثانيه فى القبر ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحدًا، (روى): أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما خرج مع رسول الله ﷺ متوجها إلى الغار جعل طوراً يمشى خلفه وطوراً عن يمين وطوراً عن شماله فقال عليه الصلاة والسلام: ما هذا يا أبا بكر؟. فقال: يا رسول الله ﷺ أذكر الرصيد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينا وشمالا. فقال: لابأس عليك يا أبا بكر الله معنا، (وكان) رسول الله ﷺ حافياً فحفى فحمله أبو بكر رضى الله تعالى عنه على كاهله حتى انتهى إلى الغار، فلما أراد النبى ﷺ، أن يدخل الغار قال أبو بكر: والذى بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده الغار فى ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شىء يؤذى رسول الله ﷺ فلما لم ير فيه شيئا دخل رسول الله ﷺ الغار، (وروى): أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه رأى فى الغار أحجاراً متعددة فصار يقطع ثوبه ويسد به، الأحجار فبقى جحر لم يفضل له شىء من الثوب فجلس قريباً منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والأفاعى تضربه وتلسعه فصارت دموعه

تنحدر، وكان النبى ﷺ قد نام وجعل رأسه فى حجره فصار يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبى ﷺ. فتنبه فقال: مالك؟. قال: لدغت. فتفل عليه فذهب ما يجده فلما أصبح سأله النبى عن ثوبه فأخبره الخبر فتوجه ودعا له وقال: اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة. فنودى إنه استجيب لك، (وروى): أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما رأى القَافَةَ وفتيان قريش بسهامهم وسيوفهم وقوفاً على فم الغار اشتد حزنه وقال: إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت يا رسول الله هلكت الأمة. فقال: لا تحزن إن الله معنا وأنزل الله سكينته عليه، أى على أبى بكر؛ لأنه هو الذى انزعج وهى أمنة تسكن لها القلوب، وفضائل أبى بكر رضى الله تعالى عنه لا تحصى ومناقبه لا تستقصى (كان رضى الله تعالى عنه) أشجع الصحابة وأثبتهم فى دين الله، ففى «معالم التنزيل» لما قبض رسول الله ﷺ وانتشر خبر وفاته ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين، ومنع بعضهم الزكاة فهم أبو بكر بقتالهم فكره ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، وقال عمر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ:أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم؟، فقال له أبو بكر: أليس قد قال إلا بحقها؟ ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والله لو منعونى عقالا، وفى رواية: عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه ولو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى. فقال عمر بن الخطاب: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. قال عمر بن الخطاب: والله لقد رجح إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً فى قتال أهل الردة انتهى.

وفى مدة خلافته اليسيرة فتح فتوحات كثيرة فأول ما بدأ به بعد خلافته أنه أنفذ جيش أسامة، وكان قد استصغر قوم من الصحابة أسامة وقالوا لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: قل لأبى بكر يرجع بالمسلمين فإن أبى ألا يفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة. فجاء عمر بن الخطاب إلى أبى بكر وذكر له ذلك فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه:لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ. فرجع عمر إلى الأنصار وذكر لهم مقالة أبى بكر رضى الله تعالى عنه. فقالوا له: لابد وأن تراجع أبا بكر فى ذلك. فراجعه عمر رضى الله تعالى عنه فقام أبو بكر وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمل رسول الله ﷺ أسامة وأمره وتأمرنى أن أنزعه، فعند ذلك رجع عمر رضى الله تعالى عنه إلى الناس وأخبرهم، فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر، فقال أسامة لأبى بكر: يا خليفة رسول الله والله لتركب أو لأنزلن فقال أبو بكر: والله لا أركب ولا تنزل وما ضرنى أن أُغَبِّرَ قدمى ساعة فى سبيل الله، وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش إلى

الروم فلما وصل أسامة إلى «بنى كحبلى» شن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وأصاب الغنائم، وكان أسامة على فرس أبيه؛ وقتل قاتل أبيه، لأن أباه كان قد استشهد فى سرية مؤتة وكانت كذلك بالروم، (وفتح) أبو بكر اليمامة وَقَتَلَ مسيلمةَ الكذاب، وقاتل جموعَ أهلِ الردّةِ إلى أن رجعوا إلى دين الله، وفتح أطراف العراق وبعض الشام.

●●●●●

فصل
فى ذكر بعض كلامه

فى المحاضرات كان رضى تعالى عنه يقول فى خطبته: أين القضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشأنهم؟، أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوا بالحيطان؟، أين الذين كان يعطون الغلبة فى مواطن الحرب؟. قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا فى ظلمات القبور الوحى الوحى[1] النجاء. وفى المحاضرات أيضاً قال: لما مرض رسول الله ﷺ عاده أبو بكر الصديق. رضى الله عنه فشفى رسول الله ﷺ ومرض أبو بكر فعاده رسول الله فشفى حين عاده كما مرض حين عاده فقال الصديق رضى الله تعالى عنه فى ذلك:

مَرِضَ الحبيبُ فَعُدْتُه ... فمرضتُ من حَذرى عليه
شُفى الحبيبُ فعادَنى ... فشُفيتُ مِنْ نظرَى إليه

ومن كلامه رضى الله تعالى عنه كما فى طبقات الشعرانى: أكْيَس الكَيِّس: التقوى، وأحمق الحمق: الفجور، وأصدق الصدق: الأمانة، وأكذب الكذب: الخيانة.

وكان يقول رضى الله تعالى عنه: إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه، وكان رضى الله تعالى عنه يقول لمن يعظه: يا أخى إن أنت حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك، وكان يقول: إن العبد إذا دخله العجب بشىء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة، وكان يقول: يا معشر المسلمين استحيوا من الله، فو الذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى القضاء متقنعاً استحياء من ربى عزَّ وجلَّ، وكان يقول رضى الله تعالى عنه: ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل، وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول: هذا الذى أوردنى الموارد، وكان إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذه فيقال له: هلا أمرتنا؟ فيقول: إن رسول الله ﷺ أمرنى ألا أسأل الناس شيئاً، وكان إذا أكل رضى الله تعالى عنه طعاما فيه شبهة ثم علم به استقاءه من بطنه ويقول: اللهم لا تؤاخذنى بما شربته العروق وخالط الأمعاء انتهى. ولما ولى الخلافة، قال: إنى وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصرى. قال: بلى ولكن المؤمن بهضم نفسه، وكان رضى الله تعالى عنه إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم، اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون.

---

(١) يقال فى الاستعجال: الوحى الوحى. اللسان (وَحَى).

(**لطيفة**) سئل بعض التابعين هل رأيت أبا بكر؟. قال: نعم رأيت ملكا فى زى مسكين. وفى «المحاضرات والمسامرات» لما حضرته رضى الله تعالى عنه الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه. فقال: «أوصيك بوصية إن أنت قبلتها عنى إن لله عزّ وجلّ حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله حقا بالنهار لا يقبله بالليل وإنه عزَّ وجلَّ لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة. اعلم أن الله عزَّ وجلَّ ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم فيقول القائل: أين يقع عملى فى عمل هؤلاء؟ وذلك أن الله عزّ وجلّ تجاوز عن سيئ أعمالهم ولم يثربه. واعلم أن الله عزّ وجلّ ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ويقول قائل: أنا خير من هؤلاء عملا وذلك أن الله عزَّ وجلَّ رد عليهم أحسن أعمالهم فلم يقبله ألم تر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه فى الآخرة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حق أن يثقل، ألم تر إنما خفت موازين من خفت موازينه فى الآخرة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخف ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطل أن يخف. ألم تر أن الله عزَّ وجلَّ أنزل آية الرخاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرخاء لكى يكون العبد راغبا راهبا لا يلقى بيده إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق، فإن أنت حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ولن تعجزه». عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كتب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وصية بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهى الفاجر ويصدق الكاذب، إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظنى به ورجائى فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]. قال أبو سليمان: الذى كتب وصية أبى بكر عثمان بن عفان رضى الله عنهما. وكان قاضيه عمر بن الخطاب، وكاتبه عثمان بن عفان و زيد بن ثابت وحاجبه شديداً مولاه وصاحب شرطته أبا عبيده بن الجراح وهو أول من اتخذ الحاجب وصاحب الشرطة فى الإسلام، وكان خاتمه خاتم رسول الله ﷺ كان من ورق نقشه محمد رسول الله وكان بعده فى يد عمر ثم كان فى يد عثمان حتى وقع فى بئر أريس من معيقيب، ومروياته من الأحاديث مائة حديث واثنان وأربعون حديثا، وفى المحاضرات مائة واثنان وثلاثون، والله أعلم.

(تتمة فى مرضه وموته وغسله وما يتصل بذلك وأولاده رضى الله تعالى عنه)، عن ابن شهاب أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لأبى بكر فقال الحرث لأبى بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد فرفع أبو بكر يده فلم يريا إلا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة. وقيل: إنه اغتسل فى يوم بارد فَحُمّ ومرض خمسة عشر يوما لايخرج للصلاة،

---

(١) سورة الشعراء: آية ٢٢٧.

وكان عمر يصلى بالناس. وقيل: سبب موته تحرك سُمُّ الحية التى لدغته فى الغار ذكره ابن الأثير، وقيل: غير ذلك. ومات ليلة الثلاثاء وقيل: يوم الجمعة لسبع بقين من، جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح وفى الاكتفاء آخر ما تكلم به أبو بكر: رب ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾[1]. ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه. ارتجت المدينة بالبكاء، ودهش القوم كيوم موت رسول الله ﷺ، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته، فهى أول امرأة غسلت زوجها فى الإسلام. وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وقال: إذا أنا مت فجيئوا بى على الباب يعنى باب البيت الذى فيه قبر رسول الله فادفعوه فإن فتح لكم فادفنونى، قال جابر: فانطلقا فدفعنا الباب وقلنا: هذا أبو بكر الصديق قد اشتهى أن يدفن عند النبى ﷺ. ففتح الباب، ولا ندرى من فتح لنا وقال: ادخلوا ادفنوه كرامة ولا نرى شخصاً ولا شيئاً . كذا فى الصفوة. وفى رواية سمعوا صوتاً يقول: ضموا الحبيب إلى الحبيب. وصلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر وحمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله ﷺ وهو سرير عائشة رضى الله تعالى عنها ، وكان من خشبتين ساجا منسوجا بالليف وبيع فى ميراث عائشة رضى الله تعالى عنها بأربعة آلاف درهم فاشتراه مولى لمعاوية وجعله للمسلمين، ويقال: إنه بالمدينة. ونزل فى قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر ،ودفن ليلا فى بيت عائشة مع النبى ﷺ، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ.

(وأما أولاده) فستة ثلاثة بنين وثلاث بنات، أما الذكور (فعبد الله) وهو أكبر أولاده الذكور وأمه: قُتَيْلة. ويقال: قَتَلَة بدون تصغير من بنى عامر بن لؤى شهد عبد الله فتح مكة وحنيناً والطائف مع النبى ﷺ جرح بالطائف، رماه أبو محجن الثقفى بسهم فاندمل جرحه إلى خلافة أبيه، ومات فى خلافته فى شوال سنة إحدى عشرة، دفن بعد الظهر وصلى عليه أبوه، ونزل فى قبره أخوه عبد الرحمن وعمر وطلحة بن عبيد الله، أخرجه أبو نعيم بن مندة وأبو عمر. كذا فى أسد الغابة . (وعبد الرحمن) ويكنى أبا عبد الله وقيل: أبا محمد وقيل: غير ذلك أمه: أم رومان بنت الحرث من بنى فراس بن غنم بن كنانة أسلمت وهاجرت، وكان عبد الرحمن شقيق عائشة رضى الله تعالى عنها شهد بدراً وأحداً مع المشركين، وكان من الشجعان وكان رامياً حسن الرمى له مواقف فى الجاهلية والإسلام مشهورة دعا إلى البراز يوم بدر، فقام إليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ: متعنى بنفسك ثم من الله عليه فأسلم فى هدنة الحديبية، وكان اسمه عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الرحمن وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل سبعة

---

(١) سورة يوسف: ١٠١ .

من أكابرهم، وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشـة. ومات بمكة قبل أن تتم البيعة ليزيد فجأة سنة ثلاث وخمسين. ومروياته فى كتب الأحاديث ثمانية، وله عقب نقله بعضهم (ومحمد) يكنى: أبا القاسم أمـه: أسماء بنت عـميس الخثعـمية، وهى من المهاجـرات الأول. كانت تحت جعفر بن أبى طالب وهاجرت معه إلى الحبشة ولما استشهد جعفر بمؤتة من أرض الشام تزوجها بعده أبو بكر فـولدت له محمدا بذى الحليفة لخمس ليـال بقين من ذى القعدة سنة عشر من الهجرة وهى شاخـصة إلى الحج فى حجة الوداع مع النبى ﷺ وأبى بكر، فأمرها النبى ﷺ أن تغتسل وترحل ثم تهل بالحج تصنع ما يصنع الحاج، إلا أنها لا تطوف بالبيت فكانت سبـبا لحكم شـرعى إلى قيام الـساعة رضى الله عنهـا، ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه تزوجـها على بن أبى طالب فنشأ مـحمد ولدها فى حجـر على رضى الله تعالى عنهما، وكان معه يوم الجمل وشهد معه صفـين، وولاه سيدنا عثمان مصر وكتب له العهد فكان سببا لاستشهاده وولاه أيضـا على رضى الله تعالى عنه مصر مكان قيس بن سعد بعد رجوعه من صـفين؛ وفى تاريخ ابن خلكان وغيره: أن على بن أبى طالب ولى مـحمد بن أبى بكر الصديق مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين من الهـجرة فأقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام ومعهم معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم فى آخـره هكذا ضبطه بعضهم فاقتتلوا وانهزم محمد بن أبى بكر واختـفى فى بيت مجنونة فمر أصـحاب معاوية بن حـديج ببيت المجنونة وهى قاعـدة على الطريق وكان لها أخ فى الجيـش فقالت: تريدون قتل أخى قـالوا: لا. قالت: هذا محمد بن أبى بكر داخل بيتى فأمر معـاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض، وأتوا به إلى معاوية فـقال له محمد: احفظنى لأبى بكر فـقال له: قتلت من قومى فى قصة عثمان ثمانين رجلا أتركك وأنت صاحبه لا والله. فقتله فى صفر سنة ثمان وثلاثين، وأمر به معاوية أن يجر فى الطريق فى جيفة حمـار. وقيل: وضعه حيا فى جيفة حمار ميت وأحرقه، هذا وسببه دعوة أخته عائشة لما أدخل يده فى هودجها يوم الجمل وهى لا تعرفه فظنته أجنبـياً فقالت: من هذا الذى يتعرض لحـريم رسول الله أحرقه الله بالنار. قال: يا أختاه قولى بنار الدنيا قالت: بنار الدنيا. (ودفن) فى الموضع الذى قتل فيه فلما كان بعد سنة من دفنه أتى غلامه وحـفر قبره فلم يجد فيه إلا الرأس فأخـرجه ودفنه فى المسجد تحت المنارة، وقيل: فى القبلة (وأما البنات): فعائشة أم المؤمنـين رضى الله عنها شقيقة عبد الرحـمن تزوجهـا رسول الله ﷺ وكـانت أحب الناس إليه وورد «وقـيل: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: عائشة فقـيل: ومن الرجال؟ قال: أبوها». وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بها فى الكلام عن أزواجـه ﷺ (وأسماء) بنت أبى بكر شقيقة عـبد الله وهى أكبر بناته وتدعى ذات النطاقـين لأنها قطعت نطاقهـا وربطت به على فم الجراب الذى فـيه زاد

الهجرة، وكان فى بيت أبى بكر. قالت عائشة فى حديث الهجرة: فجهزناها أحسن الجهاز ووضعنا لها سفرة فم جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، ذكر أهل السير أن أسماء بنت أبى بكر قالت: لما خفى علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقال: أين أبوك؟ فقالت: والله لا أدرى. فلطم خدى لطمة حتى خرَّ منها قرطى. ولما لم ندر أين توجه؟. سمعنا صوت جنى ولم نر شخصه ينشد أبياتا فقال:

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خَيْرَ جزائه رفيقين حَلاَّ خيمتى أُمِّ معبد

إلى آخر الأبيات، فلما سمعنا قوله علمنا أين توجه النبى ﷺ، تزوج أسماء سيدنا الزبير بن العوام بمكة، وولدت له عدة أولاد ذكور وإناث، (فأما الذكور): فالمنذر وعبد الله وعروة وهو أحد الفقهاء السبعة، (وأما الإناث): فخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة فجملتهن: ستة ثلاثة ذكور وثلاث إناث. ثم طلقها فكانت مع ولدها عبد الله بن الزبير بمكة حتى قتله الحجاج. وغسلته بماء زمزم بمحضر من الصحابة وغيرهم ولم ينكر عليها أحد منهم واستدل به الفقهاء على جواز إزالة النجاسة بماء زمزم. فكانت سببا لإظهار حكم إلى يوم القيامة رضى الله عنها وعاشت بعده قليلا. وعمرتَ مائة سنة ولم يسقط لها سن، وماتت بمكة، (وأم كلثوم) وهى أصغر بنات أبى بكر رضى الله تعالى عنه. أمها: حبيبة بنت خارجة بن زيد، كان أبو بكر قد نزل عليه فى الهجرة فتزوجها وتوفى عنها وتركها حبلى فولدت بعده أم كلثوم هذه، وتزوجها طلحة بن عبيد الله، ذكره ابن قتيبة وغيره ولم أقف لها على وفاة.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عـدى بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب، يلتقى هو ورسـول الله فى كعب، وأمه: حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عـبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان مولده فى السنة الثـالثة عشرة من مولده ﷺ، وقيل: غير ذلك ولم يزل اسمه فـى الجاهلية والإسلام عمر، وكناه رسول الله ﷺ بأبى حفص، وهو ولد الأسد، وكان يوم بدر ذكره ابن إسحق، وسماه رسول الله ﷺ بالفاروق يوم أسلم فى دار الأرقم، وبه تم المسلمون أربعين فخرجوا وأظهروا الإسلام ففرق الله بعمر الحق من الباطل ولما أسلم نزل جبريل وقال: يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. وهو أول مـن دعى أمير المؤمنين، وأول من كتب التـاريخ، وأول من أشار على أبى بكر بجمع القرآن فى المصحف، وجمع الناس فى قيـام شهر رمضان، وأول من حمل الدرة لتأديب الناس وتعزيرهم، ووضع الخـراج ومصر الأمصار، واستقـضى القضاة. وكان نقش خاتمه كـفى بالموت واعظاً يا عمر، وكان يخـتم بخاتم رسول الله ﷺ. وفى سبـب إسلامه رضى الله عنه أقوال أشـهرها مـا ورى: أن قريشاً اجـتمعت فـتشاورت فـى أمر النبى ﷺ فقـالوا: أى رجل يقتله؟ فقـال عمر بن الخطاب. أنا لهـا فقالوا: أنت لهـا يا عمر فـخرج متقلداً سيفه طالبا للنبى ﷺ، وكان النبى ﷺ مع أصحابه فى منزل حمزة فى الدار التى فى أصل الصفا فلما خرج عمر إلى الصفا، لقيه سعد بن أبى وقاص الزهرى فقال: أين تريد يا عمر؟ فقـال: أريد أن أقتل محمداً .قال: أنت أحقـر وأصغر من ذلك فكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة، وقد قتلت مـحمداً؟. فقال: عمر مـا أراك إلا قد صبأت وتركت الدين الذى أنت عليه، وفى رواية: لعلك قد صبأت إلى محمد فابدأ بك فأقتلك، فعند ذلك قال سعد: اعلم أنى آمنت بمحـمد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله. فسل عمر سيفه وكشف سـعد عن سيفه وشد كل واحد منهما على الآخر حـتى كادا أن يختلطا فقال سعد: ما لك يا عمـر لا تصنع هذا بأختك آمنة بنت الخطاب، وفى« المواهب» فاطمة بنت الخطاب، وزوجها سعيـد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: أأسلما؟ قال: نعم. فـتركه عمر وسار إلى منزل آمنة مـسرعاً حـتى أتاهما وعندهمـا رجل من الأنصار يقال له: خـباب بن الأرت وهم يقرءون سورة طه، فلما سمع خباب صـوت عمر توارى فى البيت فدخل عمر عليهمـا فقال: ما هذه الهيـمنة التى سمعتهـا عندكم؟. فقالا: ما عدا حـديثاً حدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبأتما. فقال له: ختنه أرأيت يا عمر إن كان الحق فى غير دينك؟. فوثب

عمر على ختنه سـعيد وبطش بلحيته فتواثبـا، وكان عمر رجلا شديداً قوياً فضـرب بسعيد الأرض وجلس على صدره، فجاءت أخته فدفعتـه عن زوجها، فلطمها عمر لطمة شج بها وجهها فلمـا نظرت إلى الدم على وجهها، غضبت وقـالت: يا عدو الله أتضربنى على أن أوحد الله؟ قال: نعم، وفى رواية قالت: يا عمر إن كان الحق فى غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محـمداً رسول الله، لقد أسلمـنا على رغم أنفك فاصنع ما أنت صـانع، فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها فقـصد ناحية ثم. قال: اعرضوا علىّ الصحيفة التى كنتم تدرسونها وكان عـمر يقرأ الكتب. فقالت أختـه: لا أفعل. قال: ويحك قد وقع فى قلبى ما قـلت فأعطنيهـا أنظر إليهـا وأعطيك من المواثيق ألا أخونك حـتى تحرزيهـا حيث شئـت. قالت له أختـه: إنك رجس فـانطلق فاغـتسل أو توضـأ فإنه كـتاب لا يمـسه إلا المطهرون، فخرج عمر ليغتسل وخرج إليـها خباب بن الأرت فقال: أتدفعين كتاب الله إلى عمر وهو كافر؟ قالت: نعم إنى أرجو أن يهدى الله أخى، فدخل خباب البيت وجاء عمر، فدفعت إليه الصحيفة فإذا بها« بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن إلى قوله» ﴿إننى أنا الله لا إله أنا فاعبـدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾[1]، فقال عمر: عند هذه ينبغى لمن يقول هذا ألا يعبد مـعه غيره. فقال عمـر: دلونى على محمد فلما سمع خبـاب قول عمر خرج من البيت وقال: أبشر يا عمر فـإنى أرجو أن تكون سبقت فيك دعوة رسول الله ﷺ البـارحة قـال: اللهم أعـز الإسـلام بعـمر بن الخطـاب، أو بأبى جهل بـن هشام. وذكـر الدارقطنى أن عائشة قالت: إنما قال رسول الله ﷺ: اللهم أعز عمر بالإسلام؛ لأن الإسلام يعز ولا يعز فقال عمر: يا خباب انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فقام خباب وسعيد معه حتى أتوا منزل حمزة دار الأرقم التى بأصل الصـفا، فدقوا الباب فخـرج بعض الأصحاب فنظر فى شق الباب فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يـا رسول الله هذا عمر نعوذ بالله من شره. فقال: افتحوا له البـاب فإن جاء بخير قبلناه وإن جاء بشر قتلناه ففـتح لعمر الباب فدخل، فاستقبله رسول الله ﷺ فى صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه. وفى رواية أخذ بساعده وهزه، فارتعد عمر هيبة لرسول الله ﷺ وأجلسه فقال: أما أنت بمُنْتَه حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليـد بن المغيرة يعنى الخـزى والنكال اللهم هذا عمـر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب. فقال عمر: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» فكبر أهل الدار تكبيـرة سمعها أهل المسجد وفى رواية سمعت بطرف مكة فقال: رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حـييتم. فقال: فـفيم الإخفاء؟ وفى رواية قـال: يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على البـاطل؟ فقال يا عمر: إنا قليل وقـد رأيت ما لقينا

(١) سورة طه آيات: ١ ـ ١٤.

فقال عمـر: والذى بعثك لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفـر إلا جلست فيه بالإيمان. ثم خرج فى صفـين حمزة فى أحدهمـا وعمر فى الآخر له كديد ككديد الطـحين حتى دخلوا المسجد فنظر قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتـهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماه رسول الله ﷺ يومئذ: الفاروق، وكـان إسلامه رضى الله تعالى عنه بعد إسلام سيدنا حـمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست على الراجح.

(صفته) كان أبيض اللون يعلوه حـمرة أصلع شديد حمـرة العينين، فى عارضيـه خفة أضبط وهو الذى يعمل بكلتا يديه على السواء، وصفته فى التوراة قال وهب: قرن من حديد أمين شديد والقـرن الجبل الصغير، وقد ورد فى فـضله رضى الله تعالى عنه آيات وأحاديث كثيـرة، منها ما هو خاص به، ومنها ما هو مـشترك بينه وبين أبى بكر، وقد مر بعـضها فى ترجمة أبى بكر.

(وهذه نبذة من الأحاديث الخاصة به) عن أم سلمـة عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسـول الله ﷺ: قد كان فى الأمم محـدثون فإن يكن فى أمتى مـنهم فهو عمـر، قال بعضهم: المحـدث بالكسر على صيغـة اسم الفاعل روای الحديث وبالفتح على صـيغة اسم المفعول الملهم صـاحب الكشف والمكاشفة ولعله المراد ا هـ. وقـال رسول الله ﷺ: قال لى جبـريل: ليبكين الإسـلام على موت عمـر. رواه الطبرانى، وقـال رسول الله ﷺ: لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر. رواه الديلمى، وقال رسول الله ﷺ: لو كان نبى بعدى لكان عمر ابن الخطاب. رواه الإمـام أحمد وقال رسول الله ﷺ: لـو نزل عذاب ما أفلت إلا ابن الخطاب. رواه ابن مـردويه وقال رسول الله ﷺ: عـمر بن الخطاب سـراج أهل الجنة رواه البزار وقال رسول الله ﷺ: مـا لقى الشيطان عمر إلا خر لوجهه وما سـمع حسه إلا فر. رواه الحكيم الترمذى فى النوادر. وقال ﷺ: ما طلعت الشـمس على رجل خير من عمر. رواه الترمـذى، وقال رسـول الله ﷺ: يا أخى يا عمـر لا تنسنا من دعـائك. رواه الإمام أحمـد، وقال رسول الله ﷺ: كـاد أن يصيبنا فى خـلافك شر يا عـمر. رواه الديلمى فى مسند الفردوس، وقال رسول الله ﷺ: رضا الرب رضا عمر. رواه الحاكم وقال رسول الله ﷺ: لو لم أبعث لبعث بعدى عمر، رواه الديلمى، وقال رسول الله ﷺ: يا عمر إنك لذو رأى رشيد فى الإسلام .رواه أبو داود.

(ومن الأحاديـث المشتركـة زيادة على ما مـر) صالحـو المؤمنين أبو بكر وعـمر. رواه الطبرانى. أبو بكر وعمـر منى بمنزلة السمع والبصر. رواه الترمذى. أبو بكر وعـمر سراجا أهل الجنة رواه الديلمى. أبو بكر وعمـر مِنِّى بمنزلة هرون من موسى. رواه الخطيب. (بويع له بعد موت أبى بكر رضى الله عنه) لثـمان بقين من جمادى الآخـرة سنة ثلاث عشرة من

الهجـرة. ولما دفن أبو بكر رضى الله عنه صعد المـنبر فجلس دون مـجلس أبى بكر ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: «أيها الناس إنى داع فأمنوا اللهم إنى غليظ فألنى إلى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقنى الغلظة والشدة على أعـدائك من غير ظلم منى ولا اعتـداء عليهم، اللهم إنى شحيح فـسخنى فى نوائب المؤن قصد من غير سرف ولا تبـذير ولا رياء ولا سمعة أبتغى بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة، وارزقنى خفض الجناح ولين الجـانب للمؤمنين، فإنى كثير الغـفلة والنسيان، وألهمنى ذكـرك على كل حال، ثم قال: ألا ورب الكعبـة لأحملنهم على الطريق» ثم نزل رضى الله عنه. عن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال: استأذن عمر رضى الله تعالى عنه على النبى ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثـرنه عالية أصواتهن على صوته فلما أذن له النبى ﷺ تبادرن الحجاب، فدخل ورسـول الله ﷺ يضحك فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله فقـال رسول الله ﷺ عجبت من هؤلاء اللاتى كن عـندى فلما سمعن صـوتك تبادرن الحجاب، فقال عمر: فـأنت يا رسول الله بأبى وأمى كنت أحق أن يهبنك. ثم أقبل عليهن فقال: أى عدوات أنفسـهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ؟. قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أيها يا ابن الخطاب فـوالذى نفس محمد بيده ما لقيك الشيـطان سالكاً فجا إلا سلك فجـا غير فجك، وكـان فى أيامه فتوح الأمـصار منها دمشق من أيدى الروم، وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان وسار بنفسه ففتح بيت المقدس صلحاً وفـتحت أيضاً بـعلبك وحمص وحلب وقنسرين وأنـطاكية وجلولاء والرقـة وحران والموصل والجزيرة ونصـيبـين وآمد والرها والقادسـية والمدائن، وزال ملك الفـرس، وانهزم يزدجرد ملك الفرس ولجأ إلى فرغانة والترك، وفتحت أيضاً كور دجلة والأبلة وفتحت كور الأهواز، والجابية، وفتـحت نهاوند واصطخر وأصفهان وبلاد فارس وتسـتر وسوس وهمذان والنوبة والبـربر وأذربيـجـان، وبعض أعـمــال خـراسـان، نقله بعـضــهم عن الرياض النضرة، وفـتحت مـصر على يد عـمرو بن العاص غـرة المحرم سنة عـشرين، وفـتح أيضا الإسكندرية وطرابلس الغرب ومـا يليها من السـاحل. وفى «حياة الحيـوان» عُدّ مما فتح فى أيامه رأس العين وخابور وبيسان ويرموك والرى وما يليها.

(كرامتان): الأولى: لما فتح عمرو بن العاص مصر أتاه أهلها وقالوا: إن النيل يحتاج فى كل سنة إلى جارية بكر من أحسن الجـوارى فنلقيها فيه وإلا فـلا يجرى وتخرب البلاد وتقحط، فبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بالخبر فبعث إليه عمر: الإسـلام يجب ما قبله، وبعث إليه بطاقةً وأمره أن يلقيها فى النيل فأخذها عمرو بن العاص فقرأها فإذا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم» من عبد الله

أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر ذكرها غير واحد. (الثانية): عن عمرو ابن الحرث قال: بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة ونادى: يا سارية الجبل. مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته. فقال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنه لمجنون ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل. فدخل عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط إليه فقال: يا أمير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالا: بينما أنت فى خطبتك إذ ناديت يا سارية الجبل. أى شىء هذا؟. فقال: والله ما ملكت ذلك حين رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملك أن قلت. يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل. فلم يمض إلا أيام حتى جاء رسول سارية بكتابه أن القوم لاقونا يو الجمعة فقاتلناهم من حين صلاة الصبح إلى أن حضرت الجمعة فسمعنا صوت مناد ينادى: يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله. اهـ. من الرياض النضرة، قال بعضهم: يقال: فى جبل نهاوند غار سمع منه سارية نداء عمر وإلى الآن يعظم ذلك الغار ويتبرك به.

(نوادر): الأولى: رفع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن الحطيئة آذى الناس بهجائه فاستحضره وأنبهه وأهمّه أنه يقطع لسانه. فقال الحطيئة: بالله يا أمير المؤمنين إلا ما قتلتنى فقد هجوت والله أمى وأبى وامرأتى ونفسى. فقال له عمر: ما الذى قلت فى أمك وأبيك؟ قال: قلت فيهما:

ولقد رأيتُك فى النساء فَسُؤْتِنى ... وأبا بَنيك فساءَنى فى المجلسِ

وقلت فيها أيضا:

تَنَحَّى فاجْلسى منى بعيداً ... أراح اللهُ منك العالمينا
أغِرْبَالا إذا استَوْدَعْتِ سراً ... وكانونا على المتحدثينا

ثم قلت فى امرأتى:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثُمَّ آوى ... إلى بيتٍ قَعِيدَتُه لكاعِ

ثم نظرتُ فى بئر فرأيتُ وجهى فاستقبَحْتُه فقلتُ:

أبَتْ شَفَتَـاى اليـومَ إلا تَكَلُّمـا بشَرٌّ فـمـا أدرى لمَنْ أنا قائلُه؟
أرَى لِىَ وَجْهـا قبّحَ اللهُ خَلْقَه فَقُبِّحَ مـن وَجْه وقُبِّحَ حـامـلُه

فأمر به فسجن، فكتب إليه بعد أيام يقول:

مـاذا تقـولُ لأفـراخٍ بذى مَرَخٍ ضُمْرُ الحـواصلِ لا مـاءٌ ولا شـجـرُ
ألقيتَ كـاسـبَهم فـى قـعـر مظلمـة فـاغـفـرْ عليـك سـلامُ الله يا عـمـرُ
أنتَ الإمـام الذى من بعـد صـاحـبـه ألقتْ إليك مـقـاليـدُ النُّهى الـبـشـر
مـا آثروكُ بـهـا إذ قدّمُوك لهـا لا بل لأنفـسـهـم قـد كـانت الأثر

فأمر به فأحضر فاستتابه وخلى سبيله كذا فى المحاضرات. (الثانية): مر سيدنا عمر رضى الله عنه فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول:

ألا طالَ هـذا الليلُ وازورَّ جـانبُه ولـيـس إلى جـنـبـى حلـيـلٌ ألاعبُه
فـو الله لـولا اللهُ تُخْشَى عـواقبُه لَحَرِّكَ من هـذا السـريـرِ جـوانبَه
مـخـافـةُ ربى والحـيـاءُ يَعـفُّنى وأُكْرِمُ بَعْلِى أن تنـالَ مـزاتبـه

فسأل عمر رضى الله عنه عنها فقيل له: إنها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله عنه ألا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر. (الثالثة): ذكر ابن الجوزى فى كتابه تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال: بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول:

هل مِنْ سـبـيلٍ إلى خـمـرٍ فأشـربُهـا أم من سـبـيلٍ إلى نصـرِ بنِ حـجـاجِ
إلى فـتـى مَاجدِ الأعـراقِ مـقـتـبلٌ سـهلُ المحيـا كـريمٌ غـيـرُ ملجـاجِ
تُنَمِّيـه أعـراقُ صـدقٍ حين تَنْسُبُـه أخـا وفـاءٍ عـن المكروب فـراجِ

فقال عمر رضى الله عنه: لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف العواتق به فى خدورهن: علىّ بنصر بن حجاج، فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج. فإذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعراً فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين: لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر. فقال له: اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه. فقال له عمر: والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها. فقال: يا أمير المؤمنين ما ذنبى؟ قال: هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التى سمع عمر منها ما سمع أن يبدو من عمر إليها شىء فدست إليه المرأة أبياتا وهى:

قُلْ للإمـــــامِ الـذى تُخْشَى بوادرهُ	ما لى وللخـمرِ أو نصرِ بنِ حـجاجِ
لا تجـعلِ الظَنَّ حـقـا أن تبـينه	إن السـبـيلَ سبـيلُ الخـائف الراجى
إنّ الهـوى ذُمَّ بالتـقـوى فـتحَبسه	حـتـى يقـرَّ بإلجـامٍ وإسـراجِ

قال: فبكى عـمر رضى الله عنه وقال: الحمد لله الذى ذُمّ الهوى بالتـقوى قال: وطال مكث نصر بن حجاج بالبصـرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والإقامة متعـرضة لعمر، فإذا هو قد خرج فى إزار ورداء وبيده الدرة فقالت له، يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عـبد الله وعاصم إلى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والأودية. فقـال لها: إن ابنى لم تهـتف بهما العـواتق فى خدورهن. ثم أرسل عـمر إلى البصرة بريداً إلى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فإن بريداً خـارج فكتب نصر بن حجاج« بسم الله الرحمن الـرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعدفاسمع الأبيات منى هذه:

لعـمـرى لئن سـيرتَنى أو حـرمْـتنى	ومـا نلتَ من عرضى عليكِ حـرامُ
فـأصبـحتُ منفـيـا على غـير ريبة	وقـد كـان لى بالمكّتَيْنِ مـقـام
لئن غَنّت الـذلفـاءُ يومـا بمُنْيَـة	وبعـضُ أمـانى النسـاء غـرامُ
ظننـتَ بى الظنّ الذى لـيس بعـده	بقـاءُ ومـا لى جـرمـةُ فـألامُ
فـيـمنعنـى مما تقـولُ تكَرُّمى	وآباء صـدق سـالـفـون كـرامُ
ويمنعُهـا مما تقـولُ صـلاتُهـا	وحـال لهـا فى قـومها وصـيامُ
فـهـاتان حَالاَنا فـهل أنتَ راجـعى	فـقـد جُبَّ منى كَاهلٌ وسـنامُ

قال: فلما قرأ عمر هذه الأبيات قال: أما ولى السلطان فلا، وأقْطعَه داراً بالبصرة، فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة . اهـ من المستطرف.

(فوائد): الأولى جاء رجل إلى عمر رضى الله عنه يشكو إليـه خلق زوجته، فوقف ببابه ينتظره فسمع امـرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليـها. فانصرف الرجل قائلا: إذا كـان هذا حال أمير المؤمـنين عمر بن الخطاب فكيف حـالى؟. فخرج عمـر فرآه موليا، فناداه مـا حاجتك يا أخى؟ فقال: يا أميـر المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتى واستطالتها على فسمعت زوجتك كـذلك فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى؟ فـقال له عمر: تحملتها لحـقوق لها على فإنها طباخـة لطعامى خبازة لخـبزى غـسالة لثيـابى مرضـعة لولدى ولـيس ذلك بواجب عليهـا وسكن قلبى بهـا عن الحرام، فأنا أتحملها لذلك. فقال الرجل: يا أميـر المؤمنين وكذلك زوجتى. قال: فتحملها يا

أخى فإنما هى مدة يسيرة. اهـ. عبد البر من حاشية البجيرمى على المنهج. (الثانية): وقف أعرابى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال:

يا عمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنةَ　　　اكسُ بنياتى وأُمّهُنّه
أُقسم بالله لتَفْعَلَنّه

فقال عمر رضى الله عنه: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

تكونُ عن حالى لتَسْألَنّه　　　يوم تكونُ الأعطياتُ منّه
والواقفُ المسئولُ بَيْنَهُنّه　　　إمّا إلى نارٍ وإمّا جَنّه

فبكى عمر رضى الله عنه حتى اخضلت لحيته وقال لغلامه: يا غلام أعطه قمصى هذا لذلك اليوم لا لشعره وقال: أما والله لا أملك غيره. وكان عمر رضى الله عنه يدنى يده من النار، ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر؟ ويبكى حتى كان بوجهه خطان أسودان من البكاء وكان يقول: ألا من يأخذها بما فيها يعنى الخلافة ليتنى لم أخلق ليت أمى لم تلدنى ليتنى لم أكن شيئاً ليتنى كنت نسيا منسيا. (الثالثة): خرج عمر رضى الله عنه من المسجد والجارود العبدى معه، فبينما هما خارجان إذ بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت السلام، ثم قالت: رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة قال لها قولى: قالت: يا عمر عهدى بك وأنت تسمى عميرا فى سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت. فبكى عمر رضى الله عنه، فقال الجارود: هيه قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته. فقال عمر: دعها، أما تعرف هذه يا جارود؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها أراد بذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (1). (الرابعة): روى من حديث أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب. قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى (حمرة واف) كما فى رواية وهى منزلة بظاهر المدينة فرأى ناراً. فقال: يا أسلم انظر إلى تلك النار هل هو ركب أضر بهم الليل والبرد؟. فقلت: لا أعلم يا أمير المؤمنين. قال: انطلق بنا إليهم. قال: فخرجنا نهرول فإذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون. قال عمر رضى الله عنه: السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره أن يقول: يا أهل هذه النار،

(1) سورة المجادلة آية 1.

فقالت المرأة: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ادن بخير أو فدع. فقال لها: ما بال هذه الصبية يتضاغون؟[1] قالت: من الجوع. قال: فما فى هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر. قال: إى يرحمك الله وما يدرى عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يتغافل عنا. قال: فأقبل علىّ فقال: انطلق بنا فخرجنا حتى أتينا دار الدقيق فأخرجنا عدلا من دقيق، وكبة من شحم. فقال: احمله على. فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزرى لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها وهو يهرول حتى أتينا إليها، فألقى ذلك العدل عندها فأخرج قطعة من دهن، وألقاها فى القدر وجعل يقول للمرأة: ذرى وأنا أحرك لك، كذا فى المحاضرات؛ وفى رواية قال أسلم: والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر، ثم أنزله بيده وقال لها: أعطينى شيئاً فأتته بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم: كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول: يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت إلى حتى رأيت الصغار يضحكون، ثم قام وقاموا ،وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى ثم قصدنا المدينة وقال لى: يا أسلم إن الجوع عدو، وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت أن أفارقهم، وهم يضحكون.

(الخامسة) قال الأعمش: كنت جالساً عنده يوماً فأتى بإثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان إذا أعجبه شىء من ماله تصدق به، وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر. فقيل له: فى ذلك فقال: إنى أحبه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [2]. **(السادسة)**: أعتق رضى الله عنه ألف عبد. كان إذا رأى عبداً من عبيده ملازماً للصلاة أعتقه. فقيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له.

(السابعة) قيل: لما رجع عمر رضى الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز فى خباء لها فقصدها. فقالت: ما فعل عمر رضى الله عنه؟. قال: قد أقبل من الشام سالماً. فقالت: يا هذا لا جزاه الله خيراً عنى. قال: ولم؟. قالت: لأنه ما أنالنى من عطاياه منذ ولى أمر المسلمين ديناراً ولا درهما. فقال: وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع؟. قالت: سبحان الله والله ما ظننت أن أحدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها. فبكى عمر رضى الله عنه وقال: واعمراه كل واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر، ثم قال: يا أمة الله بكم تبيعيننى ظلامتك من عمر فإنى أرحمه من النار؟. فقالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله. فقال: عمر لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما، فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها

---

(١) الصياح من ألم.

(٢) سورة آل عمران آية ٩٢.

على رأسها، وقـالت: واسوأتاه شتمت أميـر المؤمنين فى وجهه. فقال لهـا عمر رضى الله عنه: لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيـها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعتـه وكتب فيها: « بسم الله الرحمن الرحـيم هذا ما اشترى عمر من فلانـة ظلامتها منذ ولى الخلافة إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعـشرين ديناراً مما تدعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى فعمر برىء منه شهد عـلى ذلك على وابن مسعود» ثم دفعها إلى ولده وقال: إذا أنا مت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربى. اهـ من إعلام الناس.

(لطيفة) لما استخلف عـمر رضى الله عنه حُمِلَ إليه مالٌ يفـرقه فبدأ بالحسن والحسين رضى الله عنهمـا، فالتفت إليه ولده عـبد الله، وقال: يا أبت أنا أحق أن تقـدمنى بالعطية لمكانك فى الخلافة. فقال له: هات لك أبا كأبيهمـا أو جداً كجدهما حتى أقدمك بالعطية، فأعادا مقـالة عمر على أبيهما رضى الله عنه فـالتفت إليهما. وقال: سـيراً له وفرحاه بأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول عن جبريل عن الله عز وجل: «إن عمر سراج أهل الجنة فجاءاه وبشراه بذلك ففرح فرحاً شـديداً، وقال: خذا بهذا الذي ذكرتما خط علىٌّ رضى الله عنه، فجاءا إليه وأخذا خطه بذلك. فلما دنا قبض عمر رضى الله عنه قال لولده: إذا مت فادفنوا معى خط الإمام علىٌّ رضى الله عنه ففعـل ذلك. نقله الإسحاقى. عن الأوزاعى: أنّ عمر بن الخطاب خرج فى سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا آخر. فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعد. فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعـاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصـلحنى ويخرج عنى الأذى. فقـال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة لعثرات عمر تتبع، ومناقبه الحسنة وسيـرته المستحسنة وزهده وشجاعته وهيبته مشهورة، وحسبك أنه كان وزير رسول الله ﷺ.

(وكان كتابه) عبد الرحـمن بن خلف الخزاعى، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم **(وأما قضاته)**: فزيد بن أبـى النمر بالمدينة، وأبو أمـية شريح بـن الحرث الكندى بالكوفـة، وكان القاضى بمصر قيس بن العاص السهمى ثم كعب بن يسـار، وحاجبه مولاه يرفأ وقيل اسمه بشر. **(وأما أمراؤه)** فكان بمصر عمـرو بن العاص السهمى ثم صرفه عن الصـعيد ورد أمره إلى عبد الله ابن سعد بن أبـى سرح العامرى، وكان أمير الشام معـاوية بن أبى سفيان نقله بعض المؤرخين واستعمل أول سنة. ولى على الحج عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم لم يزل عمر يحج بالناس فى خلافته كلها فحج بها عشر سنين، وحج بأزواج النبى ﷺ فى آخر حجة حجها قـال ابن عباس: حججت مع عمر إحدى عشرة حجة واعـتمر فى خلافته ثلاث مرات، وقالت عائشة رضى الله عنها: لما كانت آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين مررت بالحصب فـسمعت رجلا على راحلته يقـول: أين كان عمر أميـر المؤمنين؟ وسمعت رجلا آخر يقول: ههنا قد كان أناخ راحلته ورفع عقيرته وقال:

علـيك ســـــلامٌ مــن إمـــــام وبــاركتْ	يــدُ الله فى ذلـك الأديم المخـــــــــرقِ
فَمَنْ يسعَ أو يـركبْ جناحى نـعــامــة	ليـــدركَ مـــا قــدمــتَ بالأمسِ يســبقِ
قــضــيتَ أمــوراً ثم غــادرتَ بعــدَهاَ	بوائـقَ فى أكْمَامِهــــا لــم تفـــــتقِ

قالت عائشة: فلم ندر ذلك الراكب من هو، فكنا نحـدث أنه من الجن. قالت: فقدم عمر من تلك الحجـة، فطعن، فمات. كذا فى المحاضرات وغيره. وعن سـعيد بن المسيب قال: حج عمر رضى الله عنه فلما كان بصجنان قال: «لا إله إلا الله العظيم المعطى لمن شاء كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف وكان فظا يتعبنى إذا عملت ويضربنى إذا قصرت وقد أصبحت وأمسيت ليس بينى وبين الله أحد» ثم تمثل بهذه الأبيات:

لا شىءَ ممـا ترى تَبْقَى بشـــــاشـــــتُه	يبـــــــقــى الإلهُ ويُودى المـالُ والولـدُ
لم تُغْنِ عن هـرمــز يومــا خــــزائنهُ	والخلدُ قـد حـاولتْ عـادُ فـمـا خَلدوا
ولا سليـــمـــان إذ تجــرى الـرياحُ له	والإنسُ والجنُ فـــيــمـــا بينـهـــا تردُ
أينَ المـلوكُ الـتى كــــانتْ لعزتهـــا	من كل أوْب إلـيــهـــا وافــدٌ يفــدُ
حـــوضٌ هناك مــــورودٌ بلا كـــذبِ	لابُدَّ مِنْ وِرْدِ يومًا كـــمــــا وَرَدُوا

وعن سعيد بن المسيب أيضـا لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح، ثم كوّم كومة بطحاء، ثم طرح عليهـا رداء فاستلقى ثم مد يديه إلى السماء. فقـال: اللهم كبر سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى اقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط، ثم قدم المدينة فخطب الناس فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل.

●●●●●

فصل

فى ذكر نبذة من كلامه رضى الله عنه

كان رضى الله عنه يقول: اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسول الله، وكان رضى الله عنه يقول: لولا خوف الحساب لأمرت بكبش يشوى لنا فى التنور، وكان رضى الله عنه يقول: من خاف من الله تعالى لم يشف غيظه، ومن يتق الله لم يضيع ما يريد، وصعد يوماً إلى المنبر فقال: الحمد لله الذى صيرنى ليس فوقى أحد. فقيل: له ما حملك على ما تقول؟ فقال: إظهار الشكر، ثم نزل، وكان يقول: ليتنى كنت كبشا أهلى سمنونى ما بدا لهم ثم ذبحونى فأكلونى وأخرجونى عذرة ولم أكن بشرا.

ولما مرض كانت رأسه فى حجر ولده عبد الله فقال له: يا ولدى ضع رأسى على الأرض. فقال له عبد الله: وما عليك أن كانت على فخذى أم على الأرض؟ فقال: ضعها على الأرض. فوضع عبد الله: رأسه على الأرض. فقال: ويلى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى، ثم قال: وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر لى ولا وزر على. وكان رضى الله عنه إذا وقع بالمسلمين أمر يكاد يهلك اهتماماً بأمرهم، وكان يأتى المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشترى لحماً يومين متتابعين يضربه بالدرة، ويقول له: هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك؟. وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة ثم خرج فاعتذر إلى الناس وقال: إنما حبسنى عنكم ثوبى هذا كان يغسل وليس عندى غيره، وحج رضى الله عنه من المدينة إلى مكة، فلم يضرب فسطاطا ولا خباء حتى رجع، وكان إذا نزل يلقى له كساء أو نطع على شجرة فيستظل بذلك، وكان رضى الله عنه لا يجمع فى سماطه بين أدمين. وقدمت إليه حفصة مرقا باردا وصبت عليه زيتا. فقال: أدمان فى إناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عزّ وجلّ، وكان فى قميصه أربه رقاع بين كتفيه وكان إزاره مرقوعاً بقطعة من جراب، وعدوا مرة فى قميصه أربع عشرة رقعة إحداها من أدم أحمر. وكان رضى الله عنه أبيض يعلوه حمرة، وإنما صار فى لونه سمرة فى عام الرمادة حين أكثر من أكل الزيت توسعة على الناس أيام الغلاء، فترك لهم اللحم والسمن واللبن، وكان قد حلف أنه لا يأكل إداما غير الزيت حتى يوسع الله على المسلمين ومكث الغلاء تسعة أشهر، وكانت الأرض صارت سوداء مثل الرماد وكان يخرج يطوف على البيوت ويقول من كان محتاجا فليأتنا، وكان يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد ﷺ على يدى، أورد ذلك كله الشعرانى فى طبقاته.
ومن كلامه أيضاً: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا: أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم من الحساب غداً، ومن كلامه أيضا: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

(تتمة فى الكلام على وفاته وأولاده رضى الله عنه)، روى: أن عمر كان لا يأذن لمشرك قد احتلم أن يدخل المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يستأذنه فى غلام صنع اسمه فيروز أبو لؤلؤة. فقال: إن لديه أعمالا كثيرة حداد ونقاش ونجار ومنافع للناس. فأذن له فأرسل به المغيرة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى كل شهر، فجاء الغلام إلى عمر واشتكى. فقال له عمر: ما تحسن من الأعمال؟ فذكرها. فقال له عمر: ما خراجك بكثير. وعن أبى رافع قال كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء، وكان المغيرة كل يوم يستغله أربعة دراهم. فلقى أبو لؤلؤة عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة أثقل علىّ غلتى فكلمه لى يخفف عنى. فقال له عمر: اتق الله وأحسن إلى مولاك فغضب العبد، وقال: وسع الناس كلهم عدله غيرى. فأضمر على قتله فاصطنع خنجراً له رأسان وَسَمَّه ثم أتى به الهرمزان. فقال: كيف ترى هذا؟. فقال: إنك لا تضرب بهذا أحداً إلا قتله. انتهى من الرياض النضرة. حكى الطبرى قال: جاء كعب الأحبار إليه رضى الله عنه فقال له: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت بعد ثلاث. فقال عمر: وما يدريك؟ قال أجد صفتك وحليتك فى التوراة وإنه قد اقترب أجلك، وكان عمر رضى الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا ألما فلما كان الغد جاء كعب الأحبار وقال: يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقى يوم وليلة قال: فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا فإذا استوت الصفوف جاء هو ينظر فى الناس. فدخل أبو لؤلؤة فى الناس وفى يده الخنجر الذى له الرأسان نصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات، وفى رواية ستا إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب ابن النضر الليثى، فلما وجد رضى الله عنه حر الحديد سقط فى الأرض وقال: أفى الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين قال: فليتقدم يصلى بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف، وعمر طريح على الأرض ثم حمل إلى داره ثم قال لولده، وقيل لعبد الله بن عباس: اخرج فانظر من قتلنى. فقال له: يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الحمد لله الذى لم يجعل قتلى إلا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب إلى عائشة فاسألها هل تأذن لى أن أدفن مع النبى ﷺ وأبى بكر؟، يا عبد الله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ولو ثلاثة، يا عبد الله ائذن للناس أن يدخلوا. قال: فجعل الناس يدخلون من المهاجرين والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم: أعَنْ مَلإٍ منْكُم كان هذا فيقولون: معاذ الله، ودخل فى الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

وَوَاعَدَنى كعبٌ ثلاثةً أعدها ... ولاشَكَّ أنّ القولَ ما قاله كعبُ
وَمَا بى حذارُ الموتِ إنّى لَمَيّتٌ ... ولكن حذارَ الذنب يتبعُه ذنبُ

وفى رواية: قتل أبو لؤلؤة لعنه الله سبعة فى مسجد رسول الله ﷺ وجرح جماعة فأخذ عبد الرحمن بن عوف بساطاً ورماه عليه وقبضه، ولما رأى الكلب أنه قد أخذ قتلَ نفسَه وكان طعن عمر رضى الله عنه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى الحجة سنةَ ثلاث وعشرين وبقى ثلاثة أيام، وتوفى لأربع بقين من ذى الحجة، وقيل: توفى يوم الاثنين وعاش ثلاثاً وستين سنة، وقيل: خمسا، وقيل: غير ذلك وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر إلا يوماً. وصلى عليه صهيب بن سنان الرومى، ودفن فى حجرة عائشة رضى الله عنها. ومروياته فى كتب الأحاديث خمسمائة واثنان وثلاثون حديثاً كذا فى المسامرات.

(وأما أولاده رضى الله عنه) فثلاثة عشر ولداً بنين وأربع بنات. وأما الذكور: فعبد الله ويكنى أبا عبد الرحمن آمن بمكة فى صغره مع أبيه، وهاجر معه وهو ابن عشر سنين، وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأحد وكان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة ومات بمكة، ودفن (بفخ) بالفاء والخاء المعجمة المشددة موضع قريب من مكة وهو ابن أربع وثمانين سنة، وله عقب، ومروياته ألف وستمائة وثلاثون حديثاً، وعبد الرحمن الأكبر شقيقه وأمهما: زينب بنت مظعون الجمحى أدرك النبى ﷺ ولم يحفظ عنه وزيد الأكبر وأمه أم كلثوم بنت الإمام على كرم الله وجهه بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويقال: إنه رمى بحجر بين حيين فى حرب فمات، ولا عقب له، ويقال: إنه مات هو وأمه فى ساعة واحدة فلم يرث أحدهما من الآخر، وصلى عليهما عبد الله بن عمر وقدم زيدا على أمه فصار سنة وكان بسببهما حكمان، وعاصم وأمه أم كلثوم جميلة بنت عاصم بن ثابت، وعاصم هذا هو الذى تزوج بابنة المرأة التى كانت تغش اللبن، فعن أبى وائل قال: مر عمر رضى الله عنه بعجوز تبيع لبناً معها فى سوق الليل فقال لها: يا عجوز لا تغشى المسلمين وزوار بيت الله ولا تشوبى اللبن بالماء. فقالت: نعم يا أمير المؤمنين ثم مر بعد ذلك فقال لها: يا عجوز ألم أتقدم إليك ألا تشوبى لبنك بالماء؟ فقالت: والله ما فعلت. فتكلمت ابنة لها من داخل الخباء فقالت: يا أمه أغشاً وكذباً جمعت على نفسك. فسمعها عمر فهم بمعاقبة العجوز فتركها لكلام ابنتها ثم التفت إلى بنيه فقال: أيكم يتزوج هذه فلعل الله عزّ وجلّ أن يخرج منها نسمة طيبة مثلها؟ فقال عاصم بن عمر: أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين فزوجها إياه فولدت له أم عاصم. فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان. فولدت له عمر بن عبد العزيز ثم تزوج بعدها حفصة، ففيها قيل: ليست حفصة من رجال أم عاصم. وتوفى عاصم سنة سبعين وله عقب، وعياض، وأمه: عاتكة بنت زيد، وزيد الأصغر، وعبيد الله أمهما: مليكة بنت جرول الخزاعية، وكان عبيد الله شديد البطش لما قتل عمر: والده رضى الله عنه جرد سيفه وقتل الهرمزان وجفينة وهو رجل نصرانى من أهل الحيرة وقتل بنتاً صغيرة لأبى لؤلؤة قاتل

عمر والده. فأخذ عبيد الله ليقتص منه، فاعتذر بأن عبد الرحمن بن أبى بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة يدخلون فى مكان يتشاورون وبينهم خنجر له رأسان مقبضه فى وسطه فقتل عمر صبيحة تلك الليلة. فاستدعى عثمان رضى الله عنه عبد الرحمن فسأله فى ذلك فقال: انظروا إلى السكين فإن كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا وقد اجتمعوا على قتله فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن. فقال عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين بالأمس ويقتل ابنه اليوم لا والله لا يكون هذا أبداً. فترك عثمان قتل عبيد الله ثم لحق عبيد الله بمعاوية وقتل فى صفين معه. وله عقب وأخو زيد الأصغر وعبيد الله لأمهما عبد الله بن أبى جهم بن حذيفة وحارثة بن وهب الخزاعى وعبد الرحمن الأوسط أمه لهية أم ولد، وعبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد ويكنى أحد الثلاثة، أبا شحمة، ويلقب آخر مجبراً، فأما أبو شحمة فهو الذى ضربه عمر فى الحد حتى مات ولا عقب له، وأما مجبر فكان له عقب فبادوا ولم يبق منهم أحد. ذكره ابن قتيبة. وفى أسد الغابة عبد الرحمن الأصغر هو أبو المجبر، والمجبر أيضاً اسمه عبد الرحمن وإنما قيل له: المجبر لأنه وقع وهو غلام فتكسر فأتى به إلى عمته حفصة أم المؤمنين فقيل لها: انظرى إلى ابن أخيك انكسر فقالت: ليس بالمنكسر ولكنه المجبر قاله أبو عمر وقال الدارقطنى: عبد الرحمن الأوسط هو أبو شحمة المجلود فى الحد؛ وقطع به عن عمرو بن العاص قال: بينا أنا بمنزلى بمصر، إذ قيل لى: هذا عبدالرحمن بن عمر وأبو سروعة يستأذنان عليك، وفى رواية غيره عبد الرحمن ورجل يعرف بعقبة بن الحارث فقلت: يدخلان فدخلا وهما منكسران فقالا: أقم علينا حد الله فإنا أصبنا البارحة شراباً وسكرنا قال: فزبرتهما وطردتهما، فقال عبد الرحمن: إن لم تفعله أخبرت والدى إذا قدمت عليه فعلمت أنى إن لم أقم عليهما الحد غضب على عمر وعزلنى فأخرجتهما إلى صحن الدار ناحية إلى بيت فى الدار فحلق رأسه، وكانوا يحلقون مع الحدود والله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان حتى إذا كتابه جاءنى فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص عجبت لك وجراءتك علىّ وخلافك عهدى فما أرانى إلا عازلك تضرب عبد الرحمن فى بيتك وتحلق رأسه فى بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفنى إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت: هو ابن أمير المؤمنين وعرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق، فإذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع فبعث به كما قال أبوه، وكتب عمرو إلى عمر يعتذر إليه إنى ضربته فى صحن دارى وبالله الذى لا يحلف بأعظم منه إنى لأقيم الحدود فى صحن دارى على المسلم والذمى، وبعث بالكتاب مع عبد الرحمن بن عمر فقدم به عبد الرحمن بن عمر على أبيه فدخل وعليه عباءة ولا يستطيع المشى من سوء مركبه فقال: يا عبد الرحمن فعلت وفعلت

فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد فلم يلتفت إليه فجعل عبد الرمن يصيح ويقول: إنى مريض وأنت قاتلى، قال: فضربه الحد ثانية وحبسه فمرض ثم مات، وعن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه؛ فقال: كنت ذات يوم فى المسجد وعمر جالس والناس حوله إذ أقبلت جارية، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: وعليك السلام ورحمة الله، ألك حاجة؟ قالت: نعم؛ خذ ولدك هذا منى، فقال عمر: إنى لا أعرفه فبكت الجارية، وقالت: يا أمير المؤمنين إن لم يكن من ظهرك فهو ولد ولدك، فقال: أى أولادى؟. قالت: أبو شحمة فقال: أبحلال أم بحرام؟. فقالت: من قبلى بحلال ومن جهته بحرام. قال عمر: وكيف ذلك اتقى الله ولا تقولى إلاحقا؟. قالت: يا أمير المؤمنين كنت مارة فى بعض الأيام إذ مررت بحائط بنى النجار إذ أتانى ولدك أبو شحمة يتمايل سكرا، وكان شرب عند نسيكة اليهودى قالت: ثم راودنى عن نفسى، وجرنى إلى الحائط، ونال منى ما ينال الرجل من المرأة وقد أغمى على. فكتمت أمرى عن عمى وجيرانى حتى أحسست بالولادة، فخرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام وهممت بقتله ثم ندمت على ذلك. فاحكم بحكم الله بينى وبينه. فأمر عمر مناديا فنادى. فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد ثم قام عمر فقال: لا تفرقوا حتى آتيكم ثم خرج. فقال: يا ابن عباس أسرع معى فلم يزل حتى أتى منزله فقرع الباب، وقال: ههنا ولدى أبو شحمة فقيل له: إنه على الطعام فدخل عليه وقال: كل يا بنى فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا. قال ابن عباس: فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد وسقطت اللقمة من يده. فقال عمر: يا بنى من أنا؟ فقال: أنت أبى وأمير المؤمنين فقال: فلى حق طاعة أم لا؟ قال: لك طاعتان مفترضتان لأنك والدى وأمير المؤمنين. قال عمر: بحق نبيك وبحق أبيك هل كنت ضيفاً لنسيكة اليهودى فشربت الخمر عنده فسكرت؟ قال: قد كان ذلك وقد تبت فإن رأس مال المؤمنين التوبة. قال: يا بنى أنشدك بالله هل دخلت حائط بنى النجار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى. قال عمر: لا بأس اصدق يا بنى فإن الله يحب الصادقين. قال: قد كان ذلك وأنا تائب نادم فلما سمع ذلك عمر منه قبض على يده ولببه وجره إلى المسجد فقال: يا أبت لا تفضحنى، وخذ السيف واقطعنى إرباً إرباً قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ثم جره إلى بين يدى أصحاب رسول الله ﷺ فى المسجد وقال: صدقت المرأة وأقر أبو شحمة بما قالت وكان له مملوك يقال له: أفلح فقال: يا أفلح خذ ابنى هذا إليك واضربه مائة سوط ولا تقصر فى ضربه. فقال: لا أفعل وبكى فقال: يا غلام إن طاعتى طاعة لله ورسوله ﷺ فافعل ما آمرك به قال: فنزع ثيابه وضج الناس

(١) سورة النور: آية ٢.

بالبكاء والنحيب وجعل الغلام يشير إلى أبيه يا أبتى ارحمنى فقال له عمر وهو يبكى: وإنما أفعل هذا كى يرحمك الله ويرحمنى، ثم قال: يا أفلح اضرب فـضربه وهو يستغيث وعمر يقول: اضربه حتى بلغ سبعين. فقـال: يا أبت اسقنى شربة من ماء. فقال: يا بنى إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد ﷺ شـربة لا تظمأ بعدها أبداً يا غلام اضربه فضربه حتى بلغ ثمانين، فـقال: يا أبت السلام عليـك. فقال: وعليك السـلام إن رأيت محمـدا أقرئه منى السلام وقل له: خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود يا غلام اضربه فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا عمر انظر كم بقى فأخره إلى وقت آخر فقال: كما لـم تؤخر المعصية لا تؤخر العقوبة؛ وجاء الصريخ إلى أمـه، فجاءت باكية صارخة وقالت: أحج بكل سوط حجة ماشـية وأتصدق بكذا وكذا درهماً. فقال: إن الحج والصدقة لا ينوبان عن الحد فضربه فلما كان آخر سـوط سقط الغلام ميتا فصاح. وقال: يا بنى مَحَّصَ الله عنك الخطايا ثم جعل رأسـه فى حجره وجعل يبكى ويقـول: بأبى من قتله الحق بأبى من مات عند انقضاء الحد بأبى من لم يرحـمه أبوه وأقاربه، فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا فلم نر يوماً أعظم منه وضج الناس بالبكاء والنحيب فلما كان بعد أربعين يوماً أقبل حذيفة بن اليمان صبيـحة يوم الجمعة فقال: إنى رأيت رسول الله ﷺ: فى المنام وإذا الفتى معه وعليـه حلتان خضراوان، وقال رسول الله ﷺ أقـرئ عمر منى السلام وقل: هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود، وقـال الغلام: يا حذيفة أقرئ أبى منى السلام وقل له: طهـرك الله كمـا طهرتنى. أخـرجه الديلمى فى كـتاب المنتـقى أهـ. من الرياض النضرة،وخرجه غير الديلمى مختصرا بتغيير اللفظ. **(وأما البنات الأربع)** ف(حفصة) زوج النبى ﷺ وهى شقيقة عبد الله وعبد الرحمن الأكبر، ورقية وهي شقيقة زيد الأكبر تزوجها إبراهيم بن نعيم بن عبـد الله فماتت عنده ولم تلد له، وفاطمة أمـها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة تزوجها ابن عمهـا عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فولدت له عبد الله، ذكره الدارقطنى، وزينب أمها فكيـهة تزوجها عبد الله بن سراقة العـدوى وروت عن أختها حفصة. ذكره ابن قتيبة وغيره.

●●●●●

فصل
فى ذكر مناقب سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

هو أبو عبد الله: عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقى هو ورسول الله ﷺ فى عبد مناف فبين عثمان وعبد مناف أربعة آباء وبين النبى وعبد مناف ثلاثة فهو أقرب الأربعة إلى رسول الله ﷺ بعد على رضى الله عنه.

وأمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب، وأسلمت رضى الله عنها قديماً وهاجرت الهجرتين. وولد عثمان رضى الله عنهما قبل دخول النبى دار الأرقم، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقيل: ثلاث وثلاثين سنة قال ابن إسحق: هو أول الناس إسلاماً بعد أبى بكر وعلىّ وزيد بن حارثة، وهو ثالث الخلفاء وشهد المشاهد كلها إلا بدراً. قيل: خلفه النبى لأجل ابنته رقية يمرضها وضرب له بسهمه وأجره ولذا يعدّ من أهل بدر فكان كمن شهدها، وبايع عنه رسول الله ﷺ بيده فى بيعة الرضوان، ودعا له بالخصوصية غير مرة. فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: رمقت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى طلوع الفجر يقول: « اللهم إنى رضيت عن عثمان فارض عنه». وقال رسول الله ﷺ: « غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة». وهذه نبذة من الأحاديث الواردة فى فضله قال رسول الله ﷺ: « أشدّ أمتى حياء عثمان بن عفان». رواه الطبرانى وقال رسول الله ﷺ: « عثمان فى الجنة». رواه ابن عساكر، وقال رسول الله ﷺ: « عثمان أحيا أمتى وأكرمها». رواه أبو نعيم وقال ﷺ: « عثمان رفيقى معى فى الجنة». وقال رسول الله ﷺ: « عثمان وليى فى الدنيا والآخرة». وقال رسول الله ﷺ: « رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك». وقال رسول الله ﷺ: « يا عثمان إنك ستبلى بعدى فلا تقاتلن». وقال رسول الله ﷺ: « يوم يموت عثمان يصلىّ عليه ملائكة السماء». وقال رسول الله ﷺ: « يشفع عثمان فى سبعين ألفاً عند الميزان ممن استوجبوا النار». وأخرج ابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما زوج النبى ﷺ بنته أم كلثوم لعثمان رضى الله عنه قال لها: « إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم عليه السلام وأبيك محمد». وروى عن علىّ رضى الله عنه أنه قال: دخل عثمان رضى الله عنه على النبى ﷺ وركبته بادية فغطى رسول الله ﷺ ركبته فقيل له: دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى فَلِمَ تغطيها؟ فقال رسول الله ﷺ: « إنى لأستحيى ممن استحيت منه الملائكة». وعن جابر رضى الله عنه أتى رسول الله ﷺ بجنازة رجل فلم يصلِّ عليها. فقيل له: يا رسول الله ما نراك تركت الصلاة على أحد قبل هذا؟قال: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عزَّوجلَّ.

(نادرة) عن أبى قلابة قـال: كنت بالشام مع رفقـة فسمعت رجـلا يقول: واويلاه من النار فقمت إليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين أعمى العينين منكب على وجهه. فسألته عن حاله فقـال: إنى كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صـرخت زوجته فلطمتها فقال عثـمان: ما لك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار. قال: فأخذتنى رعدة عظيمة ،وخرجت هارباً ولم يبق من دعائه إلا النار.

(موعظة من مواعظ سيدنا عثمان رضى الله عنه) عن يزيد بن عثمان قال: «آخر خطبة خطبهـا عثـمان: أيها الناس إن الله إنما أعـطاكم الدنيا لتطلبـوا بها الآخرة فلم يعـطكموها لتركنوا إليها إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى لا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية آثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصـير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواه جُنة من يأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغيرة، والزموا جماعتكم لا تصيروا أخداناً، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً».

(صفة عثمـان رضى الله عنه) كان أبيض اللون، وقيل: أسمر رقيق البشرة كـثير شعر الرأس عظيم اللحية، وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير. حسن الوجه ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين، وكان يصفر لحـيته ويشد أسنانه بالذهب، عن عبد الله بن حزام المازنى قال: رأيت عثمـان بن عفان رضى الله عنه فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحـسن وجهاً منه. وبويع له بعـد وفاة عـمر رضى الله عنه يوم الاثنين لليلة بقـيت من ذى الحجـة سنة ثلاث وعشرين، واستقبل بخلافتـه المحرم سنة أربع وعشرين، وقيل: يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاثة أيام. قال فى المختصر: ولما كان في اليوم الثالث من وفاة عمر خرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامتـه التى عممه بها رسول الله ﷺ متقلداً سيفه وصعد المنبـر ثم قال: أيها الناس إنى سألتـكم سراً وجهراً عن إمامك فلم أجـدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إمـا علىّ وإما عثمـان، وقال: قم يا على فقام على فـوقف تحت المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده وقال: هل أنت مـبايعى على كتاب الله وسنة نبيه؟، وفعل أبى بكر وعمر فقال: اللهم لا ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى فأرسل يده ثم نادى قم يا عثمان فقام فأخـذ بيده وقال: أبايعك فهل أنت مبايعى على كـتاب الله وسنة رسوله؟، وفعل أبى بكر وعمر فقال: اللهم نعم فرفع رأسه إلى سقف المسجد وقال: اللهم اسمع قد خلعت ما فى رقبتى من ذلـك فى رقبة عثمـان فى الدرجة الثانية تحـته فجعل الناس يبـايعونه، ويقال لسيدنا: عـثمان ذو النورين لأن النبىﷺ زوجة ابنتـه رقية فلما ماتت زوجـة أم كلثوم فلما ماتت قال: لو كان عندى ثالثة لزوجتكهـا، وفى أسد الغابة لو كان لنا ثالثة لزوجناك. وفى أسد الغابة أيضاً عن أبى محبوب عقـبة بن علقمة قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: سمعـت رسول الله ﷺ يقول: « لو أن لى أربعين بنتاً لزوجت عـثمان واحدة بـعد واحدة

حتى لا تبقى منهن واحدة».

(نكتة) قيل للمهلب بن أبى صفرة: لم قيل: لعثمان ذو النورين؟. قال: لأنه لم نعلم أحداً أرسل ستراً على ابنتى نبى غيره، وكان عثمان رضى الله عنه شديد الحياء حتى إنه ليكون فى البيت والباب مغلق عليه فما يضع الثوب عنه عند الغسل ليفيض الماء ويمنعه الحياء أن يقيم صلبه. وفى طبقات الشعرانى وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله وكان يختم القرآن فى كل ركعة كثيراً، وكان يخطب الناس وعليه إزار عَدَنِىّ غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وكان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته يأكل الخل والزيت، وكان يُرْدِفُ غلامه خلفه فى أيام خلافته. ولا يستعيب ذلك وكان إذا مرّ على المقبرة بكى حتى تبتل لحيته رضى الله عنه أهـ. واشترى بئر رومة بأربعين ألف درهم ووقفها على المسلمين، وأصاب الناس قحط فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلما اشتد بهم الأمر. جاءوا إلى أبى بكر وقالوا: يا خليفة رسول الله إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما تصنع؟ فقال: لهم انصرفوا واصبروا فإنى أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان جاءت من الشام وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هى ألف بعير موسوقة بُراً وزيتاً وزبيباً. فأناخت بباب عثمان رضى الله عنه، فلما جعلها فى داره جاء التجار فقال لهم: ما تريدون؟. قالوا: إنك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذى وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس. قال: حباً وكرامة كم تربحوننى على شرائى؟ قالوا: الدرهم درهمين. قال: أعطيت زيادة على هذا .قالوا: أربعة. قال: أعطيت زيادة على هذا. قالوا: خمسة. قال: أعطيت أكثر من هذا. على هذا. قالوا: يا أبا عمرو ما بقى فى المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن ذا الذى أعطاك؟. قال: إن الله أعطانى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة؟. قالوا: لا. قال: فإنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين. أهـ من الغرر والعرر، وجهز رضى الله عنه جيش العسرة بتسعمائة على ألف بعير وسبعين فرساً فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا. وأصاب الناس مجاعة فى غزوة تبوك فاشترى طعاماً يسع العسكر.

(فائدة) اختصم عثمان هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح فقال أبو عبيدة: يا عثمان تخرج علىّ فى الكلام وأنا أفضل منك بثلاث. فقال عثمان: وما هن؟ قال: الأولى إنى كنت يوم البيعة حاضراً وأنت غائب، والثانية: شهدت بدراً ولم تشهده، والثالثة: كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت. فقال عثمان: صدقت، أما يوم البيعة: فإن رسول الله ﷺ بعثنى فى حاجة ومد يده عنى وقال: هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيراً من يدى، وأما يوم بدر: فإن رسول الله ﷺ استخلفنى على المدينة، ولم يمكنى مخالفته،

وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها. وأما انهزامى يوم أحد فإن الله عفا عنى وأضاف فعلى إلى الشيطان. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١). فخصمه عثمان وغلبه. ومناقبه رضى الله عنه مشهورة، وفتح فى أيام خلافته: سابور، وأفريقية، وسواحل الأردن، وسواحل الروم وأصطخر الأخيرة وفارس الأولى وطبرستان وسجستان والأساورة. ومروياته مائة وستة أربعون حديثاً **(وكاتبه)** مروان بن الحكم. **(وقاضيه)** كعب بن سور وعثمان بن قيس بن أبى العاص **(وأميره بمصر)** أخوه من الرضاعة: عبد الله بن سعد بن أبى سرح **(وحاجبه)** حمران مولاه **(وصاحب شرطته)** عبد الله بن معبد التيمى، وفى المحاضرات ابن قنفذ التيمى. ونقش خاتمه آمنت بالله مخلصاً، وقيل: آمنت بالذى خلق فسوّى، وكان فى يده خاتم رسول الله ﷺ يطبع به إلى أن وقع فى بئر أريس.

(تتمة فى ذكر أولاده واستشهاده) أما أولاده رضى الله عنه فستة عشر تسعة ذكور وسبع بنات أما الذكور **(فعبد الله)** ويعرف بالأصغر وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ وقيل: فاختة بنت غزوان ومات صغيراً وقيل: بلغ ست سنين ونقره بمنى، (وأبان) ويكنى أبا سعيد وهو من رواة الحديث وشهد حرب الجمل مع عائشة قيل: وكان أول من انهزم وكان أبرص أحول أصم، ولى المدينة فى أيام عبد الملك بن مروان، ومات فى خلافة يزيد بن عبد الملك، وعقبة كثير وله ولد فى الأندلس، (وخالد) وكان فى يد أولاده المصحف الذى قطر عليه دم عثمان يوم قتل؛ توفى فى خلافة أبيه بركض دابة وله عقب وهو الذى يقال له الكسير، (وعمرو) وله عقب أيضاً، وأمهم بنت جندب من الأزد، (وسعيد والوليد) أمهما فاطمة بنت الوليد وكان سعيد يكنى أبا عثمان ولاه معاوية خراسان وكان حاكماً بها من قبل معاوية وقتل هناك، (وعبد الملك) مات غلاماً وأمه مليكة وهى أم البنين بنت عيينة ابن حصن الفزارى. (وأما النبات) فمريم الكبرى أخت عمرو لأمه وأم سعيد أخت سعيد لأمه وتزوجها عبد الله، وعائشة وتزوجها الحرث بن الحكم بن أبى العاص، وأم عمرو أمها رملة بنت شيبة بن ربيعة ابن عبد شمس، ومريم الصغرى أمها نائلة بنت الفرافصة الكلبية، وتزوجها عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط، وأم البنين أمها أم ولد نقله بعض المؤرخين.

(وأما سبب قتله)فروى عن ابن شهاب قال: قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان وما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد ﷺ ؟ قال: قتل عثمان مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً، ومن خذله كان معذوراً فقلت: وكيف كان ذلك؟

---

(١) سورة آل عمران ١٥٥.

قال: لما ولى كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله لأن عـثمان كان يحب قومه فولى اثنتى عشرة سنة، وكان كثيراً ما يولى بنى أمـية ممن لم يكن له مع رسول الله ﷺ صحبة، وكان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب رسول الله، وكان يستغاث عليهم فلا يغيثهم فلما كان فى الستة الحـجج الأواخر استأثر بنى عمـه فولاهم وأمّرهم وولى عبد الله بن أبى سـرح مصر فشكا أهل مـصر، وكان من قـبل ذلك من عثمان هنـات إلى عبد الله بن مسـعود وأبى ذر وعمار بن يـاسر وكانت هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فـيها ، وكانت بنو مـخزوم حنقت على عثمان لأجل عمار بن ياسر وجـاء أهل مصر يشكون ابن أبى سرح، فكتب إليه يهدده فأبى ابن أبى سـرح أن يقبل مـا نهاه عنه وضرب بعض من أتاه مـن قبل عثـمان ومن أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فـخرج جيش أهل مصر فى سبعمائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجـد وشكوا إلى أصحاب رسـول الله ﷺ ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقـدموا المدينة فجمـعوا طلحة والزبير وعـلياً وسعداً ومن كان من أصـحاب محمـد ﷺ ثم فكوا الكتاب بمحضر منهـم فإذا فيه إذا أتاك محـمد وفلان وفلان فاحـتل لقتلهم فقرءوا الكـتاب عليهم وأخبـروهم بقصة العبـد فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثـمان، وزاد ذلك من غضب ابن مسعود وأبى ذر وعمار، وقام أصحاب رسول الله ﷺ إلى منازلهم وما منهم من أحد إلا مغنم، وحاصر الناس عثمـان، فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ ثم دخل على عثـمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال! له عليّ هذا الغـلام غلامك؟ قال: نعم، وهذا البعـير بعيرك؟ قال نعم فـأنت كتبت الكتاب قال: لا وحلف بالله ما كتـبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر، وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان، وسألوه أن يدفعه إليهم، وكان معه فى الدار فأبى، وخشى عليه القتل فخرج أصحاب رسول الله ﷺ من عنده غضاباً، وعلموا أن عثمـان لا يحلف باطلا، فحاصره الناس، ومنعوه الماء وأشـرف على الناس، وقال: أفيكم على؟. قالوا: لا. قال: أفـيكم سعد؟. قالوا: لا، فـقال: ألا أحد يسقينـا من ماء؟ فبلغ ذلك علياً فـبعث إليه ثلاث قرب مملوءة مـاء فما كادت تصل حـتى جرح بسببـها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية ثم بلغ علياً أنهم يريدون قتل عثمان فقال: إنما أردنا منه مروان.
فأما قتل عثمـان فلا، فقال: للحسن والحسين: اذهبا بسفيكما حـتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه وبعث الزبيـر ابنه وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلمـا رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بدمائه، وأصاب مـروان سهم وهو فى الدار وكذلك محمد بن طلحة وشج قنبـر مولى عليّ، ثم إن بعض من حضـر عثمان خـشى أن يغضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة فأخذ بيده رجلان، وقالا: إن جاء بنو هاشم ورأوا الدم

على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما تريدون، ولكن اذهبوا بنا نتسور الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان، وما يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه فوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فقتلوه، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الجلبة فصعدت إلى الناس، فقالت: إن أمير المؤمنين قتل فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوه مذبوحاً فانكبوا عليه يبكون ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولا فبلغ علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان، فوجدوه مقتولا فاسترجعوا، وقال على لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟. ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله ابن الزبير وخرج على وهو غضبان فلقيه طلحة، فقال: ما لك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين؟، وكان يرى أنه أعان على قتل عثمان. فقال: عليك كذا وكذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدرى لم تقم عليه بينة، ولا حجة فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل، فقال على: لو أخرج مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة، وخرج على فأتى منزله. وفى الاستيعاب روى سعيد المقبرى عن أبى هريرة وكان محصوراً مع عثمان فى الدار قال: رمى رجل منا فقلت: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلا. قال: عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك فإنما يراد نفسى وسأقى المؤمنين بنفسى. قال أبو هريرة: فرميت سيفى لا أدرى أين هو حتى الساعة؟. وما أحسن قول كعب بن مالك فيه:

وكفّ يديه ثُمّ أغلقَ بابَه ... وأيقنَ أنّ اللهَ ليس بغافلْ
وقال لأهلِ الدار: لا تَقْتُلُوهم ... عفا اللهُ عن كلِّ امرئ لم يقاتِلْ

وكان أول من دخل عليه الدار محمد بن أبى بكر الصديق فأخذ بلحيته، فقال له: دعها يا ابن أخى، فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحيا وخرج، وفى رواية فلما دخل أخذ بلحيته وهزها وقال: ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبى سرح وما أغنى عنك عبد الله بن عامر. فقال: يا ابن أخى أرسل لحيتى فوالله لتجبذ لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا منى. فيقال: إنه حينئذ تركه وخرج عنه ويقال حينئذ: أشار إلى من معه فطعنه واحد منهم فقتلوه. انتهى. روى: أنه ضربه يسار بن علياص أو يسار ابن عياض الأسلمى وسودان بن حمران بسيفيهما فنضح الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(1). وفى رواية: وجلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات، ووطئ عمير بن ضابئ على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه، وفى روايه لما خرج محمد دخل رومان بن سرحان رجل أزرق محدود عداده فى مراد وهو من ذى أصبح معه خنجر فاستقبله به، وقال: على أى دين أنت يا نعثل؟ فقال: لست بنعثل ولكنى عثمان بن

(1) سورة البقرة آية ١٣٧.

عفان وأنا عـلى ملة إبراهيم حنيفاً مسلمـاً وما أنا من المشركين. قال: كـذبت وضربه على صدغه الأيمن. وفي رواية: علـى صدغه الأيسر فقـتله فخر فأدخلته امـرأته نائلة بينها وبين ثيابهـا وكانت امرأة جـسيمة ودخل رجل مـن أهل مصر ومعـه السيف صلتاً فـقال: والله لأقطعنَّ أنفه فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها.

وفي رواية فعالجت امرأته وقبضت على السيف فقطع يدها، فقالت لغلام لعثمان يقال له: رباح ومعه سيف عـثمان: أعنى على هذا وأخرجه عنى فضربه الغـلام بالسيف فقتله. وفي أسد الغابة اختلف فـيمن باشر قتله بنفسه فقيل: محـمد بن أبى بكر ضربه بمشقص، وقيل بل: حبـسه محمد بن أبى بكر وأشـفره غيره وكان الذى قتله سـودان بن حران وقيل بل: قتله رومان اليمامى، وقيل بل: رومان رجل من أهل مصر، وقيل: سودان بن رومان المرادى، ويقال: النجيبى ومحمد بن أبى حذيفة وهو يقرأ فى المصحف سورة البقرة وقطرت قطرة من دمه على «فسيكـفيكهم الله» وكان يومئذ صائماً. عن ابن عـباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: تقـبل وأنت مظلوم وتسقط قطرة من دمك على «فسكفيكهم الله» قال: إنها إلى السـاعة لفى المصحف والله أعلم وقال له رسول الله ﷺ: يا عـثمان إن الله عسى أن يلبـسك قميـصاً فإن أرادك المنافـقون على خلعه فـلا تخلعه حـتى تلقانى يوم القيامه. قتل عثمان رضى الله عنه بالمدينة فى ذى الحجة يوم الجمعة لثمان أو سبع خلت منه يوم التروية سنة خمس وثلاثين من الهجرة ذكـره المدائنى عن ابن معشر عن نافع. وقال ابن إسحق: قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنـة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفى رسول الله ﷺ يوم الأربعاء بعد العـصر، دفن يوم السبت بعد الظهر، وكان مـدة حصاره أربعين يوماً وقيل: خمـسين وعاش سبعـاً وثمانين سنة، وقيل: غيـر ذلك، وكانت مدة خلافـته أثنتى عشرة سنة إلا يوماً، وقـيل: غير ذلك. قال أبو عمرو: ولما قتل عثمـان أقام مطروحاً يومه ذلك إلى الليل فحمله رجال على باب ليدفنوه فعرض لهم ناس ليمنعوهم من دفنه فوجدوا قبراً كان حفر لغيره، فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم. وعن عروة أنه قال: أرادوا أن يصلوا على عثمان فمنعوا، فقال رجل من قريش وهو أبو جهم بن حذيفة: دعوه فقد صلى عليه رسول الله ﷺ، قال الواقدى: دفن ليلا ليلة السبت فى موضع أو قال: فى أرض يقال له: حش كوكب، وأخفى قبره وكوكب رجل من الأنصار والحش البستان كان عثمان رضى الله عنه قد اشتراه وزاده فى البـقيع فكان أول من قبر فيه. (وروى) محـمد بن عبد الله بن الحكم وعبد الملك بن الماجشون عن مالك قـال: لما قتل عثمان ألقى على المزبلة ثلاثة أيام، فلما كان فى الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم ابن حزام وعبد الله ابن الزبير وجدى، فاحـتملوه فلما صاروا به إلى المقبرة ليـدفنوه، فإذا هم بقوم من بنى

مازن قالوا: والله لئن دفنتموه ههنا لنخبرن الناس غداً فاحتملوه، وكان على باب وإن رأسه على الباب يقول طق طق حتى صاروا به إلى حش كوكب فـاحتفروا له، وكانت عائشة ابنة عثمان معها مصباح فى حق فلمـا أخرجوه ليدفنوه صاحت، فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكنى لأضربن الذى فـيه عيناك فسكـتت فدفنوه. أخرجه القلعى. وعن الحـسن قال: شهدت عثـمان بن عفان دفن فى ثيابه بدمائه. خرجه ابن الجـوزى ورواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زيادات المسند وزاد فيه ولم يغسل، وشـهدت الملائكة عثمان رضى الله عنه. فعن سهل بن خنيس وكان ممن شهـد قتل عثمان قال: لما أمسينا قلت لئن تركـتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فانطلقنا به إلى بقيع الغرقد فأمكنا له من جوف الليل ثم حملناه فغشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا أن نتفرق فـإذا مناد ينادى لا روع عليكم اثبتوا فإنا جئنا لنشهد معكم، وكان ابن خنيس يـقول: هم الملائكة. رواه الضحاك. عن عبـد الله بن سلام قال: أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لأسلم عليه وهو محصور فقال: مرحباً بأخى فقلت: يسرنى لو كنت فـداءك يا أمير المؤمنـين فقال: الليلـة رأيت رسول الله ﷺ وقد مـثل لى فى هذه الخوخة وأشـار عثمان بيده إلى خوخـه فى أعلى داره. فقال: يا عثمـان حصروك. قلت: نعم. قال: عطشوك. قلت: نعم. قال: فدلى دلـواً شربت منه فهأنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديى وبين كتـفى. فقال: إن شـئت أفطرت عندنا وإن شئت نصـرت عليهم فاختـرت الفطر. نقله الإسحاقى. وفى أسـد الغابة عن أبى سعيد مـولى عثمان بن عفان أن عـثمان أعتق عشرين مملوكاً، وهو مـحصور ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبـسها لا فى جاهلية ولا فى إسـلام. وقـال: إنى رأيت رسـول الله ﷺ. البـارحة فـى المنام، ورأيت أبا بكر وعمـر. فقـالوا لى: اصـبر فإنـك تفطر عندنا القابلة رضى الله عـن أصحـاب رسول الله أجمعين، ولما قتل عثمـان رضى الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقـفلا ففتحوه فوجدوا فيه حقـه فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثـمان بن عفان: «يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من فى القبـور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميـعاد عليها نحـيا وعليها نموت وعلـيها نبعث إن شاء الله من الآمنين برحمة الله» أهـ. من المحاضرات.



فصل

فى ذكر مناقب سيدنا على بن أبى طالب بن عم الرسول وسيف الله المسلول

ولد رضى الله عنه بمكة داخل البيت الحرام على قول يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين، وقيل: بخمس وعشرين، وقبل المبعث باثنتى عشرة سنة، وقيل: بعشر سنين ولم يولد فى البيت الحرام قبله أحد سواه قاله ابن الصباغ (وأمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف تجتمع مع أبى طالب فى هاشم جد النبى ﷺ أسلمت وهاجرت مع النبى ﷺ نقل عنها أنها كانت إذا أرادت أن تسجد لصنم وعلى رضى الله عنه فى بطنها لم يمكنها يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ويمنعها ولذلك يقال عند ذكره: كرم الله وجهه أى عن أن يسجد لصنم، وهى أول هاشمية ولدت هاشمياً، ولما ماتت كفنها ﷺ بقميصه لأنها كانت عنده بمنزلة أمه، وأمر ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها بالبقيع فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه فلما فرغ اضطجع فيه، وقال: اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد، والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين. فقيل: يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تكن صنعته بأحد قبلها. فقال ﷺ: ألبستها قميصى لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت فى قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعاً إلى بعد أبى طالب (وتربى على) رضى الله عنه عند النبى ﷺ وذلك أنه لما أصاب أهل مكة جدب وقحط أجحف بذى المروءة وأضر بذى العيال. قال رسول الله ﷺ لعمه العباس رضى الله عنه وكان من أيسر بنى هاشم: يا عم إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله عنه فتأخذ أنت رجلا وأنا آخذ رجلا فنكفلهما عنه، فقال العباس: افعل فانطلقا حتى أتيا أبا طالب. فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلا وطالباً فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه فلم يزل على رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعث النبى ﷺ فاتبعه على رضى الله عنه وآمن به وصدقه، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة. وقال ابن إسحق: أسلم على بن أبى طالب وهو ابن عشر، وقيل: غير ذلك. وشهد المشاهد كلها، ولم يتخلف إلا فى تبوك فإن رسول الله ﷺ خلفه فى أهله فقال: يا رسول الله أتخلفنى فى النساء والصبيان. قال: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبى بعدى أخرجه الشيخان.

(صفته) كان آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما أقرب إلىّ القصر من الطول، ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع أبيض الرأس واللحية. وفى ذخائر العقبى كان ربعة من الرجال أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه كأنه قمر بدرى عظيم البطن، وكان رضى الله عنه عريض ما بين المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضارى لا تبين عضده من ساعده أدمج إدماجاً شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد كأن عنقه إبريق فضة. وفى أسد الغابة عن رازم بن سعد الضبى قال: سمعت أبى ينعت علياً قال: كان رجلا فوق الربعة ضخم المنكبين طويل اللحية، وإن شئت قلت إذا نظرت إليه قلت آدم وإن تبينته من قرب قلت أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم.

(لطيفة) عن أبى سعيد التيمى أنه قال: كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان فى السوق فإذا رأينا علياً قد أقبل علينا قلنا: بزرك أشكم قال: على ما يقولون؟ قال: يقولون عظيم البطن. قال: أجل أعلاه علم وأسفله طعام وأشكم بالعجمية البطن، وبزرك بضم الباء والزاء وسكون الراء: عظيم. (وقد ورد فى فضله آيات وأحاديث جمة) نقل الواحدى فى كتابه المسمى بأسباب النزول أن الحسن والشعبى والقرطبى قالوا: إن علياً رضى الله عنه والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت مفتاحه بيدى ولو شئت كنت فيه، وقال العباس رضى الله عنه: وأنا صاحب السقاية والقائم عليها، فقال على رضى الله عنه: لا أدرى لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فى سبيل الله فأنزل تعالى: **﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**[١]. وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام الظهر، فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللهم إنى سألت فى مسجد نبيك محمدﷺ فلم يعطنى أحد شيئاً؛ وكان على رضى الله عنه فى الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبىﷺ وهو فى المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السماء وقال: اللهم إن أخى موسى سألك فقال: **﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾**[٢] فأنزلت عليه قرآناً: **﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾**[٣] «اللهم وإنى **محمد** نبيك وصفيك اللهم فاشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واجعل لى وزيراً من أهلى

---

(١) سورة التوبة آية ١٩ ـ ٢٠. (٢) سورة طه آية: ٢٥ـ ٣٢. (٣) سورة القصص آية: ٣٥.

علياً اشـدد به ظهرى». قال أبو ذررضى الله عنه فـما استتم دعـاءه حتى نزل جبـريل عليه السلام من عند الله عـزّوجلّ وقال: يا محمـد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1]. نقله أبو إسـحق أحمد الثـعلبى فى تفسيـره. ونقل الواحدى فى تفسيره يرفـعه بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهـما. قال:« كان مع على رضى الله عنه أربعـة دراهم لا يملك غيرها فتصـدق بدرهم ليلا وبدرهم نهاراً وبدرهم سـراً وبدرهم عـلانية فـأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:« لما نزلت هذه الآية﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[3] قال النبـىﷺ لعلى: أنت وشيعـتك تأتى يوم القيامـة أنت وهم راضين مرضين ويأتى أعداؤك غـضاباً مقـحمين». وعن مكحول عن على بن أبى طـالب رضى الله عنه فى قوله تعالى:﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[4]. قال: قال رسول الله ﷺ: سـألت الله أن يجعلها أذنك يا على فـفعل، فكان على رضى الله عنه يـقول: ما سـمعت مـن رسول الله ﷺ كـلاماً إلا وعيته وحفظته ولم أنسه. وعن ابن عـباس رضى الله عنهما قال:«لما نزل قوله تعالى:﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[5] قال رسـول اللهﷺ: «أنا المنذر وعلى الهـادى وبك يا على يهتدى المهـتدون». قال ابن عبـاس رضى الله عنهما: ليس آية من كتـاب الله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[6] إلا وعلى أولها وأميرها وشريفها.

ونقل الإمام أبو إسحق الثعلبى رحمه الله فى تفسيـره:« أن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى سئل عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[7]. فيمن نزلت؟ فقال للسائل: لقد سألتنى عن مسألة لم يسـألنى عنها أحد قبلك. حدثنى أبى عن جعفـر بن محمد عن آبائه رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ لما كان (بغدير خم) نادى الناس فاجتمعوا فأخذ ليد علىٍّ رضى الله عنه، وقال: من كنت مولاه فعلى مـولاه. فشاع ذلك فطار فى البلاد وبلغ ذلك الحرث بن النـعمان الفـهرى فـأتى رسول الله ﷺ على ناقـة له فأناخ راحلته ونـزل عنها، وقال: يا محـمد أمرتنا عن الله عزّوجلّ أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسـول الله فقبلنا منك، وأمرتنا أن نصلى خمساً فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأمـرتنا بالحج فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفـعت بضبعى[8] ابن عمك تفضله

---

(1) سورة المائدة آية ٥٥. (2) سورة البقرة آية ٢٧٤. (3) سورة البينة آية ٧.
(4) سورة الحاقة آية ١٢. (5) سورة الرعد آية ٧.
(6) أكثر من مائة آية تشتمل على هذا القول الكريم. (7) سورة المعارج آية ١.
(8) الضَّبع: جمع أضباع: وسط العضد، العضد كله. ويقال: أخذ بضبعه: أعانه وقواه. اللسان (ضبع).

علينا فقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شيء منك أم من الله عزّوجلّ فقال النبيﷺ: والذى لا إله إلا هو إن هذا من الله عزّوجلّ. فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته، وهو يقول: «**اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**» فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزّوجلّ بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**﴾ (١).

(**تنبيه**) قال العلماء لفظ المولى يستعمل بإزاء معان متعددة ورد بها القرآن العظيم فتارة يكون بمعنى: أولى قال الله تعالى فى حق المنافقين: ﴿**مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ**﴾ (٢). أى: أولى بكم، وتارة بمعنى: الناصر قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ**﴾ (٣). وبمعنى: الوارث قال الله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ**﴾(٤). أى: ورثة وبمعنى: العصبة قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي**﴾ (٥). أى: عصبتى، وبمعنى: الصديق قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا**﴾ (٦). أى صديق عن صديق وبمعنى السيد المعتق وهو ظاهر فيكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإن علياً كذلك.

(ومن الأحاديث)ما أخرجه الترمذى والحاكم وصححه عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم قيل: يا رسول الله سمهم لنا. قال: على منهم يقول ذلك: ثلاثاً وأبو ذر والمقداد وسلمان**». وأخرج أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة عن حبشى بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**على منى وأنا من على ولا يؤدى عنى إلا على**». وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال: «آخى النبىﷺ بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه. فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم يؤاخ بينى وبين أحد فقال ﷺ: أنت أخى فى الدنيا والآخرة». وأخرج مسلم عن على قال: «**والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى به أنه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق**». وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: «كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً». وأخرج الحاكم وصححه عن على قال: «بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء فضرب صدرى ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فو الذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين». وسبب قوله ﷺ: «**أقضاكم على**» ما

---

(١) سورة المعارج آية ١ -٣.　(٢) سورة الحديد آية ١٥.　(٣) سورة محمد آية ١١.
(٤) سورة النساء آية ٣٣.　(٥) سورة مريم آية ٥.　(٦) سورة الدخان آية ٤١.

روى أن النبىﷺ كان جالساً مع جماعة من الصحابة فجاء خصمان، فقال أحدهما: يا رسول الله إن لى حماراً وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حمارى فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم، فقال: «اقض بينهما يا على، فقال لهما: كانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلا. فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها. فقال: على صاحب البقرة ضمان الحمار. فأقر ﷺ حكمه وأمضى قضاءه. عن أبى عثمان النهدى عن علىٍّ كرّم الله وجهه قال: «بينما رسول الله ﷺ آخذ بيدى ونحن نمشى فى بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة. قال: فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة! . فقال: ما أحسنها ولك فى الجنة أحسن منها، ثم مررنا بأخرى. فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة! فقال: ما أحسنها ولك فى الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق وكل ذلك أقول: ما أحسنها! ويقول: لك فى الجنة أحسن منها فلما خلا له الطريق أعتنقنى ثم أجهش باكياً! ، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن لك فى صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعد موتى. قال: قلت: يا رسول الله فى سلامة من دينى. قال: فى سلامة من دينك».

(لطيفة) روى أن رجلا أُتِيَ به إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سألوه: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأومن بما لم أره، وأقر بما لم يخلق. فأرسل عمر إلى علىّ رضى الله عنهما فلما جاء أخبره بمقالة الرجل، فقال: صدق يحب الفتنة قال الله تعالى: **«إنما أموالكم وأولادكم فتنة»** ويكره الحق يعنى الموت قال الله تعالى: **«وجاءت سكرة الموت بالحق»**، ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالى: **«وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء»** ويؤمن بما لم يره: يؤمن بالله عزّوجلّ، **ويقر بما لم يخلق: يعنى الساعة**. فقال عمر رضى الله عنه: أعوذ بالله من معضلة لا على بها. قال سعيد بن المسيب كان عمر يقول: اللهم لا تبقنى لمعضلة ليس لها أبو الحسن.

(نادرة) وهى: أن رجلا تزوج بخنثى لها فرج كفرج النساء وفرج كفرج الرجال، وأصدقها جارية كانت له، ودخل بالخنثى وأصابها فحملت منه وجاءت بولد ثم إن الخنثى وطئت الجارية التى أصدقها لها الرجل فحملت منه الجارية بولد. فاشتهرت قصتها ورفع أمرها إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فسأل عن حال الخنثى فأخبر أنها: تحيض وتطأ وتوطأ وتمنى من الجانبين وقد حبلت وأحبلت فصار الناس متحيرى الأفهام فى جوابها، وكيف الطريق إلى حكم قضائها وفصل خطابها؟، فاستدعى رضى الله عنه غلاميه وأمرهما أن يذهبا إلى هذه الخنثى، ويعدا أضلاعها من الجانبين إن كانت متساوية فهى امرأة وإن كان الجانب الأيسر أنقص من الجانب الأيمن بضلع واحد فهو رجل. فذهبا إلى الخنثى كما أمرهما وعدا أضلاعها من الجانبين فوجدا أضلاع الجانب الأيسر أنقص من أضلاع

الجانب الأيمن بضلع. فجاءا وأخبراه بذلك وشهدا عنده. فحكم على الخنثى بأنها رجل وفرق بينها وبين زوجها. ودليل ذلك: أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام وحيداً أراد الله سبحانه وتعالى لإحسانه إليه ولخفى حكمته فيه أن يجعل له زوجاً من جنسه ليسكن كل واحد منهما إلى صاحبه. فلما نام آدم عليه السلام خلق الله عزّوجلّ من ضلعه القصرى من جانبه الأيسر حواء فانتبه فوجدها جالسة إلى جانبه كأحسن ما يكون من الصور. فلذلك صار الرجل ناقصاً من جنبه الأيسر عن المرأة بالضلع والمرأة كاملة الأضلاع من الجانبين والأضلاع الكاملة أربعة وعشرون ضلعاً هذا فى المرأة، وأما الرجل فثلاثة وعشرون ضلعاً اثنا عشر فى الأيمن وأحد عشر فى الأيسر؛ وباعتبار هذه الحالة ضلع المرأة أعوج. أهـ. من الفصول المهمة ولنرجع إلى ما نحن بصدده. وأخرج الطبرانى والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أنْ يكلمه إلا على». وأخرج الطبرانى والحاكم بإسناد حسن عن ابن مسعود أن النبىﷺ قال: «النظر إلى علىٍّ عبادة». وأخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى عليّاً فقد آذانى». وأخرج الطبرانى بسند عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ قال: «من أحبّ علياً فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض علياً فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله». وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب علياً فقد سبنى». وأخرج الطبرانى بسند ضعيف أن علياً قال: «إن خليلى ﷺ قال: يا على إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضين ويقدم أعداؤك غضاباً مقمحين». ثم جمع على رضى الله عنه يده إلى عنقه يريهم الإقماح. وشيعته: هم أهل السنة لأنهم هم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله لا الروافض. وأعداؤه الخوارج. وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن على قال: دعانى رسول الله ﷺ فقال: «إن فيك مثلا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذى ليس به». ألا وإنه يهلك فى اثنان محب مفرط يطرينى بما ليس فى ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى. وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علىٌّ مع القرآن والقرآن مع علىٍّ لا يفترقان حتى يردا عَلَى الحوض». وأخرج الحاكم عن جابر أن النبىﷺ قال: «علىٌّ إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله». وأخرج الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبىﷺ قال: «علىٌّ بمنزلة رأسى من بدنى». وأخرج البيهقى والديلمى عن أنس أن النبىﷺ قال: «علىٌّ يزهو فى الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا». وأخرج الترمذى والحاكم أن النبىﷺ قال: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علىٌّ وعمار وسلمان». وأخرج الشيخان عن سهل: «أن النبىﷺ وجد علياً مضطجعاً فى المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبىﷺ يمسحه

عنه، ويقـول: قم أبا تراب». وكـانت هذه الكنيـة أحب الكنى إليـه رضى الله عنه. فـفى صحـيح البخارى عن أبى حازم أن رجـلا جاء إلى سهل بن سعـد فقال: هذا فلان لأمـير المدينة يدعو علياً عند المنبر. قال: فـيقول: مـاذا؟. قال: يقول له: أبو تراب. فـضحك. قال: والله ما سماه إلا النبى ﷺ وما كان له اسم أحب إليه منه فاستطعمت الحديث سهلا، وقلت: يا أبا عباس كيف؟ قال: دخل علىٌّ على فاطمة رضى الله عنهما ثم خرج فاضطجع فى المسجد. فقال النبى ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: فى المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجـعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين. قال الفـقهاء: وفيه جواز النوم فى المسجـد واستحباب ملاطفـة الغضبان، وممازحته والمشى إليه لاسترضائه. ومن كتاب الآل لابن خالويه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه : «حبك إيمان وبغـضك نفاق وأول من يدخل الجنة مـحبك وأول من يدخل النار مـبغـضك». وعن عمار بن يـاسر رضى الله عنه: «أن النبى ﷺ قـال لعلى: طوبى لمن أحبك وصـدق فيك، وويل لمن أبغـضك وكذب فيك». وعن ابن عباس رضى الله عـنهما: «أن النبى ﷺ نظر إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة من أحبك فقد أحبنى ومن أبغضك فقد أبغضنى وبغـيضك بغيض الله فـالويل كل الويل لمن أبغضك». وأخرج البـخارى عن علىّ رضى الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخـصومة يوم القيامة. وأخرج ابن سعد عن سعـيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يتعـوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعنى علياً وقد تقدم. وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: أفرض أهل المدينة وأقضاها علىّ.

وأخرج الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عـباس قال: ما أنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلىّ أميرها وشريفها. ولقد عاتب الله أصحـاب محمد فى غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير وقد تقـدم صدره أيضاً. وأخرج ابن عساكر عن ابن عـباس قال: ما نزل فى أَحَد من كتـاب الله تعالى مـا نزل فى علىّ رضى الله عنه. وأخـرج عنه أيضاً قـال: نزلت فى علىٍّ ثلثمـائة آية. وفضـائله رضى الله عنه كثـيرة مـشهورة؛ وحـسبك أنه أخـو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة، وصـهره عَلَى فـاطمة، وأَحَدُ العلماء الربـانيين والشجعـان المشهـورين والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضـه عَلَى رسول الله ﷺ. أخرج الشيخان عن سهل ابن سعد وغيرهما عن غيره أن النبى ﷺ قال: « لأعطينَّ الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبـه الله ورسوله» فبات الناس يخوضون ليلـتهم أيهم يعطاها؟. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كُلٌّ منهـم يرجو أن يُعْطَاها فقال ﷺ: « أين على بن أبى طالب؟. فقيل: يا رسول الله أرمد. قال: فأَرْسِلُوا إليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له

فبـراً حتى كـأن لم يكن به وجع فـأعطاه الراية. فقـال على رضى الله عنه: أقاتلهم حـتى يكونوا مثلنا. قال: فانفذ على رِسْلِكَ حتى تنزل بسـاحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فيه، فوالله لأن يهدى اللهُ بك رجـلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم. قال: فمضى ففتح الله على يديه.

(فائدتان) : الأولى: اشـتـرى أمـيـر المؤمنين علىّ بن أبى طـالب رضى الله عنه تمراً بدرهم فحمله فى ردائه فسأل بعض أصحابه: حمله عنه، فقال: أبو العيال أحق بحمله.

(الثانى): قال على كرم الله وجـهه: « من سعادة المرء أن تكون زوجته مـوافقة وإخوانه صالحين وأولاده أبـراراً ورزقه فى بلده الذى هو فـيه. وبالجـملة فتـعداد فضـائله ومناقـبه ومكانته فى العلم والفـهم والاستقامة والـشجاعة والشهـامة والفراسة الصـادقة والكرامات الخارقـة وشدته فى نصر الإسـلام ورسوخ قدمـه فى الإيمان، وسخـائه وصدقتـه مع ضيق الحال، وشفقـته على المسلمين وزهده وتواضعه وتحمله وتفاصـيل ذلك باب واسع يحتمل مـجلدات. ولذلك قال الإمـام أحمـد بن حنبل والقـاضى إسمـعيل بن إسـحق وأبو على النيسابورى والنـسائى: لم نرو فى فضائل أحد من الصـحابة بالأسانيد الحـسان ما روى فى فضل على بن أبى طالب. قـال السيد السمـهودى فى (جواهر العقـدين) والسبب فى ذلك والله أعلم: أن الله تعالى أطلع نبيهﷺ عَلَى ما يكون بعده مما ابتلى به علىٌ رضى الله عنه، وما وقع مـن الاختلاف لما آل إليـه أمر الخـلافة فـاقتضى ذلك نـصح الأمة بإشهـاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغـته، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه. نشر من سـمع من الصحابة تلك الفـضائل وبينها نصـحاً للأمة. ثم أيضاً لما اشـتد الخطب واشتغلت طائفة من بنى أمية بتنقيصـه وسبه على المنابر. ووافقهم الخوارج بل قالوا: بكفره اشتغل جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث الفضـائل حتى كثرت نصحاً للأمة ونصرة للحق. أهـ. من (بغية الطالب لمعرفة أولاد على بن أبى طالب).

●●●●●

فصل
فى ذكر بعض من كلامه رضى الله عنه

فمن كلامه كما نقله غير واحد: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم. قيمة كل امرئ ما يحسنه. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوء تحت لسانه. من عذب لسانه كثر إخوانه. بالبر يستعبَدُ الحر. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر إلى مَنْ قال وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغى. لا ثناء مع الكبر. لا برَّ مع الشح. لا صحة مع الهم. لا شرف مع سوء الأدب. لا اجتناب لمحرم مع الحرص. لا راحة مع الحسد. لا سؤدد مع الانتقام. لا محبة مع المراء. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة لكذوب. لا زيارة مع زعارة[1]. لا وفاء لملول. لا كرم أعز من التقى. لا شرف أعلى من الإسلام. لا معقل أحصن من العقل. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيا من الجهل. لا مرض أضنى من قلة العقل. لسانك يقضيك ما عودته. المرء عدوّ ما جهله. رحم الله امرءًا عرف نفسه ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير للذنب. النصح بين الملأ تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيع جناح الطالب. نفاق المؤمن ذلة. نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. المسئول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه. السامع للغيبة أحد المغتابين. الذل مع الطمع. العز مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه حقد عليه واستخف به. عبد الشهوة أذل من عبد الرق. الحاسد يغتاظ على من لا ذنب له. منع الجود سوء ظن بالمعبود. كفى بالظفر شفيعاً للمذنب. رب ساع فيما يضره. لا تتكل على المنى فإنها بضائع النوكى[2]. اليأس حر والرجاء عبد. ظن العاقل كهانة. من نظر اعتبر. العداوة شغل القلب. القلب إذا أكره عمى. الأدب صوره العقل. من لانت أسافله صلبت أعاليه. من أتى مجانة قل حياؤه وبذؤ لسانه، السعيد من وعظ بغيره. البخل جامع لمساوى العيوب. كثرة الوفاق نفاق. كثرة الخلاف شقاق. رب رجاء يؤدى إلى الحرمان. رب ربح يؤدى إلى خسران. رب طمع كاذب. البغى سائق إلى الحين. فى كل جرعة شرقة. ومع كل أكلة غصة. من كثر فكره فى العواقب لم يشجع. إذا حلت المقادير بطلت التدابير. إذا حل القدر بطل الحذر. الإحسان يقطع اللسان. الشرف بالعقل والأدب بالأصل. أكرم النسب حسن الأدب. أفقر الفقراء الحمق. أوحش وحشة العجب. أغنى الغنى العقل. الطامع فى وثاق الذل. ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب من نجا كيف نجا؟. احذروا كفران النعم فما كل شارد بمردود . أكثر مصارع العقول تحت بروق

---

(١) الزعارة: شراسة الخلق. اللسان (زعر).

(٢) النَّوْكَى: جمع مفردها. الأحمق، الأشد حمقا. العاجز الجاهل.

الأطماع. من أبدى صفحته للخلق هلك . . إذا أملقتم[1] فبادروا بالصدقة . من لان عوده كثرت أغصانه. قلب الأحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه . من جرى فى ميدان أمله عثر فى عنان أجله. إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكر القدرة عليه. ما أضمر أحد شيئًا فى قلبه إلا ظهر عليه فى فلتات لسانه، وصفحات وجهه. البخيل يستعجل الفقر يعيش فى الدنيا عيشة الفقراء، ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

(وعنه أيضاً رضى الله عنه فى العلم) العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه. (وعنه رضى الله عنه) قصم ظهرى رجلان: عالم متهتك وجاهل متنسك هذا ينفر الناس بتهتكه، وهذا يضل الناس بتنسكه. (وعنه) أقل الناس قيمة أقلهم علماً: إذ قيمة كل امرئ ما يحسنه؛ وكفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه؛ وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه مَنْ هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه والناس عالم أو متعلم، وسائرهم همج رعاع.

(وعنه فى العقل) الإنسان عقل وصورة فمن أخطأ العقل لزمته الصورة ولم يكن كاملا وكأنه بمنزلة جسد بلا روح. **(وعنه فى صفة الدنيا)** كأن ما هو كائن من الدنيا لم يكن، وكأن ما هو كائن من الآخرة لم يزل، وكل ما هو آت قريب، فكم من مؤمل أمر لا يدركه، وكم جامع مال لا يأكله وداخر ما عساه أن يتركه، ولعله من باطل جمعه ومن حرام رفعه أصابه حراماً، وورثة عدواناً واحتمل وزره وباء منه مما يضره خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين (وعنه) لا تكون غنياً حتى تكون عفيفاً، ولا تكون زاهداً حتى تكون متواضعاً، ولا تكون متواضعاً حتى تكون حليماً، ولا يسلم قلبك حتى تحب للمسلمين ما تحب لنفسك، وكفى بالمرء جهلا أن يرتكب ما عنه نهى. وكفى به عقلا أن يسلم الناس من شره، وأعرض عن الجهل وأهله، اكفف عن الناس ما تحب أن يكف الناس عنك، وأكرم من صافاك وأحسن مجاورة من جاورك وإن جانبك، واكفف الأذى واصفح عن سوء الأخلاق، ولتكن يدك العليا إن استطعت، ووطن نفسك على الصبر على ما أصابك، وألهم نفسك القناعة، وأكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان، ولا تنافس على الدنيا، ولا تتبع الهوى، وعليك بالشيم العالية تقهر من يناويك. (وعنه) قل عند كل شدة: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تكف، وقل عند كل نعمة: الحمد لله تزد منها، وإذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يوسع عليك»، مفتاح الجنة الصبر، مفتاح الشرف التواضع، مفتاح الكرم التقوى، من أراد أن يكون شريفاً فليلزم التواضع، عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله (وقال رضى الله عنه): لا شرف لبخيل، ولا همة لمهين، ولا سلامة لمن أكثر من مخالطة الناس، ولا كنز أغنى من القناعة، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت. (وقال رضى الله عنه): من كثرت عوارفه كثرت معارفه، مَنْ أجملَ فى الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب. مَنْ كثر دَيْنُه لم تقر عينه. من فعل ما شاء لقى ما ساء، من

(١) أملق: أنفق ماله حتى افتقر. اللسان (ملق).

استعان بالرأى ملك، ومن كابد الأمور هلك، من أمسك عن الفضول عُدَّ من أرباب العقول، من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به جمالا، من كساه الغنى ثوباً حجبت عن العيون عيوبه. من حسنت سياسته دامت رياسته، من ركب العجلة لم يأمن الكبوة، من تقدم بحسن النية نصره التوفيق. (وقال كرم الله وجهه): الوحدة راحة، والعزلة عبادة، والقناعة غنى، والاقتصاد بلغة، والعزيز بغير الله ذليل، والغنى الشره فقير، ولا تعرف الناس إلا بالاختبار، فاختبر أهلك، وولدك فى غيبتك، وصديقك فى مصيبتك، وذا القربة عند فاقتك، والتودد والملق عند عطلتك لتعلم بذلك منزلتك. (وقال رضى الله عنه): ما ذبَّ عن الأعراض كالصفح والإعراض. وقال رضى الله عنه: خير الكلام ما دلّ وقلّ وجلّ ولم يملّ. (وقال كرم الله وجهه): فى إغصائك راحة أعضائك. أجلّ النوال ما وصل قبل السؤال. الحكيم لا يعجب بقضاء محتوم حلّ بمخلوق. عفة اللسان صمته. من الفراغ تكون الصبوة. وقال رضى الله عنه: لا تحدث عن غير ثقة تكن كذاباً، وقارن أهل الخير تكن منهم وأبن[1] أهل الشر تبن[2] عنهم، واعلم أن من الحزم العزم، وساعد أخاك إن جفاك، وإن قطعته فاستبق له بقية من نفسك ولا ترغب فيمن زهد[3] فيك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه، واعلم أن عاقبة الكذب الذم وعاقبة الصدق النجاة. (وقال كرم الله وجهه): خير أهلك من كفاك، ترك الخطيئة أهون من التوبة. عدو عاقل خير من صديق جاهل. التوفيق من السعادة. من تجنب عيوب الناس بنفسه بدأ. من سلم من ألسنة الناس فهو السعيد. مَنْ تَحفَّظ من سقط الكلام أفلح. كم من غريب خير من قريب. خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك. خير مالك ما أعانك على حاجتك. من أحب الدنيا جمع لغيره. المعروف فرص، والدنيا دول. من كان فى النعمة جهل قدر البلية. من قل سروره كان فى الموت راحته. السؤال مذلة. والعطاء محبة والمنع مبغضة. وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار. الحر حر ولو مسه الضر. ما ضل من استرشد، ولا خاب من استشار. الحازم لا يستبدل به. آمن منْ نفسك عندك مَنْ وثقته على سرك. المودة بين الآباء صلة بين الأبناء. من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه. من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته. من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها. رب مفتون بحسن القول فيه. الدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فلا تضجر. الراكن إلى الدنيا مع ما يعاين فيها جاهل. الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار له عجز. البخل جامع لمساوى الأخلاق. نعم الله على العبد جالبة حوائج الناس إليه، فمن قام فيها بما يجب عرضها للدوام، ومن لم يقم بها عرضها للزوال والفناء، والعفاف زينة الفقراء. الناس أبناء الدنيا فلا لوم عليهم فى حبهم أمهم. الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب. الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب إن قربت من أحدهما بعدت عن الآخر.

(١، ٢) أبن: ابتعد واهجر، تبن: تبتعد. اللسان (بان).

(٣) زهد فيك: تخلى عنك.

الطمع ضامن غير وافى. الأمانى تعمى أعين البصائر، ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب، ومن أطال الأمل أساء العمل.

(عن ابن عباس رضى الله عنهما قال): ما انتفعت بكلام بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكتاب كتبه إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فإنه كتب إلى: «أما بعد: فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره إدراك ما لم يكن ليفوته؛ فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلت من دنياك فلا تكن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه، وليكن همك لما بعد الموت والسلام. وقال رضى الله عنه يخاطب سيدنا عمر رضى الله عنه: إن أردت أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل، وكل دون الشبع، وارفع القميص والبس الإزار واخصف النعل تلحق بهما. وقال رضى الله عنه: الشىء شيئان شىء قصر عنى لم أرزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقى وشىء لا أناله دون وقته ولو استعنت عليه بقوة أهل السموات والأرضك فما أعجب الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت مالم يكن ليدركه، ولو أنه فكر لأبصر ولعلم أنه مدبر، واقتصر على ما تيسر، ولم يتعرض لما تعسر، واستراح قلبه مما استوعر فكونوا أقل ما تكونوا فى الباطن آملا وأحسن ما تكونوا فى الظاهر أعمالا فإن الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدبا حسناً فقال عزّ من قائل: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (١) . ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله. (ومن كلامه رضى الله عنه): يوم العدل على الظالم شر من يوم الجور على المظلوم. خير ما ساس الإنسان به نفسه ضبط اللسان. خصلتان لا تجتمعان الكذب والمروءة. خير المعروف ما لم يتقدمه المطل ويقارنه التعبيس ويتبعه المن. خف الله خوفاً لا تيأس فيه من رحمته، وارجه رجاء لا تأمن فيه عقابه. رب حيلة أهلكت المحتال. إذا نزل القضا كان العطب فى الحيلة. خفاء عيب الإنسان عليه أشد عيوبه مضرة عليه. أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى. الحيوان جسم نام حساس. إذا ارتفع الوضيع وضع الرفيع. علة الفرار فى الحرب المعصية دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ (٢) الآية. ومن كلامه رضى الله عنه لابنه الحسن رضى الله عنه: يا بنى أبذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة، ولا تفش له كل الأسرار». ومن كلامه المنظوم رضى الله عنه ما نقله صاحب الكنز المدفون:

ألاَ لن تنالَ العلمَ إلا بستةٍ ... سأُنبيك عن مجموعها ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ واصطبارٌ وبلغةٌ ... وإرشادُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

(١) سورة البقرة ٢٧٣. (٢) سورة آل عمران آية ١٥٥.

ومن كلامه رضى الله عنه كما فى الفصول المهمة:

وكُنْ معدنًا للحلم واصفحْ عن الأذى فإنّك لاقٍ ما عملتَ وسامع
وأحببْ إذا أحببتَ حُباً مقارباً فإنك لا تدرى متى الحبُ راجع
وأبغضْ إذا أبغضتَ بغضاً مقارباً فإنك لا تدرى متى البغضُ رافع

ومن كلامه رضى الله عنه من الديوان المنسوب له:

وما طَلَبُ المعيشة بالتمنى ولكن ألقِ دلوكَ فى الدلاء
تَجِئْكَ بملئها يوماً ويوماً تجئك بحمأة وقليلِ ماء
لنعم اليومَ يومُ السبت حقاً لصيد إن أردتَ بلا امتراء
وفى الأحد البناءُ لأنّ فيه تبدى اللهُ فى خلق السماء
وفى الاثنين إن سافرتَ فيه ستظفرُ بالنجاح وبالثراء
ومَنْ يُرِد الحجامةَ فالثلاثا ففى ساعته سفكُ الدماء
وإنْ شَرِبَ امرؤٌ يوماً دواءً فنعم اليومَ يومُ الأربعاء
وفى يوم الخميسِ قضاءُ حاج ففيه الله يأذنُ بالدعاء
وفى الجُمُعات تزويجٌ وعرسٌ ولذاتُ الرجال مع النساء
وهذا العلمُ لم يعلمْه إلا نبىٌّ أو وصىُّ الأنبياء

ومنه أيضاً:

شيئان لو بكت الدماءُ عليهما عيناى حتى تؤذنا بذهابِ
لم تبلغا المعشارَ من حقيهما فقدُ الشبابِ وفرقةُ الأحبابِ

ومنه أيضاً:

إذا ما المرءُ لم يحفظْ ثلاثاً فَبِعْه ولو بكفٍّ من رماد
وفاءٌ للصديقِ وبذلُ مالٍ وكتمانُ السرائرِ فى الفؤادِ

ومنه أيضاً:

الناسُ من جهة التمثيل أكفاءُ أبوهم آدمُ والأمُ حواءُ
فإنْ يكنْ لهم فى أصلهم شرفٌ يُفاخرون به فالطينُ والماءُ
ما الفضلُ إلا لأهل العلم إنّهم على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقيمةُ المرءِ ما قد كان يُحْسِنُه والجاهلون لأهلِ العلم أعداءُ
وإنْ أتيتَ بجودٍ من ذوى نسبٍ فإنّ نسبتَنا جودٌ وعلياءُ

فـــقـــمَ بعلمٍ ولا تـبـــغـيِ بـه بدلا　　فـالنـاس مـوتى وأهلُ العلم أحــيـاءُ

ومن كلامه رضى الله عنه ما أورده صاحب الفصول المهمة أيضاً:

فـارقْ تجِــدْ عـوضـاً عَمّنْ تـفـارقُه　　وانصبْ فإن لذيذَ العـيش فى النصب
فالأسدُ لولا فـراقُ الغابِ ما اقْتنصَتْ　　والسهم لولا فـراقُ القوسِ لم تصب

ومنه أيضاً:

وإن تُعْطِ نفــــسَك آمــــالهـــــا　　فــــــعـنـد مُنـاها يَحِلُّ الـنـدمُ
فكـم آمنٍ عـــاش من نـعــمــــة　　فـمـــا حَسّ بالفــقـرِ حـــتى هجم
إذا كنتَ فـى نعــمـــة فـــارْعَهــاً　　فـــإنّ المعـــــاصىَ تزيـلُ النـعمَ
وداومْ علـيـــهـــا بشُكـرِ الإلَـــه　　فــــإنّ الإلـهَ ســـــريعُ الـنقـمِ

ومنه أيضاً:

أحْمَدُ ربـى علـى خــــــصـــــالِ　　خَصّ بهـــــا ســـــادةَ الرجـــــال
لزومُ صـــــبـــــرٍ وخلعُ كــــبـــــرٍ　　وصـــــونُ عـــرضٍ وبـذلُ مـــالَ

عن جابر رضى الله عنه قـال: دخلت على علىٍّ كرم الله وجهه فى بعـض علاته وقد تغير فلما نظر إلى قـال لى: يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثـرت حوائج الناس إليه فإن قام فـيها بما أمر الله تعـالى عرضهـا للدوام والبقاء، وإن لم يعـمل فيها بما أمـر الله تعالى عرضها للزوال والفناء ثم أنشأ يقول:

مَنْ لم يـواس الناسَ مـن فـــضـله　　عـــرّضَ لـلإدبار إقــبـــالَهــــا
فــاحـــذرْ زوالَ الفـــضل يا جـــابرُ　　وأعط مـن الدنيـــا لمن ســـالهـــا
فـــإنّ ذا العـــرش جـــزيلُ العـطا　　يضـــعـفُ بالحـبـةِ أمـــثـــالهـــا

قال جابر رضى الله عنه: ثم هز بضبعى هزة خـيل لى أن عضدى خرجت من كاهلى وقال: يا جـابر حوائج الناس إليكم من نعم الله عليـكم فلا تملوا النعم فتـحل بكم النقم، واعلموا أن خير المال ما أكسب حمداً وأعقب أجراً ثم أنشأ يقول:

لا تَخْضَعَنْ لمخـلـوق عـلـى طـمـع　　فـــإنّ ذلك وهنٌ مـنك فى الـدين
واســألِ الملكَ مما فـى خـــزائـنه　　فـــإنّمــــا هى بـين الكاف والـنون
إنّا نـرى كلَّ مَنْ نـرجـــــو ونأمـلُه　　فى البـــرية مـــسكـينُ ابنُ مَـسكينِ
ما أحسنَ الجـودَ فى الدنيا وفى الدينِ　　وأقـــبحَ البـخـلَ مِمّنْ صِيغَ من طينَ

قال جابر رضى الله عنه : فهممت أن أقوم قال: وأنا معك يا جابر فلبس نعليه وألقى

إزاره عن منكبيه وخرجنا نساير فذهب بنا إلى جبانة الكوفة فسلم على أهل القبور فسمعت ضجة وهدة فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هؤلاء بالأمس كانوا معنا واليوم فارقونا لا تسل عن أحوالهم فهم إخوان لا يتزاورون وأوداء لا يتعاودون ثم خلع نعليه وحسر عن ذراعيه وقال: يا جابر أعطوا من دنياكم الفانية لآخرتكم الباقية، ومن حياتكم لموتكم، ومن صحتكم لسقمكم، ومن غناكم لفقركم اليوم أنتم فى الدور وغداً فى القبور وإلى الله تصير الأمور ثم أنشأ يقول:

سلامٌ على أهل القبور الدوارسِ ... كأنَّهم لم يجلسوا فى المجالسِ
ولم يشربوا من بارد الماء شربةً ... ولم يأكُلُوا ما بين رطب ويابسِ
ألا فاخبروا فى أيّ قبرِ ذليلُكم ... وقبرُ العزيز الباذخ المتشاوسِ
إذا عَقَدَ القضاءُ عليك أمراً ... فليس يَحُلُّه غيرُ القضاء
فما لك قد أقمتَ بدارِ ذُلٍّ ... وأرضُ الله واسعةُ الفضاء

ومن كلامه رضى الله عنه كما فى الفصول:

صُنِ النفسَ واحملْها على ما يزينُها ... تَعِشْ سالماً والقولُ فيك جميلُ
وإن ضاقَ رزقُ اليوم فاصبرْ إلى غد ... عسى نكباتُ الدهرِ عنك تزولُ
وما أكثرَ الإخوانَ حين تعدهم ... ولكنَّهم فى النائباتِ قليلُ

ومن كلامه أيضاً رضى الله عنه :

وعشْ مُوسراً شئتَ أو مُعسراً ... فلا بُدَّ تَلْقَى بدنياك غَمٌّ
ودنياك بالغمِّ مقرونةٌ ... فلا يقطعُ العمرَ إلا بهَمّ
حلاوةُ دنياك مسمومةٌ ... فلا تأكل الشهدَ إلا بسم
محامدُك اليوم مذمومةٌ ... فلا تكسب الحمدَ إلا بذم
إذا تَمَّ أمرٌ بَدَا نقصُه ... تَوَقَّعْ زوالاً إذا قيل تَمّ

●●●●●

فصل
فى ذكر شىء من شجاعته رضى الله عنه

فمن شجاعته: نومه على فراش رسول الله ﷺ لما أمره بذلك، وقد اجتمعت قريش على قتل النبى ﷺ ولم يكترث على رضى الله عنه بهم. قال بعض أصحاب الحديث أوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أن انزلا إلى علىٍّ واحرساه فى هذه الليلة إلى الصباح فنزلا إليه وهم يقولون: بخ بخ مَنْ مثلك يا على قد باهى الله بك ملائكته. (وأورد) الإمام الغزالى فى كتابه إحياء العلوم: أن ليلة بات على رضى الله على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إنى آخيت بينكما وجعلت عُمْرَ أحدكما أطول من عُمْرِ الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحبها فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثر صاحبه بالحياة؟، فاختار كلاهما الحياة وأحباها. فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟. اهبطا الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه ينادى ويقول: بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى الله بك الملائكة فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١). وفى تلك الليلة أنشأ على رضى الله عنه:

وقيتُ بنفسى خيرَ مَنْ وَطِئَ الحصى ... وأكرمَ خلقٍ طاف بالبيتِ والحجرِ
وبتُّ أرعى منهم ما يسوؤنى ... وقد صَبَّرْتُ نفسى على القتلِ والأسرِ
وبات رسولُ الله فى الغار آمنًا ... ومازال فى حفظِ الإله وفى السِّترِ

(ومن شجاعته رضى الله عنه) ما وقع على يديه فى غزوة بدر وكان عمره إذ ذاك سبعاً وعشرين سنة. قال بعضهم: إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة مَنْ قُتِلَ مِنَ المشركين يوم بدر سبعون رجلا قال: قتل علىّ رضى الله عنه منهم أحداً وعشرين تسعة باتفاق الناقلين، وأربعة شاركه فيهم غيره وثمانية مختلف فيهم. روى عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال: لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد فنادى عتبة رسول الله ﷺ: يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة من شبان الأنصار: فقال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا، فقال: لا حاجة لنا فى مبارزتكم إنما

(١) سورة البقرة ٢٠٧.

طلبنا بنى عمنا. فقال رسول الله ﷺ للأنصار: ارجعوا مواقفكم ثم قال: قم يا على قم يا حمزة وكان على رءوسهم البيض فلم يعرفوهم. فقال عتبة: من أنتم يا هؤلاء؟ تكلموا فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم. فقال حمزة بن عبد المطلب: أنا أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفء كريم وقال علىٌّ: أنا علىُّ بن أبى طالب، وقال عبيدة: أنا عبيد بن الحرث بن عبد المطلب. فقال عتبة لابنه الوليد: قم يا وليد ابرز لعلى وكان أصغر الجماعة سناً فاختلفا بضربتين أخطأت ضربة الوليد ووقعت ضربة علىٍّ رضى الله على اليد اليسرى من الوليد فأبانتها، ثم ثنى عليه بأخرى فخر قتيلا. روى عن على رضى الله عنه: أنه كان إذا ذكر بدراً وقتله الوليد قال فى حديثه: كأنى أنظر إلى وميض خاتمه فى شماله عندما أبنت يده وبها أثر من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعروس. وبارز عتبة حمزة وبارز عبيدة شيبة وكان من أسن القوم فاختلفا بضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها، فاستنقذه على وحمزة رضى الله عنهما، وقتلا شيبة، وحُمِلَ عبيدةُ فمات بالصفراء. (ومن شجاعته) رضى الله عنه قتاله يوم أحد. ومحصل القول فى هذه الغزوة: أن أشراف قريش لما كسروا يوم بدر، وقتل بعضهم، وأسر بعض آخر دخل الحزن على أهل مكة بقتل رؤسائهم وأشرافهم فتجمعوا. وبذلوا أموالا واستمالوا جمعاً من كنانة وغيرهم ليقصدوا النبىﷺ بالمدينة لاستئصال المسلمين، وتولى ذلك أبو سفيان بن حرب ،فحشد وحث وقصد المدينة فخرج النبىﷺ بالمسلمين فنفق النفاق بين جماعة من المسلمين من الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ، فرجع قريب من ثلثهم، وبقى مع النبىﷺ سبعمائة من المسلمين فالتقى الجمعان واشتد الحرب واضطرب المسلمون، واستشهد حمزة وجماعة من المسلمين، وقتل من مقاتلة المشركين اثنان وعشرون رجلا. نقل أصحاب المغازى أن علياً رضى الله عنه: قتل منهم سبعة: طلحة بن أبى طلحة وعبد الله بن جميل وأبا الحكم بن الأخنس وسباع بن عبد العزى وأبا أمية بن المغيرة، وهؤلاء الخمسة متفق على أنه رضى الله عنه قتلهم والاثنان مختلف فيهما. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خرج طلحة بن أبى طلحة يوم أحد فكان صاحب لواء المشركين فقال: يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة فأيكم يبرز إلى؟ فبرز إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه، وقال: والله لا أفارقك حتى أعجلك بسيفى إلى النار فاختلفا بضربتين فضربه علىٌّ رضى الله عنه على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض، فأراد أن يجهز عليه فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم. فانصرف عنه إلى موقفه فقال المسلمون: هلا أجهزت عليه. فقال: ناشدنى الله، ولن يعيش فمات من ساعته، وبشر النبىﷺ بذلك فسر وسر المسلمون. قال ابن إسحاق: كان الفتح يوم أُحُد بصبر على رضى الله عنه. روى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنابذى فى كتابه «معالم العترة النبوية» مرفوعا إلى قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع

علياً رضى الله عنه يقول: أصابتنى يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض فى أربع منهن فجاء رجل حسن الوجه طيب الريح وأخذ بضبعى فأقامنى ثم قال: أقبل عليهم فإنك فى طاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان قال على فـأتيت النبىﷺ فأخبرته فقال: يا على أقر الله عينك ذاك جبريل عليه السلام أهـ. ثم رجع أبو سفيان ومن معه إلى مكة والنبىﷺ إلى المدينة وهذه الغزوة ذكـرها الله فى سورة آل عمـران فى قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١). (ومن شجاعته) رضى الله عنه فى غزوة الخندق وذلك أنه لما بلغ رسول اللهﷺ: أن قريشـاً تجمعت وقائدهم أبو سفـيان بن حرب، وأن غطفان تجمعت وقائدهم عيينه بن حصن بن حذيفة بن بدر، واتفقوا مع بنى النضير من اليهود علـى قصد رسول الله ﷺ، وحصـار المدينة أخذ النبىﷺ فى حراسة المديـنة يحفر الخندق عليها وعمل النبىﷺ فيه بنفسه الشريفة، وأحكمه فى أيام فلما فرغ رسول الله ﷺ من حفـره أقبلت قريش بجمـوعها وجيـوشها ومن تبعـها من كنانة وأهل تهامة فـى عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجـد، فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنـــكُمْ﴾ (٢) فخرج النبـىﷺ ومن معه من المسلمين، وكانوا ثـلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم، واتفق اليـهود مع المشركين على قـتال رسول الله ﷺ. فلما رأى المسلمون ذلك اشتد الأمـر عليهم، وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبد ود، وكان من مشاهيرهم الصناديد وعكرمة بن أبى جهل وجاءوا حتى وقفوا على الخندق وبين المـسلمين، فلمـا رأى ذلك علىٌ رضى الله عنه: خـرج ومـعـه نفـر من المسلمين وبادروا الثغـرة التى دخلوا منها، وأخذوا عليـهم المضيق الذى اقتـحمته خـيولهم فرجع عمرو بـن عبد ود ومن بينهم ومعه ولده حنبل. وقال: هل من مـبارز؟ فأراد على أن يبرز إليـه فأرسل النبىﷺ لعلى ألا يبرز إليـه فجعل عـمرو ينادى هل من مبـارز؟ وجعل يقول: أين حـميتكم؟. أين جنتكم التى تزعـمون أن مَنْ قتل دخلها؟ أفـلا يبرز إلى رجل منكم؟. فجـاء علىٌ رضى الله عنه إلى النبى ﷺ فقـال: أنا له يا رسول الله فـقال ﷺ إنه عمروا! قـال: وإن كان عمراً. فأذن له فى مبـارزته ونزع عمامتهﷺ عن رأسـه وعمم علياً رضى الله عنه بها وقال: امض لشأنك فخرج على رضى الله عنه وعمرو يقول:

ولقـــــد بَحَحْتُ مِنَ الـندا ... لجـمعكم هـل من مبـارز؟
ووقـفتُ إذ وقف الـشـجـا ... عُ مـَـواقفَ القِرْن المناجــز
وكــــــذاك إنّى لـم أزلْ ... مـتـبـرعًا قـبلَ الهـزاهز[٣]
إنّ الشـجـاعــةَ فى الفـتى ... والجـودَ من خـيـرِ الغـرائزِ

(١) سورة آل عمران ١٢١.
(٢) سورة الأحزاب ١٠.
(٣) الهزاهز: الفتن، الحروب، الشدائد.

فأجابه على رضى الله عنه:

لا تَعْجَلَنْ فــــقـــــد أتا	ك مُجيبُ صوتك غير عاجزِ
ذو نيّة وبـصـــــيـــــرةٍ	والصـدقُ مُنجى كـلَّ فـائزِ
إنّى لأرْجُو أنْ أُقيـــــمَ	علـيْكَ نائـحـــــةَ الجنـائزِ
مِنْ ضــــربةٍ نجـــلاءَ يَبْقَى	ذكـــــرُها عنـد الهَزَاهِزِ[1]

ثم قال: يا عمرو إنك كنت أخذت على نفـسك عهداً ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلـتين إلا أجبتـه إلى واحدة منهـما: قـال: أجل. فقـال علىٌّ رضى الله عنه: إنى أدعوك إلى الله تعالى ورسوله ﷺ وإلى الإسلام. فقال: أما هذه فلا حاجة لى فيها. فقال له علىٌّ رضى الله عنه: فإذا كـرهت هذه فإنى أدعوك إلـى النزال، قال: ولم يا ابن أخى؟ فما أحب أن أقتلك ولقد كان أبوك خـلا لى. فقال على رضى الله عنه: أما أنا والله فأحب أن أقتلـك. فحمى عـمرو وغـضب من كلامـه، واقتـحم عن فرسـه إلى الأرض وضرب وجهـها، ونزل علىٌّ رضى الله عنه عن فرسـه، وأقبل كل منهمـا على الآخر، فتـصاولا وتجاولا ساعـة ثم ضربه علىٌّ رضى الله عنه على عاتقهِ بالسـيف رمى جنبه الأرض، وتركه قتيلا، ثم ركب علىٌّ رضى الله عنه فرسه، وكرَّ على ابنه حنبل فقتله أيضاً. فخرجت خيول قريش منهـزمةً ورمى عكرمة بن أبى جهـل رمحه، وفرّ، وأرسل الله عليـهم ريحاً وجنوداً ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [2].

●●●●●

---

(١) الهزاهز: الفتن التى تهز الناس، وهى: الحروب والشدائد. اللسـان (هزّ).

(٢) سورة الأحزاب ٢٥.

فصل

فى الكلام على وقعة الجمل وقتال صفين

فى ذخائر العقبى عن محمد بن الحنفية قال: أتى رجل عليّا وعثمان محصور فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر، فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، فقام على قال محمد: أخذت بوسطه تخوفاً عليه. فقال: خل لا أم لك، فأتى على الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه وأتاه الناس، فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك فقال لهم على رضىَ الله عنه: لا تريدونى فإنى لكم وزير خيراً لكم منى أمير. فقالوا: والله لا نعلم أحداً أحق بها منك. قال: فإن أبيتم علىّ فإن بيعتى لا تكون سراً ولكن ائتوا المسجد فمن شاء أن يبايعنى بايعنى. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس. أخرجه الإمام أحمد فى المناقب. قال ابن إسحاق: إن عثمان لما قتل بويع على بن أبى طالب بيعة العامة فى مسجد رسول الله ﷺ وبايع له أهل البصرة وبايع له بالمدينة طلحة والزبير. وفى الفصول المهمة: أول من بايعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فنظر إليه رجل يقتات يقال: حبيب بن ذؤيب فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الأمر، ثم بايعه الزبير رضى الله عنه، ثم بقية الناس من المهاجرين والأنصار غير نفر يسير لأنهم كانوا عثمانية منهم: محمد بن مسلمة والنعمان ابن بشير، وكانت البيعة يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة. فما كان من النعمان بن بشير إلا أن أخذ قميص عثمان رضى الله عنه الذى قتل فيه ملطخاً بالدم، وأخذ أصابع زوجته نائلة، وهرب إلى الشام عند معاوية. وأما طلحة والزبير رضى الله عنهما فهربا إلى مكة بعد المبايعة بأربعة أشهر، ثم إن عليا رضى الله عنه فرق إلى البلدان عماله وكتب إلى بعض عمال عثمان رضى الله عنه يستدمهم عليه وكتب إلى معاوية أيضاً يستقدمه فعند فراغه من كتابه. . الكتاب جاء المغيرة بن شعبة فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال كتاب كتبته إلى معاوية وأريد أن أبعث الرسول فقال: يا أمير المؤمنين عندى لك نصيحة فاقبلها منى: قال: إنه ليس أحد يتشغب عليك غير معاوية وفى يده بلاد الشام وهو ابن عم عثمان وعامله فابعث إليه بعهده تلزمه طاعتك فإذا استقرت قدماك رأيت فيه رأيك فقال على لا والله لا يرانى الله مستعيناً بمعاوية أبداً ولكن إلى ما نحن فيه فإن أجاب وإلا حاكمته إلى الله. فخرج عنه المغيرة فلما كان الغد جاء المغيرة، وقال: يا أمير المؤمنين إنى قد جئتك بالأمس وأشرت عليك بما أشرت وخالفتنى ثم إنى رأيت ليلتى هذه أن الرأى ما رأيت فأرسل إلى معاوية الكتاب الذى كتبت فإن قدم وإلا فاعزله. فقال: أفعل إن شاء الله تعالى. فخرج المغيرة بن شعبة ،وفر إلى مكة وكان يقول: نصحت علياً فلما لم يقبل غششته. عن ابن عباس رضى

الله عنهما. قـال: أتيت علياً رضى الله عنه بعد مـبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مُستخلياً به فـقلت له بعد أن خرج: ما كان يقول لك هذا؟ فقال: قـال: لى مرة قبل مرته هذه إن النصيحـة أن تقر معاوية على عـهدة وابن عامر وعمـال عثمان حتى يأتيك بيـعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شـئت منهم وأبق من شئت منهم فأبيت عليـه ذلك ثم عاد إلى الآن فقـال: إنى رأيت أن تصنع الذى رأيت أن تعـزل من تختـار وتقر من تثق به قـال ابن عباس: فقلت لعلى: أما المرة الأولى فقد نصح، وأمـا المرة الثانية فقد غشك. قال: وكيف نصحه لى؟ قلت: لأن مـعاوية وأصحابه أهل دنيـا فمتى أثبتهم على عـملهم سكنوا ومتى عزلتهم يقـولون: أخذ الأمر بغيـر حق وهو قتل صاحبنا عثـمان مع أنى لا آمن عليك من طلحة والزبيـر؛ وأنا أشير عليك أن تبـقى معاوية فإن بايع فلـك على أن أقلعه من منزله. فقـال على رضى الله عنه: لا أعطيه إلا السيف. فـقلت: له افعل فإن أيسـر ما لك عندى الطاعة وإنى باذلها لك فقال على رضى الله عنه: أريد منك أن تسير إلى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس: ما هذا برأى إن معاوية رجل من بنى أمية وهو ابن عم عثمان ولست آمن أن يضرب عنقى بعثـمان وإن أدنى ما هو صانع بى إن أحسن إلى أن يحـبسنى ويتحكم فى لقـرابتى منك وكل ما حـمل عليك حمـل على، ولكن أرسل إليه الكتـاب الذى كتـبتـه تستقدمه فـيه، وانظر بماذا يجيب. قال: فأرسل على الكتاب الذى كتبـه بيد الجهنى. فلما قدم على مـعاوية بالكتاب أخذه منه ووقف عـلى ما فيه ولم يجب عنه بشئ حـتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان وذلك فى أواخر صفر دعا معاوية رجلا من بنى عبس فدفع إليه طوماراً مختوماً من غير كـتابة ليس فى باطنه شئ عنوانه من معاوية بن أبى سفيان إلى على ابن أبى طالب وقال للعبسى: إذا دخلت المدينة فادخلها نهاراً وأعط علياً الطومار على رءوس الناس فإذا قبضه وفتحه إلى آخره ولم يجد فيه شيئاً. يقول لك: ما الخبر؟ فقل: له كيت وكـيت بكلام أسره للرسـول ثم دعا معـاوية الجهنى رسول عـلى فجهـزه مع رسوله فخرجا معاً فقدما المدينة فى اليوم العاشر من ربيع الأول. فرفع رسول معاوية الطومار على يده عند دخوله المدينـة وتبعه الناس ينظرون مـا أجاب به معاويـة ودخل الرسول على علىٍّ وأعطاه الطومار فـفض خاتمه وفـتحه إلى آخـره فلم يجد فيـه كتـابة. فقال للرسـول: ما وراءك؟. قـال: آمن أنا؟ قـال: نعم إن الرسـول لا يقتل قـال: إنى تركت ورائـى أقوامـا يقولون: لا نرضى بالقـود. قال: ممن؟ قال: يقـولون: من خيط رقبـة علىٍّ وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قـميص عثـمان وهو منصوب لهم قـد ألبسوه منبـر مسجـد دمشق وأصابع زوجته نائلة معلقة فيـه. فقال على رضى الله عنه: أمنى يطالبون دم عثمان؟ اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان اخرج. قال: وأنـا آمن. قال: وأنت آمن فخرج العبسى وأراد الناس أن يقتلوه ولولا أمان على لقـتلوه ثم أحب أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأى على رضى الله عنه فى معاوية رضى الله عنه هل يقاتله أو يتركه؟ وقد بلغهم أن الحسن ابنه دعاه إلى العقود. فدسوا إليه زياد بن حنظلة التـيمى وكان يتردد إلى على رضى الله عنه فجلس

إليه ساعة. فقال له علىٌّ رضى الله عنه: يا زياد تسير. فقال: لأى شئ يا أمير المؤمنين؟. فقال: لحرب الشام. فقال: زياد: الأناة والرفق أمثل يا أمير المؤمنين؟. فقال: لا إلا السيف. فخرج زياد من عنده والناس ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟. قال: السيف. فعرفوا ما هو فاعل، ثم إن علياً رضى الله عنه تجهز يريد الشام لقتال معاوية رضى الله عنه ودعا بمحمد بن الحنفية فأعطاه اللواء، وجعل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ميمنته وعمرو بن مسلمة ميسرته، وجعل أبا ليلى عمرو بن الجراح ابن أخى عبيدة رضى الله عنه على مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن العباس رضى الله عنهما، وكتب إلى العراق إلى قيس بن سعد وإلى سعد والى الشام وإلى أبى موسى الأشعرى أن يندبوا الناس إلى الخروج إليه إلى أهل الشام فبينما هم كذلك على قصد التوجه إلى الشام إذ أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم أنهم على الخلاف، وأنهم قد سخطوا إمارته وهم يريدون الخروج إلى البصرة. وكان سبب ذلك أن طلحة والزبير لما قدما من المدينة إلى مكة وجدا عائشة رضى الله عنها بها فقالت لهما: ما وراءكما؟ فقالا: إنا تحملنا هرباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم، فقالت: ننهض إلى هذه الغوغاء فقالا: كيف يكون ؟ فقالت نأتى الشام فقال ابن عامر وكان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان: لا حاجة لكم فى الشام فقد كفاكم معاوية ولكن نأتى البصرة فإن لى بها صنائع ولى بها المال، ولأهل البصرة فى طلحة هوى وهو الأوفق بنا. والأليق. فاستقر رأيهم على التوجه إلى البصرة، وأجابتهم عائشة رضى الله عنه إلى ذلك، ودعوا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يسير معهم فأبى، وقال: أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون. فتركوه، وأرادت حفصة أخته زوج النبى ﷺ أن تسير معهم فمنعوها. ثم إن يعلى بن منبه جهزهم بستمائه ألف درهم وستمائة بعير وكان من عمال عثمان رضى الله عنه على اليمن قدم مكة بعد مقتل عثمان. ونادى منادى عائشة رضى الله عنها: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد إعزاز الدين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا على ستمائة بعير، وساروا فى ألف من أهل مكة، ولحقهم أناس آخرون فكانوا ثلاثة آلاف رجل، وأعطى يعلى بن منبة جملا لعائشة اسمه عسكر اشتراه بمائة درهم. قالوا: وخرجت عائشة ومن معها من مكة وخرج معها أمهات المؤمنين رضى الله عنهن مودعات لها إلى ذات عرق وبكين على الإسلام بكاء شديداً فى هذا اليوم وكان يسمى: «يوم النحيب» ثم إنهم ساروا متوجهين نحو البصرة ونقل غير واحد أنهم مروا بمكان اسمه الحوءب فنبحهم كلابه فقالت عائشة: أى ماء هذا؟ قيل: هذا ماء الحوءب. فصرخت وقالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون» سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوءب». ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته. وقالت: ردونى فأناخوا يوما وليلة. وقال لها عبد الله بن الزبير: إنه كذب يعنى

ليس هذا ماء الحوءب، ولم يزل بها وهى تمتنع. فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم على بن أبى طالب فارتحلوا ونزلوا على البصرة واستولوا عليها بعد قتال شديد مع عثمان بن حنيف عاملها، وقتل من أصحابه أربعون رجلا، وأمسك فنتفت لحيته ورأسه وأشفار عينيه وحاجباه وسجن، هذا وقد سار على رضى الله عنه من المدينة فى عسكره على قصد الشام وكان ذلك فى آخر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، فبينما هو فى مسيرة إذ أتاه رسول أم الفضل يخبره عن طلحة والزبير وعائشة بما كان منهم. فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح أمركم، ثم إنه أعرض عن المسير إلى الشام وحث عليه إلى جهة البصرة وجاء أن يدرك طلحة والزبير عائشة فلما انتهى إلى الربذة أتاه الخبر بأنهم سبقوا إلى البصرة وقد نزلوا بفنائها، ثم إنه كتب وهو بالربذة إلى طلحة والزبير أما بعد: يا طلحة ويا زبير فقد علمتما أنى لم أرد الناس حتى أرادونى ولم أبايعهم حتى أكرهونى وأنتما أول من بادر إلى بيعتى ولم تدخلا فى هذا الأمر لسلطان غالب ولا لغرض حاضر، وأنت يا زبير فارس قريش، وأنت يا طلحة فارس المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل دخولكما فيه كان أوسع لكما من خروجكما عنه الآن وهؤلاء هم بنو عم عثمان وأولياؤه المطالبون به وأنتما رجلان من المهاجرين وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذى أمرها الله أن تقر فيه والله حسبكما والسلام. وكتب إلى عائشة رضى الله عنها، أما بعد: فإنك لم تريدى إلا الإصلاح بين الناس فخبرينى ما للنساء وقود العسكر زعمت أنك مطالبة بدم عثمان وعثمان رجل من بنى أمية وأنت امرأة من بنى تيم بن مرة لعمرى إن الذى أخرجك لهذا الأمر وحملك عليه لأعظم ذنبًا إليك من كل أحد .فاتقى الله يا عائشة، وارجعى إلى منزلك، واسبلى عليك سترك والسلام. وكتب على رضى الله عنه إلى أهل الكوفة كتابًا يحثهم على الخروج معه وأرسله مع محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر فقدموا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب بذى قار وكانوا اثنى عشر ألفًا .فلقيهم فى ناس من وجوه أصحابه منهم: عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما. ثم إن عليًا رضى الله عنه دعا بالقعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال له: ألف هذين الرجلين يعنى طلحة والزبير فذهب إليهم واستمالهم للصلح فمالوا، فرجع القعقاع إلى على رضى الله عنه وأخبره بذلك فسر به وأعجبه وأشرف القوم على الصلح فكره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، ثم قال على رضى الله عنه: ألا وإنى راحل غداً فارتحلوا. فشق ذلك على الذين خرجوا على عثمان وباتوا بأسوأ ليلة وهم يتشاورون فقال رئيسهم عبد الله بن بشار وهو الشهير بابن السوداء: يا قوم إن عَزّكم فى مخالطة الناس فلا تتركوا علياً والزموه فإذا كان الغد والتقى بالناس فانشبوا القتال فمن كنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع فإذا اشتغل الناس تنظروا ماذا يكون؟. فتفرقوا على رأيه وأصبح على

رضى الله عنه وأخذ فى المسير إلى البصرة مع الجيش فقام إليه الأعور بن بيان المنقرى فقال: يا أميـر المؤمنين ما تريد بإقدامك على البـصرة؟. قال مع الإصلاح وإطفـاء الثائرة لعل الله يجمع شـمل هذه الأمة. قـال: فإن لم يجيـبوا. قال: تركناهم مـا تركونا. قـال: فإن لم يتركوا. قال: دفعناهم عن أنفسنا، وسار طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم فالتقوا عند قصر عـبد الله بن زياد فنزل الجيشان هناك ثلاثة أيام وكـان نزولهم فى النصف من جمادى الآخرة سنة ثمـان وثلاثين، وكان أصـحاب علىّ رضى الله عنه عشـرين ألفاً، وأصـحاب طلحة والزبير وعائشة ثلاثين ألفاً. وأرسل على رضى الله عنه عشية اليوم الثالث من نزولهم عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبيـر بالسلام فأرسل طلحة والزبير إلى علىٍّ رضى الله عنه بالسلام، وترددت الرسل بينهم فى الصلح فـتداعوا إليه وشاع ذلك فى الفـئتين فسر الناس بذلك وباتوا تلك الليلة فى غاية السرور والفرح وبات الذين أثاروا أمر عثمان رضى الله عنه بأسوأ ليلة لما رأوه من تراسل القوم وتصـافيهم فباتوا يتشاورون ليلتـهم فاجتمع رأيهم على إنشاب الحرب مع الفجر فلما كان غلس الصـبح ثاروا على أصحاب طلحة، ووضعوا فيهم السلاح فثارت كل قـبيلة إلى أختها وقامت الحرب بينهم، ولم يدر الناس كـيف الأمر فقام فى ميمنة أصـحاب طلحة عبد الله بن الحـرث، وفى الميسرة عبد الرحـمن بن عتاب، وفى وسطهم طلحة والزبير، وقالا لأصحابهـما: كيف كان هذا الأمر. قالوا: لا ندرى إلا وقد طرقونا واضعين فينا السيوف. وكانت عـائشة رضى الله عنها إذ ذاك راكبة فى هودجها على الجـمل، هذا وعلى رضى الله عنه راكب على بغلة رسـول الله ﷺ وعليـه قمـيص ورداء وعمامة فلما أسفر النـهار خرج رضى الله عنه ومشى بين الصفين ونادى بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام فـليخرج إلىّ؟ فخرج إليـه الزبير ودنا كل منهما إلى الآخـر. فقال له على رضى الله عنه: مـا حملك على مـا صنعت يا زبيـر؟ قال: حـملنى على ذلك الطلب بدم عثمان. فقال على: إن أنصفت من نفسك فـأنت وأصحابك قتلتموه. ولكنى أنشدك الله يا زبير أما تذكـر يوم قال لك رسول الله ﷺ: يا زبير تحب علياً فقلت: ومـا يمنعنى من حبه وهو ابن خالى. فقال: لك أما إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له. فقال: اللهم بلى قد كان ذلك، وقال: أنشـدك الله ثانياً أما تذكر يـوم جاء رسول الله ﷺ من بنى عوف وأنت مـعه وهو آخذ بيدك فـاستقبلته فسلمت عليـه فضحك فى وجهى وضـحكت إليه فقلت أنت: لا يدع ابن أبى طالب زهوة. فـقال لك ﷺ: مهـلا يا زبير ليس بـعلى زهو ولتخرجـن عليه وأنت ظالم له فقال الزبير: بلى. ولكنى نسـيت ذلك وبعد أن أذكرتنى لأمضين ولو ذكرت هذا قبل ما خرجت عليك ما خرجت ولكن هذا تصديق لقوله ﷺ، ثم كر راجعاً. فقالت له عائشـة رضى الله عنها: ما وراءك يا زبيـر؟. فقال: والله ما وقـفت موقفاً ولا شـهدت مشهداً فى شـرك ولا فى إسلام إلا ولى فيه بصيرة وأنا اليـوم على شك من أمرى وما أكاد أبصر موضع قدمى، وشق الصفوف وخـرج من بينهم آخذا طريق مكة فنزل على قوم فقام إليه عمرو بن جـرموز فضيقه وخرج مـعه إلى وادى السباع وأراه أنه يريد مسايرته ومؤانسته

فقتله غيلة وهو ساجد. وقيل: وهو نائم، وأخذ سيفه وخاتمه ومضى يؤم علياً رضى الله عنه، فلما وصل إليه سلم عليه وأخبره بقتله الزبير. فقال على رضى الله عنه: أبشر بالنار فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بشروا قاتل الزبير بالنار» فقال ابن جرموز: «إنا لله وإنا إليه راجعون إن قاتلناكم فنحن فى النار وإن قتلنا لكم فنحن فى النار». فقال على رضى الله عنه :هذا شيء سبق لابن صفية .وفى ذلك قال عمرو بن جرموز:

أتيتُ علياً برأسِ الزبيرِ ... وقد كنتُ أحْسَبُها زُلْفَه
فبشّرَ بالنار قبلَ العيانَ ... فبئس البشارةُ والتحفَه
وسيانَ عندى قتلُ الزبيرِ ... وضرطةُ عيرٍ بذى الجحفه

(وأما طلحة) فأصابه سهم من مروان بن الحكم وهو من مقاتلة عائشة فمات به. وقيل: من غيره. ثم إن جماعة طلحة والزبير وعائشة انهزمت. وقد أحاطت الخيل بالجمل واختلط القوم بعضهم ببعض ووقعت مقتله عظيمة وكان الآخذ بزمام الجمل نحو سبعين رجلا من قريش لم ينج منهم واحدٌ. وكان من جملتهم محمد بن طلحة وكان معروفاً عندهم بالسجاد لكثرة صلاته وكان على جانب عظيم من العبادة والزهد واعتزال الناس. وإنما خرج براً بأبيه وقتل محمد بن الزبير وجُرِحَ عبد الله أخوه سبعاً وثلاثين جراحة، وفى « الغرر والعرر » وأطاف بنو ضبة والأزد بالجمل وأقبلوا يرتجزون:

نحنُ بنو ضَبّةَ أصحابُ الجملِ ... ننزلُ بالموت إذا الموتُ نزلَ
فالموتُ أحلى عندنا من العسلِ ... نبتغى ابنَ عفانَ بأطرافِ الأسل

وفيه وقُطِع على خطام الجمل سبعون يداً من بنى ضبة أهـ. وكان لا يأخذ بخطام الجمل إلا من ينتسب، ويقول: أنا فلان بن فلان وقتل فى هذه الوقعة خلق كثير. قال أصحاب السير: عدة من قتل من أصحاب الجمل: ستة عشر ألفاً وسبعمائه وتسعون رجلا، وكانت عدتهم ثلاثين ألفاً فكانت القتلى أكثر من الأحياء وقتل غير ذلك، ولما كثر القتل على خطام الجمل. قال على رضى الله عنه: اعقروا الجمل فضربه رجل فسقط. نقل «صاحب الغرر» أنه لما سمع صارخ يقول: راقبوا الله فى حرمة رسول الله ﷺ، وقال: على رضى الله عنه لابنه الحسن: هلكت. قال: نهيتك عن مسيرك. قال: لم أكن أرى أن الأمر يصير إلى هذا انتهى. وبقيت عائشة رضى الله عنها فى هودجها إلى الليل. وأدخلها أخوها محمد بن أبى بكر الصديق البصرة إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعى. وتسللت الجرحى ليلا من بين القتلى. وأمر علىٌ رضى الله عنه بالنداء فى الناس ألا يتبعوا مدبراً ،ولا يجهزوا على جريح، ولا يدخلوا داراً. وأقام رضى الله عنه بظاهر البصرة ثلاثة أيام. وطاف على القتلى فصلى عليهم وأمر بدفنهم ودفن الأطراف. ولما رأى طلحة قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى أنت والله يا أبا محمد كما قال

الشاعر:

فتى كان يُدْنِيه الغنى عن صديقه ... إذا ما هو استغنى ويُبعِدُه الفقرُ

(تنبيه) سيدنا طلحة هو: ابن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعيد ابن تيم الله، وهو : ابن عم أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكنيته: أبو محمد وأمه الصعبة بنت أبى سفيان صخر بن حرب قتل وهو ابن أربع وستين سنه، ودفن بالبصرة، وقبره ومسجده بها. وأما قبر سيدنا الزبير رضى الله عنه فبوادى السباع وهو مشهور أيضا يزار، وإضافة هذا الوادى للسباع لكثرتها فيه، وفيه قال سجيم:

مررتُ على وادى السباعِ ولا أرى ... كوادى السباعِ حين يظلمُ واديا

وأمر على رضى الله عنه بجمع ما كان فى العسكر من سلاح وثياب. وقال: من عرف شيئاً فيأخذه إلا سلاحاً كان فى الخزائن عليه سمة السلطان. ودخل يوم الاثنين البصرة. فبايعة أهلها. ثم أمر عائشة رضى الله عنها بالرجوع إلى مكة، وجهزها بما احتاجت إليه وسير معها أولاده مسيرة يوم. فأقامت للحج تلك السنة، ثم رجعت إلى المدينة. واستعمل على البصرة عبد الله بن عباس ثم نزل على الكوفة وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان هذا. ومعاوية بالشام وأهل الشام مطيعون له. فأرسل إليه على رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلى ليأخذ البيعة عليه. فماطلة معاوية حتى قدم عمرو بن العاص من فلسطين فوجد أهل الشام يحضون على الطلب بدم عثمان. فقال لهم عمرو: أنتم على الحق، واتفق مع معاوية إذا ظفر أن يوليه مصر كذا فى تتمة المختصر. (وقعة صفين) على وزن سجين. موضع قريب من الرقة بشاطئ الفرات وهو من الصف أو من الصفون. فعلى الأول النون زائدة وعلى الثانى أصلية كذا فى المصباح. ولما اتفق معاوية وعمرو على حرب على. قدم جرير بن عبد الله البجلى على علىٍّ رضى الله عنه فأعلمه بذلك. قال: « صاحب الفصول المهمة» فخرج وعسكر بالنخلية واستنفر الناس للمسير إلى الشام لقتال معاوية رضى الله عنه فبلغه، فخرج هو أيضاً وعمرو بن العاص رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين وهيأ الجيوش معاوية وأعطى لواءً لعمرو بن العاص، ولواءين لابنيه عبد الله ومحمد، ولواءً لغلامه وردان، ثم سار كل منهما للقاء الآخر فاجتمعوا على الفرات. فدعا على رضى الله عنه أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى بن قيس الهمدانى وشبيب بن ربعى التميمى وقال لهم: اذهبوا إلى هذا: يعنى معاوية رضى الله عنه وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة فلعل الله أن يهديه ويلم شمل هذه الأمة. وكان ذلك فى أول يوم السبت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين. فأتوه ودخلوا عليه فابتدأ بشير فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله محاسبك على ذلك ومجازيك عليه وإنى أنشدك بالله تعالى ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها فيما بينها،

فقطع معاوية رضى الله عنه كلامه وقال: هلا أوصيت صاحبك؟ فقال: إن صاحبى ليس أحد مثله وهو صاحب السابقة فى الإسلام والفضل من قرابة رسول الله ﷺ. فقال: فما عندك يا ابن عمرو وما الذى تأمرنى به؟ قال: الذى عندى والذى آمرك به تقوى الله تعالى وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دينك ودنياك. قال معاوية: وأترك دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً، ثم تكلم سعد بن قيس وشبيب فلم يلتفت معاوية إلى كلامهما وقال: انصرفوا عنى فليس عندى إلا السيف. فقال له شبيب: أتهول علينا بالسيف والله لنعجلها إليك. فأتوا علياً رضى الله عنه فأخبروه بذلك. فجعل علىٌ رضى الله عنه بعد إتيان كلام معاوية يأمر الرجل ذا الشرف من أصحابه أنْ يخرج فى خيل فيخرج إليه جماعة من أصحاب معاوية فى خيل مثلها فيقتتلان ثم تنصرف كل من خيل إلى أصحابها. وذلك خوفاً من استئصال العسكرين وذهاب الفئتين وهلاك المسلمين. فاقتتلوا أيام ذى الحجة كلها وربما اقتتلوا فى اليوم الواحد مرتين. ثم دخلت سنة سبع وثلاثين فحصل فى شهر المحرم منها بين على ومعاوية موادعة على الحرب طمعاً فى الصلح. فاختلف الرسل بينهما فلم يتفق صلح فلما انسلخ المحرم. أمر على رضى الله عنه منادياً فنادى فى أهل الشام. يقول لكم أمير المؤمنين على بن أبى طالب: إنى قد استقدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم تفعلوا ولم تنتهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى طاعة، وإنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. ثم أصبح على رضى الله عنه فجعل على خيل الكوفة الأشتر، وعلى خيل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد ،وجعل مسعر بن مذكى على قراء أهل الكوفة وقراء أهل البصرة، وأعطى الراية هاشم بن عتبة، وخرج إلى مصافهم. وذلك فى أول يوم من صفر. فخرج إليهم معاوية وقد جعل على ميمنته ابن ذى الكلاع الحميرى، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرى وعلى مقدمته أبا أربعة وهو يقول: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١) ثم صاح عليٌّ كرم الله وجهه: يا معاوية هلم إلى مبارزتى لئلا تفنى العرب بيننا. فقال معاوية :لا حاجة لى فى مبارزتك بعد أربعة أبطال من العرب فحسبك .فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة: يا ابن أبى طالب إن كان معاوية قد كره مبارزتك فأنا وجرد السيف وخرج للإمام فتجاولا ثم إنه سبق الإمام بضربة فتلقاها فى سيفه ثم إن علياً رضى الله عنه ضربه ضربة على رأسه ألقاه إلى الأعور السلمى. وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق أسلم بن عيينه المزنى وعلى بقية أصحابه الضحاك بن قيس وبايع رجالا من أهل الشام علي الموت فعقلوا أنفسهم بعمائمهم وكانوا خمسة صفوف فلما تواقفت الأبطال وتصافت الخيل للمبارزة والنزال. خرج من عسكر

(١) سورة البقرة ١٩٤.

معـاوية فارس من أهل الشام مـعروف بشدة البأس وقـوة الرأس يقال له: المخراق بن عـبد الرحمن فوقف بين الصفين وسأل المبارزة. فخرج إليه فارس من أهل العراق يقال له: عبيد المرادى فتطاعنا بالرماح ثم تضاربا بالصفاح فظفـر به الشامى وقتله، ثم نزل عن فرسه وحز رأسه وحك بوجهه الأرض، وتركه مكبوباً على وجهه ثم ركب فرسه وسأل المبارزة. فخرج إليه فتى من الأزد يقال له :مسلم بن عبد ربه فقـتله الشامى أيضاً وفعل به كما فعل بالأول ثم ركب فرسه وسـأل المبارزة فخرج إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه متنـكراً فتجاولا ساعـة ثم ضربه الإمام البطـل الهمام علىٌّ رضى الله عنه ضـربة بالسيف على عـاتقه رمت بشقه إلى الأرض وسـقط. فنزل علىٌّ رضى الله عنه، وحز رأسه وجعل وجهـه إلى السماء ثم ركب ونادى هل من مبارز؟. فخـرج إليه فارس آخر من فرسان أهل الشـام فقتله وفعل به كما فعل بصـاحبه الأول، وهكذا إلى أن قتل منهم سبعة فـأحجم الناس عنه، ولم يقدر على مبارزته أحد بعد أولئك. فجال بين الصفين جولة ورجع إلى أصحابه .ولم يعرفه أهل الشام فإنه كان متنكراً رضى الله عنه. (وخرج)- فى بعض أيامها وقد تقابل الجيشان. فارس من أبطال عسكر الشام يقال له: كريب بن الصبـاح فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج الحارث الحكمى فقـتله الشامى أيضاً فنظر الناس إلى مقام فارس صنديد. فـخرج إليه على رضى الله عنه بنفسـه الكريمة فوقف بإزائه وقال: من أنت أيها الفـارس؟ قال له :أنا كريب ابن الصبـاح الحمـيرى. فقـال له على رضى الله عنه: ويحك إنى أحذرك الله فـى نفسك وأدعوك إلى كـتابه وسنة نبـيه ﷺ. فقـال له كريب :من أنت؟. فقـال: أنا على بن أبى طالب يا كريب الله فى نفسك فإنى أراك فارسـاً بطلا فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا ولا يغررك معاوية. فقال: ادن منى يا على وجعل يلوح بسيفه فجعل الإمام على رضى الله عنه بسيفه ودنا منه فتجـاولا ساعة ثم اختلفا بضربتين فسبقه الإمام بـالضربة فقتله وسقط كريب إلى الأرض، ثم نادى هل من مبارز؟. فـخرج إليه الحارث الحميـرى فقتله هكذا .فلم يزل يخرج إليـه فارس بعد فارس حـتى عروة فقتله إلى أن قـتل منهم كثيـرين فعظم على أهل الشام قتل عروة لأنه كـان من أعظم شجعانهم ومشاهيـرهم ثم حجز الليل بينهم .(واتفق) فى بعض الأيام وقـد تقابل الجـيشـان أن خرج علـىٌّ رضى الله تعالى عنه مـتنكراً فدعـا بالمبارزة. فقال معاوية لعمرو بن العاص: عزمت عليك إلا ما خرجت لمبارزة هذا الفارس، فخـرج إليه عمرو وهو لا يعـرف أنه على فلما رآه على عرفـه فانهزم بين يديه ليبـعده من أصحابه فتبعه عمرو وهو يقول:

يا قادةَ الكوفةَ يا أهلَ الفتن ... أضربُكم ولا أرى أبا الحسن

فكرّ عليه علىٌّ رضى الله عنه وهو يقول:

أبو الحسن فاعلمنْ والحسنُ ... قد جاك يقتادُ العنانَ والرسنَ

فعرفه عـمرو فولى عنه راكضاً، وهو يقول: مُكْرَهٌ أخـاك لا بَطل. فلحقه علىٌ رضى الله عنه فطعنه طعنة جاءت فى فصول درعه .فـألقته إلى الأرض وظن أن علياً قاتله فرفع رجليه فبدت سوأته. فصرف على رضى الله عنه وجهه راجعاً إلى عسكره وهو يقول: عورةُ المؤمن حِمَى، فقام عـمرو وركب فرسه وأقبل على مـعاوية فجعل معاوية يضـحك .فقال عمرو: مم تضحك؟. والله لو تكون أنت وبدا له من صفحـتك ما بدا من صفحتى لضرب قذالك وما أقالك فقـال له معاوية: لو كنت أعلم أنك ما تحمل مزاحاً مـا مازحتك. فقال عمـرو: ما أحملنى للمـزاح ولكن أرأيت إن لقى رجل رجلا فـصد أحدهمـا الآخر أتقطر السماء دماً. قال: لا ولكنهـا سوأة تعقب فضيحة الأبد أما والله لو عرفـته ما أقدمت عليه وفى ذلك يقول أبو الفراس:

ولا خيرَ فى رَدِّ الردَى بمذلة   كما رَدّها يوماً بسوأته عمرُو

ثم إن فارساً من فـرسان معاوية كان مشـهوراً بالشجاعة يقال له بشـر بن أرطاة حدثته نفسه بالخـروج إلى علىٌ كرم الله وجهه ومـبارزته، وكان له غلام شجـيع يقال له: لاحق، فشـاوره فى ذلك فقال: ما أشـير عليك إلا أن تكون واثقاً من نفـسك أنك من أقرانه ومن فرسان ميدانه فابرز له فإنه الأسد الخادر والشجاع المطرق وأنشد العبد:

فـأنتَ له بشـرٌ إن كنتَ مـثلَه   وإلا فـإن اللـيثَ للضـبع آكلُ
مـتى تَلْقَه فـالموتُ فى رأس رُمْحِه   وفى سيـفه شـغلٌ لنفسك شـاغلُ

فقال له: ويحك، هل هو إلا الموت؟ والله لابد لي من مبارزته على كل حال، فخرج بشر بن أرطاة لمبارزة علىٌ كرم الله وجهه فلمـا رآه علىٌ حمل عليه ودقه بالرمح فسقط إلى الأرض على قفاه فرفع رجـله فبدت سوأته فصرف علىٌ رضى الله عنه وجـهه ،فوثب بشر قائماً فسقط المغفر عن رأسه فعرفه أصحاب علىٌ رضى الله عنه فصاحوا يا أمير المؤمنين إنه لبشـر بن أرطاة لا يذهب، فقـال: ذروه. فركب جـواده ورجع إلى معاوية يضـحك منه، ويقول: لا عليك ولا بأس لا تستحـى فقد نزل بعمرو مثلها. فـصاح فتى من أهل الكوفة :ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون من كشف السوءات وأنشد:

أفى كلِّ يوم فـارسٌ بعـد فـارس   له عـورةٌ تحت العـجـاجـة باديه
يَكُفُّ عـلـيّاً عـنـه عَلاَ سِنَانُه   ويضحكُ منهـا فى الخلاء مـعاويه
فقـولا لعمـرو وابن أرطاة :انْظرا   سـبيـلكما لا تلقـيـا الليثَ ثانيـه
ولا تحـمـدُ إلاّ الحيـا وخُصَاكُمـا   فـإنـهـمـا والله للنفس واقـيـه
فلولاهمـا لم تنجـيـا مـن سنانه   وتلك مـا فيـها عن العـود كافـيه
متى تـلقيا الخـيلَ المغيـرةَ صبـحةً   وفيـها علـىٌّ فاتركا الخـيلَ ناحـيه

فجعل بشر بن أرطاة يضحك من عمــرو وصار عمرو يضحك منه، وخاف أهل الشام من عليّ رضى الله عنه خوفـاً شديداً ولم يجسـر واحد منهم على مبارزته وصـار لا يخرج إلى مبارزتهم إلا متنكراً ثم إن مولى مِنْ موالى عثمان رضى الله عنه يقال له: الأحمر وكان شجاعاً خرج يبغى المبارزة فخرج إليه مولى لعليّ رضى الله عنه يقال له: كيسان فحمل كل واحد منهما على صاحبـه فسبقه الأحمر بالضربة فقتله، فـقال عليٌّ كرم الله وجهه: قتلنى الله إن لم أقتلك به فكرّ عليٌّ رضى الله عنه على العـبد فرجع العبد عليه بالسـيف فضربه فتلقاه عليٌّ رضى الله عنه فى سيفه فنشب بالسـيف فدنا منه عليٌّ ومد يديه إلى عنقه فقبض عليهـا ورفعه عن فـرسه ثم جلد به الأرض فكسـر ظهره وأضلاعـه ثم رجع عنه. (وكان) لمعاوية عبد يقال له: حريث وكان فارساً بطلا شجاعاً ومعاوية يحذره من التعرض لعليٌّ بن أبى طالب فخـرج عليٌّ متنكراً بطلب المبـارزة وقد عرفـه عمـرو بن العاص فقـال لحريث: عليك بهذا الفارس لا يفوتك اقتله وتشيع به فخرج له حريث وهو لا يعرفه أنه عليٌّ بن أبى طالب فمـا كان بأسـرع من أن ضربه الإمـام بالسيف على أم رأسـه ضربة سقط مـنها إلى الأرض قتيلا وتبين لمعاوية ولأهل الشـام أن قاتله على بن أبى طالب فشق ذلك على معاوية وقال لعمرو: أنت قتلت عبدى وغررته ولم يـقتله أحد غيرك. (واتفق) فى أيامها أن خرج العباس بن ربيعة الهاشمى من أصحاب عليٌّ رضى الله عنه، وخرج إليه فارس مشهور يقال له: عرار من أصحاب معاوية رضى الله عنه فقـال له: يا عباس هل لك فى المبارزة؟، فقال له عباس :هل لك فى المنازلة؟. قال: نعم. فنزل كل واحد منهـما عن فرسه وتلاقيا وكف أهل الجيشين عنهما لينظرا ما يكون من أمرهما فتجاولا سـاعة بسيفيهما فلم يقدر أحدهما على الآخره ثم إنهما تجـاولا ثانية فتبين للعباس وهن فى درع الشامى وكـان سيف العباس قاطعاً فضربه بالسيف على وسط الدرع فقسمهما فكبر الناس وعجبوا لذلك وعطف العباس على فرسه فركبها وجال بين الصفين، فـقال معاوية لأصحابه: من خرج منكم لهذا الفارس فقتله فله عندى ديتان فخرج فارسان من لخم وقـال كل واحد منهما: أنا له. فقال: اخرجا فأيكما قتله كان له عندى مـا قلت وللآخر مثل نصفه فخرجا معا ووقـفا فى مقر المبارزة ثم صاحـا: يا عباس هل لك فى المبارزة فـابرز لأينا اخترت؟ فـقال: أستأذن أمـيرى ثم أرجع إليكما فجاء إلى عليٌّ رضى الله عنه فاستأذنه فقال له على رضى الله عنه: أنا لهما ادن منى يا عباس وهات لبسك وفرسك وجمـيع ما عليك وخذ لبسى وفرسى ثم إن علياً رضى الله

عنه خرج إليهما فجال بين الصفين وكل من رآه يظنه العباس فقال له اللخميان: استأذنت أميرك. فتحرر على رضى الله عنه من الكذب وقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (١) . فتقدم إليه أحدهما فاختلفا بضربتين وسبقه أمير المؤمنين بضربة فجاءت على مراق بطنه فقطعته نصفين، فتقدم إليه الآخر فما كان بأسرع من أن ألحقه بالآخر وجال بين الصفين جولة ورجع إلى مكانة فتبين لمعاوية ولأهل الشام أنه علىٌّ رضى الله عنه ولكنه تنكر، فقال معاوية: قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبه أحد إلا خذل. قال: فقال عمرو المخذول :والله اللخميان .

(ومما وقع) فى أيامها ليلة الهرير قال بعضهم: شبهت بليلة القادسية التى كلما أردى علىّ رضى الله عنه قتيلا أعلن عليه بالتكبير فأحصيت تكبيراته تلك الليلة خمسمائة تكبيرة وثلاثا وعشرين تكبيرة بخمسمائة قتيل وثلاثة وعشرين قتيلا، وكان الناس يتلاطمون فى هذه الليلة تلاطم الأمواج ويتصادمون تصادم الفحول عند الهياج. ولما اسفر صبح هذه الليلة عن ضيائه وحسر الليل عن ظلمائه كانت عدة القتلى من الفريقين ستة وثلاثين ألفاً ،وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة وأصبح أمير المؤمنين علىٌّ بن أبى طالب والمعركة كلها خلف ظهره وهو فى قلب عسكره والأشتر في الميمنة وابن عباس فى الميسرة والناس يقتلون من كل جانب ولوائح النصر لائحة لأمير المؤمنين علىٍّ رضى الله عنه والأشتر بالميمنة يقاتل ويقول لأصحابه: ارجعوا قيد رمح ويزحف بهم ويقول :قيد هذا القوس وكلما فعلوا يزحف بهم نحو أهل الشام ولما رأى علىٌّ رضى الله عنه الظفر من ناحية الأشتر أمده بالرجال فلما رأى عمرو بن العاص وهن أهل الشام وتخيل منهم الهزيمة والفرار قال لمعاوية: هل لك فى أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم قال :نرفع المصاحف على رءوس الرماح ثم نقول لهم: ندعوكم إلى كتاب الله وهذا حكم بيننا فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغى أن نقبل كتاب الله تعالى فتكون فرقة، وإن قبلوا أخرنا القتال عنا إلى أجل، فرفعوا المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم، فلما رآها الناس قالوا: نجيب إلى كتاب الله تعالى فقال علىٌّ رضى الله عنه: عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم فى قتال عدوكم فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبى سرح والضاحك أنا أعرف بهم منكم ليسوا بأصحاب قرآن وقد صحبتهم أطفالا ورجالا ويلكم والله ما رفعوها إلا مكيدة وقد وهنوا فقال أصحاب علىّ رضى الله عنه القراء منهم: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عزّوجلّ ونأبى أن نقبله فقال لهم علىٌّ رضى الله عنه: إنى إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب، فقال له مسعود بن فدك التميمى وزيد بن حصين الطائى

---

(١) سورة الحج ٣٩ .

فى عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: يا علىّ أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم، وكان الأشتر فى الميمنة وعلىّ بالوسط وابن عباس بالميسرة كما علمت فكف علىٌّ وابن عباس عن القتال ولم يكف الأشتر وذلك لما رأى من علامات النصر والظفر فقالوا: ابعث إلى الأشتر فيأتيك ويكف عن القتال فبعث إليه علىّ رضى الله عنه يزيد بن هانئ يستدعيه فقال الأشتر: قل: لأمير المؤمنين ليست هذه الساعة بالساعة التى ينبغى أن يزيلنى بها عن مكانى فإنى وجدت ريح الظفر فأتى علياً رضى الله عنه فأخبره بمقالة الأشتر فرده إليه ثانياً وهو يقول له: أقبل إلىّ فإن الفتنة تريد أن تقع فجاء الأشتر وقال: والله لقد ظننت أنها سترجع اختلافاً وفرقة وإنها لمشورة عمرو بن العاص فأقبل الأشتر على القوم من أصحابه وقال: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وعرفوا أنكم قاهرون لهم رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ويلكم أمهلوني فواقا فإن الفتح قد حصل والنصر قد أقبل. قالوا : لا يكون ذلك أبداً قال: أمهلونى عدو الفرس قالوا: إذا تدخل معه فى خطئه. قال :خبرونى عنكم متى كنتم محقين أحين تقاتلون أم الآن حين أمسكتم عن القتال؟ فقالوا: دعنا عنك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله. قال: خدعتم فانخدعتم دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة فى الدنيا وشوقاً إلى الله تعالى فلا أرى مرادكم إلا الدنيا يا أشباه البقر الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته فصاح به وبهم علىٌّ رضى الله عنه (فاتفق) الناس على أن يجعلوا القرآن حكماً ورضوا بذلك فقام الأشعث بن قيس إلى علىٍّ رضى الله عنه فقال: أرى الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن بينهم فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال:أئته فأتاه فقال: يا معاوية لأى شىء رفعتم المصاحف قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله تعالى تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله تعالى لا يتعديانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث: هذا الحق وعاد إلى علىّ رضى الله عنه وأخبره بما قال معاوية، فقال الناس: قد رضينا ذلك وقبلناه فقال: أهل الشام نرضى عَمراً، وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج فيما بعد: نرضى بأبى موسى الأشعرى فقال لهم علىّ كرمّ الله وجهه: قد عصيتمونى أوّل الأمر فلا تعصونى الآن لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن عمرو ومكايدة، فقال الأشعث ومن معه: لا نرضى إلا به فإنه حذرنا مما وقعنا فيه فلم نسمع وكان أبو موسى ممن اعتزل القتال فقال علىّ: إن أبا موسى لا يكمل فى هذا الأمر ولكن هذا ابن عباس دعونى أوله ذلك فإنه أدرى منه بهذا الأمر فقالوا: والله لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء فقال: دعونى أجعل الأشتر قالوا: وهل سعر الأرض ناراً إلا الأشتر فقال قد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا: نعم. قال: اصنعوا ما أردتم فبعثوا إلى أبى

موسى وجاءوا به وكان معتزل القتال عن الفئتين كما تقدم وحضر عمرو بن العاص رضى الله عنه عند علىّ رضى الله عنه ليكتب القصة بحضوره فكتب الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضيا عليه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان ومن معهما فقال عمرو بن العاص: هو أميركم وأما أميرنا فلا امح اسم الإمرة فقال الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين لا تمحها ولو قتل الناس بعضهم بعضاً فإنى أتخوف إلا ترجع إليك أبداً فأبى علىّ ذلك ملياً من النهار وإن الأشعث بن قيس كلمه فى ذلك فمحاه وقال على رضى الله عنه: الله أكبر سنة لسنة والله إنى لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية وكتبت محمداً رسول الله فقالوا: لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرنى رسول الله ﷺ بمحوه فقلت: لا أستطيع فقال: أرنيه فأريته إياه فمحاه، فقال: إنك ستدعى لمثلها فتجيب فقال عمرو: سبحان الله أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون؟ فقال: اكتبوا هذا ما تقاضيا عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم أنا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه وألا يكون بيننا غيره وأن كتاب الله تعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيى ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله تعالى وهما: أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجدا فى كتاب الله تعالى فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علىّ ومعاوية عهوداً ومواثيق ومن جنديهما أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه وعلى أبى موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بحكم القرآن ولا يرداها ولا فرقة حتى يتقاضيا وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وأن يقضيا مكان قضيتهما مكان عدل بين الناس من أهل الكوفة وأهل الشام وكتب فى الصحيفة الأشعث بن قيس وعدى بن حجر وسعد بن قيس الهمدانى وورقاء بن شمس وعبد الله بن عكل العجلى وحجر بن عدى الكندى وعقبة بن زياد الحضرمى ويزيد بن حجرة التميمى ومالك بن كعب الهمدانى هؤلاء كلهم من أصحاب علىّ رضى الله عنه، وكتب من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمى وحبيب بن سلمة ورميل بن عمرو العدوى وحمزة بن مالك الهمدانى وعبد الرحمن بن خالد المخزومى وسبيع بن يزيد الأنصارى وعتبة بن أبى سفيان ويزيد بن الحر العبسى» وخرج الأشعث بن قيس فقرأه على الناس وكتابته كانت يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يكون اجتماع الحكمين (بدومة الجندل) وهو موضع كثير النخل والزرع وبه حصن اسمه مارد. وكانت عدة من قتل من أصحاب علىّ رضى الله عنه خمسة وعشرين ألفاً منهم عمار بن ياسر وخمسة وعشرين من البدريين

وكانت عـدة عسكره تسعين ألفـاً وقتل من أصحـاب معاوية خمـسة وأربعون ألفـاً وكانت عدتهم مـائة ألف وعشرين وأقاما بـصفين مائة يوم وعشـرة أيام وكان بينهم سبعـون وقعة وقيل: تسعون ذكر ذلك كله صاحب (الفصول المهمة) وغيره. وفى عقائد الشيخ أبى إسحق الفيروزابادى: أن عـمرو بن العاص كان وزير معـاوية فلما قتل عمـار بن ياسر أمسك عن القتال وتابعـه على ذلك خلق كثير فـقال له معاوية: لم لا تقاتل؟ قـال: قتلنا هذا الرجل وقد سـمعت رسول الله ﷺ يقـول: تقتله الفئـة الباغيـة ،فدل على أنا نحن بغـاة قال له معاوية: اسكت فوالله لا تزال تدحض فى بولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله علىّ وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بيننا، وفى رواية قال: قتله من أرسله إلينا يقـاتلنا وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فـبلغ ذلك عليًا فـقال: إن كنت قـتلتـه أنا فالنبـىﷺ قتل حـمزة حـين أرسله إلى قتـال الكفـار. (وقتل) مع علىّ رضى الله عنـه خزيمة بن ثابت الأنصـارى ذو الشهـادتين وأويس القـرنى زاهد التـابـعين (ولما رجع) علىٌّ رضى الله عنه ودخل الـكوفـة خـالفت الحـرورية وخرجت وأنكرت التحكيم، وقالـت: لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله ،وكان ذلك أول ما ظهر من أمـرهم ورجعوا على غير الطريق الذى كانوا عليـه وأتوا حروراء فنزلوا بها وبذلك سموا بها ،وكـانوا اثنى عشر ألفاً. وفى (الفصول المهـمة) ونادى مناديهم: إن أمير القتال شبيب بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى والأمر شورى بعد الفتح والبيـعة لله عزّوجلّ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وزعـموا أن علياً رضى الله عنه كان إمامـاً إلى أن حكم الحكمين فشك فى دينه وحار فى أمره وإنه الحـيران الذى ذكره الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى: ﴿حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ﴾(١) . وأنهم أصحابه الداعون له إلى الهدى ولكن كذبوا فيـما زعموا قاتلهم الله تعالى؛ وإنما ضرب الله تعالى بالآية المذكورة مثلا لغيره كما هو معلوم فى كتب التـفسير وليس علىٌّ رضى الله عنه بحيـران بل به يهتدى الحـيارى. (ولما) سمع علىّ رضى الله عنه هو وأصـحابه بذلك بعث إليهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وقـال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فإنى فى أثرك فلما أتاهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكرموه ورحبوا به وقالوا له :ما جاء يا ابن عباس قال: قد جـئتكم من عند صهر رسول الله ﷺ وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ﷺ فـقالوا يا ابن عباس: إنّا أذنبنا ذنباً عظيـماً حين حكمنا الرجال فى دين الله تعالى وإن تاب كـما تبنا ونهض لمجاهـدة عدونا رجعنا إليـه فلم يصبر ابن عـباس عن مجاوبتهم وقال أنشدكم الله إلا ما صدقتم أما قال الله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾(٢) فى أمر المرأة وزوجها قالوا :اللهم نعم. قال: فكيف بأمة محمـدﷺ؟ فقالت الخوارج: أما ما جعل الله تعـالى حكمه إلى الناس وأمرهم

(١) سورة الأنعام : ٧١. (٢) سورة النساء: ٣٥.

بالنظر فيه فهو إليهم وأما ما حكم به وأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فى هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما، وقال الله تعالى: يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة فى أرنب تساوى ربع درهم تصاد فى الحرم، فقالوا: يجعل الحكم فى الصيد وشقاق الرجل وزوجته كالحكم فى دماء المسلمين ،ثم قالوا له :أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا؟، وإن كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم فى أمر الله الرجال وقد أمضى الله تعالى حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا وقد كتبتم كتاباً وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية، ثم خرج علىٌّ رضى الله عنه فى أثر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فانتهى إليهم وهم يخاصمونه فقال له علىٌّ رضى الله عنه: ألم أنهك عن كلامهم؟، ثم قال لهم علىٌّ رضى الله عنه :من زعيمكم قالوا :عبد الله بن الكواء فقال: على به فلما حضر قال له علىّ رضى الله عنه: أنشدكم الله تعالى ألم أقل لكم حين رفع المصاحف أنا أعلم بالقوم منكم؟ إنه استحر بهم القتل وإنما رفعوها خديعة ومكيدة لكم ليفتنوكم ويثبطوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم الدوائر، وذكرهم جميع ما قاله لهم فى ذلك اليوم فلم تسمعوا منى واشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أماته فإن حكموا بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبيا فحن من حكمهما برآء، فقالوا: فأخبرنا عن عمرو بن العاص أتراه عدلا حتى تحكمه فى الدماء؟ قال: إنما حكم القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال، قالوا :فأخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم؟ قال :ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل الله عزّ وجلّ أن يصلح الأمة فى مدة هذه الهدنة ويلهمها ويرشدها. قالوا: فأخبرنا عن يوم كتبت الصحيفة إذ كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فأبى عمرو أن يقبل منك أنك أمير المؤمنين فمحوت اسمك من إمرة المؤمنين وقلت للكاتب : اكتب ما تقاضى عليه علىّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فإن لم تكن أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنين فلست بأميرنا، فقال على رضى الله عنه: يا هؤلاء أنا كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية فقال النبىﷺ :اكتب هذا ما اصطلح عليه رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو . فقال سهيل: لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك ولا قاتلناك فأمرنى رسول الله ﷺ فمحوت اسمه من الكتاب، وكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، وإنما محوت اسمى من إمرة المؤمنين كما محا رسول الله ﷺ اسمه من الرسالة وكان لى به أسوة. فهل عندكم شىء غير هذا تحتجون به علىّ؟ فسكتوا، فقال لهم علىّ رضى الله عنه: قوموا فادخلوا مصركم

يرحمكم الله فقالوا : ندخل ولكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذى بينك وبين القوم هنا ليحيا المال ويسمن الكراع ثم ندخل . فانصرف عنهم رضى الله عنه، وهم كاذبون فيما زعموا قاتلهم الله تعالى، (ولما جاء) وقت الحكمين أرسل علىّ رضى الله عنه مع أبى موسى الأشعرى أربعمائة راكب وعليهم شريح بن هانئ الحارثى ومعهم عبد الله بن عباس رضى الله عنه يصلى بهم وأرسل معاوية مع عمرو بن العاص أربعمائة رجل من أهل الشام وتوافقوا (بدومة الجندل) وحضر معهم عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الرحمن بن الزبير وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهرى وأبو الجهم بن حذيفة العدوى والمغيرة بن شعبة وكان سعد بن أبى وقاص على ماء لبنى سليم بالبادية فأتاه ابنه عمر فقال له: إن أبا موسى وعمرو بن العاص قد حضرا للحكومة وقد شهدهم نفر من قريش فاحضر معهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد الستة الذين كانت الشورى بينهم ولم تدخل فى أمر تكرهه هذه الأمة وأنت أحق الناس بالخلافة. فلم يفعل، وقيل: بل حضر ثم ندم على حضوره فأحرم بعمرة من بيت المقدس وتوجه إلى مكة محرماً، وكان عمرو بن العاص بعد تحكيم على ومعاوية له ولأبى موسى يقدم أبا موسى فى كل شىء ويظهر له الاحترام والإعظام ويقول لـه : لا أتقدم عليك في أمر من الأمور من الأشياء لا فى كلام ولا فى غيره لأنك أسن منى وأنت صاحب رسول الله ﷺ وقد دعا لك فقال: اللهم اغفر لعبد الله ابن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً حتى استقر ذلك فى نفس أبى موسى وسكن فى خاطره وظن أنه يقدمه على نفسه تعظيماً وتكريماً وإنما هو دهاء وخديعة منه له، ولما اجتمعا للحكومة وتفاوضا فى الكلام كان من كلام عمرو بن العاص لأبى موسى الأشعرى ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟. قال: أشهد. قال :تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه: قال: أعلم قال: فما يمنعك من توليته وبيته فى قريش كما علمت؟. وإن خفت أن يقول الناس له سابقة فقد وجدته ولى عثمان الخليفة المقتول ظلماً وهو المطالب بدمه مع ماله من حسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج النبى ﷺ وكاتب وحى رسول الله ﷺ وعرض له بسلطان، فقال أبو موسى الأشعرى: يا عمرو اتق الله أمّا ما ذكرت من شرف معاوية فالشرف لأهل الدين والفضل مع أنى لو كنت معطية أفضل قريش شرفًا لأعطيته على بن أبى طالب، وأما قولك: إن معاوية ولى دم عثمان فَوَلِّه هذا الأمر فلم أكن أوليه وأدع المهاجرين الأولين، وأما تعريضك لى بالسلطان فو الله لو خرج معاوية عن سلطانه ما وليته، فقال له عمرو: فما تقول فى ابنى عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه؟ فقال: قد غمست ابنك فى هذه الفتنة لا يكون ذلك، فقال عمرو: إن هذا الأمر لا يصلح إلا رجل يأكل ويطعم، فسمع ابن الزبير كلامه، فقال: يا أبا موسى تفطن وتنبه لكلام عمرو، وقال

:يا ابن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد ما تنازعوا بالسيوف وأشرفوا على الحتوف فلا تَرُدَنّهم فى فتنة واتق الله، ولما راود عمرو بن العـاص أبا موسى على معاوية وعلى ابنه عبد الله فأبى أبو موسى و راوده على توليته عبد الله بن عمر فأبى عمرو ثم قال: هات رأيا غير هذا، فـقال أبو موسى: أرى أن تخلع هذين الرجلين يعنى عليًا ومعـاوية ونجعل الأمر شورى بينهم فيختـار المسلمون لأنفسهم من أحبوا فقال: الرأى مـا رأيت فأقبلا على الناس بوجوههم وهم مجتمعون ينظرون ما يتفقـان عليه فقال عمرو: تكلم يا أبا موسى وأخبرهم أن رأينا اتفق فقـال أبو موسى :أيهـا الناس إن رأينا قد اتفق على أمـر نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الأمة ويلم شعثها ويجمع كلمتها، فقال عمرو: صدق أبو موسى وبرّ فيما قال تقدم يا أبا موسى فتكلم فقام إليـه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، وقال له: يا أبا موسى إن كنت وافقته على أمر فقدمـه يتكلم به قبلك فإنى أخشى من خديعته لك وإنى لا آمن أن يكون قـد أعطاك الرضا فـيمـا بينك وبينه فـإذا قمت فى الناس خـالفك فقـال أبو موسى: قد توافقنا وتراضينا وما ثَمَّ مخالفة أبدا وكان أبو موسى سليم القلب فتقدم: فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال: أيها الناس إنا قد نظرنا فى أمر هذه الأمـة فلم نر أسلم لرأيها ولا ألَمّ لشملها من أمر قد اجتمع عليه رأيى ورأى عـمرو وهو أن نخلع عليًا ومعاوية ويستقبل الناس هذا الأمر بأنفـسهم فيـولوا عليه من أحبوا واخـتاروا وإنى قد خلعت عليًا ومـعاوية فاستقـبلوا أمركم فولوا عليكم مَنْ رأيتموه أهلاً لذلك ثم تنحى، وأقـبل عمرو بن العاص فقام مـقامه: فحمد الله وأثنى عليـه ثم قال: أيا الناس إن أبا موسى قد خلع صاحـبه وقد قال: ما سمعتم وأنا أيضًا قد خلعت صاحبـه وأبقيت صاحبى معاوية على الخلافة فإنه ولى عثـمان بن عفان رضى الله عنه والمطالب بدمـه وأحق الناس بمقامه ثم تنحى، فـقال له أبو موسى: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت وإنمـا مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال عمرو لأبى موسى: وأنت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا ،قال سعد لأبى موسى: ما أضعفك يا أبا مـوسى عن عمرو ومكايده فقال أبو موسى: ما أصنع وافقنى على أمر وغدر، وقال ابن عـباس: لا ذنب لك يا أبا موسى وإنما الذنب لمن قدمك وأقامك فى هذا المقام، وقال عبد الرحمن بن أبى بكر لو غاب الأشعرى قبل هذا اليوم لكان خيرا له ، وحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن عمرو على شريح فضربه بعصا وحجـز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك: ما ندمت على شىء ندامتى إلامن أن أكون ضربت عمرًا بالسيف عوضًا عن السوط والتمس الناس أبا موسى رضى الله

عنه فوجدوه قد ركب راحلته وهرب إلى مكة وكان أبو موسى يقول: حذرنى ابن عباس غدر عمرو ولكنى اطمأننت إليه لما يظهر لى وانصرف عمرو بن العاص وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة. قيل: إن معاوية قام فى الناس فقال: أما بعد فمن كان متكلمًا فى هذا الأمر بعد ذلك فليطلع قرنه وخرج شريح ابن هانئ مع ابن عباس إلى علىّ رضى الله عنه فأخبراه الخبر فقام فى أهل الكوفة فخطبهم فقال: الحمد لله وإنْ أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ أما بعد: فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندامة وكنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة أمرى فأبيتم ونحلتكم رأيى فما لويتم فكنت وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتُهم أمْرِىَ بمنعرجِ اللـوى فلم يستبينوا النصحَ إلا ضحى الغدِ

أما إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين فقد نبذا حكم القرآن وراء ظهريهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة ولا سنة مضيئة واختلفا فى حكمهما وكلاهما لم يرشدا استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام وأصبحوا فى معسكركم يوم الاثنين ثم نزل، وكتب إلى الخوارج بالنهروان: «بسم الله الرحمن الرحيم من علىٍّ أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب وعبد الله بن الكواء ومن معهم من الناس أما بعد: فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله ولم يعملا بالسنة ولم ينفذا حكم القرآن فإذا وصلكم كتابى هذا فاقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذى كنا عليه»، فكتبوا إليه «أما بعد: فإنك لم تغضب لله تعالى وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين»، فلما قرأ كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم ويمضى بالناس إلى أهل الشام فيناجزهم، فقام فى أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فإنه من ترك الجهاد فى الله وداهن فى أمره كان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمته فاتقوا الله وقاتلوا من حادّ الله وحاول أن يطفئ نوره وقاتلوا الخائنين الضالين فبينما علىّ رضى الله عنه معهم فى الكلام أتاه الخبر أن الخوارج خرجوا على الناس، وأنهم قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ ،وبقروا بطن امرأته وهى حامل وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ وقتلوا أم سنان. فلما بلغ علىٍّ رضى الله عنه ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدى ليأتيهم وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه ولايكتمه شيئًا من أمرهم، فلما دنا منهم، وسألهم قتلوه وأتى عليًا رضى الله عنه الخبر بذلك وهو بمعسكره، فقال الناس يا أمير المؤمنين: علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا فى أموالنا وعيالنا؟ سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعدائنا من أهل الشام ،وجاءهم منجم يقال له مسافر بن عدى

الأزدى فقـال: يا أميـر المؤمنين إذا أردت المسير إلى هـؤلاء القوم فسـر إليهم فى السـاعة الفلانيـة فإنك إن سرت فى غـيرها لقيت أنت وأصـحابك ضرراً شديداً ومـشقة عظيـمة، فخالف على رضى الله عنه قولـه، ولما قرب علىّ رضى الله عنه منهم بحيث يرونه ويراهم نزل، وأرسل إليهم أن ادفـعوا إلينا قـتلة إخواننا منكم نقـتلهم بهم وأترككم وأكف عنكم حـتى ألقى أهل الشـام فلعل الله أن يأخـذ بقلـوبكم ويردكم إلى خـيـر مما أنتم عليـه من أموركم، فقـالوا :كلنا قتلناهم وكلنا مستـحلون لدمائكم وأموالكم ودمائهم، فـخرج إليهم قيس بن عبادة رضى الله عنه فقال لهم :عـباد الله أخرجوا إلينا قتلة إخواننا منهكم وادخلوا فى هذا الأمر الذى خرجتم منه وعودوا إلى قتال عـدونا وعدكم فإنكم قد ركبتم عظيمًا من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين، فقال عبد الرحمن بن صخر السلمى: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا بتابعيكم، ثم إن عليًا رضى الله عنه خرج إليه بنفسه، فقال لهم: أيتها العصابة التى أخرجها عـداوة المراء والحجاج وصدها عن الحق اتباع الهوى واللجاج إن أنفسكم الأمـارة سولت لكم فراقى لهـذه الحكومة التى أنتم ابتـدأتموها رسألتمـوها وأنا لها كاره، وأنبـأتكم أن القوم إنما فعلوها مكيـدة فأبيتم على إباء المخـالفين، وعندتم على عناد العاصين حـتى صرفت رأيى إلى رأيكم وإن مـعاشركم والله صـغار الهـام سفهـاء الأحلام وأجمع رأى رؤسائكـم وكبرائكم أن اختاروا رجلين وأخـذنا عليهما أن يحكـما بالقرآن ولا يتـعديانه فـتاها وتركـا الحق وهما يبـصرانـه فـبينوا لنا بم تستـحلون دماءنا والخـروج عن جمـاعتنا؟، ثم تستعـرضون الناس تضربون أعناقـهم إن هذا لهو الخسـران المبين فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقتال الرواح الرواح إلى الجنة ،فرجع علىٌّ رضى الله عنه إلى أصحابه ،فهيأهم للقتال : فجعل ميـمنته حجر بن عدى وميسرته شبيب بن ربعى وقيل معقل بن قيس الرياحى وعلى الخيل أبا أيوب الأنصـارى وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصارى وفى مقـدمتهم قيس بن سـعد بن عبـادة رضى الله عنهم وأعطى علىٌّ رضى الله عنه لأبى أيوب الأنصارى راية أمان فناداهم أبو أيوب رضى الله عنه، فقال: من جاء إلى هذه الراية فهـو آمن ممن لم يكن قتل ولا تعـرض لأحد من المسلمين بسوء، ومن انـصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن، ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن لا حـاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا فى سفك دمـائكم فانصرف فـورة بن نوفل الأشجـعى فى خمسـمائة فارس وخـرج طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفـة وطائفة، أخرى إلى المدائن، وتفرق أكثـرهم بعد أن كانوا اثنى عشر ألفًا، فلم يبق منهم غير أربعة آلاف ،جعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس الطائى، وعلى الميسرة شـريح بن أوفى العبسى ،وعلى خـيلهم حمزة بن سنان الأسدى ،وعلى رجـالتهم حرقوص بن زهير السعدى وقال على رضى الله عنه لأصحابه: كفوا حتى يبدءوكم فتنادوا الرواح الرواح إلى الجنة ،وحـملوا على الناس فانفـرقت خيل علىّ رضى الله عنه فـرقتين

حتى صاروا فى وسطهم وعطفوا عليهم من الميمنة إلى الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطف عليهم الرجالة بالسيوف والرماح فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم وكانوا أربعة آلاف ولم يفلت منهم إلا تسعة رجال لا غير، رجلان هربا إلى خراسان وبها نسلهما إلى الآن، ورجلان سارا إلى حران وبها نسلهما ،ورجلان سارا إلى اليمن وبهما نسلهما وهم الذين يقال لهم: الأباضية أصحاب عبد الله بن أباض، ورجلان سارا إلى الجزيرة ،ورجلان سارا إلى تل مؤذن، وغنم جماعة علىّ رضى الله عنهم منهم غنائم كثيرة ،وقتل من جماعته رجلان ولم يسلم من الخوارج المارقين غير هذه التسعة ،وهذه كرامة من أمير المؤمنين على رضى الله عنه فإنه قال قبل ذلك: نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة.

(تنبيه) الخوارج هؤلاء: الذين خرجوا على علىٍّ رضى الله عنه لما حكّمَ الحكمين وقالوا :لا حكم إلا لله هم الذين قال فيهم النبى ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» . كما جاء فى حديث البخارى ومنهم :عبد الله بن ذى الخويصرة التيمى الذى جاء إلى النبى ﷺ وهو يقسم الصدقات فقال: اعدل يا رسول الله. فقال ﷺ: ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟ فقال عمر رضى الله عنه: فاذن لى يا رسول الله فى أن أضرب عنقه. فقال له ﷺ :دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وفيهم نزل ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ﴾[1]. ويقال لهم: الحرورية بحاء مهملة وراء مكررة بينهما واو ثم ياء بالنسبة إلى حروراء أرض نزلوا بها لما خرجوا عَلَى علىٍّ رضى الله عنه اهـ .من «الفصول المهمة» وفى كلام بعض المؤرخين أن عليًا همّ بقتال معاوية فلم يتمكن علىٌّ كرم الله وجهه من المسير إلى الشام لقتال معاوية ثانيًا لما دهمه من ابن ملجم لعنه الله.

(تتمة: فى ذكر أولاده ومقتله وقاتله وما يتصل بذلك) اعلم أن الناس قد اختلفوا فى عدد أولاده ذكورًا وإناثًا، فمنهم من أكثر ومنهم من أقل، ففى «كتاب الأنوار» لأبى القاسم إسماعيل أن أولاده: اثنان وثلاثون ستة عشر ذكرًا وست عشرة أنثى، وقال اليعمرى: تسعة وعشرون اثنا عشر ذكرًا وسبع عشرة أنثى وقال المحب الطبرى :كان له من المولد أربعة عشر ذكرًا وثمانى عشرة أنثى، وفى «الصفوة» أربعة عشر ذكرًا وتسع عشرة أنثى وفى «بغية الطالب» أولاده رضى الله عنهم خمسة عشر ذكرًا وثمانى عشرة أنثى بالاتفاق. واختلف فى الذكور إلى عشرين والإناث إلى اثنتين وعشرين. أما الذكور: فالحسن والحسين ومحسن وفى كلام غيره مات صغيرًا. أمهم: فاطمة البتول بنت رسول الله ، سميت البتول: لانقطاعها عن النساء فضلا ودينًا وحسبًا، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا يقال: امرأة بتول منقطعة عن الرجال وبه سميت أم عيسى، ومحمد الأكبر أمه من سبى بنى حنيفة واسمها:

---

(١) سورة التوبة: آية ٥٨.

خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، وعبد الله قتله المختار ابن أبى عبيد، وأبو بكر قتل مع الحسين. أمهما :ليلى بنت مسعود النهشلى، وتزوجها عبد الله بن جعفر بعد عمه فجمع بين زوجة على وابنته ،والعباس الأكبر ويلقب: بالسقاء، وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين. أمهم :أم البنين بنت حزام الوحيدية ثم الكلابية، ومحمد الأصغر قتل مع الحسين. أمه: أم ولد، ويحيى وعون .أمهما: أسماء بنت عميس ،وعمر الأكبر. أمه: أم حبيب الصهباء التغلبية من سبى الردة، ومحمد الأوسط أمه: أمامة بنت أبى العاص بن الربيع العبشمية وهى :التى حملها ﷺ فى صلاة الظهر وأمها : زينب بنت رسول الله ﷺ. وأما البنات: فأم كلثوم الكبرى ولدت قبل وفاة رسول الله ﷺ، وتزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وولدت زيدًا الأكبر، ورقية وتوفيت هى وابنها زيد فى وقت واحد وصلى عليهما ابن عمر وكان فيهما سُنّتان فيما ذكروا لم يرث واحد منهما من صاحبه لأنه لا يعرف أوّلهما موتا، وقدم زيد قبل أمه مما يلى الأيمن فى الصلاة، وزينب الكبرى شقيقة الحسن والحسين ،ورقية شقيقة عمر الأكبر ،وأم الحسن ورملة الصغرى، وزينب وزينب الصغرى ،وأم كلثوم وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الخير وأم سلمة وأم جعفر وجمانة وتقية. لأمهات شتى، والعقب من ولده رضى الله عنه: من الحسن والحسين ومحمد الأكبر وعمر والعباس السقاء .اهـ فى« حاشية البجيرمى على المنهج فى باب الوصايا» نقلا عن البرماوى ما نصه: جملة أولاد على بن أبى طالب من الذكور أحد وعشرون، والذى أعقب منهم خمسة: الحسن والحسين ابنا فاطمة،والعباس بن الكلابية، ومحمد بن الحنفية نسبة إلى بنى حنيفة، وعمر بن التغلبية نسبة لقبيلة يقال لها: تغلب، ومن الإناث: ثمانى عشرة، والتى أعقبت منهن واحدة فقط :زينب أخت السبطين من فاطمة. اهـ.

(تذييل: فى الكلام على مناقب محمد بن الحنفية) فى« طبقات الشعرانى» كان يقول رضى الله عنه: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر، وكان يقول: ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدًا حتى يجعل الله له مخرجًا. ولما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف فى البر ومائة ألف فى البحر أو يؤدى إليه الجزية. كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد ابن الحنفية تتهدده وتتوعده ثم أعلمنى بما يرد عليك، فكتب إليه، فأرسل محمد بن الحنفية إلى الحجاج يقول: إن لله عزّ وجلّ ثلثمائة وتسعين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إلى نظرة يمنعنى بها منك؛ فبعث الحجاج بتلك الكتاب إلى عبد الملك؛ فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم ، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوّة. اهـ . ولما بلغ محمدًا مسير أخيه الحسين رضى الله عنهما إلى الطف وكان بين يديه طست يتوضأ فيه بكى حتي ملأه من دموعه.

(**كرامة**) مرّ زيد بن على زين العابدين بمحمد بن الحنفـية فَنظر إليه وقال: أعيذك بالله أن تكون زيد بن على المصلوب بالـعراق، فكان كـما قال كـذا فى «الخطط»، ومن كـلامه رضى الله عنه: وكّل الله الجهل بالعطاء والعقل بالحرمان ليعتبر العالم وليعلم أن ليس له من الأمر شىء. حكى أبو طالب المكى فى القوت أن عليًا رضى الله عنه قـال: لابنه محمد بن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل أقدم ومـحمد يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت إليه وقال: هذه والله الفـتنة المظلمة، فوكـزه على بالرمح وقال له :تقـدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها ؟اهـ وكانت الشيعة تسمية :المهدى وهو يقول :كل مؤمن مهدى،وكان صاحب راية أبيه يوم الجمل ،وكان شجاعًا كريمًا فصيحًا .توفى محمد بن الحنفية رضى الله عنه بالمدينة المنورة سنة إحدى وثمانين مـن الهجرة. كذا فى« مختصـر التواريخ» ويقال :إنه مات بالطائـف. وأما ألقاب الإمـام على رضى الله عنه: فالمرتضى وحـيدر وأمـير المؤمنين والأنزع البطين. وأما كنيـته: فأبو الحسن وأبو السـبطين وأبو تراب كناه ﷺ، وكانت أحب الكنى إليه كما سبق، وكان نقش خـاتمه: أسندت ظهرى إلى الله. وقيل:حسبى الله، وكان تحته يوم قتل أربع زوجات وهن: أمـامة وليلى بنت مسعود التميميـة وأسماء بنت عميس وأم البنين. وأمهات أولاده عـشر إماء. وبوابه :سلمان الفـارسى رضى الله عنه. وشاعره: حسـان بن ثابت رضى الله عنه. ومعاصـروه: أبو بكر وعمر وعـثمان ومـعاوية رضى الله عنهم أجمعين (**وأما مقتله ومدة عمره وقاتله**) فقال أهل السير: انتدب ثلاثه نفر من الخوارج عبد الرحـمن بن ملجم المرادى وهو من حمير وعداده فى بنى مـراد وحليف بنى جبلة من كندة، والبرك بن عبـد الله التميمى ،وعـمرو بن بكير التميـمى .فاجتمـعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة :على بن أبى طالب، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ويريحنّ العباد منهم ،فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلى: وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: وأنا أكـفيكم عمـرو بن العاص، وتوافقـوا ألا ينكص واحد منهم عن صاحـبه.وأن تكون ليلة سبع عشرة من رمضان وقـيل: ليلة الحادى والعشرين سنة أربعين. ثم توجه كل واحد منهم إلى المصر الذى فـيه صاحبه، فقـدم البرك دمشق ،وضرب معاوية فـجرحه فى أليته فسلم منها وفى «حياة الحيوان» فأصاب أوراكه فقطع منه عرق النكاح. فلم يولد له بعد ذلك فلما قبض عليه. قال: الزمـان والبشارة فقد قتل على فى هذه الليلة،فاستـبقاه معاوية حتى أتاه الخبر، فـقطع معاوية يده ورجله وأطلقه، وقيل :قتله، وأما عمـرو بن بكير فقدم مصر وكان يومئذ بعمرو بن العاص وجع الظهر أو البطن فبعث مكانه سهلا العامرى وقيل: خارجة وهو المشـهور ليصلى بالناس فقتله عمـرو بن بكير يحسبه عمـرو بن العاص وقبض عليه وقتل. وفى «الفصول المهمة»أن الذى استخلفه عمرو وقتل خارجة.

وفيه، وأخذ قاتل خارجة وأدخل على عمرو بن العاص. فلما راه قال: من قتلت؟ قال: يقولون خارجة، فقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة، وأمر به فقتل. وفى ذلك يقول ابن عبدون:

وَلَيْتَها إذ فَدَتْ عمراً بخارجةَ فدتْ علّيًا بما شاءتْ مِنَ البشرِ

ولما بلغ معاوية قتل خارجة وسلامة عمرو كتب إليه هذه الأبيات:

وَقَتْكَ وأسبابُ الأمور كثيرةٌ منيةُ شيخ من لؤىٍّ بن غالبِ
فيا عمرُو مهلاً إنّما أنْتَ عَمُّهُ وصاحبُه دون الرجال الأقاربِ
نجوتَ وقد بَلَّ المراديُ سيفَه من ابن أبى شيخ الأباطح طالبِ
ويَضْرِبُنى بالسيف آخرُ مثلَه وكانَتْ عليه تلك ضربةُ لازبِ
وأنتَ تُناغِى كلَّ يوم وليلةٍ بمصرِك بيضا كالظباءِ السواربِ

وأما عبد الرحمن بن ملجم فقدم الكوفة، فلقيه جماعة من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شيء من ذلك فمرض فى بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس فخرج منها نسوة، فرأى فيهن امرأة جميلة يقال لها: قطام بنت الأصبع التميمى، فوقع فى قلبه حبُّها فقال: يا جاريةُ أيّم أنت أم ذات بعل؟ فقالت: بل أيم. فقال لها: هل لك فى زوج لا تُذَمُّ خلائقه؟، فقالت؟ نعم، ولكن لى أولياء أشاورهم، فتبعها فدخلت ثم خرجت إليه فقالت: يا هذا إن أوليائى لا يزوجوننى إلا على ثلاثة آلاف دينار وعبد وقينة. فقال: لك ذلك. قالت: وشريطة أخرى. قال: وما هى؟ قالت: قَتْلُ على بن أبى طالب فإنه قتل أبى وأخى يوم النهروان. قال: ويحك، ومن يقدر على قتل على بن أبى طالب وهو فارس الفرسان وواحد الشجعان؟. فقالت: لا تكثر فذلك أحب إلينا من المال إن كنت تفعل ذلك وتقدر عليه وإلا فاذهب إلى سبيلك. فقال لها: والله ما جئت إلا لقتل علىّ فقد أعطيتك ما سألت. وفى رواية الزبير بن بكار قال: صدقت ولما رأيتك آثرت تزويجك. فقالت: ليس إلا الذى قلت لك. قال: وما يغنيك أو ما يغنينى من قتل على وأنا أعلم أنى إن قتلته لم أفلت؟ قالت: إن قَتَلْتَه ونجوت فهو الذى أردت فتبلغ شفاء نفسى ويهنيك العيش معى، وإن قُتِلْتَ فما عند الله خيرٌ لك من الدنيا وما فيها. فقال لها: لك ما اشترط قال الفرزدق:

ولم أر مـهرًا سـاقه ذو شـجاعـة	كمـهر قطام مـن فصيح وأعـجم
ثلاثـةُ آلاف وعـبـــدٌ وقـيـنةٌ	وضـربُ عـلىٍّ بالحســام المسَمّم
ولا مَهْرٌ أعلى منْ عـلىّ وإنْ عَلا	ولافـتكُ إلا دون فَتْك ابـنِ ملجمِ
ولا غَزْو للأشراف إن ظهرتْ بهم	كلابٌ الأعادى من فصَيحٍ وأعجمِ
فحَرْبةُ وحْشِى سقتْ حمزةَ الردى	وحَتْفُ على مِنْ حسامِ ابنِ ملجمِ

ثم إنها قالت له: سألتمس لك من يشد ظهرك. فبعثت إلى ابن عم لها يدعى: وردان ابن مجالد ،فأجابها ولقى ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعى بفتح الباء والجيم كما ضبطه بعضهم وضبطه أبو عمرو بضم الباء وسكون الجيم. فقال له: يا شبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟. قال :وما هو قال: تساعدنى على قتل على بن أبى طالب .قال:ثكلتك أمك لقد جئت شيئًا إدًا كيف يقدر على ذلك؟ .قال: إنه رجل لا حرس له ويخرج إلى المسجد منفردًا فنكمن له فى المسجد فإذا خرج للصلاة قتلناه فإن نجونا اشتفينا وإن قتلناه سعدنا بالذكر فى الدنيا وبالجنة فى الآخرة. فقال :ويلك إن عليًا ذو سابقة فى الإسلام مع النبى ﷺ ما تنشرح نفسى لقتله. قال :ويلك إنه حَكّمَ الرجال فى دين الله وقتل إخواننا الصالحين فنقتله ببعض من قتل ولا تَشُكَنّ فى دينك. فأجابه، وأقبلا حتى دخلا على قطام وهى معتكفة فى المسجد الأعظم فى قبة ضربتها لها فدعت لهما فقاما وأخذا سيفيهما ثم جاءا حتى جلسا قبالة السدة التى يخرج منها علىٌ ودخل ابن النباح المؤذن. فقال الصلاة، فقام على يمشى وابن النباح بين يديه والحسن ابنه خلفه، فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس فاعترضه الرجلان. فقال بعض من حضر ذلك: رأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول :لله الحكم يا على لا لك. وفى رواية الحكم: يا على لا لك ولا لأصحابك، ثم رأيت سيفًا ثانيًا فضربا جميعًا، فأما سيف شبيب فوقع فى الطاق وأخطأ، وأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، وهرب وردان حتى دخل منزله ،فدخل عليه رجل فقتله وهرب شبيب فى الغلس (وأما ابن ملجم فإنه لما هم الناس به حمل عليهم بسيفه ففرجوا له ،فتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه، واحتمله وضرب به إلى الأرض، وقعد على صدره، وانتزع سيفه وجاء به إلى أمير المومنين. فنظر إليه، ثم قال: النفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلنى،و إن برئت أبديت رأيى فيه. وفى« ذخائر العقبى» فقال: على رضى الله عنه: فإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به،وإن لم أمت فالأمر لى فى العفو والقصاص. فقال ابن ملجم .والله ابتعته بألف وسممته شهرًا فإن أخلفنى أبعده الله وأسحقه يعنى سيفه. فقالت أم كلثوم ابنه على رضى الله عنه: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين. فقال: إنما قتلت أباك. قالت: يا عدو الله إنى لأرجو ألا يكون عليه بأس. قال: فلِمَ تبكين إذًا؟، والله لقد

ضربتـه ضربة لو قسـمت على أهل الأرض ما بقى منهم أحـد. فأخرج من بين يدى أمـير المؤمنين والناس يلعنونه ويقولون له: قتلت خير الناس يا عدو الله.

وفى «أسد الغـابة» لما أخذ ابن ملجم أدخل على علىّ رضى الله عنه فـقال: احبـسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فـأنا ولى دمى عفوًا أو قصاصًا وإن مت فألحقوه بى أخاصمـه عند رب العالمين. ومكث رضى الله عنه جريحًا يوم الجمعـة والسبت وتوفى ليلة الأحد الثالثة عشر من رمضان سنة أربـعين. وكان عمره إذ ذاك خمسًا وستين سنة. وقيل: ثلاثًا وستين كالنبى وأبى بكر وعمر وهو من عجيب الاتفاق. قال الواقدى: وهذا هو المثبت عندنا وقيل :غير ذلك.

(وصيته رضى الله عنه الحسن والحسين رضى الله عنهما) روى: أنه لما ضربه ابن ملجم أوصى الحسـن والحسين وصيـة طويلة فى آخرهـا: «يا بنى عبـد المطلب لا تخوضـوا دماء المسلمين خوضًا تقولون :قتل أمـير المؤمنين ألا لا تقتلوا بى إلا قاتلى انظروا إذ أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**» أخرجه الـفضائلى، وفى رواية عن الحسن رضى الله عنه لـما حضرت أبى الوفاة أقـبل يوصى فقال :هذا مـا أوصى به على بن أبى طالب أخو محـمد ﷺ وابن عمه وصـاحبه أول وصيتى أنى أشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسوله وخيـرته اختاره بعلمه وارتضاه لخلقـه وإن الله باعث مَنْ فى القبور وسائل الناس عن أعـمالهم عالم بما فى الصدور، ثم إنى أوصيك يا حسن وكفى بك وصـيًا بما أوصانى به رسول الله ﷺ فإذا كان ذلك فالزم بيتك وابك على خطيئتك ولا تكن الدنيـا أكبر همك، وأوصيك يا بنى بالصلاة عند وقتهاوالزكاة فى أهلها عند محلها، والصـمت عند التشبه والاقتصاد والعدل فى الرضا والغضب وحسن الجوار وإكرام الضيف ورحمة المجهود وأصحاب البلاء وصلة الرحم وحب المساكين ومجالستهم والتواضع: فإنه من أفضل العبادة، وذكر الموت والزهد فى الدنيا فإنك رهن موت وعرض بلاء وطريح سقم. وأوصيك بخشيـة الله تعالى فى سرائرك وعلانيتك، وأنهاك عن مخـالفة الشرع بالقول والفعل، وإذا عرض لك شىء من أمـر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض لك شىء من أمـر الدنيا فتأنه حـتى تصيب رشدك فـيه، وإياك ومواطن التهـمة والمجلس المظنون به السوء فإن قـرين السوء يغير جليسـه، وكن لله يا بنى عاملا وعن الخنا زجورًا وبالمعروف آمرًا وعن المنكر ناهيًا ،آخ الإخـوان فى الله وأحب الصالح لصلاحه ودار الفاسـق عن دينك وأبغضـه بقلبك وزايله بأعمـالك لئلا تكون مـثله. وإياك والجلوس فى الطرقات، ودع المماراة ومـجازاة من لا عقل له، واقتصـد يا بنى فى معيشتك واقـتصد فى عبادتك وعليك فيها بالأمر الدائـم الذى تطيقه، والزم الصمت وبه تسلم وقدم لنفسك تغنم الخير وكـن ذاكرًا لله تعالى على كل حال وارحم من أهلك الصـغير ووقر الكبـير ولا تأكل

طعامًا حتى تتصدق منه قبل أكله، وعليك بالصوم فإنه زكاة البدن وجنة لأهله ،وجاهد نفسك واحذر جليسك واجتنب عدوك، وعليك بمجالس الذكر وأكثر من الدعاء فإنى لم آلك يا بنى نصحًا وهذا فراق بينى وبينك، وأوصيك بأخيك محمد خيرًا فإنه ابن أبيك وقد تعلم حبى له، وأما أخوك الحسين فهو شقيقك وابن أمك وأبيك والله الخليفة عليكم وإياه أسأله أن يصلحكم وأن يكف الطغاة البغاة عنكم، والصبر الصبر حتى يقضى الله هذا الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم قال: يا حسن أبصروا ضاربى أطعموه من طعامى واسقوه من شرابى فإن عشت فأنا أولى بحقى وإن مت فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور» يا حسن إن أنا مت لا تغلُ فى كفنى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تغلوا فى الأكفان ،وامشوا بين المشيتين فإن كان خيرًا أعجلتمونى إليه وإن كان شرًا ألقيتمونى عن أكتفاكم» يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تريقون دماء المسلمين بعدى تقولون: قتلتم أمير المؤمنين .ألا لا يقتلن بى إلا قاتلى». ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضى الله عنه، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية رضى الله عنهم .(وكفن) فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة. (وصلى) عليه ابنه الحسن (ودفن) فى (الغرى) ليلا موضع معروف يزار إلى الآن .وقيل: بالنجف وفيه يقول بعض الشعراء:

سقته سحائبُ الرضْوانِ سَحًا   كجود يديه ينسجمُ انسجاما
ولا زالتْ رواةُ المزْنِ تَهدى   إلى النجفِ التحيةَ والسلاما

وقيل: دفن بين منزله والمسجد، وقيل: دفن بقصر الإمارة بالكوفة كذا فى« الفصول»، وقيل: غير ذلك .(ومروياته) فى كتب الأحاديث خمسمائة وستة وثمانون حديثا.ً (وكاتبه): عبد الله بن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ. (وقاضيه): شريح بن الحرث الكندى، (ولما) فرغوا من دفنه جلس الحسن رضى الله عنه وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجيء به فلما وقف بين يديه أمر بضرب عنقه. وأخذه الناس وأحرقوه. عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: مرض علىٌ رضى الله عنه فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فجلست عنده معهما فجاء النبى ﷺ ،فنظر فى وجهه فقال أبو بكر وعمر: قد تخوفنا عليه يا رسول الله فقال ﷺ: لا بأس عليه ولن يموت الآن ولا يموت حتى يملأ غيظاً ولن يموت إلا مقتولا. وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: من أشقى الأولين يا على؟ قال الذى عقر ناقة صالح. قال: صدقت. فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال:أشقى الآخرين الذى يضربك على هذه وأشار إلى يا فوخة. وكان على كرم الله وجهه يقول لأهله :والله لوددت أن لو انبعث أشقاها» .أخرجه أبو

حاتم. وعن فضالة الأنصارى قال: خرجت مع أبى إلى البقيع عائدين لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وكان مـريضاً بها قـد نقل إليها من المدينة ،فـقال أبى: ما يقـيمك فى هذا المنزل ولو هلكت به لم تدفنك إلا أعراب جهينة؟. وكان أبو فضاالة من أهل بدر. فقال له على رضى الله عنه: إنى لست بميت من وجعى هذا وذلك أن النبى ﷺ عهد إلى ألا أموت حتى أؤمر وتخضب هذه من دم هذا وأشار إلى لحيته ورأسه قضاء مقضياً وعهداً معهوداً منه إلى. (وعن أبى الأسود الدؤلى) أنه عاد عليًا رضى الله عنه فى شكوى اشتكاها قال: فقلت له: لقد تخوفنا علـيك يا أمير المؤمنين فى شكواك هذه .فقال: لـكن والله ما تخوفت على نفسـى لأنى سمعـت رسول الله ﷺ يقول: إنك سـتضـرب ضربة ههنا وأشـار إلى رأسى فيسيـل دمها حتى يخضب لحيـتك يكون صاحبها أشقـاها كما كان عاقر الناقـة أشقى ثمود .(وفى الفصـول المهملة) قيـل: وسئل على رضى الله عنه وهو على المنبـر فى الكوفة عن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الـــــلَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ (١) فقال: الـلهم غفراً هذه الآية نزلت فى وفى عمى حـمزة وفى ابن عمى عـبيدة الحرث بن عبد المطلب رضى الله عنهم؛ فـأما عبيدة فإنه قضى نحبـه شهيداً يوم بدر؛ وأما عمى حمزة فإنه قـضى نحبه شهيداً يوم أحد؛ وأما أنا فـأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذا وأشار إلى لحيـته ورأسه عهداً عـهده إلى حبيبى: أبو القـاسم ﷺ. وبالإسناد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه: قال: إنى لحاضر عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فى وقت إذ جاءه عبد الرحمن بن ملجم فحمله ثم قال:

أُرِيدُ حياتَه ويُرِيدُ قَتْلِـــى ... عُذَيْرُك مِنْ خَلِيك مِنْ مُرادِ

ثم قـال :هذا والله قاتلـى .قلت يا أميـر المؤمنين :أفـلا نقـتله؟. قال: لا، فـمن يقتلنى؟. ثم قال:

اشددْ حَيـازِيمكَ للمو ... ت فإنّ الموتَ لاقـيكا
ولا تَجْزعْ مـن المـــو ... تِ إذا حلَّ بـناديـكا

وقال تميم بن المغيرة :كان على رضى الله عنه فى شهر رمضان من السنة التى قتل فيها ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبـد الله بن جعفر لا يزيد فى أكله على ثلاث أو أربع لقم، ويقول: يأتينى أمر الله وأنا خميص إنما هى ليـال قلائل فلم يمض الشهر حتى قتل رضى الله عنه (وعن) الحسن بن كثير عن أبيـه قال :خرج رضى الله عنه فى فجر اليوم

(١) سورة الأحزاب ٢٣.

الذى قتل فيه فأقبل الوز يصحن فى وجهه فطردن عنه. فقال رضى الله عنه : ذروهن فإنهن نوائح. فقتله ابن ملجم، (وقال) الحسن بن على رضى الله عنهما: قمت ليلا فوجدت أبى قائماً يصلى فى مسجد داره. فقال: يابنى أيقظ أهلك يصلون فإنها ليلة جمعة صبيحة بدر ولقد ملكتنى عيناى فنمت فرأيت رسول الله ، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء و اللدد؟ فقال ﷺ: ادع عليهم. فقلت: اللهم أبدلنى من هو خير منهم، وأبدلهم بى من هو شر منى فجاء المؤذن فأذن بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله. قال بكر بن حسان:

قُلْ لابن ملجم والأقدارُ غالبةٌ — هدمتَ للدين والإسلام أركانا
قتلتَ أفضلَ مَنْ يمشى على قدم — وأفضلَ الناس إسلامًا وإيمانا
وأعلمَ الناس بالقرآن ثم بما — سَنّ الرسولُ لنا شرعا وتبيانا
صهرُ النبى ومولاه وناصرُه — أوضحتْ مناقبُه نورا وبرهانا
وكان منه على رَغْم الحسود له — مكانُ هرون من موسى بن عمرانا
ذكرتُ قاتله والدمعُ مُنحدرٌ — فقلتُ سبحانَ ربِّ العرش سبحانا
قد كان يخبرنا أنْ سوف يخضبُها — قبل المنيةِ أشقاه وقد كانا
إنى لأحسبُه ما كان من بشر — يخشى المعَادَ ولكن كان شيطانا
أشقى مراداً إذا عُدّتْ قبائلُها — وأخسرَ الناس عندَ الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التى جلبتْ — على ثمودَ بأرض الحجرِ خسرانا
فلا عفا اللهُ عنه ما تحمله — ولا سقى قبر عمرانَ بن حطانا
لقوله فى تقيٍ ظل محترما — ونال ما ناله ظلماً وعدواناً
يا ضربةٌ مِنْ تقى ما أراد بها — إلا ليبلغَ من ذى العرش رضوانا
بل ضربةٌ مِنْ غَوِىٍّ أورثته لظىً — مخلدا قد أتى الرحمنَ غضبانا
كأنّه لم يُرِدْ قصداً بضربَتِه — إلا ليصلى عذابَ الخلدِ نيرانا

ولما سمع القاضى أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعى قول عمران بن حطان الرشاقى الخارجى:

لله درُّ المرادى الذى فَتَكتْ — كفاه مهجةَ شرِّ الخلق إنساناً
يا ضربةٌ من تقى ما أراد بها — إلا ليبلغَ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكُره يوما فأحسبه — أوفى البرية عند الله ميزانا

أجابه بقوله:

إنــى لأبــرأ مما أنــتَ قــــــائــلُه عن ابن مــلجم الملعـــون بـهـتــانا
يا ضــربةً مــن شقى مــا أرادَ بهــا إلا ليــــهــدمَ لــلإســلام أركــانا
إنى لأذكـــــرُه يومًـــا فـــألـعنُه دينـا وألعنُ عـــمـــرانا وحطـانا
عليــه ثم عليــه الدهر مــتـصــلا لعـــائـنُ الله إســـراراً وإعـــلانا
فـأنتــمـا من كـلاب النـار جـاء به نصُّ الشــريعــة بـرهانًا وتبـيــانا
عليـك لعنةُ الجـبـــار مـــا طـلعتْ شـمسُ وما أوقـدوا فى الكون نيـرنا

وقال أبو الأسود الدؤلى :

ألا بَلّغْ مـعـاويةَ بنَ حـرب فلا قَرّتْ عـيونُ الشـامتـينا
أفى شهـر الصيـام فَجَعْتُمُنّا بخَيْر الناس طُرًا أجـمـعـينا
قَتَلْتُم خيـرَ مَنْ رَكِبَ المطايا ورَحْلَها ومَنْ ركبَ السـفينا
ومَنْ لَبِس النعالَ ومَنْ حذاها ومَنْ قـرأ المـثـانى والمثـينا
إذا استـبلتَ وجْهَ أبى حسين رأيتَ البــدرَ راعَ الناظـرينا
لقد علمتْ قريشُ حيث كانتْ بأنَّك خَيْرُها حســبًا ودينا
وقل للشـامـــتين بنا: رُوَيْدًا ستَلْقى الشـامتُون كمـا لقينا

(وبالإسناد) عن الزهرى قال: قال لى عبد الملك بن مروان: أى واحد أنت إن حدثتنى ما كان علامة يوم قتل على رضى الله عنه. قلت يا أمير المؤمنين: ما رفعت حصاة من بيت المقدس إلا وكان تحتها دم عبيط[1]. فقال: أنا وإياك غريبـان فى هذا الحديث. (غريبة) من كتاب «المناقب» لأبى بكر الخوارزمى. قال: قال أبو القـاسم بن محمد: كنت فى المسجد الحرام فرأيت الناس مجـتمعين حول مقام إبراهيم عليه السلام. فـقلت :ما هذا؟. فقالوا: راهب قد أسلم وجـاء إلى مكة، وهو يحدث الناس بحديث عـجيب. فأشرفت عليـه فإذا شيخ كبير عليـه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الجثة وهو قـاعد عند المقام يحدث الناس وهم يستـمعون له. فـقال: بينمـا أنا قاعد فى صـومعتى فى بـعض الأيام إذ أشْرفْتُ منها إشرافة فإذا طائر كالنسـر الكبير قد سقط على صخرة على شاطىء البحـر فتقاياً فرمى من فيه ربع إنسان ثم طار فـغاب يسيراً ، ثم عاد فتقـاياً ربعًا آخر ثم طار وعاد آخر. ثم طار وعاد فتقاياً هكذا إلى أن تقاياً أربعـة أرباع إنسان ثم طار. فدنت الأرباع بعضها من بعض فالـتأمت، فقـام منهـا إنسان كامـل، وأنا أتعجب مما رأيت. فـإذا بالطائر قد انقض علـيه فـاختطف ربعـه ثم طار. ثم عـاد واختـطف ربعا آخـر ثم طار، وهكذا إلى أن اختـطف

(١) دم عبيط: خالص طرىّ.

جميعـه. فبقيت متفكراً وأتحسـر ألا كنت سألته ومن هو؟ وما قصتـه؟. فلما كان فى اليوم الثانى إذا بالطائر قد أقبل وفـعل كفعله بالأمس فلما التأمت الأرباع وصارت شخـصاً كاملا نزلت من صومعتى مبادراً إليـه وسألته: بالله من أنت يا هذا ؟ فسكت . فقلت : بحق من خلقك إلا ما أخبرتنى من أنت؟. فقال: أنا ابن ملجم. فقلت: ما قصتك مع هذا الطائر؟.
قال: قـتلت على بن أبى طالب فـوكل الله بى هذا الطائر يفعـل بى ما ترى فخـرجتَ من صومعـتى، وسألت عن على بن أبى طالب. فقـيل لى: إنه ابن عم رسول الله ﷺ. ا هـ
قالوا: ولم يحج الإمام على رضى الله عنه فـى سنى خلافته لاشتغـاله بالحرب وكان يحج قبلها كثيراً.

(فوائد): الأولى: قـال معاويـة لضرار بن ضمـرة صف لى علياً. فـقال: اعفنى. فـقال: أقسمت عليك لتصفنه. قال: أما إذا كان ولابد فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتـفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسـانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما خشن وكان فينا كـأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبـه لنا وقربه منا لا نكاد نـكلمه هيبـة له، يعظم أهل الدين ويقرب المسـاكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييـأس الضعيف من عـدله، وأشهد لقـد رأيته فى بعض مواقفـه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول: «يا دنيا غرى غـيرى ألى تعرضت أم لى تشوقت هيهات قـد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيـها فعمـرك قصير وخطرك كـبير وعيـشك حقيـر، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحـشة الطريق». فبكى مـعاوية .وقال: رحم الله أبا الحسن والله كذلك؟. فكيـف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: من ذبح ولدها فى حـجرها فهى لا يرقأ دمعـها ولا يخفى فجعهـا. (الثانية) سأل معاوية خـالد بن يعمر فقال له: علام أحببت عليًا؟ فـقال: على ثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال ،وعلى عدله إذا حكم. (الثالثة) نقل عن سودة بنت عمارة الهمدانية أنها قدمت على معاوية بعد موت علىٍّ رضى الله عنه. فجعل معاوية يؤنبها على تحريضها عليـه يوم صفين، ثم قال لها :ما حاجتك؟. فـقالت: إن الله تعالى سائلك عن أمرنا وما فرض عليك من حقنا وما فوض إليك من أمرنا. لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمـو بمكانك ويبطش بلسانك، فيـحصدنا حصـد السنبل، ويدوسنا دوس الحرمل[1]، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بشر بن أرطاة قـدم علينا فقتل رجالنا وأخـذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة فإن عزلتـه عنا شكرنا وإلا فإلى الله شكونا .فقال معاوية :إياى تعنين ولىَ تهددين لقد هممت يا سودة أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه. فأطرقت ثم أنشأت تقول:

(1) الحرمل: بنات أوراقـه مصفـوفة على جـانبى الغصن، وأزهاره مجـتمعـة على مسـتوى واحد. حـبه شبـيه بالسمسم. اللسان (حَرْمَل).

صَلّى الإلهُ على جسمٍ تَضَمّنَه قبرٌ فأصبحَ فيه العدلُ مدفونَا
قد حالفَ الحقَ لا يَبْغِي به بدلاً فصار بالحقِ والإيمان مقرونَا

فقال: من هٰذا يا سودة؟. فقالت: هذا والله أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لقد جئته فى رجل كان قد ولاه صدَقَاتنا. فجار علينا؛ فصادفته قائماً يريد الصلاة فلما رآنى أقبل على بوجه طَلْقٍ ورَحْمَةٍ ورفْقٍ وقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم وأخبرته الأمر فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد إنى لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد فكتب فيها: **بسم الله الرحمن الرّحيم قد جاءتكم بينة من ربكم، فأفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين**، وإذا قرأت كتابى فاحتفظ بما فى يديك من عملك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام، ثم دفع إلىَّ الرقعة فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا. فقال معاوية رضى الله عنه: اكتبوا لها بما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية. **(الرابعة)** حكى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: أن سعيد بن جبير كان يقوده بعد أن كف بصره فمر على زمزم. فإذا بقوم من أهل الشام يسبون عليًا رضى الله عنه؛ فسمعهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما. فقال لسعيد: ردنى إليهم فرده فوقف عليهم، وقال: أيكم الساب لله عزَّ وجلَّ. فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد يسب الله. فقال: أيكم الساب لرسوله فقالوا: ما فينا أحد يسب رسول الله ﷺ فقال: أيكم الساب لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه. فقالوا: أما هذا فقد كان منه، فقال: أشهد على رسول الله ﷺ بما سمعته أذناى ووعاه قلبى سمعته يقول لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «**يا على من سبك فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على منخريه فى النار**». وولى عنهم وقال: يا بنى ماذا رأيتهم صنعوا؟. قال: فقلت:

نَظَرُوا إليك بأعين محمرةٍ نَظَرَ التيوسِ إلى شفارِ الجازرِ

فقال: ردنى فداك أبوك فقلت:

خزرُ العيون نواكسُ أبصارهم نَظَرَ الذليلِ إلى العزيزِ القاهرِ

قال: ردنى فداك أبوك فقلت: ليس عندى مزيد. فقال: عندى المزيد وأنشد:

أحياؤُهم عارٌ على أمواتهم والميتــون مسبةٌ للغابرِ

(الخامسة) أورد «صاحب الغرر»: أن عليًا رضى الله عنه كان إذا صلى الغداة لعن معاوية رضى الله عنه وعمرو بن العاص وأصحابه، فبلغ ذلك معاوية رضى الله عنه فكان إذا

قنت لعن عليًا وابن عباس وحسناً وحسيناً والأشتر، ولم يزل الأمر على ذلك؛ برهة من ملك بنى أمية إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل بدل اللعن فى الخطبة: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (1).

●●●●●

(1) سورة الحشر ١٠.



الباب الثانى

فى ذكر مناقب الحسن والحسين وباقى الأئمة الاثنى عشر رضى الله عنهم أجمعين

الباب الثانى
فى ذكر مناقب الحسن والحسين
وباقى الأئمة الاثنى عشر رضى الله عنهم أجمعين

اعلم أنه قد اختلف فى أهل البيت، فقيل: نساؤه ﷺ لأنهن فى بيته قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، وهو قول عكرمة، ومقاتل، وقيل: على وفاطمة والحسن والحسين. قاله أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة، وقيل: هم من تحرم عليهم الصدقة بعده: آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قاله زيد بن أرقم وقال ابن الخطيب الفخر الرازى: والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلى منهم لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته فاطمة بنته وملازمته له قسطلانى على البخارى، وفى متن الشعرانى ما نصه: وفى الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «أنشدكم الله فى أهل بيتى». قالها ثلاثاً، وفسر زيد رضى الله عنه أهل بيته: بآل جعفر وآل عقيل وآل العباس. وقال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى: وهؤلاء هم الأشراف حقيقة عند سائر الأمصار، وتخصيص الشرف بآل علىّ فقط اصطلاح لأهل مصر خاصة انتهى. هذا «ويشهد للقول بأنهم على وفاطمة والحسن والحسين: ماوقع منه ﷺ حين أراد المباهلة هو ووفد نجران كما ذكره المفسرون فى تفسير آية المباهلة وهى قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(١). وقيل: أراد بالأبناء الحسن والحسين، وبالنساء فاطمة، وبالنفس نفسه ﷺ، وعليا رضى الله عنه. كذا فى تفسير الخازن ثم نبتهل، قال ابن عباس: نتضرع فى الدعاء، وقيل: معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل: معناه نلتعن. والابتهال: الالتعان يقال: عليه بهلة الله أى لعنة الله «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» يعنى منا ومنكم فى أمر عيسى، قال المفسرون: لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران، ودعاهم إلى المباهلة. قالوا: حتى نرجع وننظر فى أمرنا ثم نأتيك غداً. فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم: ما ترى يا عبد المسيح؟ قال: لقد عرفتم يا معشر النصاري أن محمدا نبى مرسل ولئن فعلتم ذلك لنهلكن، وفى رواية قال لهم: والله ما لاعن قوم قط نبيا إلا هلكوا عن آخرهم، فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشى خلفه، وعلى يمشى خلفها، والنبى ﷺ يقول لهم: إذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى

---
(١) سورة آل عمران آية ٦١.

يوم القيامة. فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نباهلك ،وأن نتركك على دينك، وتتركنا على ديننا. فقال لهم رسول الله ﷺ: فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فأبوا ذلك. فقال: فإنى أنابذكم. فقالوا: ما لنا فى حرب العرب طاقة نصالحك على ألا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا ،وأن نؤدى إليك فى كل سنة ألفى حلة: ألفاً فى صفر وألفاً فى رجب. زاد فى رواية، وثلاثاً وثلاثين درعاً عادية، وثلاثاً وثلاثين بعيراً، وأربعاً وثلاثين فرساً غازية فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك، وقال :والذى نفسى بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ،ولاضطرم عليهم الوادى ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا. أ. هـ خازن وغيره(وفى) الخطيب عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ خرج وغليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة، ثم على، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾»[1]. وفى ذلك دليل على نبوته ﷺ وعلى فضل أهل الكساء رضى الله عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين ا هـ.

(تنبيه) ماقدمناه من أن أهل البيت هم: على وفاطمة والحسن والحسين هو ما جنح إليه الفخر الرازى فى تفسيره، والزمخشرى فى كشافه، وعبارته عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [2].

روى أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟. قال: على وفاطمة وابناهما. ويدل له: ما روى عن على رضى الله عنه: «شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لى. فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا». وعن النبى ﷺ: «حرمت الجنة على من ظَلَمَ أهل بيتى وآذانى فى عترتى، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقينى يوم القيامة».

وروى: «أن الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا. فقال عباس أو ابن عباس رضى الله عنهما: لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم فى مجالسهم، فقال: يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بى؟. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى؟. قالوا: بلى يا رسول الله قال: أفلا تجيبوننى؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: ألا تقولون؟ ألم يخرجك قومك فآويناك ألم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما فى أيدينا لله ولرسوله. فنزلت الآية». (وروى) من طرق عديدة صحيحة «أن رسول الله ﷺ جاء ومعه على وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى آية: ٢٣.

كساء، ثم تلا هذه الآية ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويطهركم تطهيرا﴾(١) وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وفى رواية: اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد. وفى رواية أم سلمة قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدى فقلت :وأنا معكم يا رسول الله. فقال :إنك من أزواج النبى ﷺ على خير وفى رواية لهما أن رسول الله ﷺ كان فى بيتها إذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة بخاء معجمة مفتوحة فزاى مكسورة فتحتية ساكنة فراء وهو ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة ولكن أرق منها فوضعتها بين يديه. فقال: أين ابن عمك وابناك فقالت: فى البيت فقال: ادعيهم فجاءت إلى على، وقالت: أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك. فجاء على وحسن وحسين فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة تحت الكساء. فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويطهركم تطهيرا﴾. وفى رواية أنه ﷺ أدرج معهم جبريل وميكائيل .وفى رواية أن ذلك الفعل كان فى بيت فاطمة وقد أشار المحب الطبرانى إلى أن هذا الفعل تكرر منه ﷺ (روى) أحمد والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: أنزلت هذه الآية فىّ خمسة فى وفى على وحسن وحسين وفاطمة. وروى ابن أبى شيبة وأحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه عن أنس: أن رسول الله ﷺ، بعد نزول هذه الآية كما فى رواية الترمذى كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة أهل البيت: ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويطهركم تطهيرا﴾، وفى رواية له عن ابن عباس: سبعة أشهر، وفى رواية لابن جرير وابن المنذر والطبرانى: ثمانية أشهر. (وقد جاء) فى فضلهم، وشرفهم قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾(٢) عن جعفر الصادق أنه قال :نحن حبل الله، وأخرج بعضهم عن محمد الباقر فى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (٣) أنه قال أهل البيت هم الناس وأخرج بعضهم عن محمد بن الحنفية فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (٤) أنه قال: لا يبقى مؤمن إلا وفى قلبه ود لعلى وأهل بيته، وذكر النقاش أنها نزلت فى على رضى الله عنه (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٥) قال لعلى: هو أنت وشيعتك تأتى يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين، ويأتى أعداؤك غضابا مقمحين .(وعن) أنس بن مالك رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (٦) قال على وفاطمة رضى الله عنهما: يخرج منهما اللؤلؤ

(١) سورة الأحزاب الآية:٣٣. (٢) سورة آل عمران آية ١٠٣. (٣) سورة النساء آية ٥٤.
(٤) سورة مريم آية ٩٦. (٥) سورة البينة آية ٧. (٦) سورة الرحمن آية ٩.

والمرجان، قال الحسن والحسين: رواه صاحب كتاب الدرر، (وعن) محمد بن سيرين فى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[1] أنها نزلت فى النبى ﷺ، وعلى بن أبى طالب هو ابن عم النبى ﷺ ،وزوج فاطمة رضى الله عنها فكان نسباً وصهراً .(روى) الإمام أبوالحسين البغوى في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [2]، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم؟. قال: على وفاطمة وابناهما. وفى مسامرات الشيخ الأكبر أن عبد الله ابن عباس قال: فى قوله: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[3] مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما وهما صبيان، فعادهما رسول الله ﷺ،ومعه أبو بكر وعمر فقال عمر.لعلى: يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنيك نذراً إن الله عافاهما. قال: أصوم ثلاثة أيام :شكرا لله. قالت فاطمة: وأنا أيضاً أصوم ثلاثة أيام، فألبسهما الله العافية، فاصبحوا صياماً ،وليس عندهم طعام فانطلق على إلى جار له من اليهود يقال له: شمعون يعالج الصوف. فقال له: هل لك أن تعطينى جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة آصع من شعير ؟.قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير، فاخبر فاطمة فقبلت، وأطاعت ثم غزلت ثلث الصوف وأخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصلى على رضى الله عنه مع النبى ﷺ المغرب، ثم أتى منزله فوضع الخوان فجلسوا فأول لقمة كسرها على رضى الله عنه إذا مسكين، واقف على الباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا مسكين أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع على اللقمة من يده ثم قال:

فَاطمُ ذات المجــد واليقين ... يا بنتَ خيرِ الناس أجمعين

أما تَرَىْ ذا البائس المسكين ... جاء إلى البـاب له حنينُ

كُلُّ امرئ بكسبـه رهينُ

فقالت فاطمة رضى الله عنها من حينها:

أمْرُكَ سمعٌ يا ابن عم وطاعةٌ ... ما لى من لوم وما ضراعه

باللبِّ غـذيت وبالبـراعـة ... أرجو إذا أنفقتُ من مجاعه

أنْ ألحقَ الأبرارَ والجماعـةَ ... وأدخلُ الجنةَ بالشـفـاعـةَ

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٤. (٢) سورة الشورى آية ٢٣.
(٣) سورة الإنسان آية ٧.

قال: فعمدت إلى ما فى الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعاً وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح، ثم عمدت إلى الثلث الثانى من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعا فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصلى علي المغرب مع النبى ﷺ، ثم أتى منزله فلما وضعت الخوان، وجلس فأول لقمة كسرها على رضى الله عنه إذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب، وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع علىٌّ اللقمة من يده وقال:

فاطمٌ بنتُ السيد الكريم	قد جاءنا اللهُ بذا اليتيم
مَنْ يطلبُ اليومَ رضا الرحيمِ	مَوْعدُه فى جنة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضى الله عنها وقالت:

فسوف أُعطيه ولا أُبالى	وأوثرُ اللهَ على عيالى
أمسوا جياعا وهمو أمثالى	أصغرُهم يُقْتَلُ فى القتال

ثم عمدت إلى جميع ما كان فى الخوان فأعطته اليتيم وباتوا جياعا لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصبحوا صياما، وعمدت فاطمة إلى باقى الصوف فغزلته وطحنت الصاع الباقى وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصلى على رضى الله عنه المغرب مع النبى ﷺ، ثم أتى منزله، فقربت إليه الخوان، ثم جلس فأول لقمة كسرها إذا أسير من أسارى المسلمين بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد إن الكفار أسرونا وقيدونا وشدونا فلم يطعمونا فوضع على اللقمة من يده وقال:

فاطمةُ ابنةُ النبى أحمدَ	بنتُ نبي سيدٌ مسودُ
هذا أسيرٌ جاء ليس يهتدى	مُكَبّلٌ فى قيده المقيدُ
يشكو إلينا الجوعَ والتشددَ	من يُطعم اليومَ يَجدْه فى غد
عند العلى الواحد الموحد	ما يزرعُ الزارعُ يوماً يحصدُ

فأقبلت فاطمةُ رضى الله عنها تقول:

لم يبقَ مما جاء غيرُ صاعٍ	قد دبرتُ كفى مع الذراع
وابناى والله ثلاثا جَاعَا	يا ربُّ لا تهلكهما ضياعا

ثم عمدت إلى مـا كان فى الخوان فأعطتـه إياه فأصبحـوا مفطرين وليس عندهم شيء وأقبل على والحسن والحسين نحو رسول الله ﷺ وهما يرتعشان كالـفرخين من شدة الجوع فلما أبصرهما رسول الله ﷺ قال: يا أبا الحسن أشد ما يسوؤنى ما أدركتكم انطلقوا بنا إلى ابنتى فاطمة، فـانطلقوا إليها وهى فى محـرابها، وقد لصق بطنها بظهـرها من شدة الجوع، وغارت عيناها، فلمـا رآها رسول الله ﷺ ضمها إليـه وقال: واغوثاه، فهبط جـبريل عليه السلام، وقال: يامحمد خذ ضيافـة أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبريل؟ قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ (١).

(ومن الأحاديث) مـا أخـرجــه الحـاكم عن أبى هريرة رضى الله عـنه أن النبى ﷺ قـال: «خيـركم خيـركم لأهلى من بعـدى». وأخرج ابن سـعـد والملا فى سيـرته أنه ﷺ قال: «استوصوا بأهل بيـتى خيراً فإنى أخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصـمه خصمه الله ومن خصمـه الله أدخله النار»، وروى جماعة من أصحاب السنن عن عـدة من الصحابة أن النبى ﷺ قال: **«مثل أهل بيـتى فيكم كسـفينة نوح من ركبـها نجا ومن تخـلف عنها هلك»**. وفى رواية: **غرق**، وفى أخرى: **«زج فى النار»**. وصح أن بنت أبى لـهب لما هاجـرت إلى المدينة قـيل لها: لن تغنـى عنك هجرتك أنت بنت حـطب النار، فذكـرت ذلك للنبى ﷺ فاشتد غضـبه، ثم قال على المنبر ﷺ: **«ما بال أقـوام يؤذوننى فى نسبـى وذوى رحمى ألا ومن آذى رحمي وذوى نسـبى فقد آذانى ومن آذانى فـقد آذى الله»**. أخرجه ابن أبى عاصم والطبرانى وابن منده والبيهقى بألفاظ متقاربة، وأخرج الطبرانى والدارقطنى مرفوعاً «أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فـالأقرب من قريش، ثم الأنصار ،ثم من آمن بى واتبعني من اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعـاجم ومن أشفع له أوّل أفضل». نقل القرطبى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾(٢). قال: رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار. وأخرج الحـاكم و صححه أنه ﷺ قال: **«وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ ألا يعذبهم»**. وصح أن العباس شكا إلى رسول الله ﷺ: ما تفعل قريش من تعبيسهم فى وجوههم، وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب ﷺ غضباً شديداً حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال: **« والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حـتـى يحـبكم لله ورسـوله»**. وفى رواية صحـيحـة أيضا: **«ما بـال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى**

---

(١) سورة الإنسان آية ٨، ٩

(٢) سورة الضحى آية ٥.

يحبهم لقرابتهم منى». وفى أخرى **«والذى نفسى بيده لا يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ورسوله أيرجون شفاعتى ولا ترجوها بنو عبد المطلب»**. وروى الديلمى والطبرانى وأبو الشيخ بن حبان والبيهقى مرفوعاً أنه ﷺ قال: **«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتى أحب إليه من عترته، وأهلى أحب إليه من أهله وذاتى أحب إليه من ذاته»**. وروى أبو الشيخ عن على كرم الله وجهه قال: «خرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذريتى»**؛ ولذلك قال أبو بكر رضى الله عنه: صلة قرابة رسول الله ﷺ أحب إلى من صلة قرابتى. وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال أبو بكر: ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته. وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة: **«أنه ﷺ قال فى حسن وحسين: اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»**. وأخرج الترمذى عن أسامة «أنه ﷺ أجلس الحسن والحسين يوما على فخذيه وقال: هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما». وأخرج الترمذى عن أنس «أنه ﷺ سئل: أى أهل بيتك أحب إليك؟ فقال: الحسن والحسين» وروى من طرق عديدة صحيحة أنه ﷺ قال: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**. وروى أحمد والترمذى عن على كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة»**. وروى ابن مسعود رضى الله عنه: «حب آل محمد ﷺ يوماً خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة». وفى الكشاف قال رسول الله ﷺ: **«من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحه الجنة»**.

(تنبيهان): الأول: ذكر الفخر الرازى: أن أهل بيته ﷺ ساووه فى خمسة أشياء: فى الصلاة عليه وعليهم فى التشهد، وفى السلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة ·الثانى): علم من الأحاديث السابقة: وجوب محبة أهل البيت. وتحريم بغضهم التحريم الغليظ؛ وبذلك صرح البيهقى ،والبغوى بل نص عليه الشافعى فيما حكى عنه من قوله:

يـا آلَ بـيـتِ رسـول الله حُبُّكُمُ فـرضٌ مِنَ الله فى الـقـرآن أنزلـه
يكـفيكـم مِنْ عظيمِ الـفخرِ أنـكم مَنْ لم يـصلِّ عـليكم لا صـلاةَ له

أى كاملة أو صحيحة على قول مرجوح لإمامنا الشافعى رضى الله عنه (وفى الفصول المهمة) لما صرح الإمـام الشافعى بمحبته لأهل البـيت، وأنه من شيعتهم قيـل: فيه ما قيل، فقال مجيباً عن ذلك:

إذا نـحـنُ فَضّلْنـا عـلـيًا فـإنّنـا روافضُ بالتفضـيل عند ذوى الجهل
وفـضـلُ أبـى بكـر إذا مـا ذكـرتُه رميتُ بنـصبٍ عند ذكري للـفضل
فلا زلتُ ذا رفضٍ ونصـبٍ كلاهما بحـبـهـما حـتى أُوَسّدَ فـى الرمـلِ

وحكى الإمـام أبو بكر الـبيهقـى رحمه الله فى كتـابه الذى صنـفه فى منـاقب الإمام الشافعى أن الإمام الشافـعى قيل له: إن أناسا لا يصبرون على سماع منقـبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت، فإذا رأوا أحدا يذكر شيئاً من ذلك، قالوا: تجاوزوا عن هذا فهو رافضى فأنشأ الشافعى رحمه الله تعالى يقول:

إذا فـى مـجـلـس نـذكـرُ عـليًا وسِبْطيـه وفـاطـمـة الـزكـيّة
يـقـالُ: تجـاوزوا يـا قـومُ هـذا فـهـذا مـن حـديث الـرافـضـيـه
بَرِئْتُ إلـى المـهـيـمـن مِنْ أنـاسٍ يـرونَ الرفـضَ حـبَّ الفـاطـمـيـة

وقال رضى الله عنه:

قـالـوا تـرفـضتَ قـلـتُ كـلا مـا الرفـضُ دينـى ولا اعـتقـادى
لـكـن تـولـيـتُ غـيـر شـك خـيـرَ إمـام وخـيـرَ هـادى
إن كـان حـبُّ الـولـى رفـضـا فـإنـنـى أرفـضُ الـعـبـادَ

وقال رضى الله عنه:

يـا راكبـاً قفْ بالمحَصبِ مـن منًى واهتفْ بـساكنِ خيـفها والنـاهض
سحراً إذ فَـاضَ الحجيجُ إلـى منًى فيـضًا كملـتطم الـفرات الفـائضِ
إن كـان رفضـاً حـبُّ آل مـحمـد لـيـشهـدَ الـثـقلان أنّى رافـضـى

ولأبى الحسن بن جبير رحمه الله:

أُحبُّ النبيَّ المصطفى وابن عمه ... عليًا وسبطيه وفاطمةَ الزهرا
همو أهلُ بيت أُذهبَ الرجسُ عنهمو ... وأطلعَهم أفقَ الهدى أنجما زهرا
موالاتُهم فَرْضٌ على كلِّ مسلم ... وحبهمو أسنى الذخائرِ للأخرى
وما أنا للصحب الكرام ببغضٍ ... فإنى أرى البغضاءَ فى حقهم كفرا
همو جاهدوا فى الله حقَّ جهاده ... وهم نصروا دينَ الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلامُ اللهِ ما دام ذكرُهم ... لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

ولبعضهم:

هم العروةُ الوثقى لمعتصمٍ بها ... مناقبُهم جاءتْ بوحى وإنزال
مناقبُ فى الشورى وفى هَلْ أتى أتَتْ ... وفى سورة الأحزاب يعرفُها التالى
وهمُ آلُ بيتِ المصطفى فودادُهم ... على الناسِ مفروضٌ بحكمٍ وإسجال

وقال آخر:

هم القومُ مَنْ أصفاهم الودَّ مخلصا ... تَمَسَّكَ فى أخراه بالسببِ الأقوى
هم القومُ فاقوا العالمين مناقبا ... محاسنُهم تجلى وآثارُهم تُرْوَى
موالاتُهم فرضٌ وحبهمو هدى ... وطاعتُهم وُدٌّ وَوُدُّهُمُو تقوى

وللشافعى رضى الله عنه:

آلُ النبى ذريعتى ... وهمو إليه وسيلتى
أرجو بهم أُعطى غدا ... بيدى اليمين صحيفتى

(وحكى) أن بعض الوعاظ أطنب فى مدح آل البيت الشريف، وذكر فضائلهم حتى كادت الشمس أن تغرب فالتفت إلى الشمس وقال مخاطباً لها:

لا تَغْرُبى يا شمسُ حتى يَنْقَضى ... مَدْحِى لآل محمد ولنسله
واثْنى عنانَك إنْ أردت ثناءَهم ... أنسيتِ إذ كان الوقوفُ لأجلهَ
إن كانَ للمولى وقوفُك فليكنْ ... هذا الوقوفُ لفرعه ولنجله

فطلعت الشمس، وحصل فى ذلك المجلس أنس كثير وسرور عظيم. انتهى من «درر الأصداف »وما أحسن ما قاله أبو الفضل الواعظ رحمه الله:

حُبُّ آلِ النبي خَالَطَ عَظْمِي وجَرَى في مفاصلي فاعذروني
أنا واللهِ مغرمٌ بهواهم عللوني بذكرهم عللوني

وما أحسن قول ابن الوردي ناظم البهجة:

يا أهلَ بيتِ النبي مَنْ بَذَلَتْ في حبكم روحُه فما غبنا
مَنْ جاءكم يَطلبُ الحديثَ له قولوا: لنا البيتُ والحديثُ لنا

قال الشيخ الشعراني: وما أحسن ما أورده الشيخ الأكبر في الفتوحات:

فلا تعدلْ بأهل البيت خَلقًا فأهلُ البيتِ هُم أهلُ السياده
فبغضُهم منَ الإنسانِ خُسْرٌ حقيقي وحُبُّهم عباده

وفي «المنن»: ومما مَنَّ الله به على محبتي للشرفاء، وأهل البيت ولو من قبل الأم فقط ولو كانوا على غير قدم الاستقامة؛ لأنهم بيقين يحبون الله ورسوله ﷺ، ومن أحب الله ورسوله لا يجوز بغضه ولا سبه بقرينة: أنه ﷺ، كان يحد نعيمان كلما شرب الخمر، وأتوا به إليه مرة فحده فصار بعض الناس يلعنه. فقال ﷺ: لا تلعنوا نعيمان فإنه يحب الله ورسوله. فعلم أنه لا يلزم من إقامة الحدود على الشرفا أننا نبغضهم بل إقامتنا الحدود عليهم إنما هو محبة فيهم وتطهير لهم. وقد قال ﷺ: «**وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**». وقال في ماعز لما رجمه: «لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم»، أي قبلت منهم، وأحبهم الله تعالى كما قال تعالى: «**إن الله يحب التوابين**». (وقال الشيخ) محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى: الذي أقول به أن ذنوب أهل البيت إنما هي ذنوب في الصورة لا في الحقيقة، لأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (١)، ولا رجس أرجس من الذنوب قال: وجميع ما يقع منهم من الأذى لنا يجب علينا في الأدب معهم أن نجعله شبيهًا بالمقادير الإلهية من الأمراض ونحوها، فيجب علينا الرضا به أو الصبر عليه، وإن أخذوا أموالنا ولم يعطوها لنا لا ينبغي لنا حبس أحد منهم، ولا رفعه إلى حاكم لأنه بضعة من رسول الله. انتهى (وكان الإمام أبو بكر الصديق) رضي الله عنه يقول: ارقبوا محمداً في أهل بيته. وكان يقول: والذي نفسي بيده لقرابة محمد ﷺ أحب إلى من قرابتي، وأتى عبد الله بن الحسن مرة إلى عمر ابن عبد العزيز في حاجة فقال: إذا كانت لك حاجة فأرسل إلى أحضر، أو أكتب لي ورقة فإني أستحيي من الله أن يراك على

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

بابى، وصلى زيد بن ثابت على جنازة فلما ركب أخذ ابن عباس بركابه، فقال: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، فقبل زيد يد ابن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل مع أهل بيت رسول الله ﷺ. (ودخلت) بنت أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز يوماً فأجلسها فى مجلسه، وجلس هو بين يديها ،وما ترك لها حاجة إلا قضاها: هذا فعله رضى الله عنه مع بنت مولى رسول الله ﷺ فما ظنك مع أولاده وذريته؟(وبلغ) معاوية رضى الله عنه أن كابس بن ربيعة يشبه رسول الله ﷺ، فكان إذا دخل عليه كابس يقوم عن سريره ويتلقاه ويقبله بين عينيه. (وكان) الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول: لو كان لى مدخل فى العصبة مع قتلة الحسين بن على، وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياء من رسول الله ﷺ أن يقع بصره على في الجنة .ولما ضرب جعفر بن سليمان الإمام مالكا رضى الله عنه غشى على مالك ،فدخل عليه الناس فلما أفاق قال لهم: أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى فى حل، فقيل: لم؟، فقال: خفت أن أموت فألقى رسول الله ﷺ فأستحيى أن يدخل أحد من آله النار بسببى. فلما تولى المنصور طلب أن يقتص له منه. فقال الإمام مالك رضى الله عنه: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى إلا وقد جعلته فى حل منه لقرابته من رسول الله ﷺ. (وكان أبو بكر بن عياش) رضى الله عنهما يقول: لو أتانى أبو بكر وعمر وعلى فى حاجة لبدأت بحاجة علىّ لقربه من رسول الله ﷺ .ولأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أقدمه عليهما فى الفضل .وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يزوران أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، ويقولان: كان رسول الله ﷺ يزورها. (ولما قدمت حليمة) مرضعته ﷺ على أبى بكر وعمر بسطا لها ثوبيهما وفى رواية أرديتهما. (قال): وسمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله يقول: من حق الشريف علينا أن نفديه بأرواحنا لسريان لحم رسول الله ﷺ، ودمه الكريمين فيه فهو بضعة من رسول الله ﷺ ،وللبعض فى الإجلال والتعظيم والتوقير ما للكل، وحرمة جزئه ﷺ كحرمة جزئه حيا على حد سواء. (قال بعض العلماء) ومن حقوق الشرفاء علينا وإن بعدوا فى النسب أن نؤثر رضاهم على أهوائنا، وشهواتنا ونعظمهم ونوقرهم، ولا نجلس فوق سرير وهم على الأرض. انتهى (وكان) سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه إذا جلس إليه شريف يظهر له الخشوع والانكماش بين يديه، ويقول: إنه بضعة من رسول الله ﷺ ويقول: من آذى شريفاً فقد آذى رسول الله ﷺ، وكان يقول: يتأكد على كل صاحب مال إذا رأى شريفاً عليه دين أن يفديه بماله، لأنه جزء من رسول الله ﷺ وكان يقول: لا ينبغى لمن يؤمن بالله، ويحب رسول الله ﷺ أن يتوقف عن تعظيم الشريف، والإحسان إليه حتى يعرف صحة نسبه بل يكفيه تظاهر الشريف بالشرف، وذلك أوجه للمؤمن عند رسول الله ﷺ من حيث إنا عظمناه ووقرناه من غير توقف على صحة

النسب. (وكان الإمـام مالك) رضى الله عنه يقـول: من ادعى الشرف كاذباً يضـرب ضرباً وجيعاً ،ثم يشهر، ويحبس طويلا حتى يظهر لنا توبته؛ لأن ذلك استخفاف منه بحقه ﷺ؛ ومع ذلك كان يعظم من طعن فى نسبه، ويقول لعله شريف فى نفـس الأمر، (قال بعض العلماء): ولا ينبغى تعظيم الشـريف إذا تعاطى المحرمات، وخالفه مـعظم العلماء، وقالوا: تعظيم الشريف مطلوب بما لا إثم فيه، ولو زنى وعمل عمل قوم لوط وشرب الخمر وسحر وأكل الربا وسرق وكذب وأكل أموال اليـتامى، وقذف المحصنات، وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتـسبوا، ولاسيما إن كانت هذه الأمور لـم تثبت عنه على يد حاكم شرعى، وإنما أشاعـها عنه بعض الحـسدة كمـا هو الغالب فى النـاس اليوم، فقل من يثـبت عن شىء مما يوجب الحد لاستـتار بعض هذه المعاص عن الناس بفـعلها فى بيوتهم وهي مقـفلة عليهم. (قال الشعرانى): قلت: ولم أر من تخلق من أقرانـى بهذا الخلق إلا قليلا بل رأيت بعضهم يستخدم الشريف المستور ويحمله غاشية سرجه وسجادته ويمشيه خلف بغلته، وهذا من أدل دليل على شدة جـهله بالأدب مع الله ورسوله، فكيف يدعى التقرب مـن حضرة الله، وأنه يدعو الناس إليها فلا حول ولا قوة إلا بالله العـلى العظيم. قال: وقد تقدم أن إقامة الحدود على الشرفـاء لا تنافى تعظيمهم وتوقيـرهم فنعظمهم من حيث كـونهم من ذرية رسول الله ﷺ، ونقيم عليهم الحد الذى شرعه جدهم ﷺ، ولم يخص به أحدا دون أحد بدليل قوله ﷺ: وايم الله لو أن فاطـمة بنت محـمد سـرقت لقطعت يدها .والله أعلم (قـال): وكان سيـدى على الخواص رحـمه الله تعالى يقـول: اصطنعوا الأيادى مع الأشـراف لمكانهم من رسول الله ﷺ وانووا بذلك الهدية والمودة للقربى دون الزكـاة فإن لهم فى أعناقنا عبودية لا يمكننا أن نقوم ببعضها زيادة على مـا لجدهم ﷺ من الحق علينا. انتهى. (قال): وقد تقدم فى« هذه المنن» أن من الأدب ألا يتزوج أحدنا شريفـة إلا إن عرف من نفسه أن يكون تحت حكمها وإشارتها، ويقدم لها نعلها، ويقوم لها إذا وردت عليه، ولا يتزوج عليها، ولا يقتر عليها فـى المعيشة، إلا إن اختـارت ذلك ولا ينظر إليها إذا كانت أجنـبية وهى فى الإزار، ولاينظر إلى رجلها إذا كان بائع الخفاف، ولا تسأله شـيئا ويمنعه عنها إلا بطريق شرعى فى جميع الأمـور السابقة واللاحقة ونحـوها ،ولا يمر عليها وهى جالسـة على الطرقات تسأل شيئا يقدر عليه فلا يعطيها، ونحو ذلك. فاعلم يا أخى ذلك، واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك انتهى .

(وفى المنن) أيضا مـا نصه: ومما مَنَّ الله به على عدم دعـائى على شريف إذ ظلمنى، فضلا عن كونى أشكوه من بيوت الحكام .وإذا تخاصم الشرفـاء مع بعضهم بعضاً لا أنتصر لأحد منهم دون الآخر بل أطلب الصلح بينهم لا غير وكـثيراً ما أتوجه إلى رسول الله ﷺ وأقول: يا رسول الله خاطرك على أولادك يصـلح الله بينهم ، وقد بلغنى أن بعض المشايخ

توجه إلى الله تعالى فى قتل الشريف أبى نمى سلطان مكة لأجل ولاية أولاد أعمامه بعده، فقلت: يا سبحان الله لابد للمتوجه إلى الله تعالى من واسطة رسول الله ﷺ فكيف يقول: يا رسول الله اقتل ولدك فلانا لأجل ولدك فلان ؟ . انتهى.

(غريبة) نقل الشيخ عبد الرحمن الأجهورى المالكى فى« كتابه مشارق الأنوار»: أن رجلا من المغرب عزم على التوجه إلى الحج، فأعطاه آخر مائة دينار، وقال: تعطيهم بالمدينة لرجل شريف صحيح النسب. فلما وصل سأل عن الأشراف. فقالوا له: إنهم من الشيعة يسبون الشيخين فكره الإعطاء. فجلس بجنبه رجل بالمدينة. فقال له: أأنت شريف؟. فقال: نعم. قال له: ما عقيدتك؟. قال :شيعى فكره الإعطاء له. قال: فنمت تلك الليلة فرأيت أن القيامة قامت والناس يجوزون على الصراط، فأردت الجواز فمنعتنى فاطمة رضى الله عنها، فأقبل رسول الله ﷺ فشكوت له. فقال لها: لم منعته؟. فقالت: قطع رزق ابنى فقال لها رسول الله ﷺ: إنه ما منعه إلا من كونه يسب الشيخين. قال: فالتفتت فاطمة رضى الله عنها إلى الشيخين وقالت لهما: أتؤاخذان ولدى بذلك؟. فقالا: لا بل سامحناه فالتفتت إلى وقالت: ما الذى أدخلك بين ولدى وبين الشيخين؟. فانتبهت فزعا. فأخذت المبلغ وجئت به إلى ذلك الشريف ودفعته إليه. فتعجب من ذلك فقصصت عليه الرؤيا. فقال :أشهدك على أنى لا أسبهما.

(فائدة) تحرم الصدقة عليهم لكونها أوساخ الناس، ولتعويضهم خمس الخمس من الفىء الغُنْم والغُنَيِّمة؛ وقصر مالك وأبو حنيفة تحريمها على بنى هاشم وقال الشافعى وأحمد: بتحريمها على بنى هاشم وبنى المطلب، وروى عن أبى حنيفة: جوازها لبنى هاشم مطلقا. وقال أبو يوسف: تحل من بعضهم لبعض، ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النفل وهو رواية عن مالك، وروى عنه: حلّ أخذ الفرض دون التطوع، لأن الذلّ فيه أكثر. ذكره الأجهورى فى «مشارق الأنوار».

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهما ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ

ولد الحسن رضى الله عنه فى منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وهو أول أولاد على وفاطمة رضى الله عنهما، روى مرفوعاً إلى على أبيه رضى الله عنهما قال:

«لما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضى الله عنهما: احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهل صارخاً فأذنا فى أذنه اليمنى ،وأقيما فى أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان ،ولاتحدثا شيئاً حتى آتيكما فلما ولدت فعلنا ذلك وأتاه رسول الله ﷺ فسره ولبأه بريقه وقال: اللهم إنى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. فلما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله ﷺ: «ما سميتموه؟. قالوا: حربا. قال :بل سموه حسناً» (عن أسماء) بنت عميس قالت: قبلت فاطمة بالحسن فلم أر لها دما.ً فقلت: يا رسول الله إنى لم أر لفاطمة دماً فى حيض ولا نفاس .فقال لها عليه السلام: أما علمت أن ابنتى طاهرة مطهرة لا يرى لها دم فى طمث ولا ولادة، خرجه الإمام على بن موسى الرضا. وعق عنه ﷺ، فعن على رضى الله عنه عق رسول الله ﷺ عن الحسن وقال: يا فاطمة احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة فوزناه فكان وزنه درهماً أو بعض درهم. خرجه الترمذى (وعن أسماء) بنت عميس قالت: عق النبى ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة الفخذ ،وحلق رأسه، وتصدق بزنة الشعر، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق، (وختنه ﷺ) عن جابر أن النبى ﷺ: عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وأرضعته أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب بلبن ابنها قثم، فعن قابوس أن أم الفضل قالت: يا رسول الله رأيت كأن عضواً من أعضائك فى بيتى. فقال: خيراً رأيته. تلد .فاطمة غلاماً فترضعيه بلبن قثم، فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم. خرجه الدولابى والبغوى فى معجمه فجئت به إلى النبى ﷺ فوضعته فى حجرة فبال فضربت كتفه .فقال عليه الصلاة والسلام: أوجعت ابنى رحمك الله، وفى «الصفوة» عن على قال: الحسن أشبه الناس بالنبى ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه الناس بالنبى ﷺ ما كان أسفل من ذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لا أزال أحب هذا الرجل يعنى: الحسن بن على بعدما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع. قال: رأيت الحسن فى حجر النبى ﷺ ،وهو يدخل أصابعه فى لحية النبى ﷺ، والنبى ﷺ يدخل لسانه فى فيه ثم يقول: اللهم إنى أحبه. كذا فى ذخائر العقبى.

(صفة الحسن رضى الله عنه) كان أبيض مشربا بحمرة أدعج العينين سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة عظيم الكراديس[1]، بعيد ما بين المنكبين ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجها، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر، حسن البدن. ذكره الدولابى وغيره عن محمد بن على قال الحسن: إنى لأستحيى من ربى عزّ وجلّ أن ألقاه، ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه؛ وعن على بن زيد قال: حج الحسن خمس عشرة حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه. (وفى حياة الحيوان) وقاسم الله عزّ وجلّ ماله ثلاث مرات حتى إنه ليعطى نعلا ويمسك أخرى (وكنيته) أبو محمد؛ وأما ألقابه فكثيرة وهى: التقى، والزكى، والسيد، والسبط، والولى، وأكثرها شهرة: التّقىُ، وأعلاها رتبة ما لقبه به رسول الله ﷺ كما فى الحديث الصحيح «إن ابنى هذا سيد»، روى البخارى فى صحيحه عن عقبة بن الحرث قال: صلى أبو بكر رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشى ومعه على رضى الله عنهما، فرأى الحسن رضى الله عنه يلعب مع الصبيان فحمله أبو بكر رضى الله عنه على عاتقه وقال: بأبى شبيه بالنبى ﷺ ليس شبيهاً بعلى. قال: وعلىّ رضى الله عنه يتبسم، وقد ورد فى فضله رضى الله عنه أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم مرفوعا إلى البراء رضى الله عنه قال: «رأيت النبى ﷺ والحسن بن علىٍّ على عاتقه، وهو يقول: اللهم إنى أحبه فأحبه» وروى الترمذى مرفوعا إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن على رضى الله عنهما، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبى ﷺ: ونعم الراكب هو. وروى عن الحافظ أبى نعيم فيما أورده فى حديثه عن أبى بكر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلى بنا فيجىء الحسن رضى الله عنه وهو ساجد، وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره، ومرة على رقبته فيرفعه النبى ﷺ: رفعا رفيقا، فلما فرغ من الصلاة. قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبى شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد. فقال: إن هذا ريحانتى وإن ابنى هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، وروى الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

(تنبيه) سئل الشيخ الزاهد محيى الدين النواوى عن قوله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ما معناه؟. فأجاب بجواب منه معنى الحديث: أن الحسن والحسين وإن ماتا شيخين فهما: سيدا كل من مات شاباً، ودخل الجنة، وكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين. ولا يلزم كون السيد فى سن من يسودهم. كذا فى «تتمة المختصر».

---

(1) الكراديس: كل عظم تكردس اللحم عليه: أى انقبض واجتمع بعضه على بعض: وهى الفِقَرُ من فقَرِ الكاهل: أعلى الظهر مما يلى العنق.

(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هما ريحانتان من الجنة، وروى: أنه ﷺ مر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما ، وقال: نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما.

(فائدة) ليس ثَمَّ خليفة هاشمى من هاشمية غير الحسن بن على ومحمد بن زبيدة.

(حكايتان: الأولى): كان الحسن رضى الله عنه يجلس فى مسجد رسول الله ﷺ، ويجتمع الناس حوله، فجاء رجل فوجد شخصا يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله مجتمعون: فجاء إليه الرجل. فقال: أخبرنى عن شاهد ومشهود. فقال: نعم، أما الشاهد: فيوم الجمعة، وأما المشهود: فيوم عرفة، فتجاوزه إلى آخر يحدث فى المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود كذلك. فقال: أما الشاهد فيوم الجمعة: وأما المشهود فيوم النحر، ثم تجاوزهما إلى ثالث فسأله عن شاهد ومشهود أيضاً فقال الشاهد: رسول الله ﷺ، والمشهود يوم القيامة أما سمعته عزّ وجلّ يقول: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾**[2]. فسأل عن الاول فقالوا: ابن عباس رضى الله عنهما ، وسأل عن الثانى. فقالوا: ابن عمر رضى الله عنهما، وسأل عن الثالث، فقالوا: الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . رواها الإمام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى: فى تفسير الوسيط. **(الثانية)**: اغتسل الحسن رضى الله عنه وخرج من داره فى بعض الأيام، وعليه حلة فاخرة ، ووفرة ظاهرة، ومحاسن سافرة، فعرض له فى طريقه شخص من محاويج اليهود، وعليه مسح من جلود قد أنهكته العلة، وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه، وهو حامل جرة ماء على قفاه فاستوقف الحسن رضى الله عنه، وقال: يا ابن رسول الله سؤال. قال: ما هو؟ قال: جدك يقول: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**، وأنت مؤمن، وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها، وما أراها إلا سجناً على قد أهلكنى ضرها . وأجهدنى فقرها فلما سمع الحسن كلامه. قال له: يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لى فى الآخرة لعلمت أنى فى هذه الحالة بالنسبة إلى تلك فى سجن، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك فى الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن فى جنة واسعة. انتهى من الفصول المهمة.

(فائدة) روى عن على رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة».

●●●●

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٤٥ .

(٢) سورة هود: آية ١٠٣ .

فصل
فى ذكر طرف من أخباره ومصالحته
لمعاوية وما يتصل بذلك

قال أصحاب السير: لما استشهد علىٌّ رضى الله عنه عمد أهل العراق إلى ابنه الحسن فبايعوه، ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية، وسار معاوية بجيش الشام لقصده، فلما تقارب الجيشان، وتراءى الجمعان بموضع يقال: له مسكن بناحية الأنبار من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فرأى أن المصلحة فى جمع الكلمة، وترك القتال، فكتب إلى معاوية يراسله، ويخبره بأنه يصير الأمر إليه، وينزل عنه على أن يشترط عليه ألا يطالب أحداً من أهل المدينة، والحجاز، والعراق بشىء مما كان فى أيام أبيه، وأن يكون ولى العهد من بعده، وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه، ففرح معاوية رضى الله عنه، وأجاب إلى ذلك إلا أنه قال: إلا عشرة أنفس لا أؤمِّنهم فراجعه الحسن فيهم. فكتب إليه معاوية: إنى قد آليت أننى متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة قطعت لسانه ويده فراجعه الحسن إنى لا أبايعك أبداً، وأنت تطلب قيساً وغيره بتبعة قلت أو كثرت. فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال له: اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه. فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة، واشترط أن يكون له الأمر بعده، فالتزم ذلك كله معاوية، فخلع الحسن نفسه، وسلم الأمر إلى معاوية ببيت المقدس تورعاً، وقطعاً للشر، فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة، وارتحل الحسن إلى المدينة وأقام بها. (وكان) نزوله عنها سنة إحدى وأربعين فى ربيع الأول، وقيل: فى جمادى الأولى، وقيل: غير ذلك وذلك مصداق قوله ﷺ فى حق الحسن: «إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». رواه البخارى، ولكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوضه الله عن أهل بيته عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء فى كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت، ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون: يا عار المؤمنين. فيقول: العار خير من النار.

(موعظة) من مواعظ الحسن رضى الله عنه كان رضى الله عنه يقول: «يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلا؛ إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً، ويبنون مشيداً، ويأملون بعيداً أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم إنك لم تزل فى هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك فجدّ بما فى يدك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع. وكان يتلو هذه الآية بعدها ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (1)». كذا فى الفصول المهمة.

---

(1) سورة البقرة آية ١٩٧.

فصل
فى ذكر نبذة من كلامه

نقل الحافظ أبو نعيم فى حليته بسنده أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه سأل ابنه الحسن رضى الله عـنه. فقال: يا بنى ما السداد؟ فقال: يا أبـت السداد دفع المنكر بالمعـروف. قال: فما الشـرف؟ قال: اصطناع العـشيرة ،والاحتمـال للجريرة. قـال: فما السماح؟. قـال: البذل فى العسـر واليسر. قال: فمـا اللؤم؟ قال :إحراز المرء مـاله وبذله عرضه. قـال: فما الجبن؟. قـال: الجراءة على الصـديق،والنكـول عن العدو. قـال: فما الغنى؟. قال: رضا النفس بما قسم الله لها، وإن قل. قال: فما الحلم؟. قال:كظم الغيظ، وملك النفس. قال:فما المنعة؟. قال: شـدة البأس، ومنازعة أعز الناس. قال: فما الذل؟. قال: الفـزع عند الصدمة. قـال: فما الكلفـة؟. قال :كلامك فيـما لا يعنيك. قـال: فما المجد؟. قال: أن تـعطى فى الـغرم ،وتعفـو فى الجرم .قال: فـما السؤدد؟ .قـال :إتيان الجميل، وترك الـقبيح. قال: فما السفـه؟. قال: اتباع الدناءة، وصحبة الـغواة. قال: فما الغفلة؟. قال: تـرك المسجد، وطاعة المفسد. (ومن كـلامه رضى الله عنه): لا أدب لمن لا عقل لـه، ولا مودة لمن لا همة لـه، ولا حياء لمن لادين له، ورأس الـعقل معاشـرة الناس بالجميل، وبالعقـل تُدرك الدارين جميعاً، ومن حرم العقل حرمهـما جميعا: (وقال) رضى الله عنه: هلاك الناس فى ثلاث: فى الكبر، والحـرص، والحسد، فالكبر: هلاك الدين وبه لعن إبلـيس، والحرص: عدوى النفس، وبـه أخرج آدم من الجنة، والحسـد :رائد السوء، ومنه قتـل قابيل هابيـل(وقال) رضى الله عنه: دخلـت على علىٍّ بن أبـى طالب رضى الله عنه، وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك. فقال لى: أتجزع؟ فقلت:وكيف لا أجزع وأنـا أراك على هذه الحـالة؟! فقـال: يا بنى احـفظ عنـى خصالاً أربعـاً إن أنت حفظتـهن نلت بهن النـجاة، : يا بنى لا غنى أكثـر من العقل، ولا فقر مـثل الجهل، ولا وحشة أشد من العجـب، ولا عيش ألذ من حسن الخلق؛ واعلم أن مروءة الـقناعة والرضا أكبر من مـروءة الإعطاء، وتمام الصنـيعة خير من ابـتدائها، (وقال) رضى الله عـنه: حسن السؤال نصف العلـم، وقال: من بدأ الكلام قبل السلام فلا تجيبـوه، وسئل عن الصمت، فقال: هو ستر العـى، وزين العرض ،وفاعله فى راحة، وجليسـه فى أمن. (وقيل) له:إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة . فقال: رحم الله أبا ذر. أما أنا فـأقول: من اتكل على حـسن اختيار الله لم يـتمن أنه فى غير الحـالة التى اختارها الله له. (وكان) يقول لبنيه وبنى أخيه:تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم. (ورأى) عيسى بن مريم عليه السلام فقال له: أريد أن أتخذ خاتماً فما أكتب عليـه؟. قال:اكتب عليه« لا إله إلا الله المـلك الحق المبين». فإنه آخـر الإنجيل؛ ومن كلامه المنظوم كما ذكره العلامة عبد القادر الطبرى المالكى فى شرح الدرية:

اغْنَ عن المخلوق بالخالق تَغْنَ عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمنَ من فضله ليس غيرُ الله بالرازق
مَنْ ظنَّ أنّ الناسَ يغنونَه فليس بالرحمن بالواثق
مَنْ ظَنَّ أنّ الرزقَ كَسبُه زلّتْ به النعلان مِنْ حالق

(كرامة) تغوَّط رجل على قبره رضى الله عنه فجن، وجعل ينبح كما ينبح الكلب، ثم مات، فسمع يعوى فى قبره. أخرجه أبو نعيم عن الأعمش (وكان رضى الله عنه كريماً) فمن كرمه ما نقل عنه: أنه سمع رجلا يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه. ومنه: أن رجلا سأله وشكا إليه حاله فدعا الحسن وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها. فقال له: هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم، ثم قال: ما فعلت بخمسمائة الدينار التى معك؟. قال: عندى. قال: فأحضرها فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل واعتذر منه .

(ومنه) ما رواه أبو الحسن المدائنى قال: خرج الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم حجاجاً .فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا، وقد فاتتهم أثقالهم، فنظروا إلى خباء، فقصدوه فإذا فيه عجوز، فقالوا: هل من شراب؟. فقالت: نعم. فأناخوا بها وليس عندها. إلا شويهة. فقالت: احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك. فقالوا: هل من طعام؟. قالت: هذه الشويهة ما عندى غيرها فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم الحطب فاشووها، وكلوها، ففعلوا ذلك، وأقاموا عندها حتى أبردوا فلما ارتحلوا من عندها. قالوا لها: يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فإنا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى ،ثم ارتحلوا ،وأقبل زوجها فأخبرته الخبر، فغضب وقال: ويحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين: نفر من قريش؛ ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة وزوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلاها يلتقطان البعر فمرت العجوز فى بعض سكك المدينة، ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر، والحسن رضى الله عنه جالس على باب داره ،فنظر إليها فعرفها فناداها، وقال: لها يا أمة الله هل تعرفيننى؟. فقالت: لا. فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا فى المنزل الفلانى .فقالت: بأبى أنت وأمى لست أعرفك. قال: فإن لم تعرفينى فأنا أعرفك، فأمر غلامه، فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة ،وأعطاها ألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين رضى الله عنه، فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها، وقال: بكم وصلها أخى الحسن، فأخبره بذلك، فأمر لها بمثل ذلك، ثم بعث بها مع الغلام إلى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما، فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال: والله لو بدأت بى لأتعبتهما ،وأمر لها بألفى شاة، وألفى دينار

فرجعت وهى من أغنى الناس. وعن الحسن بن سعد عن أبيه. قال: متع الحسن رضى الله عنه امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفا، وزقين من عسل؛ فقالت إحداهما وأراها الحنفية: متاع قليل من حبيب مفارق. انتهى من «الفصول المهمة» (وأخرج) ابن سعد عن علىٍّ أنه قال: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق. فقال رجل من همدان: لنزوجنه فما رضى أمسك، وما كره طلق، وكان لا يفارق امرأة إلا وهى تحبه، وأحصن تسعين امرأة.

(تنبيهان) الأول: قيل للحسن رضى الله عنه، لأى شىء نراك لا ترد سائلا، وإن كنت على فاقة؟ فقال: إنى لله سائل، وفيه راغب، وأنا أستحيى أن أكون سائلا وأرد سائلا، وإن الله تعالى عودنى عادة عودنى أن يفيض نعمه على، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعنى العادة وأنشأ يقول:

إذا ما أتانىَ سائلٌ قلتُ مرحباً ... بِمَنْ فضلُه فرضٌ عَلَىَّ معُجَّلُ
ومِنْ فَضْلِه فضلٌ على كلِّ فاضلِ ... وأفضلُ أيام الفتى حين يسألُ

(الثانى): كان يوماً جالساً فأتاه رجل، وسأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة، ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن يرده. فقال: ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البرّ؟. فقال: ماذا تدلنى عليه؟. فقال: اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت، وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية فَعَزِّه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير. فقال: حفظنى إياها. قال: قل له: «الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها، ولا هتكها بجلوسها على قبرك». فذهب إلى الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة. وقال: بالله عليك أكلامك هذا؟. قال: لا بل كلام فلان. قال: صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أخرى كذا فى «الكنز المدفون».

(فائدة) عن الحسن رضى الله عنه كان عطاؤه رضى الله عنه: مائة ألف فحبسها عنه معاوية فى بعض السنين فحصل له ضيق شديد، قال الحسن رضى الله عنه: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسى، ثم أمسكت، فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام، فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبت، وشكوت إليه تأخر المال عنى. قال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره؟، فقلت: نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟. قال: قل: «اللهم اقذف فى قلبى رجاءك، واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم ما ضعفت عنه قوتى، وقصر عنه عملى، ولم تنته إليه رغبتى، ولم تبلغه مسألتى، ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا أرحم الراحمين». قال: فو الله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف. فقلت: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه؛ فرأيت النبى ﷺ

فقال: يا حسن كيف أنت؟؛ فقلت: بخير يا رسول الله ،وحدثته بحديثى، فقال: يا بنى هكذا من رجا الخالق، ولم يرج المخلوق. أوردها الأجهورى فى« مشارق الأنوار».

(ومروياته) من الأحاديث: ثلاثة عشر حديثا كذا فى« المسامرات» (وكاتبه) عبد الله بن أبى رافع رضى الله تعالى عنه.

(تتمة فى مرض موته، ووفاته، وأولاده) قال أبو على الفضل بن الحسن الطبرى فى كتابه «أعلام الورى»: بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية،وخرج الحسن إلى المدينة أقام بها عشر سنين، وسقته زوجته: جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى السُّمَّ فبقى مريضاً أربعين يوماً ،وكان قد سألها يزيد فى ذلك، وبذل لها مائة ألف درهم، وأن يتزوجها بعد الحسن فـفعلت، ولما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال : إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟. قال الحافظ أبو نعيم فى حليته: لما اشتد الأمر بالحسن قال: أخرجوا فراشى إلى صحن الدار لعلى أتفكر فى ملكوت السموات يعنى الآيات فلما خرجوا به. قال: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك فإنها أعزّ الأنفس عَلَىّ. وعن عمرو بن إسحق. قال: دخلت على الحسن أنا ورجل نعوده. فقال: يا فلان سلنى؛ فقال له: والله لا أسألك حتى يعافيك الله وأسألك. قال: لقد ألقيت طائفة من كبدى، وإنى سُقِيتُ السُّمَّ مراراً فلم أسقه مثل هذه المرة. ثم دخلت عليه من الغد. فوجدت أخاه الحسين رضى الله تعالى عنه عند رأسه؛ فقال له الحسين: مَنْ تتهم يا أخى؟ قل: لم؟. لأن تقتله. قال: نعم. قال: إن يكن الذى أظنه فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا، وإن لم يكن هو فما أحب أن يقتل بى برىء. (وروى): أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخى قد حضرت وفاتى، وحان فراقى لك ،وإنى لاحق بربى، وأجد كبدى تقطع، وإنى لعارف من أين ذهبت؟، وأنا أخاصمه إلى الله تعالى، ثم توفى لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين، وقيل: تسع وأربعين، وقيل: غير ذلك من الهجرة ،وصلى عليه سعيد بن العاص فإنه كان واليا يومئذ بالمدينة من جهة معاوية، ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد، وكان عمره إذ ذاك سبعاً وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته منها ستة أشهر وخمسة أيام **(وأما أولاده)** فقال ابن الخشاب: أحد عشر ابناً وبنت واحدة وهم: (عبد الله، والقاسم والحسن، وزيد، وعمر، وعبد الله ،وعبد الرحمن، وأحمد وإسماعيل والحسين وعقيل، والبنت اسمها :فاطمة وكنيتها: أم الحسن وهى أم محمد الباقر بن على)؛ (وقال) الشيخ

أبو عبد الله محمد بن النعمان فى الإرشاد: أولاد الحسن بن على رضى الله عنهم: خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم: (زيد وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم: أم بشر بنت أبى مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن، وأمه: خولة بنت منصور الفزارية وعمر وأخوه القاسم، وعبد الله أمهم: أم ولد واستشهدوا ثلاثتهم بين يدى عمهم الحسين ابن على بطف كربلاء، وعبد الرحمن أمه: أم ولد، والحسين الملقب بالأشرم وأخوه طلحة وأختهما فاطمة أمهم: أم إسحق بنت طلحة بن عبد الله وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات أولاد شتى).

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين، وهما: الحسن وزيد.

(تذييل فى الكلام على مناقب زيد والحسن ولدى الحسن رضى الله عنهم) أما زيد فإنه كان يلى صدقات رسول الله ﷺ، وكان جليل القدر، كريم الطبع، طيب النفس، كثير البرّ، وكان سمحاً ومدحه الشعراء، وقصده الناس من الآفاق لطلب بره، وكان يلقب بالأبلج، وهو: جد السيدة نفيسة بنت السيد حسن الأنور. وذكر أصحاب السير: أنه لما ولى سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة: أما بعد: إذا جاءك كتابى هذا فاعزل زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله ﷺ، وادفعها إلى رجل من قومه سماه، فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب إلى عامله بالمدينة، أما بعد: فإن زيد بن الحسن شريف بنى هاشم، وذو سهم، فإذا جاءك كتابى هذا، فاردد إليه صدقات رسول الله ﷺ، وأعِنْهُ على ما استعانك عليه، وكانت الصدقة أولا بعد النبى ﷺ بيد على والعباس. قال معمر: فغلب عليها علىٌّ فكانت بيده، ثم بيد ابنه الحسن، ثم الحسين، ثم على ابنه، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن، ثم عبد الله بن الحسن، ثم وليها بنو العباس. انتهى، وفى زيد بن الحسن يقول محمد ابن بشر الخارجى:

وزيدُ ربيعُ الناس فى كلِّ شتْوَةٍ إذا اختلفتْ أبراقُها ورعودُها
حمولٌ لأشتات الديات كأنه سراجُ الدجى قد قارنتْها سعودُها

مات زيد رضى الله عنه سنة عشرين ومائة، وله تسعون سنة، ورثاه جماعة من الشعراء، فممّنْ رثاه قُدامة بن موسى الجمحى بقوله:

فإنْ يكُ زيدٌ غالت الأرضُ شخصَه ... فقد كان معروفٌ هناك وجودُ
وإن يكُ أمسى رَهْنَ رَمْسٍ فقد ثوى ... به وهو محمودُ الفعال حميدُ
سريعٌ إلى المضطر يعلمُ أنّه ... سيطلُبُه المعروفُ ثُمَّ يعودُ
وليس بقوّالٍ وقد حَطَّ رحله ... لملتمس يرجوه أين تريدُ
إذا قَصر الوعدُ الدنى سَمَا به ... إلى المجد آباء له وجدودُ
إذا مات منهم سيدٌ قامَ سيدٌ ... كريم فيبنى مجدَهم ويشيدُ

قال صاحب الفصول: مات زيد ولم يَدّعِ الإمامة، ولا ادعاها له مُدّعٍ من الشيعة، ولا من غيرهم قال: وذلك لأن الشيعة رجلان إمامى وزيدى، فالإمامى: يعتمد فى الإمامة النصوص، وهى معدومة فى ولد الحسن باتفاق، ولم يَدّعِ ذلك أحد منهم لنفسه فيقع فيه الارتياب، والزيدى: يراعى فى الإمامة بعد على والحسن والحسين الدعوة والاجتهاد، زيد ابن الحسن هذا كان مسالماً لبنى أمية، ومتقلداً الأعمال من قبلهم، وكان رأيه التبعية لأعدائه، والتأليف لهم والمداراة، وهذا أيضاً عند الزيدية خارج عن علامات الإمامة وزيد خارج عنها بكل. انتهى.

(وأما) الحسن بن الحسن الملقب المثنى فكان، جليلا مهيباً فاضلا رئيساً ورعاً زاهداً، وكان يلى صدقات أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه؛ أنهساير الحجاج يوماً بالمدينة، والحجاج إذ ذاك أمير بها. فقال له الحجاج: يا حسن أدخل معك عمك فى النظر على صدقات أبيه، فإنه عمك، وبقية أهلك فقال الحسن: لا أغير شرطا اشترطه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولا أدخل فى صدقاته من لم يدخله، فقال له الحجاج: أنا أدخله معك قهراً، فأمسك الحسن عنه، ثم ما كان منه إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصداً عبد الملك بن مروان، فلما أتى الشام، وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه، فوافاه يحيى ابن أم الحكم، وهو على الباب فسلم عليه، وقال: ما جاء بك؟، فأخبره بخبره، فقال له: أسبقك بالدخول على عبد الملك، ثم ادخل أنت فتكلم، واذكر قصتك فترى ما أفعل معك، وأنصفك عنده إن شاء الله تعالى، فدخل يحيى ودخل بعده الحسن، فلما نظره عبد الملك رحب به وأحسن مسألته، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب. فقال له عبد الملك: قد أسرع إليك الشيب. يا أبا محمد. فقال يحيى: وما يمنعه عن ذلك يا أمير المؤمنين شيبته أمانى أهل العراق يفد عليه الركب بعد الركب فى كل سنة يمنُّونه الخلافة. فقال الحسن: بئس والله الرفد رفدت، وليس الأمر كما قلت ولكنا أهل البيت يسرع

إلينا الشيب، وعبد الملك يسمع كلامه، فأقبل عبد الملك على الحسن، وقال: لا عليك هلمّ حاجتك يـا أبا عبد الله، فأخبره بـقول الحجاج، فقال عـبدالملك: ليس ذلك لـه وكتب له للحجاج كتاباً يـتهدده فيه، ووصله بأحسن صلة، وجهزه وهـو راجع إلى المدينة، وبعد أن خرج الحسن من عنـده قصده يحيى إلى منـزله. فقـال: كيف رأيت مـا فعلت مـعك؟ فقال: والله إنى عاتب عليك فيما قلت؛ فقال: إنها لك والله ما آلو بـك نفعاً ولا ادخرت عنك جهداً، ولولا كلمتى هذه ما هابك، ولا قضى لك حاجة، فاعرف لى ذلك.

(وفى الفصول المهمة والأغانى) يروى: أن الحسن بن الحسن رضى الله عنهما خطب إلى عمه الحسين إحدى بنتيه فاطمة وسكينة فقال: اختـر يا بنى أحبهـما إليك فاستـحيا الحسن، ولم يرد جواباً. فـقال له عمه الحسين رضى الله عنه: قد اخترت لـك ابنتى فاطمة فهى أكثر شبهاً بأمى فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فزوجها منه، وحضر الحسن بن الحسن مع عمه الحسـين (بطفّ كربلاء)، فلـما قتل الحسين، وأسـر الباقون من أهله أسـر الحسن فى جملتهم. فجاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأسرى، قال: والله لا يوصل إلى ابن خولة أبدا (مات) الحسـن بن الحسن سنة سبع وتسعين وله خمـس وثمانون سنة وأخوه زيد حى، وأوصى إلى أخيه من أمه إبراهيم بن محمد بن طلحة. (وضربت زوجته) فاطمة بنت الحسين عمّةً على قبـره فسطاطا، وكانت تقوم الليل وتصوم النهـار، وكانت تشبه بالحور العـين لجمالـها، فلمـا كانت رأس السـنة. قالـت لمواليهـا: إذا أظلم اللـيل فقوضـوا هذا الفسطاط، فلما أظلم الليل وقوضوه سمـعت قائلا يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر بل يـئسـوا فانـقلـبوا. انـتهـى. وأعقـب الحسـن بن الحسن خـمسـة رجال: «عـبد الله المحض، وإبراهيم القمر، والحسن المثلث، وأمهم: فـاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وداود، وجعفر؛ وأمهما: أم ولد تدعى حبيبة كذا فى «بحر الأنساب».

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ

(ولد) الحسين رضى الله عنه بالمدينة لخمس خلون من شعبان سنة أربعين من الهجرة، وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة، وهكذا صح النقل فى ذلك **(وحنكه)** ﷺ بريقه، وأذن فى أذنه، وتفل فى فمه، ودعا له، وسماه حسيناً يوم السابع، وعق عنه بكبش، وقال لأمه: احلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن **(وكنيته)** أبو عبد الله لا غير **(وألقابه)**: الرشيد والطيب والزكى والوفى والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط؛ وأشهرها الزكى؛ وأعلاها رتبة ما لقبه ﷺ فى قوله عنه وعن أخيه إنهما: سيدا شباب أهل الجنة، وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «حسين سبط من الأسباط» **(وكان)** الحسين رضى الله عنه أشبه الخلق بالنبى ﷺ من سرته إلى كعبه **(وشاعره)**: يحيى بن الحكم وجماعة غيره **(وبوابه)** أسعد الهجرى **(ونقش)** خاتمه: «لكل أجل كتاب» **(ومعاصره)** يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد **(ومروياته)** من الأحاديث ثمانية.

وهذه نبذة من الأحاديث الواردة فى حقه): أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامرى أن النبى ﷺ قال: «حسين منى وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً، وحسين سبط من الأسباط». وروى ابن حبان، وابن سعد، وأبو يعلى، وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة». وفى لفظ «**إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على**».

وروى خيثمة بن سليمان عن أبى هريرة: «أن النبى ﷺ جلس فى المسجد فقال: أين لكع؟. فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجره، فجعل أصابعه فى لحية رسول الله ﷺ، ففتح رسول الله ﷺ فمه، أى الحسين فادخل فاه فى فيه، ثم قال: اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه». وروى أبو الحسن بن الضحاك عن أبى هريرة قال: «رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة». وروى عن جعفر الصادق بن محمد قال: «اصطرع الحسن والحسين بين يدى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: إيها حسن، فقالت فاطمة: يارسول الله تستنهض الكبير على الصغير، فقال: ﷺ هذا جبريل يقول: «إيها حسين خذ الحسن». وعن زيد بن أبى زيادة قال: «خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة

فمر على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكى فقال: ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى». وعن البراء ابن عازب قال: «رأيت رسول الله ﷺ حاملا الحسين بن على رضى الله عنهما على عاتقه وهو يقول:

«اللهم إنى أحبه فأحبه». وروى البخارى والترمذى يرفعه إلى ابن عمر رضى الله عنهما أنه سأل رجل عن دم البعوضة . فقال له: ممن أنت؟، فقال رجل من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوضة، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وسمعت النبى ﷺ يقول: هما ريحانتان من الدنيا. وروت أم الفضل بن العباس رضى الله عنهم. قالت: «دخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله ﷺ رأيت البارحة حلما منكراً . قال: وما هو؟. قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت فوضعت فى حجرى. فقال رسول الله ﷺ: خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً يكون فى حجرك: فولدت فاطمة الحسين. قالت: فكان فى حجرى كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت به عليه، فوضعته فى حجره، ثم حانت به منى التفاتة. فإذا عينا رسول الله ﷺ تدمعان. فقلت: بأبى وأمى يا رسول الله ما يبكيك؟. قال: جاء جبريل عليه السلام فأخبرنى أن أمتى ستقتل ابنى هذا، وأتانى بتربة من تربة حمراء»، وروى البغوى بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت: كان جبريل عليه السلام عند النبى والحسين معى، فغفلت عنه، فذهب إلى النبى ﷺ، فأخذه النبى ﷺ، وجعله على فخذه، فقال له جبريل عليه السلام: «أتحبه يا محمد؟. قال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت لأريتك تربة الأرض التى يقتل بها ، ثم بسط جناحه إلى الأرض، وأراه أرضا يقال: لها كربلاء تربة حمراء بطف العراق».

(تنبيه) الطف: بفتح الطاء المهملة المشددة وبالفاء المشددة موضع خارج الكوفة وجمعه طفوف ، هو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق والجانب والشاطئ؛ وفى مجمع البحرين الطف: ساحل البحر وجانب البر، ومنه: الطف الذى استشهد فيه الحسين رضى الله عنه سمى به لأنه طرف البر مما يلى الفرات. اهـ. وروى الحافظ عبد العزيز الجنابذى فى كتابه(معالم العترة الطاهرة) مرفوعاً إلى الأصبع بن نباتة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «أتينا مع على رضى الله عنه فى سفرة فمررنا بأرض كربلاء فقال على: ههنا مناخ ركابهم، وموضع رحالهم، ومهراق دمائهم، فئة من أمة محمد ﷺ يقتلون فى هذه العرصة تبكى عليهم السماء والأرض».

●●●●●

فصل
فى خروجه إلى العراق واستشهاده
رضى الله عنه

قال أبو عمرو: لما مات معاوية فى غرة رجب سنة ستين، وأفضت الخلافة إلى يزيد، ووردت بيعته على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها، أرسل إلى الحسين بن على، وإلى عبد الله بن الزبير ليلا، وأتى بهما. فقال: بايعا. فقالا: مثلنا لا يبايع سراً، ولكنا نبايع على رءوس الناس إذا أصبحنا، فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب، فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة ،وخرج يوم التروية يريد الكوفة .نقله ابن عبد البر. وفى (الفصول المهمة): ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية، وامتناع الحسين، وابن عمر، وابن الزبير رضى الله عنهم من البيعة، وأن الحسين سار إلى مكة، ونزل بها اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد بالكوفة، وتذاكروا أمر الحسين ،وسيره إلى مكة وقالوا: نكتب له كتابا يأتينا الكوفة، فكتبوا له كتاباً ،وأرسلوه مع القاصدين، وصورته: « بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن على أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه رضى الله عنهما، أما بعد: فإن الناس منتظروك لا رأى لهم فى غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله ﷺ لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، ويؤيد الإسلام بك بعد أجزل السلام وأتمه عليك ورحمة الله وبركاته». فكتب إليهم الحسين رضى الله عنه: « أما بعد فقد وصلنى كتابكم وفهمت ما اقتضته آراؤكم، وقد بعثت إليكم أخى وثقتى وابن عمى مسلم بن عقيل، وسأقدم عليكم إثره إن شاء الله تعالى» وأرسل مسلم بن عقيل إليهم صحبة قاصديهم، فلما وصل إليهم مسلم، ودخل الكوفة اجتمعت عليه الشيعة، وأخذ عليهم البيعة للحسين رضى الله عنه، فبلغ ذلك والى الكوفة يومئذ وهو النعمان بن بشير فكتب فيه إلى يزيد بن معاوية، فجهز يزيد على الفور عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، ولما قرب منها عبيد الله بن زياد تنكر، ودخلها ليلا، وأوهم أنه الحسين، ودخلها من جهة البادية فى زى أهل الحجاز فصار كلما اجتاز قاموا له، وهم يظنون أنه الحسين. ويقولون: مرحباً بابن رسول الله ﷺ قدمت خير مقدم، وهو لا يكلمهم، ولما رأى تباشيرهم بالحسين ساءه ذلك وانكشفت له أحوالهم ثم إنه قصد قصر الإمارة يريد الدخول فيه فوجد النعمان بن بشير وأصحابه وأغلقوه عليهم وذلك لظن النعمان بن بشير أن ابن زياد هو الحسين فصاح عليهم عبيد الله بن زياد افتحوا لا بارك الله فيكم ولا كثر من أمثالكم. فعرفوا صوته وقالوا: ابن مرجانة فنزلوا ،وفتحوا له، فدخل القصر وبات فيه، ولما أصبح جمع الناس فصال وجال، وقال، وأطال، وقتل جماعة من أهل الكوفة، وتحيل

بعد ذلك حتى ظفر بمسلم بن عقيل فقبض عليه وقتله ولم يقم الحسين رضى الله عنه بعد مسير ابن عمه مسلم بمكة إلا قليلا حتى تجهز للمسير فى أثره، فخرج ومعه جميع أهله وولده وخاصته وحاشيته، ومن يليه، فأتاه عمر بن الحرث بن هشام المخزومى. فقال له: إنى جئتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك فإن كنت ترى أنى ناصح قلتها لك وأديت ما يجب على من الحق فيها، وإن ظننت أنى غير ناصح كففت عما أريد أن أقوله لك. فقال: قل، فقال له: قد بلغنى أنك تريد العراق وإنى مشفق عليك أن تأتى بلدا فيها عمال يزيد وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدرهم والدينار فلا آمن عليك من أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه له وذلك عند البذل وطمع الدنيا، فقال له الحسين رضى الله عنه: جزاك الله خيرا من ناصح، لقد مشيت يا ابن عم بنصح، وكلمت بعقل، ولم تنطق عن الهوى، ولكن مهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أم تركت مع أنك عندى أحمد مشير وأعزّ ناصح؛ ثم جاءه بعد ذلك عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وجماعة من ذوى الحكمة والتجربة والمعرفة بالأمور، فقالوا له: إن الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق فهل عزمت على شىء من ذلك؟ فقال: نعم إنى قد أجمعت على المسير فى أحد يومىّ هذين إلى الكوفة أريد اللحوق بابن عمى مسلم إن شاء الله تعالى. فقال ابن عباس ومن معه: نعيذك بالله من ذلك أخبرنا أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟، فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم، وإن كانوا قد دعوك وأميرهم قائم لهم قاهر لهم يجبى بلادهم ويأخذ خراجهم، فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك من أن يغروك، ويكذبوك ويخذلوك ولم يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال الحسين: إنى أستخير الله تعالى، ثم أنظر ماذا يكون؟، فخرج ابن عباس ومن معه؛ ثم إنه ورد على الحسين كتاب من المدينة من عبد الله بن جعفر مع ولديه عون ومحمد، ومن سعيد بن العاص، ومن جماعة من أهل المدينة، وكل منهم يشير عليه بعدم التوجه إلى العراق؛ هذا كله والقضاء غالب فلم يكترث بما قيل له ليقضى الله أمراً كان مفعولا؛ وجاءه ابن الزبير رضى الله عنهما فجلس عنده ساعة يتحدث، ثم قال له: أخبرنى ما تريد أن تصنع بلغنى أنك سائر إلى العراق؟، فقال له الحسين: نعم نفسى تحدثنى بإتيان الكوفة؛ وذلك أن جماعة من شيعتنا، وأشراف الناس كتبوا إلى كتابا يستحثوننى على المسير إليهم، ويعدوننى النصرة، والقيام معى بأنفسهم، وأموالهم، ووعدتهم الوصول إليهم، وأنا أستخير الله تعالى، فقال له ابن الزبير: أما إنه لو كان لى بها شيعة مثل شيعتك ما عدلت عنهم ثم خشى أن يتهمه، فقال: وإن رأيت أن تقيم هنا بالحجاز، وتريد هذا الأمر قمنا معك، وبايعناك، وساعدناك ونصحنا لك، فقال له الحسين رضى الله عنه: إن أبى حدثنى أن بها كبشا به تُستحلّ حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش، والله لأن أقتل خارجاً من

مكة بشبر أحب إلى من أن أقتل بداخلها، فقام ابن الزبير رضى الله عنهما من عنده، فقال الحسين رضى الله عنه لجماعة كانوا عنده من خواصه: إن هذا الرجل يعنى ابن الزبير ليس شيء أحب إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أن الناس لا يعدلون بى ما دمت فيه، فود أنى خرجت منه ليخلو به؛ ولما كان الغد جاءه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثانياً وقال: يا ابن عم إنى أتصبر، ولا أصبر إنى أتخوف عليك من هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق أهل غدر، فلا تأمنهم، وأقم بهذا البيت الشريف فإنك سيد أهل الحجاز، وإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم ينفوا عاملهم ويخرجوه عنهم ثم تقدم عليهم، وإن رأيت فسر إلى اليمن فإن فيها حصوناً، وشعوباً، وهى أرض طويلة عريضة، ولأبيك بها شيعة كثيرة، وتكون بها معتزلا فتكتب إلى الناس، ويكتبون إليك، وإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الفرج بالذى تريد، فقال له الحسين رضى الله عنه: يا ابن عم إنى أعلم أنك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعتُ، وأجمعت على المسير إلى هذا الوجه. فقال له ابن عباس رضى الله عنهما: فإن كنت سائراً ولابد، فلا تسر بنسائك وصبيتك. قال: ولا أتركهم خلفى. فقال له ابن عباس رضى الله عنهما: والله لو أعلم أنى إن أخذت بناصيتك، وأخذت بناصيتى حتى تجتمع علينا الناس أطعتنى وأقمتَ لفعلتُ، ثم خرج عنه ابن عباس رضى الله عنهما وهو يقول: أقررتَ عين ابن الزبير بمخرجك من الحجاز، وعند خروج ابن عباس من عند الحسين رضى الله عنه صادفه ابن الزبير فقال: ما وراءك يا ابن عم؟. قال: ما يقر عينك هذا الحسين يخرج إلى العراق، ويخليك والحجاز ثم ولى وهو ينشد:

يا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ ... خَلاَ لَكِ الجوّ فبيضى واصْفِرِى
ونَقِّرِى مَا شئتِ أنْ تنقِرِى ... لابدّ مِنْ أَخْذِكِ يوماً فاصْبِرِى

فخرج الحسين رضى الله عنه من مكة يوم الثلاثاء وهو يوم التروية الثامن من ذى الحجة سنة ستين ومعه اثنان وثمانون رجلا من أهل بيته وشيعته ومواليه ولم يزل سائراً، فلما كان بالصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فنزل وسلم على الحسين رضى الله عنه، وقال له: أعطاك الله سؤلك، وبلغك مأمولك فى جميع ما تحب. فقال له الحسين رضى الله عنه: مِنْ أينَ أقبلتَ يا أبا فراس؟. فقال: من الكوفة، فقال له: بين لى خبر الناس، فقال: «أجل على الخَبِيرِ سقطتَ يا ابن رسول الله ﷺ قلوبُ الناس معك، وسيوفُهم مع بنى أمية، والقضاءُ ينزلُ من السماء، اللهُ يفعلُ ما يشاءُ، وربُّنا كُلَّ يومٍ هُوَ فى شَأْنٍ»، فقال الحسين: «صدقتَ: الأمر لله يفعل ما يشاء، والله سبحانه كل يوم فى شأن»، ثم فارقه الحسين رضى الله عنه، وسار حتى انتهى إلى ماء قريب من الحاجز؛ فإذا هو بعبد الله بن مطيع نازل على

الماء، فتلاقى هو وإياه، فتسالما، واعتنقا، وقال له: ما جاء بك يا ابن رسول الله ﷺ؟. قال له: أقصد الكوفة؛ فقال له: ألم أتقدم إليك بـالقول؟، ألم أنهك عن المسير إلى هذا الوجه؟ اذكر الله تعـالى فى حرمـة الإسلام أن تنتهـك أنشدك الله تعالـى فى حرمة قـريش، وذمة العرب، والله لئن طلبت ما فى يدى بنى أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً، والله إنها لحـرمة الإسلام، وحرمـة قريش، وحرمـة العرب فالله الله لا تـفعـل، ولا تأت الكوفة، ولا تعـرض نفسك لبنى أميـة، فأبى أن يمضى إلا فى جهتـه، ثم ارتحل من الماء وسار إلى أن أتى التلغبية، فلما نزلها أتاه خبر قـتل ابن عمه مسلم بن عقيل بالكوفة، فقال له بعض أصحابه: ننشدك بالله أن ترجع عن مقصدك فإنه ليس لك بالكوفة من ناصر، وإنا نتخوف أن يكونوا عليك لا لك، فوثب بنو عقيل وقالوا: والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا، أو نذوق كما ذاق مسلم، فقال لهم الحسين: لا خيـر لى فى الحياة بعدكم، ثم ارتحلوا حتى انتهـوا إلى زبالة، وكان الحسـين رضى الله عنه لا يمر بمـاء من مياه العرب، ولا بـحى من أحيائها إلا صحبه أهلـه وتبعوه فلما كان بزبالة أتاه خبر قتل أخـيه من الرضاع عبد الله بن بقطر، وكان أرسله من الطـريق إلى مسلم بن عقيل ليأتيه بخبره مـن الكوفة، فأخذته خيل ابن زياد من القادسية، وأخذوا كتبه وقتلوه، فلما بلغ الحسين رضى الله عنه ذلك أيضاً قال: قد خذلتنا شيعتنا، ثم قال، أيها الناس من أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذم ولا لوم، فتفرق الأعراب عنه يمـيناً وشمالاً حتى بقى فى أصحابه لا غيـر الذين خرج بهم من مكة، وإنما فعل ذلك لأنه علم من الناس أنهم ظـنوا أنه يأتى بلداً قد استاقمت له، وأطاعه أهلها فيتسلمها صفواً عفواً من غيـر حرب ولا قتال، فأراد أن يعرفهم ما يقدمون عليه، ثم إنه سار حتى نزل بطن العقبة، فأتاه رجل من مشايخ العرب فقال له: أنشدك الله تعالى إلا انصرفت فو الله مـا تقدم إلا على الأسنة، وحدّ الـسيوف فإن هؤلاء الذين بعـثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطئوا لـك الأمور، وقدمت من غير حرب كان ذلك رأيا، وأما على هذه الحالة التى نرى فلا أرى لك أن تفعـل. فقال له: لا يخفى على شىء مما ذكرته: ولكنى صابر مـحتسب حتى يقضى الله أمراً كـان مفعولا، ثم ارتحل نحو الكوفـة فلما كان بينه وبينها مسافة مرحلتين وافاه إنسـان يقال له: الحر بن يزيد الرياحى ومعه ألف فارس من أصحاب عـبيد الله بن زيـاد شاكين الـسلاح؛ فقال للحسين: إن عبيـد الله أخرجنى عـيناً عليك، وقال: إن ظفرت به لا تفارقه أو تجىء بـه، وأنا والله كاره أن يبتلينى الله بشىء من أمرك غير أنى قد أخذت بيعة القوم. فقال له الحسين رضى الله عنه: إنى لم أقدم هذا البلد

حتى أتتنى كتب أهلها ،وقدمت على رسلهم يطلبوننى، وأنتم مـن أهل الكوفة، فإن دمتم على بيعتكم، وقولكم فى كتبكم دخلـت مصركم، وإلا انصرفت من حيث أتيت. فقال له الحر: والله لم أعلم بشىء مما ذكرت ولا علم لى بالكـتب ولا بالرسل، وأما أنا فما يمكننى الرجوع إلى الكوفة فـى وقتى هذا، وأما أنت فخذ طريقك هذا واذهـب إلى حيث شئت، وأنا أكتب إلى ابن زياد أن الحسين خالفنى الـطريق، ولم أظفر به، وأنشدك الله فى نفسك، وفيمن مـعك فسلك الحسـين رضى الله عنه طريقاً غـير الجادة راجعاً إلى الحـجاز وسار هو وأصحابه ليلـتهم فلما أصبحوا فإذا الحر بـن يزيد فى جيشه وهو معهـم. فقال له الحسين: كيف هذا؟. ما جاء بك؟. قال: سعى بى إلى ابن زياد وعلى عين من جهته فجاءنى كتاب من جهته، وهو يؤنبنى فى أمرك تأنيباً كثيـراً، وقال: تظفر بالحسين، وتتركه كن عيناً عليه، ولا تفارقه إلى أن تأتيك الجيوش والعساكر ولا بقى لى سبيل إلى مفارقتك. فنزل الحسين، وحط بتـلك الأرض التى أصبـح بها، وسأل عنـها فقيـل له: هذه كربلاء وكـان ذلك يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة إحدى وستـين فقال رضى الله عنه: هذه كربلاء موضع كرب وبلاء هذا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومقتل رجالنا، كتب الحر إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء فكتب عبيد الله بن زياد إلى الحـسين كتاباً يقول فيه: أما بعد فإن يزيد ابن معاوية كتب إلى ألا تغمض جفنك من المـنام، ولا تشبع بطنك من الطعام إما أن يرجع الحسين إلى حكمى، أو تقتله والسلام، فلما رجع الرسول على الحسين وقرأه ألقاه من يده، وقال للرسول: ما له عـندى جواب. فلما رجع الرسول إلى ابن زياد، وأخـبره بذلك اشتد غضبه، وجـمع الجموع، وجهز إليه الـعساكر، وجعل مقـدمتها عمر بن سعـد وكان والياً بالرى وأعمالها واستـعفى من خروجه إلى قتال الحسين وتقدمه على الـعسكر، فقال له: ابن زياد إما أن تخرج لـه أو تخرج من عملنا فـخرج عمر بن سعد إلى الحـسين رضى الله عنه وصار ابن زياد يمده بالجيوش شيئاً فشيئاً إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وأول من خرج مع عمر بن سعد: الشمر بن ذى الجوشن فى خيل كثيرة، ثم ساروا جميعاً حتـى نزلوا بشاطىء الفرات، فحالوا بين الحسين وبـين الماء، فعند ذلك ضاق الأمر على الحسين رضى الله عنه وعلى أصحابه، واشتد بهم العطش وكان مع الحسين رجل من أهل الزهد والـورع يقال له: يزيد بن حصين الـهمدانى فقال للحسـين: إئذن لى يا ابن رسول الله ﷺ فى أن آتى عمر بن سعد مقدم هؤلاء، فأكلمه فى الماء لعله أن يرتدع، فأذن فجاء الهمدانى إلى عمر بن سعد وكلمه فـى الماء، فامتنع ولم يجبه إلى ذلك فقال له: هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب، والدواب، وتمنعه ابن بنت رسول الله ﷺ، وأولاده، وأهل بيته، والعـترة الطاهرة يموتون عطشاً، وقـد حلت بينهم وبين الماء وتزعـمن أنك تعرف الله ورسوله، فأطرق عمر بن سعد ثم قال: يا أخا همدان إنى لأعلم ما تقول وأنشأ يقول:

دعـانـي عُبَيْدُ الله مـــن دون قـومـه إلى خـصلـة فـيـها خـرجتُ لحَيْنـي
فـــو الله مـا أدرى وإنّي لـــواقـــفٌ عـلـى خـطـرٍ لا أرتـــضـيــه ومـين
آآخـذُ مُلْكَ الـرّيِّ والـريُّ بـغـيـتـي وأرجـعُ مـطـلـوبّـــاً بـدمِ حـسـينِ
وفي قـتلـه النـارُ التـي ليـس دونهـا حـجـابٌ ومُلْكُ الـرىِّ قُرَّةُ عـيـنـي

ثم قال: يا أخا همدان مـا أجد نفسى تجيبنى إلى ترك مُلْك الرى لـغيرى، فرجع يزيد ابن حصين الهمدانى إلـى الحسين، وأخبره بمقالة ابن سعد، فلما عـرف الحسين ذلك منهم تيقن أن القوم مقاتلـوه، فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بـالخندق وجعلوا جهة واحدة يكون القـتال منها ثم إن عسـكر ابن زياد برزوا لمقـاتلة الحسين رضى الله عنـه، وأصحابه، وأحدقوا بهم من كل جانب، ووضعوا السيـوف في أصحاب الحسين، ورموهم النبل، وهم يقاتلونهم إلى أن قتل من أصحاب الحسين رضـى الله عنه ما يزيد على الخمسين فعند ذلك صاح الحسين رضـى الله عنه أما ذاب يَذُبُّ عن حريم رسول الله ﷺ؟. وإذ بالحـر بن يزيد الرياحى المتقدم ذكره الذى كان عيناً على الحسين من جهة ابن زياد قد خرج من عسكر عمر ابن سعد راكبـاً على فرسه وقال أنا يـا ابن رسول الله ﷺ كنت أول من خرج إليـك عيناً، ولم أظن أن الأمر يصل إلى هذا الحال وأنا الآن فى حـزبك وأنصارك أقاتل بين يديك حتى أقتل أرجـو بذلك شفاعة جـدك محمد ﷺ فقاتـل بين يديه حتى قـتل فلما فنـى أصحاب الحسين رضى الله عنه، وقتلوا جميعهم، وبقى وحده حمل عليهم، فقتل كثيراً من الرجال، والأبطال، ورجع سالماً إلى مـوقفه عند الحريم، ثم حمل عليهـم حملة أخرى، وأراد الكرّ راجعاً إلى مـوقفه فحال الشمـر بن ذى الجوشن بينه وبـين الحريم في جماعة من أبـطالهم وشجعانهم وأحدقوا به، ثم إن جماعة آخرين تبادروا إلى الحريم والأطفال يريدون سلبهم، فصاح الحـسين ويحكم يا شـيعة الشيطـان كفوا سفهاءكـم عن الحريم والأطفال فإنـهم لم يقاتلوكم فقال الشمر لأصحابه: كفوا عنهم واقصدوا الرجل فلم يزل يقتتل هو وهم إلى أن أثخنوه جـراحاً، فسقط عن فرسه إلـى الأرض ونزلوا، وحزوا رأسه. (قيل): الـذى قتله سنان بن أنس النخـعى، وقيل: الشمر بن ذى الجوشن؛ والصحيـح المنقول عن السدى: أن الذي قتله سنان بن أنس النخعى، وأرسل عـمر بن سعد بالرأس إلى ابن زياد مع سنان بن أنس النخعى فلما وضع الرأس الشريف بين يدى عبيد الله ابن زياد قال:

أَمْلأُ ركابى فضـــةً وذهبا إنّى قتلتُ السيدَ المحجبا
قتلتُ خيرَ الناسِ أمًّا وأبًا وخيرُهم إذ يذكرون نَسَبًا

فغضب عبيـد الله بن زياد وقال: إذا علمت ذلك فَلِمَ قتلته؟، والله لا نـلت منى خيراً

ولألحقنَّك به ثم ضرب عنقه. وفى «أسد الغابة»: ولما قتل الحسين رضى الله عنه أرسل عمر ابن سعد رأسه ورءوس أصحابه إلى ابن زياد فجمع الناس، وأحضر الرءوس وجعل ينكت بقضيب بين ثنيتى الحسين. فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له:

اعل بهذا القضيب فوالله الذى لا إله غيره لقد رأيت شفتى رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم بكى. فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فو الله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فخرج وهو يقول: أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم الحسين بن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم. انتهى. وفى ذلك قال أبو الأسود الدؤلى:

أقولُ وذاك مِنْ جزعٍ وَوَجْدٍ ... أزالَ اللهُ مُلْكَ بَنِى زيادِ
وأبعدَهم بمَا غَدَرُوا وخانُوا ... كما بعدتْ ثمودُ وقومُ عادَ

ثم إن القوم ساقوا الحريم، والأطفال كما تساق الأسارى حتى أتوا الكوفة، فخرج الناس، فجعلوا ينظرون إليهم، ويبكون؛ وكان على بن الحسين زين العابدين معهم قد أنهك جسمه المرض فجعل يقول: إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن قتلنا؟، فلما دخلوا بهم على عبيد الله بن زياد أرسل بهم ورأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له: زجر بن قيس، ومعه جماعة مقدمهم، وأرسل بالنساء، والصبيان على أقتاب، ومعه على بن الحسين، وقد جعل ابن زياد الغُلَّ فى يده، وعنقه، ولم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الشام، فتقدم زجر بن قيس فدخل على يزيد فقال له: هات ما وراءك؟. قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين ابن علي فى ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم، وسألناهم النزول على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر، ويلوذون بالآكام، والحفر كما لاذ الحمائم من عقاب أو صقر فو الله ما كان إلا نحر جزور أو نومة قائل[1] حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم بدمائهم مضرجة، وخدودهم فى التراب معفرة تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح زوارهم العقاب، والرخم فى سبسب من الأرض قال: فدمعت عينا يزيد، وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية، ووالله لو كنت

(1) قائل: وقت القيلولة. وقت الظهيرة. شدة الحر.

صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين، وأخرجه من عنده لم يصله بشىء، ثم إنهم دخلوا بالرأس فوضعوها بين يدى يزيد وكان فى يده قضـيب فجعل ينكت به فى ثغره ثم قال: ما أنا وهذا إلا كما قال الحصين:

أَبَى قَوْمُنا أَنْ يُنصِفونا وانصفتْ فواضبَ فى أيمانِنا تقطرُ الدما
يَفْلَقْنَ هاماً مِنْ رُءوسِ أعزة علينا وَهُمُ كانوا أَعَقَّ وأظلما

فقال أبو بردة الأسلمى وكان حاضراً: أتنكتُ بقضيبك فى ثغره؟. أما إنى لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشفه، ورضيت يا يزيد أن يجىء عبيد الله بن زياد شفيعك يوم القيامة ويجىء هذا ومحمد ﷺ شفيعه. ثم قام من المجلس فقال يزيد: والله لو أنى صاحبه ما قتلته، ثم قال: أتدرون من أين أتى هذا؟. أما إنه ليقول: أبى خير من أبيه، وأمى فاطمة خير من أمه، وجدى رسول الله ﷺ خير من جده، وأنا خير من يزيد وأحق بالأمر منه؛ فأما قوله: أبوه خير من أبى فقد تحاج أبى وأبوه إلى الله تعالى وعلم الناس أيهما حكم له، وأما قوله: أمى خير من أمه فلعمرى فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمى، وأما قوله: جدى خير من جده فلعمرى ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله ﷺ فينا عديلا ولا نداً وأتى هذا من قبل فقهه ولم يقرأ ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ** ﴾ (١) ثم إنه أدخل نساء الحسين، والرأس بين يديه، فجعلت فاطمة وسكينة تتطاولان لتنظراه، وجعل يزيد يستره عنهما فلما رأينه صحن وأعولن بالبكاء فبكى لبكائهن نساء يزيد وبنات معاوية فولولن وأعولن فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة: بنات رسول الله ﷺ سبايا أسرك هذا يا يزيد. فقال: والله ما سرنى، وإنى لهذا كاره، وما أتى عليكن أعظم مما أخذ منكن. ثم قال: أدخلوهن إلى الحريم فلما دخلن على حريمه لم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن، وأظهرت التوجع والحزن على ما أصابهن، وعلى ما نزل بهن وأضعفن لهن جميع ما أخذ منهن من الحلى والثياب وزيادة وكانت سكينة تقول: ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد؛ ثم أمر بعلى زين العابدين فدخل عليه مغلولا، فقال على رضى الله عنه: يا يزيد لو رآنا رسول الله ﷺ مغلولين لفكه عنا، قال: صدقت وأمر بفكه، فقال: ولو رآنا رسول الله ﷺ على بعد لأحب أن يقربنا، فأمر به فقربه ثم قال له يزيد: يا على أبوك الذى قطع رحمى، وجهل حقى، ونازعنى سلطانى فنزل به ما رأيت فقال على: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ**

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦.

فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١).

فقال له يزيد: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (٢) ثم إن يزيد أمر بإنزال على رضى الله عنه وإنزال حرمه فى دار تخصهم بمفردهم، وأجرى لهم كل ما يحتاجون إليه، وكان لا يتغدى، ولا يتعشى حتى يحضر على بن الحسين فدعاه ذات يوم، ومعه عمر بن الحسين، وهو صبى صغير، فقال يزيد لعمر: أتقاتل خالدا؟ يعنى خالد بن يزيد وكان فى سنه فقال: أعطنى سكيناً، وأعطه سكيناً حتى أقاتله فضمه يزيد إليه، وقال:

شِنْشِنَةٌ(٣) أعرفُها من أخزم وهل تلدُ الحيةُ إلا حُوَيّةَ

ثم إن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة وسير معهم رجلا أميناً من أهل الشام فى خيل سيرها صحبتهم، وودع يزيد على بن الحسين، وقال له: لعن الله ابن مرجانة لو كنت حاضر الحسين ما سألنى خصلة إلا كنت أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولكن قضاء الله غالب، يا على كاتبنى بكل حاجة كانت لك أقضها لك إن شاء الله تعالى، وأوصى بهم الرسول الذى سيره صحبتهم، وكان يسايرهم هو وخيله التى معهم فيكون الحريم قدام بحيث إنهم لا يفوتون فإذا نزلوا تنحى عنهم ناحية هو وأصحابه، وكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حالهم ويتلطف بهم فى جميع أمورهم ولا يشق عليهم فى مسيرهم إلى أن دخلوا المدينة، فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة: قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشىء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلى. قالت: فافعلى فأخرجنا له سوارين ودملجين وبعثنا بهما إليه فردهما وقال: لو كان الذى صنعته رغبة فى الدنيا لكان فى هذا مقنع بزيادة كثيرة، ولكنى والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ، وكان من جملة من كان معهم أم سكينة بنت الحسين بن علي رضى الله عنه وهى: الرباب بنت امرىء القيس (ولما) بلغ أهل المدينة قتل الحسين رضى الله عنه خرجت ابنة عقيل بن أبى طالب فى نساء من بنى هاشم وهى حاسرة تلوى ثوبها وتقول:

ماذا تقولون: إنْ قالَ النبىُّ لكم: ماذا فعلتُم وأنتُمُ آخرُ الأمم
بعترتى وحَرِيمى بعد مُفْتَقدى منهم أسارى وقتلى ضُرِّجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحتُ لكم أن تخلفونى بسوءٍ فى ذوى رحمى

(١) سورة الحديد اية ٢٢ ـ ٢٣. (٢) سورة الشورى آية ٣٠.
(٣) الشِنْشِنَةُ: جمع: شناشن. وهى: الخُلق والطبيعة، اللسان «شَنَ».

حكى الشيخ نصر الله بن يحيى وكان من الثقات الخيرين قال: رأيت فى المنام علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين بكربلاء منهم ما يتم، فقال لى كرم الله وجهه: أتعرف أبيات ابن الصيفى التميمى فى هذا المعنى؟، فقلت: لا، فقال: اذهب إليه، واسمعها منه، فاستيقظت من نومى مفكراً، ثم إنى ذهبت إلى دار ابن الصيفى وهو: الحيص بيص الشاعر الملقب بشهاب الدين، فطرقتُ عليه الباب، فخرج إلى فقصصت عليه الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن سمعها منى أحدٌ وإن أكون نظمتها إلا فى ليلتى هذه ثم أنشد لى:

مَلَكْنَا فكان العفوُ منا سجيةً ... فلما ملكتُم سالَ بالدم أبطحُ
وحَلَلْتُم قتلَ الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى فنعفو ونصفحُ
وحَسْبُكم هذا التفاوتُ بيننا ... وكُلّ إناءٍ بالذى فيه يَنْضَحُ

أورد ذلك الشيخ نور الدين بن على بن محمد الصباغ المالكى المكى المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة فى كتابه «الفصول المهمة» عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم قلت: يا رسول الله ما هذا؟. قال: دم الحسين وصحبه أرفعه إلى الله عزّ وجلّ فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم. وتلك الساعة رواه البيهقى، وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره؛ وذكر غير واحد: أنهم لما ساروا بالرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية نزلوا فى الطريق بدير ليقيلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه:

أترجو أمةٌ قتلتْ حُسَيْناً ... شفاعةَ جَدِّه يومَ الحسابِ

وفى الخطط للمقريزى ما نصه: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها؛ وعن عطاء فى قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ [1]. قال بكاؤها حمرة أطرافها؛ وعن الزهرى: بلغنى أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط، ويقال: إن الدنيا أظلمت يوم قتلوا ثلاثاً، وأصابوا إبلا فى عسكر الحسين يوم قتل، فنحروها، وطبخوها فصارت مثل العلقم وما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً. وروى: أن السماء أمطرت دماً فأصبح كل شىء لهم مملوءاً دماً انتهى. وعن الزهرى: أنه

---
(١) سورة الدخان آية ٢٩.

لم يبق أحد ممن قتـل الحسين إلا عوقب فى الدنيا قبل الآخرة إما بـالقتل، أو سواد الوجه، أو تغيير الخلقة أو زوال الملك فى مدة يسيـرة؛ وروى سبط ابن الجوزي أن شيخاً حضر قتله فقط فعمى، فسئـل عن سببه فقال: رأيت النبى ﷺ جاسراً عن ذراعـيه وبيده سيف وبيده نطع وعلـيه عشرة ممن قتل الحسـين مذبوحين، ثم لعنـنى وسبنى ثم أكلحـنى بمرود من دم الحسين، فأصبحت أعمى؛ وأخرج أيضاً: أن شخصاً علق رأس الحسين فى لبب فرسه فَرُئِىَ بعد أيام ووجهه أشد سواداً من القار، ومات عـلى أقبح حالة؛ ويقال: إن رجلا أنكر ذلك فوثبت الـنار على جسده فحـرقته. (وكان) اليوم الـذى قتل فيه الحسين رضـى الله عنه يوم الجمعة عـاشر محرم سنة إحـدى وستين من الهجـرة، وكان عمره إذ ذاك خمسـاً وخمسين سنة، وقـيل: غير ذلـك ووجد به ثلاث وثـلاثون ضربة؛ قـال ابن الصبـاغ: ودفن بأرض كربلاء بالـعراق ومشهده رضى الله عـنه بها معروف يـزار من جميع الآفاق: وكـانت عدة القتـلى التى حـملت رءوسهـا إلى عبيـد الله بن زياد صحـبة رأس الحسين رضـى الله عنه سبعين. انـتهى. ودفن أهل العـامرية ـ وهم: قوم من بـنى عامر من بنـى أسد ـ الحسين، وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين بعد قتلهم بيوم.

●●●●●

فصل

اختلفوا فى رأس الحسين رضى الله عنه

بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار؟ وفى أى موضع استقر؟؛ فذهب طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به فى البلاد، فطيف به حتى انتهى به إلى عسقلان، فدفنه أميرها بها فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل، ومشى إلى لقائه من عدة مراحل، ووضعه فى كيس حرير أخضر على كرسى من الأبنوس، وفرش تحته المسك والطيب، وبنى عليه المشهد الحسينى المعروف بالقاهرة قريباً من خان الخليلى، وقيل: دفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن، وهو قول ابن بكار والعلامة الهمدانى وغيرهما؛ وذهب الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة، ودفن بكربلاء بعد أربعين يوماً من القتل، واعتمد القرطبى: الثانى، والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى؛ قال المناوى فى طبقاته: ذكر لى بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له اطلاع على أنه دفن مع الجثة بكربلاء، ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهرى لأن حكم الحال بالبرزخ حكم الإنسان الذى تدلى فى تيار جار فيطف بعد ذلك فى مكان آخر، فلما كان الرأس منفصلا طف فى هذا المحل بالمشهد الحسينى المصرى، وذكر أنه خاطبه منه. اهـ. قال الشيخ على الأجهورى فى رسالة فضائل يوم عاشوراء. «ذهب جمع من أهل التاريخ إلى دفن الرأس بالمشهد المصرى المعروف، وكذا جمع من أهل الكشف. قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب «طبقات الأولياء» عند ذكره الحسين دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع ابن رزيك بثلاثين ألف دينار، ونقلها إلى مصر، وبنى عليها المشهد الحسينى، وخرج هو وعسكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف، ثم وضعها طلائع فى كيس من حرير أخضر على كرسى أبنوس، وفرشوا تحتها المسك، والعنبر، والطيب قدر وزنها مراراً» انتهى.

وفى« المنن» للشعرانى ما نصه: أخبرنى يعنى الخواص أن رأس الإمام الحسين رضى الله عنه حقيقة فى المشهد الحسينى قريباً من خان الخليلى، وأن طلائع بن رزيك نائب مصر، وضعها فى القبر المعروف بالمشهد فى كيس حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس، وفرش تحتها المسك، والطيب، وأنه مشى معها هو وعسكره حفاة من ناحية قطية إلى مصر لما جاءت من بلاد العجم فى قصة طويلة؛ وفى «المنن» أيضاً فى موضع آخر قال: زرت مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الجلبى الحنفى، وكان عنده توقف فى أن رأس الإمام الحسين فى ذلك المكان، فثقلت رأسه فنام فرأى شخصاً كهيئة النقيب طلع من

عند الرأس، وذهب إلى رسول الله ﷺ، وما زال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية فقال: يا رسول الله أحمد بن الحلبى وعبد الوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين، فقال رسول الله ﷺ: اللهم تقبل منهما واغفر لهما، ومن ذلك اليوم ما ترك الشيخ شهاب الدين زيارة الرأس إلى أن مات، وكان يقول: آمنت بأن رأس الحسين هنا انتهى. وهذا مما يشهد للقول الأول، ويعضده أيضاً ما ذكره الشيخ عبد الفتاح بن أبى بكر بن أحمد الشهير بالرسام الشافعى الخلوتى فى رسالته «نور العين» بقوله: ومن ذلك ما لأهل الكشف والاطلاع فى مقرها ما ذكره خاتمة الحفاظ، والمحدثين شيخ الإسلام والمسلمين: نجم الدين الغيطى رضى الله عنه نقلا عن شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين اللقانى شيخ السادة المالكية فى عصره رحمه الله تعالى: أنه كان يوماً جالساً بالجامع الأزهر مع القطب الكبير الشيخ أبى المواهب التونسى يتحدث معه وإذا بالشيخ أبى المواهب قام مستعجلا، وذهب إلى نحو باب المدرسة الجوهرية التى بالجامع، وخرج منها فتبعه الشيخ شمس الدين المذكور، وهو لا يشعر به إلى أن وصل إلى المشهد المبارك، وهو خلفه فلما دخل المسجد، وجد إنساناً واقفاً على باب الضريح الشريف، ويداه مبسوطتان، وهو يدعو فلما فرغ الرجل من الدعاء، ومسح على وجهه بيده. رجع الشيخ اللقانى إلى الجامع الأزهر، وإذا بالشيخ أبى المواهب التونسى رجع. فقال له الشيخ اللقانى: يا مولانا رأيتك ذهبت مستعجلاً من باب الجوهرية، وها أنت رجعت. فقال: كنت فى مصلحة وكتم عنه القضية، فقال له: ذهبت إلى المسجد الحسينى قال: نعم. فما الذى أعلمك بذلك؟. قال: كنت معك فيه. قال: فما رأيت؟. قال رأيت إنساناً واقفاً على باب الضريح يدعو، ووقفت أنت خلفه، ووقفت أنا خلفكما أدعو أيضاً. فقال: أبشر يا شمس الدين فإن جميع ما دعوت به استجيب لك فى ذلك الوقت. قلت: يا سيدى ومن هذا الرجل؟. قال القطب الغوث الجامع يأتى كل يوم، أو قال: كل يوم الثلاثاء؟ فيزور هذا المشهد فلما وقع عندى مجيئه فى ذلك الوقت قمت إليه، وحضرت معه الزيارة وقبلت يده فالزم ذلك يحصل لك خير، فما زال الشيخ اللقانى يزور ذلك المكان إلى أن مات رحمه الله تعالى (ومن) ذلك ما نقل عن الشيخ الجليل أبى حسن التمار رضى الله عنه: أنه كان يأتى إلى هذا المكان للزيارة، ثم إذا دخل إلى الضريح يقول: السلام عليكم؛ فيسمع الجواب وعليك السلام يا أبا الحسن فجاء يوماً من الأيام فسلم فلم يسمع الجواب برد السلام فزار ورجع ثم جاء مرة أخرى وسلم فسمع الجواب يرد السلام، فقال: يا سيدى جئت بالأمس وسلمت فما سمعت جواباً، فقال: يا أبا حسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدى ﷺ فلم أسمع كلامك وهذه كرامة جليلة لأبى الحسن التمار رضى الله عنه (ومن) ذلك أيضاً ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمرى الشافعى أنه كان يتردد إلى الزيارة غالباً فجلس يوماً يقرأ الفاتحة ودعا فلما وصل فى الدعاء إلى قوله: واجعل ثواباً مثل ذلك فأراد أن يقول: فى صحائف

سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس، فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين رضى الله عنه، فقال: فى صحائف هذا، وأشار بيده إليه، فلما أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ: صدقت وأنا وقع لى مثل ذلك ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتى رضى الله عنه، فأخبره بذلك، فقال له الشيخ كريم الدين: صدقت وأنا ما زرت هذا المكان إلا بإذن من النبى ﷺ. انتهى هذا ما ثبت عن أرباب الكشف. وفى كتاب «الخطط» للمقريزى بعد كلام على مشهد الحسين رضى الله عنه ما نصه: وكان حمل الرأس الشريف إلى القاهرة من عسقلان ووصوله إليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم، وإليها، والقاضى المؤتمن مسكين وحصل فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكورة ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف، وله ريح كريح المسك فقدم به الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة، وأنزل به إلى الكافور ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة، وقال ابن الظاهر: مشهد الإمام الحسين قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج، وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به، ويفوز بهذا الفخار، فغلبه أهل القصر على ذلك، وقالوا: لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له، ونقلوا إليه الرخام وذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة اهـ.

(كرامتان): الأولى: اتهم شخص من أتباع السلطان الملك الناصر بأنه يعرف الدفائن، والأموال التى بالقصر، فأمر بتعذيبه، وأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس، وشد عليها قرمزية يقال: إن هذه العقوبة أشد العقوبات وأن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه وتقتله ففعل به ذلك مراراً، وهو لا يتأوه، وتوجد الخنافس ميتة فسألوه: ما سبب هذا؟. فقال: حملت رأس الحسين لما جاء فعفا عنه. ا هـ خطط. الثانية: روى ابن خالوية عن الأعمش عن منهال الأسدى قال: والله لقد رأيت رأس الحسين رضى الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ: سورة الكهف حتى بلغ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [1]. فنطق الرأس، وقال: قتلى أعجب من ذلك.

(غريبة) روى سليمان الأعمش رضى الله عنه قال: خرجنا ذات سنة حجاجاً لبيت الله الحرام: وزيارة قبر النبى عليه السلام فبينا أنا أطوف بالبيت إذ رجل متعلق بأستار الكعبة

(١) سورة الكهف الآية: ٩.

وهو يقول: اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل؟؛ فلما فرغت من طوافى قلت: سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل، فتنحيت عنه، ثم مررت به مرة ثانية وهو يقول: اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل؟؛ فلما فرغت من طوافى قصدت نحوه فقلت: يا هذا إنك فى موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألت منه عزّ وجلّ المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل، فإنه منعم كريم. فقال: يا عبد الله من أنت؟ فقلت: أنا سليمان الأعمش. فقال: يا سليمان إياك طلبت، وقد كنت أتمنى مثلك، فأخذ بيدى، وأخرجنى من داخل الكعبة إلى خارجها. فقال لى: يا سليمان ذنبى عظيم. فقلت: يا هذا أذنبك أعظم أم الجبل أم السموات أم الأرضون أم العرش؟ فقال لى: يا سليمان ذنبى أعظم مهلا على حتى أخبرك بعجب رأيته؛ فقلت له: تكلم رحمك الله فقال لى: يا سليمان أنا من السبعين رجلا الذين أتوا برأس الحسين بن على رضى الله عنهما إلى يزيد بن معاوية، فأمر بالرأس فنصب خارج المدينة، وأمر بإنزاله، ووضع فى طست من ذهب، ووضع ببيت منامه. قال: فلما كان فى جوف الليل انتبهت امرأة يزيد بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء، ففزعت فزعاً شديداً، وانتبه يزيد من منامه، فقالت له: يا هذا قم فإنى أرى عجباً فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها: اسكنى فإنى أرى كما ترين. قال: فلما أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط هو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلا فخرجنا إليه نحرسه، وأمر لنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله، ورقدنا فاسيقظت، ونظرت نحو السماء، وإذا بسحابة عظيمة ولها دوى كدوى الجبال، وخفقان أجنحة فأقبلت حتى لصقت بالأرض، ونزل منها رجل، وعليه حلتان من حلل الجنة وبيده درانك وكراسى، فبسط الدرانك، وألقى عليها الكراسى، وقام على قدميه، ونادى: انزل يا أبا البشر انزل يا آدم ﷺ، فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيبا فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا بقية الصالحين عشْت سعيداً، وقُتلْتَ طريداً، ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا رحمك الله، ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار، ثم زال وقعد على كرسى من تلك الكراسى. قال: يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً، وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتى لصقت بالأرض، فسمعت مناديا يقول: انزل يا نبى الله انزل يا نوح وإذا برجل أتم الرجال خلقاً وإذا بوجهه صفرة، وعليه حلتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس؛ فقال: السلام عليك يا عبد الله السلام عليك يا بقية الصالحين قُتلْتَ طريداً وعشت سعيداً، ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار، ثم زال فقعد على كرسى من الكراسى. قال: يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيراً، وإذا بسحابة أعظم منها، فأقبلت حتى لصقت بالأرض، فقام الأذان، وسمعت منادياً ينادى: انزل يا خليل الله انزل يا إبراهيم صلى الله عليك

وسلم، وإذا برجـل ليس بالطويل الـعالى ولا بالقصير المـتدانى أبيض الوجه أمـلح الرجال شيباً فاقبـل حتى وقف على الرأس؛ فقال: السـلام عليك يا عبد الله السلام علـيك يا بقية الصالحين قُتلتَ طريداً، وعشت سعيداً، ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك الويـل لقاتلك غداً من النار، ثم تنحى على كـرسى من الكراسى، ثم لم ألبث إلا يسيراً، فإذا بسـحابة عظيمة فيها دوى كدوى الرعد، وخفقان أجـنحة فنزلت حتى لصقـت بالأرض وقام الأذان، فسـمعت قائلا يـقول: انزل يا نـبى الله انزل يا مـوسى بن عمران. قال: فإذا برجل أشد الـناس فى خلقه، وأتمهم فى هيبته، وعلـيه حلتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقـف على الرأس؛ فقال: مثلما تقدم ثم تنحى فـجلس على كرسى من تلك الكراسى، ثم لم ألبث إلا يسيراً، وإذا بسحابة أخرى: وإذا فيها دوى عظيم، وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلا يقول: انزل يا عيسى انزل يا روح الله، فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة، وعليه حلتان من حلل الجنة، فأقبل حتي وقف على الرأس؛ فـقال: مثل مقالة آدم ومن بعـده، ثم تنحى، فجلس عـلى كرسى من تلك الـكراسى، ثم لم ألـبث إلا يسراً، وإذا بسـحابة عظيـمة، فيها دوى كـدوى الرعد، والرياح ، وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان، وسمعت منادياً ينادى: انزل يا محمد انزل يا أحمد صلى الله عليك وسلم، وإذا بالنبى ﷺ وعليه حلتان من حلل الجنة وعن يمينه صف مـن الملائكة، والحسن وفاطمة رضى الله عنهما، فـأقبل حتى دنا من الرأس فـضمه إلى صـدره ،وبكى بـكاء شديداً، ثـم دفعه إلى أمـه فاطمـة، فضمتـه إلى صدرها، وبكـت بكاء شديداً حتى عـلا بكاؤها، وبكى لـها من سمعها فـى ذلك المكان، فاقبل آدم عليـه السلام حتى دنا من النبى ﷺ فـقال السلام على الولد الطيـب السلام على الخلق الطيب أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك فى ابنك الحسين، ثم قام نوح عليه السلام، فقال: مثل قول آدم، ثم قام إبـراهيم عليه السلام، فقال كقولهمـا، ثم قام موسى وعيسى عليهما السلام، فقالا كقولهم كلهـم يعزونه ﷺ فى ابنه الحسين: ثم قال النبى ﷺ: يا أبي آدم، ويا أبى نوح، ويـا أخى إبراهيم، ويا أخى مـوسى، ويا أخى عيسى اشـهدوا، وكفى بالله شهيداً على أمتى بما كافئونى فى ابنـى، وولدى من بعدى، فدنا منه ملك من الملائكة، فقال: قطعـت قلوبنا يا أبا القـاسم أنا الملك الموكل بسمـاء الدنيا أمرنى الله بالطاعة لك، فلو أذنـت لى أنزلتها علـى أمتك، فلا يبقى مـنهم أحد، ثم قام ملـك آخر، فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بالبحار، وأمرنى الله بالطاعة لك: فإن أذنت لى أرسلتها عليهم فلا يبقي منهم أحد. فـقال النبى ﷺ: يا ملائكة ربى كفوا عن أمتى فإن لى ولهم موعداً لن أخلفه، فقام إليه آدم عليه السلام، فقال: جزاك الله خيراً من نبى أحسن ما جوزى به نبى عن أمته. فقال الحسن: يا جداه هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخى، وهم الذين أتوا برأسه. فـقال النبى ﷺ: يا ملائكة ربى اقـتلوهم بقتلة ابنى فـو الله ما لبثت إلا

يسيراً حتى رأيت أصحابـه قد ذبحوا أجمعين: قال: فلصق بى ملك ليذبـحنى، فناديته: يا أبا القـاسم أجرنى وارحمـنى يرحمك الله. فـقال: كفوا عـنه ودنا منى، وقـال: أنت من السبعين رجـلا قلت: نعم فألقى يده فى مـنكبى وسحبنى على وجـهى وقال: لا رحمك الله، ولا غفر لك أحرق الله عظـامك بالنار فلذلك أيست من رحـمة الله. فقال الأعمش: إليك عنى فإنى أخاف أن أعاقب من أجلك. اهـ. من «شرح الشفاء» للعلامة التلمسانى من الفصل الرابع والعشرين فيما أطلع الله نبيه ﷺ من الغيوب من ترجمة الحسين.

(نادرتان): الأولى: أن عبيد الله بن زياد لما ظفر بالحسين رضى الله عنه، وأهله صعد المنبر فقال: الحمد لله الذى أظهر الحق ونصر يـزيد بن معاوية وحزبه على الكذاب حسين، فوثب عبد الله بن عفيف رضى الله عنه ـ وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل مع على رضى الله عنه، وذهبت عينه الأخرى يوم صفين، وكان يلازم المسجد يصلى فيه إلى الليل ـ فقال: يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنـت وأبوك والذى وَلَّاكَ تقتلون أبناء الأنبياء، وتتكلمـون بكلام الصديقين، فأومأ إلـيه ابن زياد، وقال: يا عدو الله ما تقـول فى عثمان؟ فقال: عـدو الله أنت، ذلك الرجـل أحسن، وأساء، وأصـلح، وأفسد. والله وَلِيُّ خـلقه يَقْضِى فى عثمان وغيره بالحق، والعدل، ولكن إن شـئت سلنى عنك وعن أبيك وعن يزيد وعن أبيه؛ فقال: لا أسألك حتى أذيقك المـوت. فقال: دعوت الله تعالى أن يرزقنى شهادة قبل أن تلدك أمك على يـد أعدى خلق الله تعالى وأبغضهم له، فلمـا ذهب بصرى يئست منها، فالحمد لله الذى رزقنيها على يأسى، وعرفنى الإجابة لى منه على قديم دعائى فنزل، وقتله وصلبه بالسـبخة فى الكوفة. انتهى من مختصر التواريـخ. الثانية: قضى الله أن قتل عبيد الله بن زياد هو وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين جهز إليه المختار بن عبيد جيشا فقتله إبراهيم بن الأشتر فى الحرب وبعث برأسه إلى المختار، وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبيـر إلى على بن الحسين (روى) الترمذى أنه لما جاء برأسـه ونصب فى المسجد مع رءوس أصحابه جاءت حية، فتخللت الرءوس حتـى دخلت فى منخره، فمكثت هنيهة ثم خرجت فعلت ذلـك مرتين أو ثلاثاً، وكان نصبها فى محـل رأس الحسين، ذكره الشيخ عبد الرحمن الأجهـورى فى كتابه «مشارق الأنوار» ومثله فى «أسـد الغابة» وزاد ابن الأثير هذا حديث حسن صحيح أخرجه الثلاثة.

(عجيبة) قال عبد المـلك بن عمير رأيت فـى هذا القصر عجـبًا رأيت رأس الحسين على ترس بين يدى عبيد الله بن زياد، ثـم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يـدى مصعب بن الزبير، ثـم رأيت رأس مصعب بين يدى عبـد الملك بن

مروان، وكان بين يدى عبد الملك فلما سمع ذلـك أمر بهدم القصر كذا فى «الكنز المدفون» (وأخرج) الحاكم فى المستدرك وصححه، وقال الذهبـى فى التلخيص على شرط مسلم عن ابن عباس قال: «أوحـى الله إلى محمد ﷺ إنى قتلت بـيحيى بن زكريا سبـعين ألفاً، وإنى قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفا».

قال الحافظ بـن حجر: ورد من طريق واه عن عـلى عن المصطفى ﷺ أنـه قال: قاتل الحسـين فى تابـوت من نار عـليه نـصف عذاب أهـل الدنيـا، قال الجلال الـسيوطـى فى «المحاضـرات والمحاورات»: حـصل بالـكوفة جـدرى فى بـعض السـنين عمـى فيـه ألف وخمسمائة من ذرية من حضروا قتل الحسين رضى الله عنه.

(تتمـة فى ذكر أولاده وشىء مـن كلامه رضى الله عـنه) قال صاحـب الإرشاد: أولاد الحسين بن على ستة عـلى بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد ولقـبه زين العابدين، وأمه: شاه زنان بنت كسرى أنوشروان ملك الفرس، وعلى بن الحسين الأكبر قتل مع أبيه بالطف، وأمه: ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الشـقفى، وجعفر بن الحسين، وأمه: قضاعة مات فى حيـاة أبيه، ولا نسـل له، وعبد الله بـن الحسين قتـل مع أبيه صـغيراً جاءه سـهم وهو بكربلاء فقتله، وسكينة بنت الحسين أمهـا: الرباب بنت امرىء القيس بن عدن الكلبية وهى أيضاً أم عبد الله بن الحسين، وفاطمة أمها: أم إسحق بـنت طلحة بن عبد الله تيمية انتهى. والذى أعقب منهم على زين العابدين. (وفى بغية الطالب لمعرفة أولاد على ابن أبى طالب) للشيـخ جمال الدين الطاهـر بن حسين بن عبد الرحـمن الأهدل ما نصه: «وكان لـه يعنى للحسين رضى الله عنه من الولد ست بنين، وثلاث بنات، وهم: على الأكبر، وأمه: ليلى بنـت مرة بن عروة بـن مسعود الـثقفى وعـلى الأوسط، وعبـد الله، وعلى الأصغـر زين العابديـن ومنهم من يزعم أنه الأكـبر ومحمد، وجعفـر، وزينب، وسكينة وفاطـمة؛ فأما محمد وجـعفر فماتا فـى حياة أبيهما، وأمـا على الأكبر وعبد الله فـاستشهدا مع أبـيهما بالطف، وعلى الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات انتهى. وزاد بعضهم عمرو المعقب من ولد الحسين. زين الـعابدين رضى الله عنـه باتفاق فلم يـكن على وجه الأرض حسـينى إلا من نسله» **(ومن كـلامه رضى الله عـنه)**: صاحب الحـاجة لم يكرم وجـهه عن سؤالـك فأكرم وجهك عن رده، وقال رضى الله عنه: الحلم زينة والوفـاء مروءة والصلة نعمة، والاستكثار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة.

(لطيفة) قيل: كان بين الحسين وبين أخيه الحسن كلام ووقفة. فقيل له: اذهب إلى أخيك الحـسن، واسترضه، وطيـب خاطره فإنه أكـبر منك سمعـت جدى رسول الله ﷺ يقول: «أيما اثـنين بينهما كـلام فطلب أحدهما رضا الآخـر كان السابق سابقـه إلى الجنة».

وأكره أن أسبق أخى الأكبر إلى الجنة، فبلغ قول الحسن رضى الله عنه، فأتاه، وترضاه (وقال) رضى الله عنه فى خطبة خطبها: «أيها الناس نافسوا فى المكارم، وسارعوا فى المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه واكتسبوا الحمد بالمنح، ولا تكسبوه بالمطل فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة ورأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته بمكان وذلك أجزل عطاء وأعظم أجراً. واعلموا أن المعروف يكتسب حمداً ويعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رجلا رأيتموه منظراً قبيحاً تنفر منه القلوب، وتغض منه الأبصار؛ أيها الناس من جاد ساد ومن بخل ذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعف الناس من عفا عن قدرة، وإن أوصل الناس من وصل من قطعه، ومن أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته وصرف عنه من البلاء أكثر من ذلك، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين». (ومن كلامه المنظوم رضى الله عنه) ما نقله ابن غنم صاحب «كتاب الفتوح» وهو أنه رضى الله عنه لما أحاطت به جموع ابن زياد، وقتلوا من قتلوا من أصحابه ومنعوهم الماء، وأصاب ولده الصغير سهم فقتله فزمله وحفر له بسيفه، وصلى عليه، ودفنه قال رضى الله عنه:

ومن كلامه رضى الله عنه:

غَدَرَ القومُ وقد رَغِبُوا ... عن ثواب الله ربِّ الثقلين
قتلوا قدمًا عليًا وابنَه ... حسنَ الخير كريمَ الأبوين
حسداً منهم وقالوا: أَقْبِلُوا ... نقتلِ الآن جميعاً للحسين
خيرةُ الله من الخلق أبى ... ثم أمى فأنا ابن الخيرتين
فضةٌ قد صُفِّيَتْ من ذهب ... فأنا الفضةُ وابن الذهبين
من له جَدٌّ كجدى فى الورى ... وكشيخى فأنا ابن القمرين
فاطمُ الزهراءُ أمى وأبى ... قاصمُ الكفر ببدرٍ وحنينِ

وقال رضى الله عنه:

فإن تكُنِ الدنيا تُعَدُّ نفيسةً ... فإن ثوابَ الله أعلى وأنبلُ
وإن يكُ لابدَّ من الموت للفتى ... فقتلُ امرئ فى الله بالسيف أجملُ
وإن تكنِ الأرزاقُ قسماً مقدراً ... فقلةُ حرص المرء فى الكسب يجملُ
وإن تكنِ الأموالُ للترك جميعها ... فما بال متروك به المرء يبخلُ

وقال رضى الله عنه من قصيدة طويلة هذا أولها:

إذا ما عَضّكَ الدهرُ … فلا تجنحْ إلى الخلقِ
ولا تسألْ سوى الله … المغيث العالم الحق
فلو عشتَ وقد طفتَ … من الغرب إلى الشرق
لما صادفتَ مَنْ يقدرُ … أنْ يُسْعِدَ أو يشقى

ومن كلامه رضى الله عنه:

إذا استنصر المرء امرءًا لأذيّة … فناصرُه والخاذلون سواءُ
أنا ابن الذى قد تعلمون مكانَهُ … وليس على الحق المبين طحاءُ[1]
أليس رسولُ الله جَدّى ووَالِدَىّ … أنا البدرُ إن حَلّ النجومُ خفاءُ
ألم ينزل القرآنُ خلفَ بيوتنا … صباحاً ومن بعد الصباح مساءُ
ينازعِنى واللهُ بينِى وبَيْنَه … يزيدُ وليس الأمر حيث يشاءُ
فيا نصحاءَ اللهِ أنتُمُ ولاتُه … وأنتم على أديانه أمناءُ
بأى كتابِ أم بأيةِ سنةِ … تناولها عن أهلها البعداءُ

ذَهَبَ الذين أُحبُّهم … وبقيتُ فِيمَنْ لا أُحبُّه
فيمَنْ أراهُ يَسُبُّنى … ظهرَ المغيبِ ولا أَسُبُّه
أفلا يرى أنّ فِعلَه … مما يسيرُ إليه غَبَّه[2]
حسبى بربى كافيا … مما اجْتَنَى والبغىُ حَسْبُه

انتهى من (الفصول المهمة).



(١) طحاء: بَعُدَ وهلك.
(٢) غَبًا، وغباوة الشيء: لم يفطن إليه أو جهله، الشيء عليه: خَفِى عليه ولم يعرفه.

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا على بن الحسين رضى الله عنهما الملقب بزين العابدين

قال الإمام مالك رضى الله عنه: سمى زين العابدين؛ لكثرة عبادته، وهو الإمام الرابع على مذهب الإمامية **(ولد)** زين العابدين رضى الله عنه بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين فى أيام جده على بن أبى طالب قبل وفاته بسنتين **(وكنيته)** المشهورة: أبو الحسن، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو بكر. **(وألقابه كثيرة)** أشهرها: زين العابدين، وسيد العابدين، والزكى، والأمين، وذو النفقات. **(وصفته)**: أصفر قصير نحيف **(شاعره)**: الفرزدق، وكثير عزة. **(بوابه)**: أبو جبلة. **(نقش خاتمه)**: وما توفيقى إلا بالله. **(ومعاصره)**: مروان، وعبد الملك، والوليد ابنه. **(وأمه)**: سلافة ولقبها: شاه زنان بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء وفتح الزاى والنون الثانية بعد الألف كلمة فارسية معناها: ملكة النساء، وهى بنت يزدجرد بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وكسر الجيم ودال مهملة بعد الراء الساكنة، ولد أنوشروان العادل ملك الفرس، ذكر الزمخشرى فى «ربيع الأبرار» أنه لما أتى بسبى فارس فى خلافة سيدنا عمر كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد. فباعوا السبايا، وأمر عمر رضى الله عنه: ببيع بنات يزدجرد فقال له على رضى الله عنه، إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن قال: كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال: تقومهن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن. فقومهن، فأخذهن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فدفع واحدة لولده الحسين فولدت له عليا زين العابدين، وواحدة لعبد الله بن عمر فولدت له سالماً، وواحدة لمحمد بن أبى بكر الصديق فولدت له القاسم، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة انتهى، وكان على زين العابدين مع أبيه بكربلاء مريضاً نائماً على الفراش فلم يقتل قاله ابن عمر رضى الله عنهما هذا هو الصحيح، وليس قول من قال: إنه كان صغيرا حينئذ فلم يقتل بشىء روى الحديث عن أبيه، وعمه الحسن وجابر ،وابن عباس، والمسور بن مخرمة، وأبى هريرة، وصفية، وعائشة، وأم سلمة أمهات المؤمنين قال الزهرى وابن عينية: ما رأينا قرشيًا أفضل منه، وقال الزهرى: ما رأيت أفقه منه ،وقال ابن المسيب: ما رأيت أروع منه. **(ومناقبه)** رضى الله عنه كثيرة، فعن سفيان قال: جاء رجل إلى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال له: إن فلانًا قد وقع فيك بحضورى، فقال له: انطلق بنا إليه، فانطلق معه، وهو يرى أن سينتصر لنفسه منه فلما أتاه. قال له: يا هذا إن كان ما قلته فىَّ حقًا فأنا أسأل الله أن يغفر لى، وإن كان ما قلتَ فىَّ باطلا فالله تعالى يغفره لك،

ثم ولى عنه. وعن أبى حمزة قال: كان عليّ بن الحسين رضى الله عنه يصلى فى اليوم، والليلة ألف ركعة. وكان رضى الله عنه إذا توضأ للصلاة يصفرّ لونه. فقيل له: ما هذا الذى نراه يعتريك عند الوضوء؟. فيقول: أما تدرون من أريد أن أقف بين يديه؟. وعن طاوس. قال: دخلت الحجر فى الليل، فإذا على بن الحسين قد دخل، فقام يصلى ما شاء الله، ثم سجد فأطالها، فقلت: رجل صالح من بيت النبوة لأصغينّ إليه فسمعته يقول: «عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك». قال طاووس: فو الله ما طلبت ،ودعوت بهن فى كرب إلا فرج الله عنى.

(فائدة استطرادية) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان إذا أهمه أمر يرفع يديه إلى السماء ثم يقول: (يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التى تزيل بها النعم، وأعوذ بك من الذنوب التى بها تحل النقم، وأعوذ بك من الذنوب التى بها تثير الأعداء، وأعوذ بك من الذنوب التى بها تحبس غيث السماء). وهو دعاء مجرب عند الكرب انتهى. من(قرة العين فى مقتل الحسين). (قال) ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت على بن الحسين. (وقال) محمد بن إسحق: كان أناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم. (وكان) يحمل جراب الخبز على ظهره فى الليل يتصدق به، فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد فى ظهره. فقيل: ما هذا؟. فقال: كان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. ولما مات رضى الله عنه وجدوه كان يقوت أهل بيته ماء. قال سفيان: أراد على بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينة ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرة، فلما نزل فرقها على المساكين. وكان رضى الله عنه إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه. قال المناوى: دخل على علىّ زين العابدين رضى الله عنه فى مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكى، فقال له: ما يبكيك؟. فقال له: على دين خمسة عشر ألف دينار، فقال: هى على، ووفاها رضى الله عنه. (يروى): أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يعودونه، فقالوا: كيف أصبحت يا ابن رسول الله ﷺ فدتك أنفسنا ؟. قال: فى عافية والله المحمود على ذلك، فكيف أصبحتم أنتم جميعًا؟. قالوا: أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله ﷺ محبين وادّين. فقال لهم: من أحبنا لله أسكنه الله فى ظلّ ظليل يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة، ومن أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب.

(لطيفة) وفد على عليٍّ بن الحسين نفر من أهل العراق، فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان فلما فرغوا من كلامهم. قال لهم: ألا تخبرونى من أنتم؟. أنتم المهاجرون الأولون الذين خرجوا من ديارهم، وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانًا ،وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا. قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

﴿هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] قالوا: لا فقال: أمَّا أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾[2] اخرجوا عنى فعل الله بكم وصنع اهـ من الفصول المهمة.

(كرامتان): الأولى: عن عبد الله الزاهد قال: لما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف أما بعد: فانظر فى دماء بنى عبد الطلب، فاجتنبها فإنى رأيت آل أبى سفيان لما أولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلا، والسلام». وأرسل بالكتاب بعد أن ختمه سرًا إلى الحجاج وقال له: اكتم ذلك. فكوشف بذلك على بن الحسين، وأن الله قد شكر ذلك لعبد الملك. فكتب على بن الحسن من فوره: «بسم الله الرحمن الرحيم من على ابن الحسن إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أما بعد: فإنك كتبت فى يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج فى حقنا بنى عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك». وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبد الملك بن مروان، وذلك من المدينة المشرفة إلى الشام، فلما وقف عبد الملك على الكتاب، وتأمله وجد تاريخه موافقًا لتاريخ كتابه الذى كتبه إلى الحجاج ووجد مخرج غلام على بن الحسين موافقًا لمخرج رسوله إلى الحجاج، فى يوم واحد وساعة واحدة، فعلم صدقه، وصلاحه وأنه كوشف بذلك، فأرسل إليه مع غلامه بوفر راحلته دراهم وثيابًا وكسوة فاخرة وسيره إليه من يومه وسأله ألا يخليه من صالح دعائه. كذا فى الفصول.

(الثانية) استشاره زيد ابنه فى الخروج فنهاه وقال: أخشى أن تكون المقتول المصلوب، أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفيانى إلا قتل فكان كما قال.

(نادرة) قال فى« درر الأصداف»: إنه رأى عليًا زين العابدين خرج يومًا من المسجد فلقيه رجل، فسبه، وبالغ فى سبه، وأفرط فعاد إليه العبيد والموالى فكفهم عنه، وأقبل عليه وقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل. فألقى إليه خميصة، وألقى إليه خمسة آلاف درهم، فقال: أشهد أنك من أولاد المصطفى ﷺ. ولقيه رجل فسبه، فقال له: يا هذا بينى وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالى بما قلت، وإن لم أجزها، فأنا أكثر مما تقول. (ونقل غير واحد) أن هشام بن عبد الملك حج فى حياة أبيه فطاف بالبيت وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام فنصب له منبرًا إلى جانب زمزم فى الحطيم، وجلس عليه ينظر إليه الناس وحوله جماعة من أهل الشام؛ فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما يريد الطواف، فلما

(١) سورة الحشر: آية ٩.
(٢) سورة الحشر: آية: ١٠.

انتهى إلى الحجر الأسود تنحّى الناس له حتى استلم الحجر الأسود، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يمينًا وشمالا؟؛ فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرًا، فقال للشامى: أنا أعرفه. فقال: من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذى تَعرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... والبَيْتُ يَعْرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كُلِّهِمُ ... هذا التقىُّ النّقىُّ الطاهرُ العَلَمُ
إذا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قال قَائِلُهَا: ... إلى مكَارِمِ هذا يَنْتَهِى الكَرَمُ
يُنمَى إلى ذِرْوَةِ العزّ التى قَصُرتْ ... عن نيلها عربُ الإسلامِ والعجمُ
يكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحتِه ... رُكْنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى مِنْ مهابتِه ... فلا يُكَلَّمُ إلا حينَ يَبْتَسِمُ
مَنْ جَدُّه دانَ فَضْلُ الأنبياء له ... وفَضْلُ أُمّتِه دانَتْ له الأُمَمُ
ينشقُ نورُ الهدى من نورِ غُرّتِه ... كالشمسِ يَنْجابُ عن إشراقِها الظُّلَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ الله نَبْعَتُهُ ... طابَتْ عَنَاصِرُه والخِيمُ والشِّيَمُ
هذا ابنُ فاطمةَ إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أَنبِياءُ الله قد خُتِمُوا
اللهُ فَضّلَه قِدَمًا وشَرّفَه ... جرى بذاك له فى لوحه القلمُ
وليس قَوْلُك مَنْ هذا؟ بضائرِه ... العُرْبُ تَعرِفُ مَن أنكَرْتَ والعَجَمُ
كِلْتا يَدَيْه غِيَاثٌ عمّ نَفْعُهُمَا ... يُسْتَوكَفانِ ولا يَعْرُوهُمَا العَدَمُ(١)
سَهْلُ الخَلِيقَةِ لا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ اثنانِ: حُسْنُ الخلقِ والكرمُ(٢)
حَمّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا فُدِحُوا(٣) ... حُلْوُ الشمائلِ تحلُو عندَه نَعَمُ
ما قال: لا قَطُّ إلا فى تَشَهّدِه ... لولا التّشَهّدُ كانَتْ لاؤُهُ نَعَمُ
لا يخلفُ الوعدَ ميمونٌ نقيبتُه ... رحبُ الفناءِ أريبُ حين يعترمُ
عمَّ البرّيّةَ بالإحسان فانفصلتْ ... عنها القتَارةُ(٤) والإملاقُ والعدمُ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهم دينٌ وبُغْضُهُمُو ... كُفْرٌ وقُرْبُهُمُو مَنْجًى ومُعْتَصَمُ
إن عُدّ أهلُ التّقَى كانوا أئمّتَهُم ... أوْ قيل: مَنْ خيرُ أهل الأرض؟ قيل: همُو
لا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بعد غايتِهم ... ولا يُدَانِيهِمُو قَوْمٌ وإنْ كَرُمُوا
هُمُ الغُيُوثُ إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ ... والأسْدُ أسدُ الشّرَى والبأسُ مُحتدمُ
لا يُنْقِصُ العسرُ بسطًا من أكُفِّهِم ... سِيانِ ذلك إن أثْرَوْا وإنْ عَدِمُوا

(١) العدم: الفقر. (٢) فى الديوان (الشيم): الأخلاق الحميدة.

(٣) فدحوا: أثقلوا بالمصائب والدواهى. وفى الديوان: افتدجوا.

(٤) فى الديوان: فانقشعت: عنها الغياهب: مكان: فانفصلت: عنها القتارة.

يُسْتَدْفَعُ السـوءَ والبلـوى بُحبّهمُ ... ويُسـتزادُ بـه الإحسـانُ والنِّعـمُ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ الله ذِكْرُهُمُ ... فى كـلِّ بَدْءٍ ومَختومٍ بـه الكَلِمُ
يَأْبى لهم أنْ يحلَّ الـذمُ ساحتَهم ... خيم كـريم وأيد بالنـدى عصمُ
أىُّ الخـلائـق لَيْسَتْ فـى رقَابِهمُ ... لأوليَّة هــــــذا أوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعْرِفِ اللهَ يَعْرِفْ أوّليَّةَ ذا ... والدينُ مِنْ بيـت هذا نالَه الأمَمُ

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب. ثم أخذ الفرزدق، وسجنه بعسفان، فبلغ ذلك على بن الحسين رضى الله عنه، فبعث إليـه بأربعة آلاف درهم فردّها الفرزدق، وكتب إليه إنما مدحتك بما أنت أهله فردّها عليه علـىٌّ رضى الله عنه، وكتب إليه أن خذها وتعاون بها على دهرك فإنا أهل بيت إذا وهبنا شيئًا لا نستعيـده فقبلها منه، وفى رواية فبعث إليه باثنى عشر ألف درهم، وفى رواية بعشرة آلاف درهم، وقال: اعـذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، وجعل الفرزدق يهـجو هشامًا وهو فى السجن فبعث وأخرجه.
ومن هجوه له كما ذكره الخطيب البغدادى وغيره من قصيدة طويلة:

أَيَحْبِسُنى بـين المـدينـة والـتـى ... إليها قلوبُ النـاس يهوى مُنيبُها
يقلـبُ رأسًا لم يكنْ رأسَ سـيد ... وعـينٌ لـه حولاء بَادٍ عـيـوبُهـا

قال الشيخ عبد الجواد الشربينى فى كتاب (در الأصداف فى مناقب الأشراف) كان علىٌّ ابن الحسين عـاملا على كتمـان أسرار الله تعالى فى العـالم، كما أشار إلى ذلـك فى قوله رضى الله عنه:

يارُبَّ جـوهرُ علـم لو أبـوحُ به ... لَقيلَ لى: أنت ممّنْ يعـبدُ الوثنا
ولاستَحَلّ رجـالٌ صالحـون دَمِى ... يـرونَ أقبـحَ ما يـأتونَه حـسنـا

انـتهـى

(تتمة فى الكلام على وفاته وأولاده وذكر شىء من كلامه رضى الله عنه)

توفى علــى زين العابدين رضــى الله عنه فى ثانى عــشر المحرم سنة أربع وتــسعين من الهجرة، وكان عمره إذ ذاك سبعا وخمسين سنــة، قال ابن الصباغ المالكى المكى: يقال: إنه مات مسمومًا، وأن الذى سمه الــوليد بن عبد الملك، ودفن بالبقيع فــى القبر الذى دفن فيه عمه الحسين بن على بن أبى طالب فى القبــة التى فيها العباس بن عبد المطلب ،**(وأولاده)**: رضى الله عنهم خمــسة عشر ولدًا ما بين ذكر وأنثى. أحد عــشر ذكرًا. وأربع إناث وهم: «محمد المكنى بأبى جعفر الملقب بالباقر، أمه: أم عبد الله، والحسن والحسين أمهم أم ولد، والحسين الأصغر، وعبد الرحمن، وسليمان أمهم: أم ولد ،وعلى وكان أصغر ولد على بن الحسين، وخــديجة أمهما أم ولــد ، وفاطمة، وعليــة، وأم كلثوم أمهن: أم ولــد، فهؤلاء أولاده رضى الله عنهم أجمعــين». انتهى من الفصول المهمة، لكــن سقط منهم واحد؛ لأن المعدود فى عبارته عشرة، وقد قال: من الذكــور أحد عشر ذكرًا. هذا، وفى(بغية الطالب) أنّ أولاد على زين العابــدين الذكور عشرة فقط والله أعلم. (ومــن كلامه رضى الله عنه): عجبت لمن يحتمى من الطعام لمضرته ولا يــحتمى من الذنب لمعرفته، وقال رضي الله عنه: أربع عزهــن ذل: البنت ولو مــريم ، والدَّيْنُ ولو درهم، والغربــة ولو ليلة، والــسؤال ولو كيف الطريق؟. وقال رضــى الله عنه: من قنع بما قسم الله له فهو مــن أغنى الناس. وكان يتصدق سرًا، ويقول: صدقة السر تطفئ غضب الرب.

(موعظة) قال أبو حــمزة الثمــالى: أتيت بــاب على بن الحــسين فكرهــت أن أنادى، فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه، ودعوت له فرد على ثم انتهى بى إلى حائط فقال: يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط؟. قلت: بــلى يا سيدى. قال: فإنى متكئ عليه وأنا حزين مفكر إذ دخــل على رجل حسن الثياب طيب الرائحة ثــم نظر فى وجهى وقال: يا على بن الحــسين أراك كئيبًا حزينًا على الدنــيا ،فهو رزق حاضر يأكل منه الــبار والفاجر فقلت: ما عليهــا أحزن؛ وإنه كما تقول. قال: فعلام حزنك؟ قلت: أتــخوف من فتنة ابن الزبير. قال: فضــحك، ثم قال: يا على هل رأيت أحدًا خاف الله فلــم ينجه؟. قلت: لا قال: يا على هل رأيــت أحدًا سأل الله فلم يعطه؟. قلت: لا. ثم نظــرت فإذا ليس قدامى أحد فعجبــت من ذلك وإذا بقائل أسمع صــوته ولا أرى شخصه، يقول: علــى بن الحسين هذا الخضر ناجاك .كذا فى (الفصول المهمة).

فصل

فى ذكر سيدنا محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهم أجمعين

قال المناوى فى طبقاته: سمى باقرًا ؛لأنه بقر العلم، أى شقه فعرف أصله .(ولد) محمد الباقر بالمدينة فى ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين بثلاث سنين (وكنيته) أبو جعفر لا غير (وألقابه) ثلاثة: الباقر، والشاكر، والهادى، وأشهرها الباقر (روى) عن الزبير بن محمد بن مسلم المكى قال: «كنا عند جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فأتاه على بن الحسين، ومعه ابنه محمد وهو صبى فقال على لابنه محمد وهو صبى: قبل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبل رأسه فقال جابر: من هذا ؟ وكان قد كف بصره. فقال له على بن الحسين: هذا ابنى محمد فضمه جابر إليه، وقال: يا محمد محمد رسول الله ﷺ يقرئك السلام. فقالوا: كيف ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: كنت عند رسول الله ﷺ والحسين فى حجرة ،وهو يلاعبه. فقال: يا جابر: يولد لابنى الحسين ابن يقال له: على فإذا كان يوم القيامة ينادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم على بن الحسين، ويولد لعلى بن الحسين ابن يقال له: محمد يا جابر إن أدركته فأقرئه منى السلام، وإن لاقيته فاعلم أن بقائك بعده قليل»، فلم يعش جابر رضى الله عنه بعد ذلك ثلاثة أيام، وروى أن محمدًا الباقر بن على سأل جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين على رضى الله عنهما. فقال له جابر: دخلت عليها يومًا وقلت لها: ما تقولين فى على بن أبى طالب رضى الله عنه؟. فأطرقت رأسها ثم رفعته وقالت رضى الله عنها:

إذا ما التبرُ حُكَّ على محَكٍّ ... تَبَيَّنَ غشُّهُ منْ غَيْرِ شك
وفِينَا الغِشُّ والذهبُ المصَفّى ... علىٌّ بيننا شِبْهُ المحَكِّ

(وأم محمد الباقر) أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فهو هاشمى من هاشميين علوى من علويين نقش خاتمه(رب لا تذرنى فردًا)(ونقل) الثعالبى فى تفسيره: أن الباقر نقش فى خاتمه هذه الكلمات:

ظنى بالله حسنٌ ... وبالنبىِّ المؤتمنِ
وبالوصىِّ ذى المِنَنِ ... وبالحسينِ والحسنِ

(ومعاصره) الوليد وأولاده يزيد وإبراهيم **(صفة الباقر)** رضى الله عنه: أسمر معتدل

(وشاعره)، الكميت، والسيد الحميرى **(وبوابه)** جابر الجعفى، قال صاحب الإرشاد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين، والسنن، وعلم القرآن، والسير، وفنون الأدب ما ظهر عن أبى جعفر الباقر، روى عن معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، وسارت بذكر علومه الأخبار، وأنشدت فى مدائحه الأشعار، فمن ذلك ما قاله مالك بن أعين الجهنى من قصيدة يمدحه فيها:

إذا طلبَ الناسُ علمَ القرآ ... ن كانتْ قريشُ عليه عيالا
وإن فاه ابنُ بنيَّ النبي ... تَلَقتْ يداك فُروعًا طِوالا

وفيه يقول الرضى:

يا باقرَ العلمِ لأهلِ التُّقَى ... وخير من لبّى على الأجبل

(ومناقبه رضى الله عنه كثيرة ومشهورة) حكى مولاه أفلح قال: حججت مع أبى جعفر محمد الباقرفلما دخل المسجد، ونظر البيت بكى فقلت: بأبى أنت وأمى إن الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلا. فقال: ويحك يا أفلح ولم لا أرفع صوتى بالبكاء لعل الله ينظر إلىّ برحمة منه فأفوز بها غدًا، ثم طاف بالبيت، وجاء حتى ركع خلف المقام، فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتلّ من دموع عينيه. (وروى) عنه ابنه جعفر قال: كان أبى يقول فى جوف الليل فى تضرعه: أمرتنى فلم أأتمر ونهيتنى فلم أنزجر، فها أنا عبدك بين يديك مقر لا أعتذر، قال خالد بن الهيثم: قال أبو جعفر محمد الباقر: ما اغرورقت عَيْنٌ من خشية الله تعالى إلا حَرّم الله وجهَ صاحبها على النار، فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شىء إلا وله جزاء إلا الدمعة، فإن الله تعالى يكفر بها بحوراً من الخطايا، ولو أن باكيًا يبكى فى أمة لحرم الله تلك الأمة على النار.

(فائدتان): الأولى، روى الزهرى قال: حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متوكئًا على سالم مولاه، ومحمد بن على فى المسجد؛ فقال له سالم: يا أمير المؤمنين هذا محمد بن على بن الحسين فى المسجد المفتون به أهل العراق. فقال: اذهب إليه وقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذى يأكله الناس ويشربونه إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟. فقال له: قل له: يحشر الناس على مثل قرص من نقى فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب. قال: فلما سمع هشام ذلك رأى أنه قد ظفر به. فقال: الله أكبر ارجع إليه. فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال محمد: قل له: هم فى النار، ولم يشغلوا أن قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. فسكت هشام ولم يرجع كلامًا. (الثانية) روى أن العلاء بن عمرو بن عبيد قدم على محمد صاحب الترجمة ابن على بن الحسين رضى الله عنهم يمتحنه؛ فقال له: جعلت فداك ما معنى قوله تعالى:

﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾(١). ما هذا الرتق والفتق؟ فقال له أبو جعفر محمد: كانت السماء رتقًا لا تنزل مطرًا ،وكانت الأرض رتقًا لا تخرج النبات، ففتقناهما بنزول المطر، وخروج النبات فسكت أبو عمرو، ولم يجد اعتراضًا، ثم سأله عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾(٢). ما غضب الله تعالى؟. فقال: طرده وعقابه يا أبا عمرو ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر، (وسئل) عن قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾(٣). فقال: بصبرهم على الفقر، ومصائب الدنيا. حكت سلمى مولاة أبي جعفر أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه لا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم فى بعض الأحيان، ويعطيهم الدراهم قال: فكنت أكلمه فى ذلك لكثرة عياله، وتوسط حاله؛ فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف، فكان يصل بخمسمائة الدرهم وبالستمائة إلى ألف درهم.

(كرامة) قال أبو بصير: قلت يومًا للباقر: أنتم ورثة رسول الله ﷺ. قال: نعم. قلت: ورسول الله ﷺ وارث الأنبياء جميعهم. قال: وارث جميع علومهم. قلت .وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله ﷺقال: نعم. قلت: فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى، وتبرئوا الأكمه، والأبرص، وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. قال: نعم نفعل ذلك بإذن الله تعالى. ثم قال: ادن منى يا أبا بصير وكان أبو بصير مكفوف النظر. قال: فدنوت منه، فمسح بيده على وجهى فأبصرت السماء والجبل والأرض. فقال: أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله ،أو تكون كما كنت ولك الجنة؟. قلت: الجنة فمسح بيده على وجهى فعدت كما كنت.

(لطيفة) من كتاب(الصفوة) لابن الجوزى عن عروة بن عبد الله. قال: سألت أبا جعفر محمد بن على عن حلية السيف. فقال: لا بأس به وقد حلى أبو بكر الصديق رضى الله عنه سيفه. فقلت: تقول الصديق. قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة؛ وقال: نعم الصديق. ونعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا فى الدنيا ولا فى الآخرة. اهـ.

(كرامتان): الأولى: عن جعفر الصادق رضى الله عنه. قال: كان أبى فى مجلس عام ذات يوم إذ أطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه؛ فقال: يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه فى أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية فيقتل مقاتلكم، وتلقون منه بلاءً لا تقدرون عليه ولا على دفعه وذلك من قابل فخذوا

(١) سورة الأنبياء آية: ٣٠. (٢) سورة طه آية ٨١. (٣) سورة الفرقان آية: ٧٥.

حذركم واعلموا أن الذى قلت لكم هو كائن لابد منه؟، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه، وقالوا: لا يكون هذا أبدا فلـما كان من قابل تحمل أبو جعفر من المدينة بـعياله هو وجماعة من بـنى هاشـم، وخرجوا منـها، فجـاءها نافـع بن الأزرق، فدخلـها فى أربـعة آلاف، واستباحها ثلاثة أيام، وقتل فيها خلقًا كـثيرًا لا يحصون، وكان الأمر على ما قال. (الثانية) من كتاب(الدلائل) للحميرى: عن زيد بن حازم قـال: كنت مع أبى جعفر محمد بن على الباقـر فمر بنا زيد بـن على: أخوه، فقال أبـو جعفر: أما رأيت هـذا ليخرجن بالـكوفة، وليقتلن، وليطافن برأسه فكان كما قال.

(تتمـة فى الكلام عـلى وفاته وأولاده وذكر شـىء من كلامه رضـى الله عنه) مات أبو جعفر محمـد الباقر سنة سبع عشرة ومـائة وله من العمر ثلاث وستون سـنة، وقيل: ثمان وخمسون، وقيل: غير ذلك ،وأوصى أن يكفن فى قميصه الذى كان يصلى فيه. وفى(درر الأصداف) مات مسمومًا كأبيـه ودفن بقبة العباس بالبقيع. ومثله فـى(الفصول المهمة) عن ابنه جعـفر الصادق قال: كنت عـند أبى فى اليوم الذى قـبض فيه، فأوصانى بـأشياء فى غسله، وتـكفينه ودفنه، ودخـول القبر قال: فقلت: يـا أبت والله ما رأيتك منذ اشـتكيت أحسن منك الـيوم، ولا أرى عليك أثر الموت؛ فقـال: يا بنى أما سمعت عـلى بن الحسين ينادينى من وراء الجدار يا محمد عجل.

(وأولاده) رضى الله عنه سـتة وقيل: سبعة وهـم: أبو عبد الله جعفـر الصادق وكان يكنّى به، وعبد الله أمهـما: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبـى بكر الصديق رضى الله عنه، وإبراهيم، وعبد الله ،وأمهما: أم حكيم بنـت أسد بن المغيرة الثقفية، وعلى، وزينب لأم ولد نقله صاحب الإرشاد.

(ومن كلامه) رضى الله عنه: ما دخـل قلب امرئ شىء من الكبر إلا نقـص من عقله مثل ذلك قل أو كثر، وقال: سلاح اللئام قبح الكلام، وكان يقول: والله لموت عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عابدا، وقال رضى الله عنه :شيعتنا من أطاع الله.

(موعظة) عن جابـر الجعفى قال: قال لـى محمد بن عـلى بن الحسين: يا جـابر إنى لمشتـغل القلب، قـلت: وما يشـغل قلبك؟. قـال: يا جابر إنه مـن يدخل قلـبه دين الله الخالص شغله عما سواه، يا جابر ما الدنـيا وما عسى أن تكون؟. هل هى إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته، أو امـرأة أصبتها، يا جابر إن المؤمنـين لم يطمئنوا إلى الدنيـا لزوالها، ولم يأمنوا الآخـرة لأهوالها ،وإن أهل التـقوى أيسر أهل الدنيـا مؤنة، وأكثرهم لـك معونة إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانـوك أليسوا قوالين لحق الله قائمين بأمر الله؟، فـاجعل الدنيا كمنزل نـزلت به وارتحلت منه، وكمـال أصبته فى منامك ثـم استيقظت، وليس مـعك منه

شیء، واحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته. (وقال) رضى الله عنـه: الغنى والفقر يجولان فى قـلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكـان التوكل استوطناه. (ومـن) كلامه رضى الله عنه: والصواعق تصيب المؤمن وغيره ولاتصيب ذاكر الله عزّ وجلّ، وقال رضى الله عنه: ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج، وقال رضـى الله عنه: بئس الأخ يرعاك غنيًا ويقطعك فقيرًا (وقال لابـنه): يا بنى إذا أنعم الله علـيك نعمة؛ فقل: الحمـد لله، وإذا أحزنك أمر؛ فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وإذا أبـطأ عليك الرزق؛ فقل: أستغفر الله. (وقال) رضى الله عنه: اعرف المودة فى قلب أخيك بما له فى قلبك. وفى كتاب(نثر الدرر)لأبى سعيد منصور بن الحسين: إن محمدًا بن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهم: يا بنى إن الله خبأ ثلاثة أشياء فى ثـلاثة أشياء: خبأ رضاه فى طاعته، فلا تحقرن من الطاعة شيئًا فلعل رضاه فيه ،وخبأ سخطه فى معصيته فلا تحقرن من معصيته شيئا فلعل سخطه فيه،وخبأ أولياءه فى خلقه فلا تحقرن أحدًا فلعله ذلك الولى.

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

ولد جعفر الصادق بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة، وقيل: سنة ثلاث وثمانين قال بعضهم: والأول أصح، وأمه: الفروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ،وأم القاسم بنت عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهم فكان يقول: ولدنى الصديق مرتين .ذكره الماوردى فى الطبقات، وكنيته: أبو عبد الله، وقيل: أبو إسماعيل وألقابه ثلاثة: الصادق، والفاضل، والطاهر وأشهرها الصادق **(صفته)**: معتدل آدم اللون **(وشاعره)** السيد الحميرى **(وبوابه)** المفضل بن عمرو **(نقش خاتمه)**(ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله) **(ومعاصره)** أبو جعفر المنصور **(ومناقبه)** كثيرة تكاد تفوت عد الحاسب ويحار فى أنواعها فهم اليقظ الكاتب، روى عنه جماعة من أعيان الأئمة، وأعلامهم: كيحيى بن سعيد، ومالك بن أنس، والثورى، وابن عيينة ،وأبى حنيفة، وأيوب السختيانى وغيرهم. قال أبو حاتم: جعفر الصادق ثقة لا يسأل عن مثله (فى درر الأصداف) قال لأبى حنيفة: بلغنى أنك تقيس فى الدين ،وأول من قاس إبليس، فقال أبو حنيفة رضى الله عنه: إنما أقيس فيما لا أجد فيه نصًا. (قال) ابن أبى حازم: كنت مع جعفر الصادق يومًا إذا سفيان الثورى بالباب فقال: ائذن له، فدخل فقال له جعفر: يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان فى بعض الأحيان، وتحضر عنده، وأنا أتقى السلطان، فاخرج عنى غير مطرود. فقال سفيان: حدثنى حديثًا أسمعة منك وأقوم. فقال: حدثنى أبى عن جدى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنعم الله عليه فليحمد الله. ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزبه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله»، فلما قام سفيان قال جعفر: خذها يا سفيان ثلاثًا وأى ثلاث؛ وفى (حياة الحيوان الكبرى).

(فائدة) قال ابن قتيبة فى كتاب (أدب الكاتب): وكتاب(الجعفر) كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضى الله عنهما فيه كل ما يحتاجون علمه إلى يوم القيامة، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله:

لَقَدْ عَجِبُوا لآلِ البيت لما ... أتَاهُمُ عِلْمُهم فى جلد جفْرِ
ومِرْآةُ المنَجِّمِ وهى صُغْرَى ... تُرِيهِ كُلَّ عامرةٍ وقَفْرِ

والجفر: من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه، وفى(الفصول المهمة) نقل بعض أهل العلم أن(كتـاب الجفر) الذى بالغرب يتوارثه بنو عبد المـؤمن بن على من كلام جفر الصـادق وله فيه المنقـبة السنية والدرجـة التى فى مقام الـفضل عليه. (وكـان) جعفر الصادق رضى الله عنه مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئًا لا يتم قوله إلا وهو بين يديه.

(كرامتان): الأولى: حدث عبـد الله بن الفضل بن الـربيع عن أبيه: أنـه قال: لما حج المنصور سنة سـبع وأربعين ومائة قدم المدينة، فـقال للربيع: ابعث إلى جعـفر بن محمد أن يأتينا به متعبًا قتـلنى الله إن لم أقتله، فتغافل الربيع عنه، وتناسـاه، فأعاد فى اليوم الثانى، وأغلظ فى القول، فأرسل إليه الربيع، فلـما حضر. قال له الربيع: يا أبا عبد الله اذكر الله تعالى فإنه قد أرسل لك من لا يدفع شـره إلا الله، وإنى أتخوف عليك. فقال جعفر:(لا حول ولا قوة إلا بالله العـلى العظيم) ثم إن الربيـع دخل به على المنصور فلـما رآه المنصور أغلظ له فى القول، وقال: يا عدو الله اتخذك أهل العراق إمامًا يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد فى سلطانى، وتتبع لى الغوائل قتلنى الله إن لم أقتلك. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظُلِمَ فغفر، وهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك، ولك فيهم أسوة حسـنة. فقال المنصور: أجَل يا أبا عبد الله ارتفع إلى هنا عندى، ثم قال: يـا أبا عبد الله إن فلانًا أخبرنى عنك بما قلـت لك. فقال: أحضِره يا أمير المـؤمنين ليوافقـنى على ذلك، فأحـضر الرجل الذى سعـى به إلى المنصور؛ فـقال له المنصـور: أحقًا ما حكيـت لى عن جعـفر؟، فقال: نعـم يا أمير المؤمـنين؛ فقال جـعفر: استحـلفه فبـادر الرجل؛ وقال: والله الـعظيم الـذى لا إله إلا هو عالـم الغيب والـشهادة والواحد الأحد، وأخذ يعدد فى صفات الله تعالى، فـقال جعفر: يا أمير المؤمنين يَحْلفُ بما استَحْلفُهُ. فقال: حلفه َبما تختار. فقال جعفر: قل برئت من حول الله وقوته والتجأتَ إلى حولى وقوتى، لقد فعل جـعفر كذا وكذا، فامتنع الرجل. فنظر إليه المـنصور نظرة منكرة، فحلف بها، فما كان أسرع من أن ضرب برجـله الأرض، وخر ميتًا مكانه؛ فقال المنصور: جروا برجلـه واخرجوه، ثم قال :لا علـيك يا أبا عبد الله أنـت البرىء الساحة، والـسليم الناحيـة المأمون الغائلة علـىّ بالطيب، فأتى بالـغالية فجعل يـغلف بها لحيته إلـى أن تركها تقطـر، وقال فى حفظ الله وكـلاءته، وألحقه يا ربيـع بجوائز حسـنة، وكسوة سنـية. قال الربيع: فلحقته بذلك ثم قلت له: يا أبا عبد الله تحرك شفتيك وكلما حركتها سكن غضب المنصـور بأى شىء كنت تحركـها؟. قال بدعاء جدى الحسين. قلت: وما هو يـا سيدى؟. قال: (اللهم يا عدتى عند شدتى ويا غوثى عند كربـتى احرسنى بعينك التى لاتنام، واكنفنى بركنك الذى لا يرام وارحمنى بقدرتك علىّ فلا أهلك وأنت رجائى، اللهم إنك أكبر وأجلّ وأقدر مما أخاف وأحـذر، اللهم بك أدرأ فى نحره وأسـتعيذ من شره إنك عـلى كل شىء

قدير). قال الربيع: وقلت له: مَنَعْتَ الساعى بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه وأحلفته بيمينك، فما كان إلا أن أخذ لوقته ما السر فيه؟ قال: لأن فى يمينه توحيد الله وتمجيده وتنزيهه فقلت: يحلم عليه ويؤخر عنه العقوبة، وأحببت تعجيلها إليه، فاستحلفته بما سمعت، فأخذه الله لوقته (الثانية): روى أن داود بن على بن عبد الله بن العباس قتل المعلى بن حسين مولى كان لجعفر الصادق، وأخذ ماله، فبلغ ذلك جعفر، فدخل داره، ولم يزل ليله كله قائمًا إلى الصباح، فلما كان وقت السحر سمع منه فى مناجاته: يا ذا القوة القوية، يا ذا المحال الشديد، يا ذا العزة التى خَلْقُكَ لها ذليل اكْفِنَا هذه الطاغية ،وانتقم لنا منهم، فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات وقيل: مات داود بن على فجأة. (الثالثة): لما بلغ جعفر الصادق رضى الله عنه قول الحكم بن عباس الكلبى:

(صَلَبْنَا لكمُ زيداً على جذعِ نخلةٍ ... ولم أر مُهْرِياً على الجِذْعِ يُصْلَبُ)

رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فبعثه بنو أمية إلى الكوفة، فافترسه الأسد فى الطريق ،فبلغ ذلك جعفرا ،فخر ساجداً لله تعالى، وقال: الحمد لله الذى أنجزنا ما وعدنا. (الرابعة): عن إبراهيم بن عبد الحميد. قال: اشتريت بردة من مكة، وآليت على نفسى ألا تخرج من ملكى حتى تكون كفنى، فخرجت بها إلى عرفة فوقفت فيها الموقف، ثم انصرفت إلى المزدلفة، فبعد أن صليت فيها المغرب والعشاء رفعتها وطويتها ووضعتها تحت رأسى ونمت فلما انتبهت لم أجدها فاغتممت لذلك غمًا شديداً، فلما أصبحت صليت، وأفضت مع الناس إلى منى، فو الله إنى لفى مسجد الخيف، إذ أتانى رسول أبى عبد الله جعفر الصادق يقول لى: يقول لك أبو عبد الله: تأتينا فى هذه الساعة، فقمت مسرعاً حتى دخلت على أبى عبد الله، وهو فى فسطاط، فسلمت وجلست، فالتفت إلى وقال: يا إبراهيم تحب أن نعطيك بردة تكون لك كفنا. قلت: والذى يحلف به لقد كان معى بردة مُعدُّها لذلك، ولقد ضاعت منى بالمزدلفة، فأمر غلامه، فأتى ببردة، فناولنيها فإذا هى بردتى بعينها، فقلت: بردتى يا سيدى. فقال: خذها فقد جمعها الله عليك يا إبراهيم.

(**فوائد**) الأولى: قال جعفر الصادق صاحب الترجمة: لما رفعت إلى أبى جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن نهرنى، وكلمنى بكلام غليظ، ثم قال: يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذى تسمونه النفس السنية وما نزل به، وإنما أنتظر الآن أن يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير. قال: قلت: يا أمير المؤمنين حدثنى محمد بن على عن أبيه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليصل رحمه، وقد بقى من عمره ثلاث سنين، فيصله الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه، وقد بقى من عمره ثلاث وثلاثون سنة،

فينـزلها الله إلى ثلاث سـنين» قال: فقال: آلله سـمعت هذا مـن أبيك. فقلـت: والله لقد سمعتها منه فرددها على ثلاثاً، ثم قـال: انصرف. (الثانية) روى عن جعفر الصادق أنه قال لغلامه ناقد: يا ناقد إذا كتبت كتاباً فى حاجة، وأردت أن تنجح حاجتك التى تريد، فاكتب فى رأس الورقة: بسم الله الرحمن الرحيم، وعد الله الصابرين المخرج مما يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون جعلنا وإياكم من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال ناقد: فكنت أفعل فتنجح حوائجى. (الثالثة) قـال جعفر الصادق رضى الله عنه: للصداقة خمسة شروط، فمن كانت فيه فـانسبوه إليها ومن لم تكن فيه فلا تنسـبوه إلى شىء منها وهى: أن يكون زين صديقه زينه وسريرته له كعلانيـته وألا يغيره عليه مال وأن يراه أهلا لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات.

(تتمة) فـى الكلام على وفاته وذكر شـىء من كلامه رضى الله عنه (قال ابـن الصباغ) سنة ستون يقال: إنه مـات بالسم فى أيام المنصور ودفن بالبقيع فى الـقبر الذى دفن فيه أبوه وجده وعم جده فللـه دره من قبر ما أكرمه وأشرفه انتهـى. (وأولاده) رضى الله عنه كانوا سبعة. وقيل: أكثـر ستة ذكور وبنت واحدة وهم: إسمعيل ومحمـد وعلى وعبد الله وإسحق وموسى الكاظم والبنت اسمها فروة كذا فى الفصول المهمة (وفى الملل والنحل للشهرستانى) كان لجعفر الصادق خـمسة أولاد محمد وإسمعيل وعبد الله وموسـى وعلى وأسقط إسحق والبنت (وفى بغية الطالب) أن أولاد جعفر تسعـة إلا أنه لم يسردهم بالعد جميعهم إنما عد ما فى الفصول المهمة واقتصر ولم يذكر البنت. (ومن كلامه رضى الله عنه) لا يتم المعروف إلا بثلاث تعجيله وتصغيره وستره، وقال رضى الله عنه: ما كل من رأى شيئاً قدر عليه ولا كل من قـدر على شىء وفـق له ولا كل من وفـق أصاب له موضـعاً فإذا اجتـمعت النـية والمقدرة والتـوفيق والإصابة فهنـاك السعادة، وقال: تأخيـر التوبة اغترار، وطول الـتسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب من مكر الله ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[سورة الأعراف: الآية: ٩٩]. وقال: أربعـة أشياء القليل منها كـثير النار والعداوة والـفقر والمرض، وسئـل لم سمى البيـت العتيق؟ قـال: لأن الله تعالى عتـقه من الطوفـان، وقال: صحبة عـشرين يوماً قرابـة، وقال: كفارة عمـل الشيطان الإحـسان إلى الإخوان، وقال: إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الـكرامة ما خلا الجلوس فى الصدور، وقال: البنات حـسنات والبنون نعم والحـسنات يثاب عليهـا والنعم مسئول عنـها، وقال رضى الله تعالى عنه: من لم يسـتح عند العيب ويرعو عند الشيب ويخش الله بـظهر الغيب فلا خير فيـه، وقال: إياكـم وملاحاة الـشعراء فـإنهم يضـنون بالمـدح ويجودون بـالهجـاء، وكان يقول: اللهم إنك أولى بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة، وقال: من أكرمك فاكرمه ومن اسـتخف بك فأكرم نفسك عنه، وقال: منع الجـود سوء ظن بالمعبود،

وقال: دعا الله الناس فى الدنيا بآبائهم ليتعارفوا ودعاهم فى الآخرة بأعمالهم ليجازوا فقال: يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين كفروا، وقال: إن عيال المرء أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه، وقال: ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً: الصفح عمن ظلمه والإعطاء لمن حرمه والصلة لمن قطعه، وقال: المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق وإذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل. (قال) بعض شيعة جعفر الصادق دخلت عليه وموسى ولده بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فحفظتها فكان بما أوصى به أن قال: يا بنى اقبل وصيتى واحفظ مقالتى فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً. يا بنى إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه فى قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره. يا بنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورته، ومن سل سيف البغى قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم. يا بنى قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال. يا بنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولا وللأصول فروعا وللفروع ثمراً ولا يطيب ثمر إلا بفروع الأصل ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب. يا بنى إذا زرت فزر الخيار ولا تزر الأشرار فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها (قال) أحمد بن عمر بن مقدام الرازى: وقع الذباب على وجه المنصور فذبه فعاد حتى أضجره، وكان عنده جعفر بن محمد فى ذلك الوقت فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب؟. قال: ليذل به الجبابرة فسكت المنصور. قال: سفيان الثورى: سمعت جعفراً الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها فإن تك فى شىء فيوشك أن تكون فى الخمول، وإن طلبت فى الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون فى العزلة والخلوة، فإن لم توجد فى العزلة والخلوة فيوشك أن تكون فى كلام السلف، والسعيد من وجد فى نفسه خلوة تشغله عن الناس. روى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده ورفعه قال: ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور مَلَكاً يعبد الله يحمده ويمجده فإذا صار المؤمن فى لحده أتاه ذلك بالقول الثابت وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلتك فى الجنة. كذا «فى الفصول المهمة».

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن على زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم

أمه أم ولد يقال لها: حميدة البربرية؛ ولد موسى الكاظم بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة. (وكنيته) أبو الحسن (وألقابه) كثيرة أشهرها. الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين. (وصفته) أسمر عتيق. (شاعره) السيد الحميرى. (بوابه) محمد بن الفضل. (نقش خاتمه) الملك لله وحده. (معاصره) موسى الهادى وهرون الرشيد قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به. (ومناقبه) رضى الله عنه كثيرة شهيرة. يحكى: أن الرشيد سأله يوماً. فقال: كيف قلتم نحن ذرية رسول الله ﷺ وأنتم بنو على وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه؟. فقال الكاظم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وليس لعيسى أب وإنما ألحق بذرية أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾[1] ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم وهم الأبناء. روى موسى الكاظم صاحب الترجمة عن آبائه مرفوعاً قال: قال: سألت أخى موسى الكاظم بن جعفر قلت: أصلحك الله أيكون المؤمن بخيلا؟. قال: نعم. قال: فقلت: أيكون خائناً؟. قال لا ولا يكون كذاباً ثم، قال: حدثنى أبى جعفر الصادق عن آبائه رضى الله عنهم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة».

(كراماته): الأولى قال حسام بن حاتم الأصم: قال لى شقيق البلخى: خرجت حاجاً سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسية فبينما أنا أنظر الناس فى مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان وقد جلس منفرداً فقلت فى نفسى: هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلا عليهم فى طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآنى مقبلا نحوه. قال: يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2] ثم تركنى وولى فقلت فى نفسى إن هذا لأمر عجيب تكلم بما فى خاطرى

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١. (٢) سورة الحجرات: الآية ١٢.

ونطق باسمى هذا عبد صالح لألحقنه وأسأله الدعاء وأتحلله بما ظننت فيه فغاب عنى ولم أره فلما نزلنا وادى فضة فإذا هو قائم يصلى فقلت: هذا أخى امض إليه واستحله فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إلى وقال: يا شقيق اتل ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (١) ثم قام ومضى وتركنى فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سرى مرتين فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء فسقطت من يده فى البئر فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول:

أَنْتَ شُرْبِى إِذَا ظَمِئْتُ مِنَ الْماءِ وَقُوتِى إِذَا أَرَدْتُ طَعَامَا

ثم قال: إلهى وسيدى ما لى سواك فلا تعدمنيها فو الله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه فمد يده فأخذها فتوضأ منها وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل فى الركوة ويحركها ويشرب فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام، فقلت: أطعمنى من فضل ما أنعم الله به عليك فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله على ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فإذا فيها سويق بسكر فو الله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب فشربت ورويت حتى شبعت فأقمت أياماً لا أشتهى طعاماً ولا شراباً ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل وهو قائم يصلى بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ثم قام إلى حاشية المطاف فركع ركعتى الفجر هناك ثم صلى الصبح مع الناس ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ثم صلى خلف المقام ثم خرج يريد الذهاب فخرجت خلفه أريد السلام عليه وإذا بجماعة أحاطوا به يميناً وشمالاً ومن خلفه ومن أمامه وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه؛ فقلت لأحدهم: من هذا الفتى يا سيدى؟ فقال: هذا موسي الكاظم بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم؛ وهذه الكرامة رواها جماعة من أهل التآليف ورواها ابن الجوزى فى كتابه «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» ورواها الجنابذى فى معالم «العترة النبوية» والرامهرمزى فى كتابه «كرامات الأولياء» وهى كرامة اشتملت على كرامات (الثانية) من كتاب «الدلائل» للحميرى روى أحمد بن محمد عن أبى قتادة عن أبى خالد الأبالى قال: قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم أبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدى بعثهم فى إحضاره لديه إلى العراق من المدينة وذلك فى مسكته الأولى فأتيته فسلمت عليه فسر برؤيتى وأوصانى بشراء حوائج وبتبقيتها عندى له فرآنى غير منبسط، فقال: ما لى أراك منقبضاً. فقلت: كيف لا أنقبض وأنت سائر إلى هذه الفئة الطاغية ولا آمن عليك؟. فقال: يا أبا خالد ليس على بأس فإذا كان فى شهر

(١) سورة طه آية ٨٢.

كذا فى اليـوم الفلانى منه فانـتظرنى آخر النهـار مع دخول الليل فإنـى أوافيك إن شاء الله تعالى قال أبو خالد: فما كان لى هم إلا إحـصاء تلك الشهور والأيام إلى ذلك اليوم الذى وعدنى المجىء فيه فخـرجت غروب الشمس فلم أر أحداً فلما كـان دخول الليل إذا بسواد قدم بمقـدمه وتخلـصه فقال لـى: أداخلك الشـك يا أبا خالـد؟؛ فقلت: الحـمد لله الذى خلصك من هذه الطـاغية فقال: يا أبا خالد إن لهم إلى عـودة لا أتخلص منها. **(الثالثة)**: عن عيسـى المدائنى قال: خرجت سـنة إلى مكة فأقـمت بها مجاوراً ثم قـلت: أذهب إلى المدينة فأقيم بها سنة مثلما أقمت بمكة فهو أعظم لثوابى فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلى إلى جنب دار أبى ذر وجعلت أختلف إلى سيدنا موسى الكاظم فبينا أنا عنده فى ليلة ممطرة إذ قال لى عيسى: قم فقد انهدم البيت على متـاعك فقمت فإذا البيت قد انهدم على المتاع فاكتريت قومـاً كشفوا عن متاعى واستخرجـت جميعه ولم يذهب لى غيـر سطل للوضوء فلما أتيته من الـغد قال: هل فقدت شيئاً من متاعك فندعو الله لـك بالخلف؟؛ فقلت: ما فقدت غـير سطل كان لى أتـوضأ منه فأطرق رأسـه ملياً ثم رفـعه؛ فقال: قد ظنـنت أنك أنسيته قبل ذلك فأت جارية رب الدار فاسألها عـنه وقل لها: أنسيت السطل فى بيت الخلاء فرديه قال: فسألهـا عنه فردته (الرابعة): عن عبد الله بن إدريس عـن ابن سنان قال: حمل الرشيـد فى بعض الأيام إلـى على بن يقـطين ثياباً فـاخرة أكرمه بهـا ومن جملتـها دراعة منسوجـة بالذهب سوداء من لباس الخـلفاء فأنفذها علـى بن يقطين لموسى الكـاظم فردها وكتب إليـه احتفظ عليـها ولا تخرجها عن يـديك فسيكون لك بـها شأن تحتاج معـه إليها فارتاب على بن يقطين لردها عليه ولم يدر ما سبب كلامه ذلك، ثم إنه يقطين غضب على بعض غلمانه ممن كـان يختص بأموره ويطلع عليها فصرفـه عن خدمته وطرده لأمر أوجب ذلك منه، فسعى الغـلام بعلى بن يقطين إلى الرشيد، وقال له: إن عـلى بن يقطين يقول: بإمامة موسى الكاظم وأنه يحمل إليه كل سنة زكاة ماله والهدايا والتحف وقد حمل إليه فى هذه السـنة ذلك وصحبتـه الدراعة السوداء التـى أكرمته بها يـا أمير المؤمنين فـى وقت كذا فاستـشاط الرشيد لـذلك غيظاً، وقـال: لأكشفن عن ذلـك فإن كان الأمر علـى ما ذكرت أزهقت روحه وذلك من بعض جزائه، فأنفذ فى الوقت والحين من أحضر على بن يقطين، فلما مثل بين يديه. قال: ما فعلت بالدراعة السوداء التى كسوتكها واختصصتك بها من مدة من بين سائر خواصى؟ قال: هى عندى يا أمير المؤمنـين فى سفط فيه طيب مختوم عليها؛ فقال: أحضرها الساعة. قال: نعم يا أمير المؤمـنين السمع والطاعة واستدعى بعض خدمه. فقال: امض وخذ مـفتاح البيت الفلانى من دارى وافـتح الصندوق الفلانى وأتنـى بالسفط الذى فيه على حالته بـختمه فلم يلبث الخادم إلا قليلا حتى عاد وصحبـته السفط مختوماً بين يدى الرشيد فأمر بفك ختمه ففك وفتح الـسفط وإذا بالدراعة فيه مطوية على حالها لم

تلبس ولـم تدنس ولم يصبـها شيء من الأشياء؛ فـقال لعلى بن يـقطين ردها إلى مكـانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك ساعياً وأمر أن يتبع بجائزة سنية وتقدم بأن يضرب السـاعى ألف سوط فضرب فلـما بلغوا خمسـمائة السوط مات تحت الـضرب قبل الألف. (الخامـسة): روى إسحق بن عمـار قال: لما حبس هـارون الرشيد موسى الـكاظم دخل الحبس ليلا أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة فسلما عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العـلم فجاء بعض الموكلين به فقال له: إن نوبتى قد فرغت وأريد الانصـراف من غد إن شاء الله تعالى إنى لأعجب من هذا الـرجل يسألنى أن أكلفه حاجة يأتينى بها معه غداً إذا جاء وهو ميت فى هذه الليلة فأمسكا عن سؤاله وقاما ولم يسألاه عن شيء وقالا: أردنا أن نـسأله عن الفرض والسنة فأخذ يتكلـم معنا فى علم الغيب والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره وينظر ماذا يكون من أمره فأرسلا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلما كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والناعية فقيل لـهم: ما الخبر؟ فقـالوا: مات صاحب البـيت فجاءَ فعاد إلـيهما الرسول وأخـبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب انتهـى من « الفصول المهمة» (كان موسى الكاظم) رضى الله عنه أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفّاً وأكرمهم نـفساً وكان يتفقد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلا وكذلك النفقات ولا يعلـمون من أى جهة وصلهم ذلك؛ ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته (وكان) كثيـراً ما يدعو باللهم إنى أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب.

(تتمة: فى الكلام على وفاته وأولاده رضى الله عنه). روى أحمد بن عبد الله بن عمار عن محمد بن على النوفلى قال: كان السبب فى أخذ الرشيد لموسى بن جعفر وحبسه إياه أنه سعى به جماعة وقالوا: إن الأموال تحمل إليه من جميع الجهات والزكاة والأخماس وأنه اشترى ضيعة وسماها السيرية بثلاثة آلاف دينار فخرج الرشيد فى تلك السنة يريد الحج وبدأ بدخوله المدينة فلما أتاها استقبله موسى الكاظم فى جماعة من الأشراف فلما دخلها واستقر ومضى كل واحد إلى سبـيله ذهب موسى على جارى عادته إلى المسـجد وأقام الرشيد إلى الليل وسار إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: يا رسـول الله إنى أعتذر إليك من أمر أريد فعله وهو أن أمسك موسى الكاظم فإنه يريد التشغيب بين أمتك وسفك دمائهم وإنى أريد حقنها ثم خرج فأمر به فـأخذ من المسجد فدخل به إليه فـقيده فى تلك الساعة واستـدعى بقبتين فجعل كل واحدة منهما على بغل وسترهمـا بالسقلاط وجعله فى إحدى القبتين وجعل مع كل واحدة منهما خيلا وأرسل بواحدة منهما على طريق البصرة وبواحدة على طريق الكوفة وإنما فعل ذلـك الرشيد ليعـمى على الناس أمـره وكان موسى الكاظـم بالقبة التـى أرسلها بطريق البصرة وأوصى الـقوم الذين كانوا معه أن يسلموه إلى عيسى بـن جعفر بن المنصور

وكان على البصرة يومئذ واليًا فسلموه له وحبسه عنده سنة فبعد السنة كتب إليه الرشيد فى سفك دمه وإراحته منه فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصه وثقاته الناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتبه له الرشيد فقالوا: نشير عليك بالاستعفاء من ذلك وألا تقع فيه فكتب عيسى بن جعفر للرشيد يقول: يا أمير المؤمنين كتبت إلى فى هذا الرجل وقد اختبرته طول مقامه فى حبسى فلم يكن منه سوء قط ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ولم يكن عنده تطلع للولاية ولا خروج ولا شىء من أمر الدنيا ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفينى من أمره ويأمر بتسلمه منى وإلا سرحت سبيله فإنى منه فى غاية الحرج. فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر كتب إلى السندى بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم بن جعفر من عيسى بن جعفر وأمره فيه بأمره فكان الذي تولي به السندي قتله أن جعل له سماً فى طعام وقدمه له وقيل: فى رطب فأكل منه موسى الكاظم ثم أنه أقام موعكاً ثلاثة أيام ومات رحمه الله تعالى. ولما مات أدخل السندى الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدى وغيره ينظرون إليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق وأنه مات حتف أنفه. (روي): أنه لما حضرته الوفاة سأل ابن السندى أن يحضر مولى له مدنياً ينزل عند دار العباس بن محمد ليتولى غسله ودفنه وتكفينه فقال له السندى: أنا أقوم لك بذلك على أحسن شىء وأتمه، فقال: إنا أهل بيت مهور نسائنا وحج مبرورنا وكفن موتانا وجهارنا من خالص أموالنا وأريد أن يتولى ذلك مولاى هذا فأجابه إلى ذلك وحضره له فوصاه بجميع ما يفعل فلما مات تولى ذلك مولاه المذكور كذا فى« الفصول المهمة» (ومن) كتاب« الصفوة» لابن الجوزى قال: بعث موسى بن جعفر الكاظم إلى الرشيد من الحبس برسالة كتب فيها بأنه لم ينقض عنى يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك من الرخاء حتى نمضى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء هناك يخسر المبطلون، وقد كان قوم من الشيعة زعموا أن موسى الكاظم هو القائم المنتظر وجعلو الحسين هو الغيبة المذكورة للقائم فأمر هارون الرشيد يحيى بن خالد أن يضعه على الجسر ببغداد وأن ينادى هذا موسى بن جعفر الذى تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً ففعل ونظر الناس إليه ثم حمل ودفن موسى الكاظم فى مقابر قريش بباب التين ببغداد كذا فى كتاب« الأنساب» وغيره وكانت وفاته لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاثة وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة. وأما أولاده) ففى« الفصول المهمة» كان له سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم على الرضا والعباس والقاسم وإسمعيل وجعفر وهارون والحسن وعبد الله وإسحق وعبد الله وزيد والحسن وأحمد ومحمد والفضل وسليمان وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحليمة وأم أسماء ورقية الصغرى وأم

كلثوم وميمونة ا هـ ولكنه لم يستوف العدد المذكور. ومن أولاد الكاظم كما في «بغية الطالب» عون وإليه يرجع نسب سيدنا ومولانا الشيخ الكبير الولى المقرب جامع الشرفين شرف النسب وشرف المعرفة بالله والأدب ذى الكرامات الظاهرة والغارات المتظاهرة أبى الحسن وأبى الأشبال على الأهدل لأنه على بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوى بن محمد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين وقد نظم ذلك بعض الفضلاء فقال:

عَلَيٌّ بنُ فاروقِ أَبُو محمدٍ ثم سليمان الرضا المسدد
عبيد عيسى علوى محمدٌ حمحام عون كاظم المؤيد
جعفر الصادق قل محمد زين حسين وعلى السيد

والأهدل لقب شريف قال بعضهم: معناه الأدنى الأقرب. يقال: هدل الغصن إذا دنا وقرب ولان بثمره. قال بعض أهل المعرفة: سمي على بالأهدل لأنه على الإله دل وناهيك به من لقب حسن رائق وله على كلا القولين دليل على المعنى مطابق وفيه سر لطيف عجيب يفهمه العاقل المنصف اللبيب اهـ من «بغية الطالب».

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين.

(ولد) على بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة وقيل: سنة ثلاث وأربعين ومائة وأمه أم ولد يقال لها: أم البنين واسمها أروى وكنيته أبو الحسن.

(وألقابه) الرضا والصابر والزكى والولى وأشهرها الرضا. (صفته): أسود معتدل لأن أمه كانت سوداء دخل يوماً حماماً فبينما هو فى مكان من الحمام إذ دخل عليه جندى فأزاله عن موضعه وقال: صب على رأسى يا أسود فصب على رأسه فدخل من عرفة فصاح يا جندى هلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ؟، فأقبل الجندى يقبل رجليه ويقول هلا عصيتنى إذ :

لَيْسَ لِى ذَنْبٌ وَلا ذَنْبَ لِمَنْ ... قَالَ لِى: يَا عَبْدُ أَوْ يَا أَسْوَدُ
إِنَّمَا الذَّنْبُ لِمَنْ أَلْبَسَنِى ... ظُلْمَةً وَهُوَ الَّذِى لا يُحْمَدُ

كذا فى تاريخ الفرماني. (شاعره): دعبل الخزاعى. (بوابه) محمد بن الفرات (نقش خاتمه): حسبى الله. (معاصره): الأمين والمأمون قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: تقدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وزين العابدين على بن الحسين وجاء على الرضا هذا ثالثهما عن محمد بن يحيى الفارسى. قال: نظر أبو نواس إلى على بن موسى الكاظم ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة فدنا منه وسلم وقال: ابن رسول الله ﷺ قلت فيك: أبياتاً أحب أن تسمعها منى فقال له: قل فأنشأ أبو نواس يقول:

مُطَهَّرُونَ نَقِيَاتٌ ثِيَابُهُمُ ... تَجْرِى الصَلاةُ عَلَيْهِم كُلَّمَا ذُكِرُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيّاً حِينَ تَنْسُبُهُ ... فَمَا لَــه فِى قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخَرُ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَهْلُ الْبَيْتِ عِنْدَهُم ... عِلْمُ الكتابِ وَمَا جَاءَتْ بِه السورُ

قال: قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد ما معك يا غلام من فاضل نفقاتنا قال: ثلثمائة دينار. قال: ادفعها إليه ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال: لعله يستقلها سق يا غلام إليه البغلة. ونقل الطوسى فى كتابه عن أبى الصلت الهروى: قال: دخل دعبل الخزاعى عَلَى عَلِىٌّ بن موسى بمرو فقال: يا ابن رسول ﷺ إنى قلت فيكم أهل البيت: قصيدة وآليت على نفسى ألا أنشدها أحداً قبلك وأحب أن تسمعها منى فقال له على الرضا بن موسى رضى الله عنهما: هات قل فأنشأ يقول:

ذَكَرْتُ مَحَلَّ الربعِ مِنْ عرفاتِ   فأَجْرَيتُ دَمْعَ العينِ بالعبراتِ
وَفَلَّ عُرَى صبرِى وهاجت صبابتِى   رسومُ ديارٍ أقفرت وعراتِ
مَدَارِسُ آياتٍ خلَتْ عن تلاوةٍ   ومَنْزِلِ وحيٍ مُقْفِرِ العرصاتِ
لآلِ رسولِ الله بالخيفِ مِنْ مِنَى   وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ
ديارٌ علىٍّ والحسينِ وجعفرٍ   وحمزةَ والسجادِ ذى الثفناتِ(١)
ديارُ لعبدِ الله والفضلِ صنوه   نجى رسولِ الله فى الخلواتِ
منازلُ كانَتْ للصلاة وللتقى   وللصوم والتطهيرِ والحسناتِ
منازلُ جبريلَ الأمينِ يحلُّها   من الله بالتسليمِ والرحماتِ
منازلُ وحىِ الله معدنُ علمه   سبيلُ رشادٍ واضحُ الطرقاتِ
قفَا نسألِ الدارَ التى خفَّ أهلُهَا   متى عهدها بالصوم والصلواتِ؟
وأينَ الألى شطتْ بهم غربةُ النوى   فأمسينَ فى الأقطارِ مفترقاتِ
أحبُّ فناءَ الدارِ من أجل حبِّهم   وأهجرُ فيهم أسرتِى وثقاتى
وهُمْ أهلُ ميراثِ النبى إذا انتموا   وهُمْ خيرُ ساداتٍ وخيرُ حماةِ
مطاعيمُ فى الإسارِ فى كل مشهد   لقد شرفوا بالفضلِ والبركاتِ
أئمةُ عدلٍ يُقتدى بفعالهم   وتؤمن منهم زلةُ العثراتِ
فيا ربِّ زدْ قلبى هُدىً وبصيرةً   وزدْ حبَّهم يارب فى حسناتى
لقد أمنَتْ نفسى بهم فى حياتها   وإنِّى لأرجو الأمنَ بعد وفاتي
ألَمْ تَرَ أنِّى من ثلاثين حجةً   أروحُ وأغدو دائمَ الحسراتِ
ارى فيأهم فى غيرهم متقسمَاً   وأيديهم من فيئهم صفراتِ
إذَا وتروا مدُّوا إلى أهلِ وترهم   أكفاً عن الأوتارِ منقبضاتِ(٢)
وآلُ رسولِ الله نحفٌ جسومُهُمْ   وآلُ زيادٍ أغلظُ القصراتِ
سأبكيهم ما ذرَّ فى الأفقِ شارقٌ   ونادى منادِى الخير بالصلوات وبالليلَ
وما طلعتْ شمسٌ وحانَ غروبُها   أبكيهم وبالغدواتِ
ديارُ رسولِ الله أصبحْنَ بلقعًا   وآلُ زيادٍ تسكُنُ الحجراتِ
وآلُ زيادٍ فى القصورِ مصونةٌ   وآلُ رسولِ الله فى الفلواتِ
فلولا الذى أرجُوه فى اليومِ أو غدٍ   لَقُطِّعَ نفسى إثرَهم يقوم على حسراتِى
خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٌ   يَقُومُ عَلَى اسمِ الله بالبركاتِ
يميز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ   ويجزى عنِ النعماء والنقماتِ
فيا نفسُ طيبى ثم يا نفسُ فاصبرى   فغيرُ بعيدٍ كُلّ ما هو آت

وهى قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة وعشرون بيتاً ولما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو

(١) الثفنات: جمع ثَفِنة ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ أى برك موصل الفخذ فى الساقين من باطنهما، ومن الإنسان: الركبة. اللسان: ثفن.

(٢) وترو: الظلم والانتقام. «الموتور» اسم مفعول: من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه.

الحسن على الرضا؛ وقال: لا تبرح فأنفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه فردها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت؟ وإنما جئت للسلام عليه ولـلتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون وإنى لفى غنى فإن رأى أن يعطينى شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إلى فـأعطاه على الرضا جبة ورد عليه الصرة؛ وقال لـلغلام: قل له: خذها ولا تردها فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها فأخذها وأخذ الجبة ثم أقام بمرو مدة فتجهزت قـافلة تريد العراق فتجهز دعبل صحبتها فخرجت عليهم اللصوص فى الطريق ونهبوا القافلة عن آخرها وأمسكوا جماعة من جملتهم دعبل فكتفوهـم وأخذوا ما معهم فساروا بهم غير بـعيد ثم جلسوا يقسمون أموالـهم فتمثل مقدم اللصوص بقوله:

أرى فَيْأَهُم فى غَيْرِهم مُتَقَسَّماً ... وأَيْدِيهُم من فَيْئِهُم صفرات

ودعبل يسمعه، فـقال: أتعرف هذا البيت لمن؟ قال: وكيف لا أعـرفه؟ هو لرجل من خزاعة يقال له: دعبل شاعر أهل البيت قاله فى قصيدة مدحهم بها فقال دعبل: أنا والله هو أنا صاحب القصيدة وقائلها؛ فقال: ويـلك انظر ما تقول: فقال: والله الأمر أشهر من ذلك واسأل أهل القافلة وهؤلاء المسكون معكم يخبـرونكم بذلك فسألوهم فقالوا بأسرهم: هذا دعبل الخزاعى شاعر أهل البيت المعروف الموصوف، ثم إن دعبلا أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها عن ظهر قلب فقالوا: قد وجب حقك علـينا وقد أطلقنا القافلة ورددنا جميع ما أخذناه منها كرامة لك يا شاعر أهل البيـت ثم إنهم أخذوا دعبلا معهم وتوجهوا به إلى قُمّ ووصلوه بمال وسـألوه فى بيع الجبة الـتى أعطاها له أبو الحسن الرضا ودفعوا له فـيها ألف دينار فقال: والله لا أبيعها وإنما أخذتها للتبرك من أثره ثم ارتحل عنهم من قم بعد ثلاثة أيام فلما صار خارج البلـد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثـهم فأخذوا الجبة منه فرجع إلى قم وأخبـر كبارهم بذلك فأخذوا الجبـة منهم وردوها عليه ثم قـالوا: نخشى أن تؤخذ هـذه الجبة منك ويـأخذها غيرنا ثـم لا ترجع عليـك فبالله إلا ما أخذت الألـف منا وتركتها فأخذ الألف منهم وأعطاهم الجبـة ثم ارتحل عنهم. وعن أبى الصلت الهروى قال: قال دعبل الخزاعى: لما أنشدت مولاى الرضا هذه القصيدة وانتهيت فيها إلى قولى:

خُرُوجُ إِمَامٍ لاَ مَحالَةَ خارجٌ ... يَقُومُ عَلَى اسمِ اللهِ بالبركـاتِ
يَميزُ فينا كُلَّ حَقٍّ وباطـلٍ ... وَيَجْزِى على النعماءِ والنقماتِ

بكى الرضـا ثم رفع رأسه إلى؛ وقال: يا خزاعـى لقد نطق روح القدس علـى لسانك بهذين البيتين. قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا سئل عن شىء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بمـا كان فى الزمان إلى وقت عصره؛ وكـان المأمون يمتحنه بالـسؤال عن كل شىء فيجيبه الجواب الشافى؛ وكان قليل النوم كـثير الصوم لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر

ويقول: ذلك صيام الدهر؛ وكان كثير المعروف والصدقة وأكثر ما يكون ذلك منه فى الليالى المظلمة؛ وكان جلوسه فى الصيف على حصير وفى الشتاء على مسح قال إبراهيم بن العباس: سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل يكلف الله العباد ما لا يطيقون: فقال: هو أعدل من ذلك قال فيقدرون على كل ما يريدون. قال :هم أعجز من ذلك.

وعن ياسر الخادم قال: سمعت علياً الرضا بن موسى يقول: أوحش ما يكون هذا الخلق فى ثلاثة مواضع يوم يولد إلى الدنيا ويخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها فى دار الدنيا. وقد سلم الله تعالى على يحيى فى هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال: وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه فى هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1] .

(فائدة) أورد صاحب كتاب «تاريخ نيسابور»: أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين رضى الله عنهم لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسى ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين عن جدك نذكرك به فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومتمرغ فى التراب ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم وكان المستملى أبا زرعة ومحمد بن مسلم الطوسى. فقال على الرضا رضى الله عنه: حدثنى أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه على المرتضى. قال: حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله ﷺ. قال: حدثنى جبريل عليه السلام. قال: حدثنى رب العزة سبحانه وتعالى قال: «**كَلِمَةُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ حِصْنِى فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِى وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى**». ثم أرخى السترَ علَى المظلةَ وسار. قال: فعد أهلَ المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا. قال رضى الله عنه: لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه. وقال أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه فى قبره فرؤى فى المنام بعد موته. فقيل: ما فعل الله بك؟. فقال: غفر لى بتلفظى بلا إله إلا الله وتصديقى أن محمداً رسول

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٣ .

الله. أورده المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير وغيره. وعن على الرضا بن موسى عن آبائه عن النبى ﷺ أنه قال: «**مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِحَوْضِى فَلا أَوْرَدَهُ اللهُ تَعَالَى حَوْضِى، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَفَاعَتِى فَلا أَنَالَهُ اللهُ شَفَاعَتِى ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا شَفَاعَتِى لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى فَأَمَّا الْمُحْسِنُونَ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**» وعن على الرضا بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسرى به: «**وَلا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُؤْمِنٌ إِلا وَلَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ**». وعن على الرضا أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «الشَيبَ فِى مقدم الرأس يمن وفى العارضين سخاء وفى الذوائب شجاعة وفى القفا شؤم». وعنه عن آبائه عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسرى بى إلى السماء رأيت رحماً معلقة بالعرش تشكو رحما إلى ربها أنها قاطعة لها. قلت: كم بينك وبينها من أب؟. قالت: نلتقى فى أربعين أبا». وعنه أنه قال: «من صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاء ثواب الله دخل الجنة، ومن استغفر الله تعالى فى كل يوم منه سبعين مرة حشر يوم القيامة فى زمرة النبى ﷺ ووجبت له من الله الكرامة، ومن تصدق فى شعبان بصدقة ولو بشق تمرة حرم الله جسده على النار». وعن على الرضا بن موسى أنه قال: «من صام أول يوم من رجب رغبة فى ثواب الله وجبت له الجنة، ومن صام يوماً من وسطه شفع فى مثل ربيعة ومضر، ومن صام يوماً فى آخره جعله الله من أملاك الجنة وشفعه الله فى أمه وأبيه وإخواته وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ومعارفه وجيرانه وإن كان فيهم من هو مستوجب النار». قال صاحب كتاب «نثر الدرر»: سأل الفضل بن سهل علياً الرضا بن موسى فى مجلس المأمون فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبرون. قال: الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب. قال: فمطلقون. قال: الله تعالى أحكم من أن يهم عبده ويكله إلى نفسه. وعن أبى الحسن القرظى عن أبيه. قال: حضرنا مجلس أبى الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاه فأنشأ الرضا يقول:

اعْذُرْ أَخَاكَ عَلَى ذُنُوبِه ... واصْبِرْ وَغَطِّ عَلَى عُيُوبِه
واصْبِرْ عَلَى سَفَهِ السَّفِيهِ ... وللزمانِ على خُطُوبِه
وَدَعِ الجَوابَ تَفَضُّلاً ... وَكِلِ الظَّلُومَ على حَسِيبِهِ

(**لطيفة**): دخـل علـى علـيٌّ بن موسـى بنيسابور قوم مـن الصوفية؛ فقـالوا: إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولاَّه الله تعالى من الأمور، ثم نظر فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس، ثم نظـر فى أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس من كـل واحد منهم فرد هذا الأمر إليك والناس تحتاج إلى من يأكل الخشن ويـلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيع الجنائز. قال: وكـان على الرضا متكئاً فاستوى جالسـاً . ثم؛ قال: كان يوسف بن يعقوب نبـياً فلبس أقبية الـديباج المزررة بالذهب والقبـاطى المنسوجة بالذهـب وجلس على متكآت آل فرعون وحكم وأمر ونهى وإنمـا يراد من الإمام القسط والعدل إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعـد أنجز إن الله لم يحرم ملبوسـاً ولا مطعوماً وتلا قولـه تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (١).

●●●●●

(١) سورة الأعراف آية ٣٢.

فصل
فى ذكر ولاية العهد من المأمون للرضا

ذكر جماعة من أهل السير ورواة الأخبار بأيام الخلفاء: أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة أخيه الحسن فى ذلك فاجتمعا وحضرا عند المأمون فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما فى خروج الأمر عن أهل بيته؛ فقال المأمون: إنى عاهدت الله تعالى إن ظفرت بالمخلوع سلمت الخلافة إلى أفضل بنى المطلب وهو أفضلهم ولابد من ذلك فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال: تذهبان الآن إليه وتخبرانه بذلك عنى وتلزمانه به فذهبا إلى على الرضا وأخبراه بذلك وألزماه فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهى ولا يعزل ولا يولى ولا يتكلم بين اثنين فى حكومته ولا يغير شيئاً مما هو قائم على أصله فأجابه المأمون إلى ذلك؛ ثم إن المأمون جلس مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد وكان ذلك فى يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وأحضرهم فلما حضروا قال للفضل بن سهل: أخبر الجماعة الحاضرين برأى أمير المؤمنين فى الرضا على بن موسى وأنه ولاه عهده وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته فى الخميس الثانى فحضروا وجلسوا على مقادير طبقاتهم ومنازلهم كل فى موضعه وجلس المأمون ثم جىء بالرضا فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة متقلد بسيف: فأمر المأمون ابسط يدك فقال له الرضا: هكذا كان يبايع رسول الله ﷺ يده فوق أيديهم، فقال: افعل ما ترى ثم وضعت بدر الدراهم والدنانير وبقج الثياب والخلع وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من ولاية عهده للرضا، وذكروا فضل الرضا وفُرِّقت الصِّلاتُ والجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم وأول من بدىء به العلويون ثم العباسيون ثم باقى الناس على قدر منازلهم ومراتبهم؛ ثم إن المأمون قال للرضا: قم فاخطب الناس فقام وحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيه محمد ﷺ فصلى عليه. وقال: أيها الناس لنا عليكم حق برسول الله ﷺ ولكم علينا حق به فإذا أديتم إلينا ذلك وجب لكم علينا الحكم والسلام ولم يسمع منه فى هذا المجلس غير هذا وخطب للرضا بولاية العهد فى كل بلد وخطب عبد الجبار بن سعيد فى تلك السنة على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال فى الدعاء للرضا وهو على المنبر: ولى عهد المسلمين على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على وأنشد:

سِتَّةٌ آباؤُهُمُ أُمَّهَاتُهُمُ أَفْـــــ ـضَلُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْغَمَامِ

(ذكر المدائنى): قال: لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع والشعراء والخطباء يتكلمون وتلك الألوية تخفق على رأسه نظر الرضا بعض مواليه الحاضرين ممن كان يختص به وقد داخله من السرور ما لا مزيد عليه وذلك لما رأى فأشار إليه الرضا، فدنا منه فقال له فى أذنه سراً: لا تشغل قلبك بشىء مما ترى من هذا الأمر ولا تستبشر به فإنه لا يتم. وهذه صورة مختصرة من كتاب العهد الذى كتبه المأمون للرضا اختصره صاحب «الفصول» لطوله وهو: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عبد الله بن هرون الرشيد لعلى بن موسى بن جعفر ولى عهده أما بعد فإن الله عزّ وجلّ اصطفى الإسلام ديناً واختار له من عباده رسلا دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله تعالى إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحى واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهداً عليهم ومهيمناً وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الرسالة جعل قوام الدين ونظام المسلمين فى الخلافة ونظامها والقيام بشرائعها وأحكامها، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة وحمل مشاقها وخبر مرارة طعمها وذاقها مسهراً لعينيه منصباً لبدنه مطيلا لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش محبة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحاً له فى دينه وعباده ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه فى دينه وورعه وأرجاهم للقيام فى أمر الله وحقه مناجياً لله تعالى بالاستخارة فى ذلك ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته فى آناء ليله ونهاره معملاً فكره ونظره فى طلبه والتماسه فى أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم مقتصراً ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغاً فى المسألة ممن خفى عليه أمره جهده وطاقته حتى استقصى أمورهم معرفة وابتلى أخبارهم مشاهدة واستبرأ أحوالهم معاينة وكشف ما عندهم مساءلة وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى وإجهاده نفسه فى قضاء حقه فى عباده وبلاده فى الفئتين جميعاً على ابن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما رأى من فضله البارع وعلمه الذائع وورعه الظاهر الشائع وزهده الخالص النافع وتخليه عن الدنيا وتفرده عن الناس، وقد استبان له من لم تزل الأخبار عليه منطبقة والألسنة عليه متفقة والكلمة فيه جامعة والأخبار واسعة ولما لم يزل يعرف به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً وكهلا فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده واثقاً بخيرة الله فى ذلك، إذ علم الله تعالى أنه فعله إيثاراً له وللدين. ونظراً للإسلام والمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة فى اليوم الذى تقوم فيه الناس لرب العالمين، ودعا أمير المؤمنين ولده

وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعه الكل مطيعين مسارعين عالمين، بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى فى ولده وغيره ممن هو أشبك رحماً وأقرب قرابة وسماه الرضا إذ كان مرضيا عند الله تعالى وعند الناس وقد آثر طاعة الله تعالى والنظر لنفسه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين. كتبه بيده فى يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان المعظم سنة إحدى ومائتين. (وصورة ما على ظهر العهد) مكتوباً بخط الإمام على بن موسى الرضا: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[1] وصلاته على نبيه محمد ﷺ خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين أقول: وأنا على بن موسى بن جعفر إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت وأمن نفوساً فزعت بل أحياها بعد أن كانت من الحياة أيست فأغناها بعد فقرها وعرفها بعد نكرها مبتغياً بذلك رضا رب العالمين لا يريد جزاء من غيره ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾[2] و﴿ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3]، وأنه جعل إلى عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو فصم عروة أحب الله اتساقها فقد أباح حرمه وأحل محرمه إذ كان بذلك زاريا على الإمام منتهكا حرمة الإسلام، وخوفاً من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين وحذر فرصة تنتهز وعلقة تبتدر جعلت لله تعالى على نفسى عهداً إن استرعانى أمر المسلمين وقلدنى خلافة العمل فيهم عامة وفى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة أن أعمل فيهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولا أسفك دماً ولا أبيح فرجاً ولا مالا إلا ما سفكته حدوده وأباحته فرائضه وأن أتحرى الكفاة جهدى وطاقتى وجعلت بذلك على نفسى عهداً مؤكداً يسألنى الله عنه فإنه عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [4]. وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقاً وللنكال متعرضاً وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب فى التوفيق لطاعته والحول بينى وبين معصيته فى عافية وللمسلمين والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك وما أدرى ما يفعل الله بى ولا بكم ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾[5] لكنى امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه والله تعالى يعصمنى وإياه وأشهدت الله تعالى على نفسى بذلك ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[6] وكتبت بخطى بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والحاضرين من أولياء نعمته وخواص دولته هم الفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، والقاضى يحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وثمامة بن الأشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان؛ وذلك فى شهر رمضان سنة إحدى ومائتين». (صورة رقم شهادة القاضى يحيى بن أكثم). شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه وهو يسأل الله تعالى أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بهذا العهد، والميثاق وكتب بخطه فى

(١) سورة غافر: آية ١٩. (٢) آل عمران آية ١٤٤. (٣) سورة التوبة: ١٢٠

(٤) سورة الإسراء آية ٣٤. (٥) سورة الأنعام: اية ٥٧. (٦) سورة النساء: آية ٧٩، ١٦٦.

التاريخ المبين فيه. (صورة رقم شهادة عبد الله بن طاهر) أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد بن طاهر.

(صورة رقم شهادة حماد): شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهراً وبطناً وكتبه بيده فى تاريخه. (صورة شهادة ابن المعتمر): شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وعلى الجانب الأيسر بخط الفضل بن سهل رسم أمير المؤمنين بقراءة هذه الصحيفة التى هى صحيفة العهد والميثاق ظهراً وبطناً بحرم سيدنا رسول الله ﷺ بين الروضة والمنبر على رءوس الأشهاد بمرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد بعد أخذ البيعة عليهم واستيفاء شروطها بما أوجبه أمير المؤمنين من العهد لعلى بن موسى الرضا لتقوم به الحجة على جميع المسلمين ولتبطل الشبهة التى كانت اعترضت لآراء الجاهلين وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه (وزوجه المأمون): ابنته أم حبيب فى أول سنة اثنتين ومائتين والمأمون متوجه إلى العراق.

(حكى): أن المأمون وجد فى يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلا عن الخروج إلى الصلاة فقال لأبى الحسن على الرضا: قم يا أبا الحسن فاركب وصل بالناس العيد. فامتنع وقال: قد علمت ما كان بينى وبينك من الشروط فاعفنى من الصلاة. فقال المأمون: إنما أريد أن أنوه بذكرك ويشتهر أمرك بأنك ولى عهدى والخليفة من بعدى وألح عليه فى ذلك. فقال له الرضا: إن أعفيتنى من ذلك كان أحب إلى وإن أبيت إلا أن أخرج للصلاة فإنما أخرج للصلاة على الصفة التى كان النبى ﷺ يخرج عليها. فقال المأمون: افعل كيفما أردت وأمر المأمون القواد والجند وأعيان دولته بالركوب فى خدمته إلى المصلى فركب الناس إلى بيته وحضر القراء والمؤذنون والمكبرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج فخرج إليهم الرضا وقد اغتسل ولبس أفخر ثيابه وتعمم بعمامة وألقى طرفاً منها على عاتقه ومس طيباً وأخذ عكازاً فى يده وخرج ماشياً ولم يركب وقال لمواليه وأتباعه: افعلوا كما فعلت ففعلوا كفعله وساروا بين يديه عند شروق الشمس رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير فلما رآه القواد والجند على تلك الحالة لم يسعهم إلا أن نزلوا عن خيولهم ومراكبهم وساروا بين يديه وتركوا دوابهم مع غلمانهم خلف الناس وكان كلما كبر الرضا كبر الناس بتكبيره وكلما هلل هللوا بتهليله وهم سائرون بين يديه حتى خيل للناس أن الحيطان والجدران تجاوبهم بالتكبير والتهليل وارتفع البكاء والصراخ فبلغ ذلك المأمون، فقال له الفضل: إن بلغ الرضا المصلى افتتن به الناس وخفنا على دمائنا وأرواحنا وعليك فى نفسك فابعث إليه ورده فبعث إليه المأمون قد كلفناك يا أبا الحسن ولا نحب أن تلحقك مشقة ارجع إلى بيتك ويصلى بالناس من كان يصلى بهم من قبل فرجع على إلى بيته وركب المأمون فصلى بالناس. ا.هـ. «من الفصول المهمة».

(فائدة): قال المأمون لعلى الرضا رضى الله عنه: أنشدنا أحسن ما رويت فى السكوت عن الجاهل وعتاب الصديق فقال:

إنّى لَيَهْجُرُنى الصديقُ تَجَنُّبًا ... فَأَرَى بِأَن لِهَجْرِه أَسْبَابًا
وَأَراهُ إِنْ عَاتَبْتُهُ أَغْرَيْتُه ... فَأَرَى لَه تَرْكَ العتاب عتاباً
فَإِذَا بُلِيتَ بِجَاهِلٍ مُتَحَكِّمٍ ... يَجِدُ الامورَ مِنَ المحالِ صَوَابَا
أَوْلَيْتُه مِنّى السُّكوتَ وَرُبَّمَا ... كَانَ السكوتُ عَنِ الجوابِ جوابًا

ا هـ (من درر الأصداف)

(كرامات): الأولى: لما جعله المأمون ولى عهده وأقامه خليفة بعده كان فى حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك وخافوا على خروج الخلافة من بنى العباس وعودها لبنى فاطمة فحصل عندهم من على الرضا بن موسى نفور وكان عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل بادر من بالدهليز من الحجاب وأهل النوبة من الخدم والحشم بالقيام له والسلام عليه ويرفعون له الستر حتى يدخل؛ فلما حصلت لهم هذه النفرة وتفاوضوا فى أمر هذه القصة ودخل فى قلوبهم منها شىء. قالوا فيما بينهم: إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه ولا نرفع له الستر واتفقوا على ذلك فبينما هم جلوس إذ جاء على الرضا على جارى عادته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه وقالوا: الكرة الآتية إذا جاء لا نرفعه فلما كان فى اليوم الثانى وجاء الرضا على عادته قاموا وسلموا عليه ولم يرفعوا الستر فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل ثم عند خروجه جاءت ريح من الجانب الآخر فرفعته له وخرج فأقبل بعضهم على بعض؛ وقالوا: إن لهذا الرجل عند الله منزلة وله منه عناية انظروا إلى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه من الجهتين ارجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته فهو خير لكم.

(الثانية): من كتاب «أعلام الورى» للطوسى قال: روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب. قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام وكان قد وافى المسجد الذى كان ينزله الحجاج من بلدنا فى كل سنة وكأنى مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه فوجدته وعنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحانى وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثمانى عشرة تمرة فتأولت أنى أعيش بكل تمرة سنة؛ فلما كان بعد عشرين يوماً وأنا فى أرض لى تعمر للزراعة إذ جاءنى من أخبرنى بقدوم أبى الحسن على الرضا بن موسى الكاظم ونزوله بذلك المسجد ورأيت الناس يسعون له من كل

جهة يسلمون عليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس فى الموضع الذى رأيت النبى ﷺ جالساً فيه وتحته حصير مثل الحصير الذى كان تحته ﷺ وبين يديه طبق من خوص المدينة وفيه تمر صيحانى فسلمت عليه فرد السلام واستدنانى وناولنى قبضة من ذلك التمر فعددتها فإذا هى بعدد ما ناولنى رسول الله ﷺ فى النوم ثمانى عشرة تمرة فقلت: زدنى. فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدتك. (الثالثة). روى الحاكم أيضاً بإسناده عن سعيد بن سعيد: أن أبا الحسن عليا الرضا نظر إلى رجل فقال: يا عبد الله أوص بما تريد واستعد لما لابد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيام. (الرابعة): عن صفوان بن يحيى. قال: لما مضى موسم الكاظم وظهر ولده من بعده على الرضا خفنا عليه وقلنا له: إنا نخاف عليك من هذا يعنى هرون الرشيد. قال: ليجهدن جهده فلا سبيل له عليه. قال صفوان: فحدثنى ثقة أن يحيى بن خالد البرمكى قال لهرون الرشيد: هذا على بن موسى قد تقدم وادعى الأمر لنفسه. فقال هرون: يكفينا ما صنعنا بأبيه تريد أن نقتلهم جميعاً.

(الخامسة): عن مسافر قال: كنت مع أبى الحسن على الرضا فمر يحيى بن خالد البرمكى وهو مغط وجهه بمنديل من الغبار. فقال الرضا: مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم فى هذه السنة فكان من أمرهم ما كان. قال: وأعجب من هذا أنا وهرون كهاتين وضم إصبعه السبابة والوسطى. قال مسافر: فو الله ما عرفت معنى حديثه فى هرون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه. (السادسة): عن الحسين بن يسار. قال: قال على الرضا: إن عبدالله يقتل محمداً. فقلت: عبد الله بن هرون يقتل محمد بن هرون؟. قال: نعم. عبدالله المأمون يقتل محمداً الأمين فكان كما قال (السابعة): عن الحسين بن موسى قال: كنا حول أبى الحسن على الرضا بن موسى ونحن شباب من بنى هاشم إذ مر علينا جعفر بن عمر العلوى وهو رث الهيئة فنظر بعضنا إلى بعض نظر مستزر لهيئته وحالته وقال الرضا: سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة فما مضى إلا شهر واحد حتى ولى أمر المدينة وحسنت حالته وكان يمر بنا كثيراً وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه فنقوم له ونعظمه وندعو له. (الثامنة): روى عن جعفر بن صالح: قال: أتيت الرضا. فقلت: امرأتى أخت محمد بن سنان وكان من خواص شيعتهم وبها حمل فادع الله أن يجعله ذكراً. قال: هما اثنان فوليت وقلت: أسمى واحداً علياً والآخر محمداً. فدعانى فأتيته. فقال: سم واحداً علياً والآخر أم عمرو فقدمت الكوفة فولدت غلاماً وجارية فسميت الذكر عليا والأنثى أم عمرو كما أمرنى وقلت لأمى: ما معنى أم عمرو؟. قالت: جدتك كانت تسمى أم عمرو. (التاسعة): عن حمزة بن جعفر الأرجانى: قال: خرج هرون الرشيد من المسجد الحرام من باب وخرج على بن موسى الرضا من باب. فقال الرضا وهو يعنى هرون الرشيد: يا بعد الدار وقرب الملتقى يا طوس ستجمعيننى وإياه. (العاشرة): عن موسى بن

عمران. قال: رأيت عليا الرضا بن موسى فى مسجد المدينة وهرون الرشيد يخطب. قال: ترونى وإياه ندفن فى بيت واحد.

(تتمة: فى الكلام على وفاته وأولاده رضى الله عنه) عن هرثمة بن أعين وكان من خدم الخليفة عبد الله المأمون وكان قائماً بخدمة الرضا. قال: طلبنى سيدى أبو الحسن الرضا فى يوم من الأيام. وقال لى: يا هرثمة إنى مطلعك على أمر يكون سراً عندك لا تظهره لأحد مدة حياتى فإن أظهرته حال حياتى كنت خصماً لك عند الله فحلفت لـه إنى لا أتفوه بما يقول لى لأحد مدة حياته، فقال لى: اعلم يا هرثمة أنه قد دنا رحيلى ولحوقى بآبائى وأجدادى وقد بلغ الكتاب أجله وإنى أطعم عنباً ورماناً مفتوناً فأموت ويقصد الخليفة أن يجعل قبرى خلف قبر أبيه هرون الرشيد وأن الله يقدره على ذلك وأن الأرض تشتد عليهم فلا تعمل فيها المعاول ولا يستطيعون حفرها فاعلم ياهرثمة أن مدفنى فى الجهة الفلانية من اللحد الفلانى لموضع عينه لى فإذا أنا مت وجهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك لتكونوا على بصيرة من أمرى. وقل له: إذا أنا وضعت فى نعشى وأرادوا الصلاة على فلا يصل على وَلْيَتَأَنَّ قليلاً يَأْتِكُم رجلٌ عربى متلثم على ناقة له مسرع من جهة الصحراء فينيخ ناقته وينزل عنها فيصلى علَـى فصلوا معه على فإذا فرغتم من الصلاة علـى وحملت إلى مدفنى الذى عينته لك فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً مطبقاً معموراً فى قعره ماء أبيض فإذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء فهذا مدفنى فادفنونى فيه الله الله ياهرثمة أن تخبر بهذا. قال هرثمة: فوالله ما طالت أيامه حتى أكل الرضا عند الخليفة عنباً ورماناً فمات. (عن أبى الصلت الهروى): قال: دخلت على الرضا وقد خرج من عند المأمون فقال: يا أبا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده فأقام يومين ومات فى اليوم الثالث. قال هرثمة: فدخلت على الخليفة المأمون لما بلغه موت أبى الحسن على الرضا فوجدت المنديل بيده وهو يبكى عليه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين ثَمَّ كَلاَمٌ أتأذن لى أن أقوله لك؟ قال: قل: فقصصت القصة عليه التى قالها لى الرضا من أولها إلى آخرها؛ فتعجب المأمون من ذلك ثم إنه أمر بتجهيزه وخرجنا بجنازته إلى المصلى وأخرنا الصلاة عليه قليلا فإذا بالرجل العربى قد أقبل على بعيره من جهة الصحراء كما. قال فنزل ولم يكلم أحداً فصلى عليه وصلى الناس معه وأمر الخليفة بطلب الرجل. فلم يروا له أثراً ولا لبعيره ثم إن الخليفة قال: نحفر له من خلف قبر الرشيد لننظر ما قاله لك؛ فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان عجزوا عن حفرها. فتعجب الحاضرون من ذلك وتبين للمأمون صدق ما قلته له فقال: أرنى الموضع الذى أشار إليه فجئت بهم إليه؛ فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الطبقات فرفعناها فظهر قبر معمور فإذا فى قعره ماء أبيض وأشرف عليه المأمون وأبصره ثم إن ذلك الماء نضب من وقته فواريناه فيه ورددنا الطبقات على حالها والتراب ولم

يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى ومما سمعه منى ويتأسف عليه ويندم وكلما خلوت معه يقول لى: ياهرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا؟: فأعيد عليه الحديث فيتلهف ويتأسف ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. وكانت وفاته سنة ثلاث ومائتين فى آخر صفر؛ وقيل: غير ذلك وله من العمر إذ ذاك خمس وخمسون سنة فى قرية يقال لها: سنا باد من رستاق من أعمال طوس من خراسان وقبره فى قبل قبر هرون الرشيد (وأما أولاده) رضى الله عنه فقد قال ابن الخشاب فى كتابه «مواليد أهل البيت» ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة وهم: محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين، والبنت اسمها عائشة.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

أمه أم ولد يقال لها: سكينة المريسية وكنيته: أبو جعفر ككنية جده محمد. الباقر (وألقابه كثيرة): الجواد والقانع والمرتضى وأشهرها الجواد. (صفته): أبيض معتدل. (شاعره): حماد. (بوابه): عمر بن الفرات. (نقش خاتمه): نعم القادر الله. (معاصره): المأمون والمعتصم؛ ولد أبو جعفر محمد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة قال صاحب «كتاب مطالب السول فى مناقب آل الرسول ﷺ»: هذا محمد أبو جعفر الثانى فإنه قد تقدم فى آبائه أبو جعفر محمد الباقر بن على فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه فعرف بأبى جعفر الثانى وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر ومناقبه رضى الله عنه كثيرة. (نقل) غير واحد أن والده عليا الرضا لما توفى وقدم المأمون بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطريق البلد وثم صبيان يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم فلما أقبل المأمون فر الصبيان ووقف محمد وعمره إذ ذاك تسع سنين فلما قرب منه الخليفة نظر إليه فألقى الله على قلبه حبه؛ فقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف كأصحابك؟. فقال له محمد مسرعاً . يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لى جرم فأخشاك والظن بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟؛ فقال: محمد بن على الرضا فترحم على أبيه وساق جواده إلى مقصده وكان معه بزاة الصيد فلما بعد عن العمران أرسل بازاً على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفى منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة فتعجب من ذلك غاية العجب ورجع فرأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلا محمداً فدنا منه وقال له: يا محمد ما فى يدى؟؛ فقال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق فى بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيده بازات الملوك والخلفاء كى يختبر بها سلالة بنى المصطفى ﷺ كرامة له؛ فقال له: أنت ابن الرضا حقاً وأخذه معه وأحسن إليه وقربه وبالغ فى إكرامه ولم يزل مشغوفاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عقله وظهور براهينه مع صغر سنه وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه عن كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنه نازعوه فى اتصاف محمد بذلك ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره فأرسلوا إلى يحيى بن أكثم ووعده بشىء كثير إن قطع لهم محمداً وخجله فحضر الخليفة وخواص الدولة ومعهم

يحيى بن أكثم فأمر المأمون بفراش حسن لمحمد فجلس عليه وسأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه؛ فقال له الخليفة: أحسنت يا أبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة؛ فقال يحيى: يسأل فإن كان عندى جواب أجبت به وإلا استفدت الجواب والله أسأل أن يرشدنى للصواب؛ فقال له أبو جعفر محمد الجواد: «ما تقول فى رجل نظر إلى امرأة فى أول النهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخر حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له؟؛ فبماذا حلت هذه المرأة لهذا الرجل وبماذا حرمت عليه فى هذه الأوقات؟؛ فقال يحيى بن أكثم: لا أدرى فإن رأيت أن تفيد الجواب. فذلك؛ فقال أبو جعفر: هذه أمة لرجل نظر لها شخص فى أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له. فلما كان نصف الليل طلقها طلقة واحدة فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال: هل فيكم أحد يستحضر أن يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟؛ فقالوا: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾(١). فقال: قد عرفتم الآن ما تنكرون وظهر فى وجه القاضى يحيى الخجل والتغير وعرف ذلك كل من بالمجلس؛ فقال المأمون: الحمد لله على مَنَّ به على من السداد فى الأمر والتوفيق فى الرأى وأقبل على أبى جعفر وقال: إنى مزوجك ابنتى أم الفضل وإن رغم لذلك أنوف قوم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسى وابنتى فقال أبو جعفر: الحمد لله ﷺ إقراراً بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصاً بوحدانيته وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته؛ أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢). ثم إن محمد بن على بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وله خمسمائة درهم جياد فهل زوجتنى يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق فقال المأمون زوجتك ابنتى أم الفضل على هذا الصداق المذكور فقال أبو جعفر قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق المذكور. (قال) الرمالى: وأخرج الخدم مثل السفينة من الفضة مطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب والماورد والمسك فتطيب منها الحاضرون على قدر رتبتهم ثم انصرف الناس وتقدم المأمون بالصدقة على

(١) سورة: المائدة: آية ٥٤.

(٢) سورة النور آية ٣٢.

الفقراء والمساكين وأهل الأربطة والخوانيق والمدارس ولم يزل عنده محمد الجواد معظماً مكرماً إلى أن توجه بزوجته أم الفضل إلى المدينة الشريفة (روى): أن أم الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول: إنه يتسرى على فكتب إليها أبوها يقول: يا بنية إنا لم نزوجك أبا جعفر لتحرمى عليه حلالا فلا تعاوديني بذكر شيء مما ذكرت.

(كرامتان): الأولى: عن أبي خالد قال: كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلا محبوساً أتى به من الشام مكبلا بالحديد وقالوا: إنه تنبأ. قال: فأتيت باب السجن ودفعت شيئاً للسجان حتى دخلت عليه فإذا برجل ذى فهم وعقل ولب. فقلت: يا هذا ما قصتك؟ فقال: إني كنت رجلا بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال: إنه نصب فيه رأس الحسين فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبلا على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت إليه فقال لي: قم فقمت معه فمشى قليلا فإذا أنا في مسجد الكوفة. فقال لي: تعرف هذا المسجد فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة. قال: فصل فصليت معه ثم انصرف فانصرفت معه قليلا فإذا نحن بمكة المشرفة فطاف بالبيت فطفت معه ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلا فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام ثم غاب عنى فبقيت متعجباً حولا مما رأيت فلما كان العام المقبل إذ ذاك الشخص قد أقبل على فاستبشرت به فدعاني فأجبت ففعل معي كما فعل بالعام الماضي فلما أراد مفارقتي. قلت له: بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتني من أنت؟. فقال: أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر فحدثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات فبعث إلى من أخذني من موضعي وكبلني بالحديد وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى وادعى على بالمحال فقلت له: أفأرفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك؟. فوقع على ظهرها. قل: للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السجن. قال أبو خالد: فاغتممت لذلك وأسقط في يدي وقلت: إلى غد آتيه وآمره بالصبر وأعده من الله الفرج وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر فلما كان من الغد. قال: باكرت إلى السجن فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج فسألت ما الخبر؟ فقيل لي: إن الرجل المتنبئ المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده، وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن لا ندري كيف خلص منها؟ وطلب فلم يوجد له أثر ولا خبر ولا يدرون أنزل في الأرض أم عرج به إلى السماء؟ فتعجبت من ذلك! وقلت في نفسي: استخفاف ابن الزيات بأمره واستهزاؤه بقصته خلصه من السجن كذا نقله ابن الصباغ. (الثانية): نقل بعض الحفاظ: أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك فدل على محمد الجواد فأرسل إليه، فجاء، فأجلسه

معه علـى سريره وسأله فقال: إن الله حـرم لحم أولاد الحسين على الـسباع فتلقى لـلسباع فعرض عليهـا ذلك، فاعترفت المرأة بكذبهـا ثم قيل للمتوكل: ألا تجرب ذلـك فيه؟. فأمر بثلاثة من السباع فجيء بها فى صحن قصره ثـم دعا به فلما دخل من الباب أغلقه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلما مشى فى الـصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت فتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه ثم ربضت فصعد للمتوكل فتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة؛ وقيل للمتوكل: افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه؛ وقال: تريدون قتلى؛ ثم أمرهم ألا يفشوا ذلك. انتهى. لكـن نقل المسعودي: أن صاحب هذه الـقصة على أبو الحسن العـسكرى ولده وهو وجيه لأن المتوكل لم يكن مـعاصراً لمحمد الجواد بل لولده. **(الثالثة)**: حكى: أنه لما توجه أبو جعفر محـمد الجواد إلى المدينة الشريفـة خرج معه الناس يشيعونـه للوداع فسار إلى أن وصل إلى باب الكـوفة عند دار المسيب فنـزل هناك مع غروب الشمس ودخـل إلى مسجد قديم مؤسس بذلك الموضع ليصلى فيه المغرب؛ وكان فى صحن المسجد شجرة نبق لم تحمل قط فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ فى أصل الشجـرة وقام ليصلى فصلى معه الناس المغرب، ثم تنفل بأربع ركعات وسـجد بعدهن للشكر، ثم قام؛ فودع الناس وانصرف فـأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملا حسناً فرآها الناس وقد تعجبوا من ذلك غاية العجب.

(تتمة: فى الكلام على وفاته وأولاده وذكر شاهد من كلامه رضى الله عنه)

توفى أبو جعفر محمد الجواد ببغداد وكان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة فقدم بغداد ومعـه زوجته أم الفضل بنت المأمون لليلتين بقيـتا من المحرم سنة عشرين ومائتين وكانت وفاته فـى آخر ذى القعدة من السنة المذكورة ودفن فى مقـابر قريش فى قبر جده أبى الحسن مـوسى الكاظم ودخلت امرأته أم الـفضل إلى قصر المعتـصم وكان له من العمر يومـئذ خمس وعشرون سنة. ويقـال: إنه مات مسموماً، يقال: إن أم الـفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها. **(وخلف)**: من الولد علـيا وموسى وفاطمة وأمامـة. (ومن كلامه رضى الله عنه كما فى الفصول المهمة): إن لله عباداً يـخصهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذلوها فإن منعوها نزعها الله عنهم وحولها إلى غيرهم. (وقال رضى الله عنه): ما عظمت نعمة الله علـى أحد إلا عظمت إليه حوائج النـاس فمن لم يتحمل تلك المـؤنة عرض تلك النعمة للـزوال. (وقال رضى الله عنه): أهل المعروف إلى اصطناعـه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الـرجل من معروف فإنما يبتدىء فيه بنفسه. (وقال رضى الله عنه): مَنْ أَجَلَّ إنساناً هابه ومن جهـل شيئاً عابه والفرصة خلْسَة ومن كثر همه سقـم جسمه وعنوان صحيـفة المسلم حسن خلـقه، وفى موضع آخر عنوان: صـحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه **(وقال)**: من استغنى بالله افتقـر الناس إليه. ومن اتقى الله

- أحبه الناس. (وقال): الجمال في اللسان والكمال في العقل. (وقال): العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة الورع، وبسط الوجه زينة القناعة، وترك ما لا يغني زينة الورع. (وقال رضي الله عنه): حسب المرء من كمال المروءة ألا يلقى أحداً بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن إنصافه قبول الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ، ومن علامة صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه. (وقال رضى الله عنه): العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء. (وقال رضى الله عنه): من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل والمطامع في وثاق الذل، ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً. (وقال رضى الله عنه): العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم. (وقال رضى الله عنه): الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت. (وعنه رضى الله عنه): ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة؛ وثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل على الله عند العزم. (وقال رضى الله عنه): لو سكت الجاهل ما اختلف الناس. (وقال رضى الله عنه): مقتل الرجل بين فكيه والرأى مع الأناة وبئس الظهير الرأى الفطير. (وقال رضى الله عنه): ثلاث خصال تجتلب بهن المودة الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على قلب سليم. (وقال رضى الله عنه): الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته، والناس إخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تعود عداوة؛ وذلك قوله تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[1] . (وقال): من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه. (وقال رضى الله عنه): كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك. (وقال رضى الله عنه): لا تفسد الظن على صديق قد أعطاك أكثر مما أخذ منك (وقال رضى الله عنه) لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه. (وقال): لا يزال العقل والحق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة؛ فإذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه، وما أنعم الله عزّ وجلّ على عبد نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده عليها، ولا أذنب عبد ذنباً فعلم أن الله مطلع عليه وأنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إلا غفر له قبل أن يستغفره. (وقال رضى الله عنه): الشريف كل

---

(1) سورة الزخرف آية ٦٧.

الشريف من شرفه علمه والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله ربه. (وقال): لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا؛ ولا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم. (وقال رضى الله عنه): مَنْ أمَّلَ فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان. (وقال): موت الإنسان بالذنوب أكبر من موته بالأجل، وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر. (وقال رضى الله عنه): من استفاد أخاً فى الله فقد استفاد بيتاً فى الجنة؛ وعنه: لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجاً ٠(وعنه): أنه قال لبشر بن سعد لما قدم مصر: يا بشر إن للمحن آخريات لابد أن تنتهى إليها فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها فإن مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها. (وعنه): من وثق بالله وتوكل على الله نجاه الله من كل سوء وحرز من كل عدو؛ والدين عزٌ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد والورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعى تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية، ومن ركب مركب الصبر اهتدي إلى مضمار النصر، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى. وفى هذا القدر كفاية. وفقنا الله للعمل المرضى والمسلمين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب سيدنا على الهادى بن محمد الجواد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

قال ابن الخشاب فى كتابه «مواليد أهل البيت». **(ولد)**: أبو الحسن على الهادى بالمدينة فى رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة. **(وأمه)**: أم ولد يقال لها: سمانة المغربية وقيل: غير ذلك. **(وكنيته)**: أبو الحسن لاغير. **(وألقابه)**: الهادى والمتوكل والناصح والمتقى والمرتضى والفقيه والأمين والطيب وأشهرها الهادى؛ وكان ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم. **(صفته)**: أسمر اللون. **(شاعراه)**: العوفى والديلمى. **(بوابه)**: عثمان بن سعيد. **(نقش خاتمه)**: الله ربى وهو عصمتى من خلقه. **(معاصره)**: الواثق ثم المتوكل ثم أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخى المتوكل. (ومناقبه) :رضى الله عنه كثيرة قال فى «الصواعق»: كان أبو الحسن العسكرى وارث أبيه علماً ومنحاً؛ وفى «حياة الحيوان» سمى العسكرى لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقره «بسُرَّ مَنْ رَآى» على صبغة المبنى للمفعول وتسمى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها: العسكر.، وفى« تأريخ القرمانى» ما نصه: «سُرَّ مَنْ رَآى» هى سامرا وهى مدينة عظيمة كانت على شرقى دجلة بين تكريت وبغداد بناها المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين وسكن بها بجنوده حتى صارت أعظم بلاد الله وهى اليوم خراب وبها أناس قلائل كالقرية انتهى. (نقل) غير واحد: أن أبا الحسن عليا العسكرى خرج يوماً من «سُرَّ مَنْ رَآى» إلى قرية لهم فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه فى داره فلم يجده؛ وقيل له: إنه ذهب إلى الموضع الفلانى فقصد إلى ذلك الموضع فلما وصل إليه. قال له: ما حاجتك؟. فقال له: أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدك على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد ارتكبتنى الديون وأثقلت ظهرى بحملها ولم أر من أقصده لقضائها؛ فقال له أبو الحسن: كم دينك؟. فقال: نحو عشرة آلاف درهم. فقال: طب نفساً وقر عيناً يُقْضَى دينك إن شاء الله تعالى ثم أنزله فلما أصبح. قال: يا أخا العرب أريد منك حاجة لا تعصنى فيها ولا تخالفنى والله الله فيما آمرك به وحاجتك نقضى إن شاء الله تعالى فقال الأعرابى: لا أخالفك فى شىء مما تأمرنى؛ به فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه ديناً عليه للأعرابى بالمبلغ المذكور، وقال له: خذ هذا الخط معك فإذا حضرت إلى «سُرَّ مَنْ رَآى» فترانى أجلس مجلساً عاماً. فإذا حضر الناس واحتفل المجلس، فتعال إلى بالخط وطالبنى وأغلظ على فى القول والطلب ولا عليك والله الله أن تخالفنى فى

شيء مما أوصيتك به فلما وصل أبو الحسن إلى «سر من رأى» جلس مجلساً عاماً وحضره جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل. فجاء الأعرابى وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه فى الكلام فجعل أبو الحسن يعتذر له ويطيب نفسه بالقول ويعده بالخلاص وكذلك الحاضرون، وطلب منه المهلة ثلاثة أيام، فلما انفك المجلس نقل ذلك للخليفة المتوكل، فأمر لأبى الحسن على الفور بثلاثين ألف درهم فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابى فقال له: خذها جميعها، فقال الأعرابى: يا ابن رسول الله والله إن العشرة بلوغ مطلبى ونهاية أربى؛ فقال أبو الحسن: والله لتأخذن ذلك جميعه وهو رزقك ساقه الله لك ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه فأخذ الأعرابى الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

(كرامة) عن الأسباطى قال: قدمت على أبى الحسن على بن محمد المدينة الشريفة من العراق، فقال لى: ما خبر الواثق عندك؟. فقلت: خلفته فى عافية وأنا من أقرب الناس به عهداً وهذا مقدمى من عنده وتركته صحيحاً؛ فقال: إن الناس يقولون: إنه قد مات، فلما قال لى: إن الناس يقولون: إنه قد مات فهمت أنه يعنى نفسه فسكت. ثم قال: ما فعل ابن الزيات؟. قلت: الناس معه والأمر أمره. فقال أما إنه شؤم عليه.. ثم قال: لابد أن تجرى مقادير الله وأحكامه يا جيران مات الواثق؛ وجلس جعفر المتوكل؛ وقتل ابن الزيات. فقلت: متى؟. قال: بعد مخرجك بستة أيام. فما كان إلا أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال. (حكى): أن سبب شخوص أبى الحسن على بن محمد من المدينة إلى «سُرَّ مَنْ رأى» أن عبد الله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل فى الحرب والصلاة بالمدينة فسعى بأبى الحسن إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى. فبلغ أبا الحسن سعايته إلى المتوكل. فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه وقصده بالأذى فكتب إليه المتوكل كتاباً يعتذر له فيه، ويلين له القول ودعاه فيه إلى الحضور إليه على حيل من القول والفعل، ولما وصل الكتاب إلى أبى الحسن تجهز للرحيل وخرج، وخرج معه يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند حافين به إلى أن وصل إلى «سُرَّ مَنْ رأى» فنزل فى خان يعرف «بخان الصعاليك» فأقام فيه يومه، ثم إن المتوكل أفرد له داراً حسنة وأنزله بها فأقام أبو الحسن مدة مقامه «بسر من رأى» مكرماً معظماً مبجلاً فى ظاهر الحال والمتوكل يتتبع له الغوائل فى باطن الأمر فلم يقدره الله تعالى عليه. (وفى) تاريخ ابن خلكان وغيره: أنه سعى به إلى المتوكل بأن فى منزله فوجدوه على الأرض مستقبلا القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله وقال له: أنشدنى فقال له: إنى قليل الرواية للشعر فقال : لابد فأنشده:

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الأجبالِ تَحْرسُهُم ... غُلبُ الرجالِ فلم تنفعهم القُلَلُ
واستُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِن مَعَاقِلِهِم ... وأُودِعُوا حُفَراً يَـــا بِئْسَمَا نَزَلُوا
نَادَاهُمُوا صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَــا رَحَلُوا ... أَيْنَ الأَسِرَّةُ والتِّيجَانُ وَالحُلَلُ
أَيْنَ الوجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً ... مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الأستارُ والكِلَلُ
فَأَفْصَحَ القَبْرُ عَنْهُم حِينَ سَاءَلَهُم ... تِلْكَ الوُجُوهُ عَلَيْهَا الـــدُّودُ يَقْتَتِلُ
يَا طَالَمَــا أَكَلُوا يَوْمــاً وَمَا شَرِبُوا ... فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَاكَ الأكلِ قَدْ أُكِلُوا

قال فبكى المتوكل والحاضرون وقال له المتوكل: يا أبا الحسن هل عليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف درهم فأمر له بها وصرفه معظماً مكرماً؛ وهذه الأبيات من قصيدة وجدت على قصر سيف بن ذى يزن الحميرى وكان يسمى عمدان وكان سيف من الملوك العادلة وكانت مكتوبة بالقلم المسند فعربت فإذا هى أبيات جليلة وموعظة بليغة وأولها:

انْظُرْ مَاذَا تَرَى أَيُّهَـــا الــــرَّجُلُ ... وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ قَبْلِ تَنْتَقِلُ
وَقَدِّمِ الــزَّادَ مِنْ خَيْرٍ تُسَرُّ بِه ... فَكُلُّ سَاكِنِ دَارٍ سَوْفَ يَرْتَحِلُ
وانْظُرْ إِلـى مَعْشَرٍ بَاتُوا عَلَى دعــة ... فَأَصْبَحُوا فِي الـثَّرَى رَهْناً بِمَا عَمِلُوا
بَنُوا فَلَمْ يَنْفَعِ الْبُنْيَــانُ وَادَّخَرُوا ... مَالاً فَلَمْ يُغْنِهم لَمَّا انْقَضَى الأَجَلُ
بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ ... .

الأبيات اهـ، ووجد مكتوباً على قصره أيضاً هذه الأبيات الثلاثة وهى:

مَنْ كَانَ لا يَطأُ الـتُّرابَ بِرِجْلِه ... وَطِىءَ الـتُّرَابَ بِصَفْحَةِ الْخَدِّ
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي الـتراب وَبَيْنَهُ ... شِبْرَانِ كَــانَ بِغَايَةِ الْبُعْد
لَوْ بَعْثَرَ الـنَّاسُ الـثَّرَى وَرَأَوْهُم ... لَمْ يَعْرِفُوا الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ

اهـ من الكنز المدفون.

(تتمة فى الكلام على وفاته وأولاده رضى الله عنه) توفى أبو الحسن على الهادى المعروف بالعسكرى بن محمد الجواد «بِسرَّ مَنْ رَأى» وله من العمر أربعون سنة يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن فى داره «بسرَّ مَنْ رَأى» يقال: إنه مات مسموماً. والله أعلم. **(وأولاده)**: محمد، والحسن، ومحمد جعفر؛ وله ابنة اسمها عائشة.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب الحسن الخالص بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

(أمه) أم ولد يقال لها: حديث وقيل: سوسن. **(وكنيته)**: أبو محمد. **(وألقابه)**: الخالص والسراج والعسكرى. **(صفته)**: بين السمرة والبياض. **(شاعره)**: ابن الرومى. **(بوابه)**: عثمان بن سعد. **(نقش خاتمه)**: سبحان من له مقاليد السموات والأرض. **(معاصروه)**: المعتز، والمهتدى، والمعتمد. **(ولد)**: أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة. **(ومناقبه)**: رضى الله عنه كبيرة؛ ففى «درر الأصداف» وقع للبهلول معه: أنه رآه وهو صبى يبكى والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم، فقال له: اشترى لك ما تلعب به؟. فقال: يا قليل العقل ما للعب. خلقنا. فقال له: فلماذا خلقنا؟. قال: للعلم والعبادة. فقال له: من أين لك ذلك؟. فقال من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ (1). ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن رضى الله عنه مغشيا عليه فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟. فقال: إليك عنى يا بهلول إنى رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإنى أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم اهـ.

(كرامات): **الأولى**: هى جامعة الكرامات حدث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفرى: قال: كنت فى الحبس الذى فيه الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبراهيم العمرى وفلان وفلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن على العسكرى وأخوه جعفر فحففنا بأبى محمد وكان المتولى للحبس صالح بن يوسف الحاجب وكان معنا فى الحبس رجل أعجمى فالتفت إلينا أبو محمد. وقال لنا: سراً لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم؟. وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه وهى معه فى ثيابه يريد الحيلة فى إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره. قال أبو هاشم: فما تمالكنا أن تحاملنا جميعاً على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسة معه فى ثيابه وهو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه وحذرناه؛ وكان الحسن يصوم فى السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه. قال أبو هاشم: فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامى فجاء لى بكعك فذهبت إلى مكان خال فى

(1) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

الحبس فأكـلت وشربت ثم عدت إلى مـجلسى مع الجماعـة ولم يشعر بى أحد فـلما رآنى تبسم؛ وقـال: أفطرت فخجلـت؛ فقال: لا عليك يـا أبا هاشم إذا رأيت أنك قـد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيـه، وقال: عزمت عليك أن تفطر ثلاثاً فإن البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث. قال أبو هاشم: ثم لم تطل مدة أبى محمد الحسن ابن على فى الحبس بسبب أن قحط الـناس «بسُرَّ مَنْ رَأى» قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتـوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيـام يستسقون فلم يسقوا فـخرج الجاثليق فى الـيوم الرابع إلى الصحـراء وخرج معه النصارى والـرهبان وكان فيهم راهـب كلما مد يده إلى السـماء هطلت بالمطر؛ ثـم خرجوا فى اليوم الثانـى؛ وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر فـعجب الناس من ذلك وداخل بعضهم الشك وصبا بعضهم إلى دين النصرانية فشق ذلك علـى الخليفة فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس وائتنى به فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة. قال له: أدرك أمة محمد ﷺ فيما لحقهم من هذه النازلة العـظيمة: فقال أبو محمد: دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث. فـقال له: قد استغنى الناس عـن المطر واستكفوا فما فائـدة خروجهم. قال: لأزيل الشك عن الناس وما وقـعوا فيه فأمر الخليفة الجاثليق والرهـبان أن يخرجوا أيضاً فى اليوم الثالث على جارى عادتهم وأن يخرج النـاس فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمد الحسن ومعه خلق من المسلمين فوقف النـصارى على جارى عادتهم يستسقون وخرج راهب معهم مد يديه إلى السـماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضاً كعادتـهم فغيمت السماء فى الوقت ونزل المطر فأمر أبو محمد الحسن بالـقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها فإذا ما بين أصابعه عظم آدمى فأخذه أبو محمد الحسن ولفه فى خرقة؛ وقال لهم: استسقوا فانقشع الغيـم وطلعت الشمـس فتعجب النـاس من ذلك؛ وقال الخليـفة: ما هذا يا أبا مـحمد؟. فقال: هذا عظم نبى من الأنبياء ظفر به هواء مـن قبور الأنبياء وما كشف عن عظم نبى من الأنبياء تحت السماء إلا هـطلت بالمطر فاستحسنوا ذلك وامتحنـوه فوجدوه كما قال: فرجع أبو محمـد الحسن إلى داره «بسُرَّ مَنْ رَأى» وقد أزال عن النـاس هذه الشبهة. وسر الخـليفة والمسلمون بذلـك وكلم أبو محمد الحسن الخلـيفة فى إخراج أصحابه الذين كـانوا معه فى السجن فأخرجهم وأطلقهم من أجله. وأقام أبو محمد بمنزله معظماً مكرماً وصلات الخليفة وإنعاماته تصل إليه فـى كل وقت نقله غير واحد. **(الثانية)**: عن على بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عـن عيسى بن الفتـح قال: لما دخل علينا أبـو محمد الحسن الحبـس. قال لى: يا عيسى لك من العمـر خمس وستون سنة وشهر ويومان. قال: وكان معـى كتاب فيه تاريخ ولادتى فنظرت فيه فكان كما قال؛ ثـم، قال: هل رزقت ولداً ؟. قلت: لا. فقال: اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد ثم أنشد:

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدْرِكُ ظَلامَتَه إنّ الـذليـلَ الـذى لَيْسَتْ لَه عَضُدُ

فقلت: يا سيدى وأنت لك ولد، فقال: إنى والله سيكون لى ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلا وأما الآن فلا. **(الثالثة)**: عن إسمعيل بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم. قال: قعدت لأبى محمد الحسن على باب دار حتى خرج فقمت فى وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة وأقسمت أنى لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه؛ فقال: تقسم وقد دفنت مائتى دينار فشكرت له ووليت؛ فقال: ما أخوفنى أن تفقد مائتى الدينار أحوج ما تكون إليها فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هى فى مكانها فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد ثم قعدت مدة طويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها فى مكانها فلم أجدها فحزنت وشق ذلك على فوجدت ابنا لى قد عرف مكانها وقد أخذها وأنفذها ولم أحصل منها على شىء وكان كما قال. **(الرابعة)**: عن محمد بن حمزة الدورى قال: كتبت على يدى أبى هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخياً لأبى محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لى بالغنى وكنت قد أملقت وخفت الفضيحة فخرج الجواب على يده أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثاً سواك وهى واردة عليك عن قريب فاشكر الله وعليك الاقتصاد وإياك والإسراف؛ فورد على المال والخبر بموت ابن عمى كما قال عن أيام قلائل وزال عنى الفقر وأديت حق الله تعالى فيه وبررت إخوانى وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل ذلك مبذراً.

(فائدة) عن أبى هاشم: قال: سمعت أبا محمد الحسن يقول: «إن فى الجنة بابا يقال له: المعروف لا يدخل منه إلا أولو المعروف» فحمدت الله فى نفسى وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إلى؛ وقال: يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة. وعنه أيضاً قال: سمعت أبا محمد يقول: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

(تتمة فى الكلام على وفاته وولده رضى الله عنه): فى «الفصول المهمة». ولما ذاع خبر وفاته ارتجت «سُرَّ مَنْ رَأى» وقامت صيحة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته فكانت «سُرَّ مَنْ رَأى» يومئذ شبيهة بالقيامة فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبى عيسى بن المتوكل ليصلى عليه فصلى عليه ودفن في البيت الذى دفن فيه أبوه من دارهما «بسُرَّ مَنْ رَأى»؛ وكانت وفاة أبى محمد الحسن بن علىٍّ فى يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين؛ وخلف من الولد ابنه محمداً.

فصل

فى ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

(أمه): أم ولد؛ يقال لها: نرجس؛ وقيل: صقيل؛ وقيل: سوسن. و(كنيته): أبو القاسم. و(لقبه): الإمامية بالحجة والمهدى والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدى. (صفته رضى الله عنه): شاب مربوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل شعره على منكبيه أقنى الأنف أجلى الجبهة. **(نوابه)**: محمد بن عثمان. **(ومعاصره)**: المعتمد كذا فى «الفصول المهمة» وهو آخر الأئمة الاثنى عشر على ما ذهب إليه الإمامية؛ وفى «الفصول المهمة»: قيل: إنه غاب فى السرداب والحرس عليه وذلك فى سنة ست وستين ومائتين وفى «الصواعق» ويسمى: القائم المنتظر. قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعلم أين ذهب؟. اهـ وذكر العلامة الشيخ محمد بن بطوطة فى رحلته ما نصه: «ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهى مستطيلة مع الفرات وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية وبها مسجد على بابه ستر حرير يقولون: إن محمد بن الحسن العسكرى دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الإمام المهدى المنتظر فيهم كل يوم يلبس آلة الحرب مائة منهم، ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مسرجة ملجمة، ومعهم الطبول والبوقات ويقولون: اخرج يا صاحب الزمان، فقد كثر الظلم والفساد، وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل ويقفون إلى الليل ثم يعودون كذلك دأبهم أبداً. اهـ. وفى تاريخ ابن الوردى: ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب فى دار أبيه «بِسُرَّ مَنْ رَأَى» وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها وكان عمره تسع سنين وذلك فى سنة خمس وستين على خلاف فيه. اهـ. قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجى فى كتابه «البيان فى أخبار صاحب الزمان»: من الأدلة على كون المهدى حياً باقياً بعد غيبته وإلى الآن وأنه لا امتناع فى بقائه بقاء عيسى بن مريم والخضر وإلياس من أولياء الله تعالى وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله تعالى وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة. أما عيسى عليه السلام فالدليل على بقائه قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ (١).

ولم يؤمن به مذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا أحد فلابد أن يكون فى آخر الزمان،

---

(١) سورة النساء آية ١٥٩.

ومن السنة ما رواه مسلم فى صحيحه عن ابن سمعان فى حديث طويل فى قصة الدجال قال: «**فينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين**» وأما الخضر وإلياس فقد قال ابن جرير الطبرى: الخضر وإلياس باقيان يسيران فى الأرض. وأما الدجال فقد روى مسلم في صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا أن قال: «**يأتى وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال: إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون فى الأمر؟، فيقولون: لا. فيقتله ثم يحيئه فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله: فلن يسلط عليه**» قال إبراهيم بن سعيد: يقال: إن هذا الرجل هو الخضر. وهذا لفظ صحيح مسلم. وأما الدليل على بقاء اللعين إبليس فالكتاب وهو قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ**﴾ (١). وأما بقاء المهدى فقد جاء في تفسير الكتاب العزيز عن سعيد بن جبير فى تفسير قوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (٢).

قال هو المهدى من ولد فاطمة رضى الله عنها. وأما من قال إنه عيسى فلا منافاة بين القولين إذ هو مساعد للمهدى وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين فى تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ (٣). قال هو المهدى يكون فى آخر الزمان وبعد خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها. ا هـ. وفى «درر الأصداف» ما نصه: وزعمت الشيعة أن المنتظر هو محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهم يقولون: بالرجعة ولهم فى ذلك أشعار وروايات منها. قولهم: لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدى وهو محمد بن على رضى الله عنهما فيملؤها عدلا كما ملئت جوراً ويحيى موتاهم فيرجعون إلى الدنيا ويكون الناس أمة واحدة وفى ذلك يقول شاعرهم:

أَلا إِنَّ الأئمةَ مِنْ قُرَيْشٍ ... وُلاةُ العدلِ أربعةٌ سواءُ
عَلِيٌّ والثلاثةُ مِنْ بَنِيهِ ... هُمُ الأسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خفاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيمَانٍ وَبِرٍّ ... وَسِبْطٌ ضَمَّتْهُ كربلاءُ
وَسِبْطٌ لا يَذُوقُ الموتَ حَتَّى ... يَقُودَ الخيلَ يَقْدُمُهَا اللواءُ

---

(١) سورة الأعراف آية ٣٥.
(٢) سورة التوبة آية ٣٣.
(٣) سورة الزخرف آية ٦١.

أراد بالأسباط الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية رضى الله عنهم وهو المهدى الذى يخرج آخر الزمان بزعمهم وكان على هذا المذهب السيد الحميرى وله من الأبيات:

إِمَامَ الهدى قُلْ لى: متى أَنْتَ آيِبُ؟ فَمُنَّ علينا يا إمامُ برجعة
مَلَلْنَا وَطَالَ الانتظارُ فَجُدْ لَنَا بحقِّكَ يا قُطْبَ الوجود بزورةَ
فَأَنْتَ لِهَذا الأَمْرِ قَدَمًا معينٌ كَذَلِكَ قَالَ اللهُ: أَنْتَ خليفتى

قال وفى كتاب «جامع الفنون فى مبحث الجبال»: جبل رضوى هو من المدينة على سبع مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية وهو أخضر يرى من بعيد وبه أشجار ومياه زعم الكيسانسة أن محمد بن الحنفية رضى الله عنه حى وهو مقيم به وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وأنه يعود بعد الغيبة ويملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً وهو المهدى المنتظر وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك.
وقيل: إلى يزيد ابن معاوية. قال: وكان السيد الحميرى على هذا المذهب وهو القائل:

أَلاَ قُلْ لِلْوَصِىِّ فَدَتْكَ نَفْسِى أَطَلْتَ بذَلِكَ الجبلِ الْمُقَامَا

وهذه كلها أقوال فاسدة وبضائع كاسدة ليس بها فائدة فإن محمد بن الحنفية رضى الله عنه توفي بالمدينة المنورة. وقيل: بالطائف كما تقدم؛ وإنما الخليفة المنتظر هو محمد بن عبد الله المهدى القائم فى آخر الزمان وهو يولد بالمدينة المنورة لأنه من أهلها كما أخبر به وبعلاماته النبى ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1]. ا هـ.

(تتمة فى الكلام على أخبار المهدى): واعلم أنهم اختلفوا فيه هل من ولد الحسن السبط رضى الله عنهما؟. وهو ما رواه أبو داود فى سننه وذهب إليه المناوى فى كبيره وكأن سره تركه الخلافة لله عزّ وجلّ شفقة على الأمة، أو من ولد الحسين السبط رضى الله عنه قال بعضهم وهو الصحيح: اسمه أحمد أو محمد بن عبد الله. قال القطب الشعرانى فى «اليواقيت والجواهر»: المهدى من ولد الإمام الحسن العسكرى بن الحسين ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقى المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة؛ ووافقه على ذلك سيدى على الخواص. ا هـ. **(صفته)**: شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال. وأخرج الرويانى والطبرانى وغيرهما: **«المهدى من ولدى وجهه كالكواكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم إسرائيلى أى طويل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً»**. قال الشيخ محيى

(١) سورة النجم: الآيتان: ٣، ٤.

الدين فى «الفتوحات»: واعلم أن المهدى إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة عنه ويعينونه على ما قلده الله ينزل عليه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بالمنارة البيضاء شرقى دمشق متكئاً على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس فى صلاة العصر فيتنحى له الإمام من مكانه فيتقدم فيصلى بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمد ﷺ يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله إليه المهدى طاهراً مطهراً. وفى زمانه يقتل السفيانى عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه فى البيداء فمن كان مجبوراً من ذلك الجيش مكرهاً يحشر على نيته (وهذه نبذة من الأحاديث الواردة فى حقه): عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لم يبق إلا يوم لبعث الله تعالى رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جوراً**» أخرجه أبو داود فى سننه وأخرج أبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً**». زاد أبو داود «**يملك سبع سنين**» وقال الترمذى: حديث ثابت صحيح ورواه الطبرانى فى معجمه وغيره وأخرج ابن شبرويه فى كتاب «الفردوس» فى باب الألف واللام عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدى ولدى وجهه كالقمر الدرى واللون منه لون عربى والجسم جسم إسرائيلى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل السموات والأرض والطير فى الجو يملك عشر سنين**» وأخرج الحافظ أبو نعيم عن ثوبان رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدى**». وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج المهدى من قرية يقال لها: كريمة**». وأخرج الحافظ أبو عبد الله محمد بن ماجة القزوينى فى حديث طويل فى نزول عيسى ابن مريم عليه السلام عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال فقال فيه: إن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص قالت أم شريك بنت أبى العسكر: فاين العرب يومئذ؟. قال ﷺ: «**هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وإمامهم المهدى وقد تقدم ليصلى بهم الصبح إذ نزل عيسى ابن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص عن عيسى القهقرى ليتقدم عيسى يصلى بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم**» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟**» رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وعن بن عبدالله رضى الله عنهما. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة**

والسلام فيقول أميرهم: صل بنا. فيقول: ألا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هرون العبدى وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده عداً». وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى «آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده عداً». وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدى يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه سكان السماء والأرض يقسم المال صحاحاً، فقال رجل: ما معنى صحاحا؟ قال: بالسوية بين الناس ويملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي يقول: من له بالمال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: أنا. فيقول له: ائت السادن يعني الخازن، فقل له: إن المهدى يأمرك أن تعطينى مالا فيحثو له فى ثوبه حثوا حتى إذا صار فى ثوبه يندم منه ويقول: إنا لا نأخذ شيئاً مما أعطيناه فيكون المهدى كذلك سبع سنين أو ثمانى أو تسعاً ثم لا خير فى العيش بعده، أو قال: ثم لا خير فى الحياة بعده» وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له: المهدى عطاؤه هيناً». أخرجه أبو نعيم فى الرد على من زعم أن المهدى هو المسيح. وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه. قال: «قلت يا رسول الله: أمنا آل محمد المهدى أو من غيرنا؟. فقال ﷺ: لا بل منا يختم الله له الدين كما افتتح بنا وبنا ينقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً فى دينهم» قال بعض أهل العلم: هذا حديث حسن عال رواه الحفاظ فى كتبهم أما الطبرانى فقد ذكره فى المعجم الأوسط وأما أبو نعيم فرواه فى «حلية الأولياء» وأما عبد الرحمن بن حماد فقد ساقه فى عواليه. وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدى وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادى هذا خليفة الله المهدى فاتبعوه». أخرجه أبو نعيم والطبرانى وغيرهما وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتى يفتح القسطنطينية وجبل الديلم ولو لم يبق إلا يوم طول الله ذلك اليوم حتى يفتحها». هذا سياق الحافظ أبى نعيم، وقال: هذا هو المهدى بلا شك وفقا بين الروايات وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة. ثم يخرج المهدى من بيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً». رواه أبو نعيم فى فوائده والطبرانى فى معجمه وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «تنعم أمتى فى زمن المهدى نعمة لم ينعموا مثلها قط ترسل السماء عليهم مدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته». رواه الطبرانى في معجمه الكبير وروى أبو داود عن ذر بن عبد الله. قال: قال

رسول الله ﷺ: «**لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى**» **وفى رواية «واسم أبيه اسم أبى»**.

(فوائد): الاولى قال فى «الصواعق»: الأظهر أن خروج المهدى قبل نزول عيسى وقيل: بعده **(الثانية)**: تواترت الأخبار عن النبى ﷺ: أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا. **(الثالثة)**: تواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى على قتل الدجال بباب اللد بأرض فلسطين بالشام. **(الرابعة)**: جاء فى بعض الآثار أنه خرج فى وتر السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع. **(الخامسة)**: أنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرق الجند إلى الأمصار. **(السادسة)**: أن السنة من سنيه مقدار عشر سنين. **(السابعة)**: أن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب تظهر له الكنوز لا يبقى فى الأرض خراب إلا عمره. وهذه علامات قيام القيامة مروية عن أبى جعفر رضى الله عنه. قال: «إذا تشبه الرجال، بالنساء والنساء بالرجال، وركبت ذوات الفروج السروج، وأمات الناس الصلوات، واتبعوا الشهوات، واستخفوا بالدماء، وتعاملوا بالربا، وتظاهروا بالزنا، وشيدوا البناء، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشا،، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين، بالدنيا وقطعوا الأرحام، وضنوا بالطعام، وكان الحلم ضعفاً ،والظلم فخراً ،والأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والأعوان ظلمة، والقراء فسقة، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وبدأ الفجور، وقبلت شهادة الزور، واستغنت النساء بالنساء، واتخذ الفىء مغنماً ،والصدقة مغرماً ،واتقى الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السفيانى من الشام، واليمانى من اليمن، وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة، وقتل غلام من آل محمد ﷺ بين الركن والمقام، وصاح صائح من السماء بأن الحق معه ومع أتباعه. قال: فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع عليه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من أتباعه فأول ما ينطق به هذه الآية: ﴿**بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (١). ثم يقول: أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه أحد إلا قال: السلام عليك يا بقية الله فى الأرض. فإذا اجتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا أحد ممن يعبد غير الله تعالى إلا آمن وصدق وتكون الملة واحدة ملة الإسلام وكل ما كان فى الأرض من معبود سوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله أعلم».

●●●●●

---

(١) سورة هود آية ٨٦.



الباب الثالث

فى ذكر جماعة من أهل البيت لهم فى مصر القاهرة مزارات مشهورة ومساجد معمورة

حيث انجر الكلام إلـى ذكر مصر القاهرة ينبغـى أن نذكر طرفاً يتعلق بهـا فنقول مصر تذكر وتؤنث. وَحَدُّهَا : طـولا: من برقة التى فى جنـوب البحر الرومى إلى أيلـة ومسافة ذلك قريب من أربعين يومـاً . وعرضها: من مدينة أسوان وما سامتها مـن الصعيد الأعلى إلى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً سمـيت: باسم مـن سكنهـا وهو: مصر بـن بيصـر بن سام بن نـوح. وقيل: غيـر ذلك؛ وسميت: القـاهرة لما روى أن جوهرا القائد لمـا أراد إقامة السور جمع المنـجمين وأمرهم أن يختـاروا طالعا لحفر الأسـاس وطالعا لرمى الحـجارة فجعلوا قـوائم من خشب بين الـقائم والقائم حـبل فيه جرس، وأفهمـوا البنائين أن ساعة تحـريك الجرس يرمون ما بأيـديهم من الطين والحجارة ووقـف المنجمون لتحريـر هذه الساعة، وأخذ الطالـع واتفق، وقوع غراب على خشبة من ذلك الخـشب، فتحركت الأجراس، فظنوا أن المنجمين حـركوها؛ فألقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين فصاح المنجـمون: لا لا القاهرة فوافق أن المريخ كان فى الطالع وهو عند المنـجمين بالقاهر نقـله بعضهم. (قال السـيوطى) فى كتابه «حسـن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة»: وقد ذكرت مصر فى القرآن المجيد فى أكثر من ثلاثين موضعاً بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية. فمن الصريح ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة:٦١] ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس ٨٧] ﴿ اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ [يوسف: ٢١]. ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ [يوسف: ٩٩] ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف ٥١] ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف ٣٠] ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ﴾ [القصص :١٥] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [القصص :١٨] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ [القصص: ٢٠] ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [الأعراف ١٢٣] ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] وهى مصر لأن الـربا لا تكون إلا بها. ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥] ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٦] ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩] ﴿الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [غافر: ٢٩] ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف ١٢٩] ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ [الأعراف: ١٣٧] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠]و[الشعراء: ٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٥٧ ـ٥٨] قيـل المقام الكريم: الفيوم. وقيل: مـا كان لهم من المنابر والمجالس التى تجـلس فيها الملوك؛ ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٥] ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣] ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ [المائدة ٢١] قيـل: هى مصر؛ ﴿نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة

:٢٧] ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠] فجعل الشام بدواً ،وسمى: مصر مصراً ومدينة، وقد ورد فى مصر عدة أخبار منها: ما روى عن كعب بن مالك عن أبيه: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً**». وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً**». وقال ﷺ: «**إذا فتح الله عليكم مصر.فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض؛ فقال أبو بكر: ولم يا رسول الله؟.قال: لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة**». أورده الشيخ عبد الله الشرقاوى فى «تحفة الناظرين». وفى حاشيته على التحرير ما نصه: وقد اختار الغنى مصر وتبعه الذل، واختار الكرمُ الشامَ وتبعته الشجاعة والفقر؛ وخص الغرب بالبخل وسوء الخلق؛ والحجاز بالقناعة والصبر؛ والعراق بالعلم والعقل. وفى «حاشية البرماوى على المنهج» قال بعضهم: «شأنها عجيب وسرها غريب خلقها أكثر من رزقها من لم يخرج منها لم يشبع». قال بعض الحكماء: «نيلها عجب وترابها ذهب ونساؤها لعب وصبيانها طرب وأمراؤها جلب وهى لمن غلب والداخل فيها مفقود والخارج منها مولود»، وفى الحديث: «**يساق إليها أقصر الناس أعماراً**». روى: أن عمر بن الخطاب كتب لكعب الأحبار أن اختبر لى المنازل كلها: فقال له: قد بلغنا أن الأشياء كلها اجتمعت؛ فقال: السخاء أريد اليمن، فقال حسن الخلق: وأنا معك؛ وقال الحياء: أريد الحجاز فقال له الفقر: وأنا معك؛ وقال البأس أى القوة والشجاعة: أريد الشام، فقال له السيف: وأنا معك؛ وقال العلم: أريد العراق؛ فقال له العقل: وأنا معك؛ وقال الغنى: أريد مصر، فقال له الذل: وأنا معك؛ فاختر لنفسك ما شئت. وروى مرفوعاً: «**أن إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها، ثم دخل الشام فطرد منها حتى بلغ تلمسان، ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقرية فيها**». وحكى: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو خليفة بمصر عرفنى عن مصر وأحوالها وما تشتمل عليه وأوجز فى العبارة فأرسل إليه:

وَمَا مِصْرُنَا مِصْرٌ وَلَكِنْ أَرْضُهَا ... كَجَنَّةِ فِرْدَوْسٍ لِمَنْ كَانَ يُبْصِرُ
فَأَوْلَادُهَا الْوِلْدَانُ وَالْحُورَ غِيدُهَا ... وَرَوْضَتُهَا الْفِرْدَوْسُ وَالنَّهْرُ كَوْثَرُ

وأهل مصر الغالب عليهم الأفراح، واتباع الشهوات، والانهماك فى اللذات، وتصديق المحالات، وفى أخلاقهم رقة، وعندهم بشاشة، ومكر وخداع، وتملق ولا ينظرون فى عواقب الأمور، وعندهم قلة الصبر فى الشدائد، وشدة الخوف من السلطان، ويخبرون بالأمور المغيبة قبل أن تقع.

(لطيفة) يوجد فى مصر فى كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال: رطب توت

ورمان باب،ه وموز هاتور، وسمك كيهك، ومـاء طوبة، ورميس أى خروف أمشير، ولبن برمهات وورد بـرمودة، ونبق بشنـس، وتين بئونة، وعسـل أبيب، وعنب مسـرى، وسبع الزهرات التى تجتمع فى أواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى غيرها من البلاد وهى: النرجس، والبنفسج والورد النصيبى، والهجانى، وزهر النارنج، والياسمـين، والنسريـن. ا هـ من «تحفة الناظرين». واعلم أنه لا عبرة بالاختلاف فى دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر القـاهرة مزارات فإن الأنوار التـى على أضرحتهـم شاهد صدق على وجـودهم بهذه الأمكنة ولا يـنكر ذلك إلا من ختـم الله على قلبه وجـعل على بصره غـشاوة. (وقد قال القطب الشـعرانى فى مننه): كان سيـدى على الخواص رحمه الله تعالى يـقول: حكم باب البرزخ حكم التيار الـذى نزل فيه إنسان فيغطس ثم يطفو من موضـع آخر كما وقع لسيدى أحمد بن الرفاعى والسيدة نفيسة ثم إذا نفـخ فى الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل. (قال الشعرانى): قال سيدى على الخواص وأصل دفنها يعنى السيدة نفيسة كان بالمراغة قريباً من القبر الطويل فى الشارع ولكن ظهرت فى هذا المكـان الذى كانت تتعبد فيه لتعلق قلبها به، وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه يؤم بهـا فيه فى صلاة التراويح؛ وأما سيدى أحمد ابن الرفاعى رحـمه الله تعالى فله قبر فى بـلده أم عبيدة، وقبر آخر فى الصـحراء التى كان يتعبد فيها؛ والناس يزورونهما؛ ولكن لا يحـصل لهم الهيبة والرعدة إلا عند قبره الذى فى البرية. انتهى. فعض يا أخى على ما قاله الخواص للشعرانى بأسنانك، واجعله نصب عينيك تسلم والله يتولى هداك. قال بعض العلماء بعد كلام يتعلق بالزيارة وصاحب المزارات: مثل هذه الأشياء تـؤخذ بحسن النية فـإذا كان صاحب المزار ما هو فـيه فالزيارة تصل إليـه أينما كان. ا هـ (وقال الشعرانى فى الباب العاشـر من المنن): ومما من الله تبارك وتعالى به على زيارتي كل قـليل لأهل البيـت الذين دفنوا فى مصـر كلهم أو رءوسهم فـقط وأزورهم فى السنة ثلاث مرات بـقصد صلة رحم رسول الله ﷺ ولم أر أحداً من أقرانى يـعتنى لذلك؛ إما لجهله بمقامهـم؛ وإما لدعواه عدم ثبوت كونهم دفنوا فى مصـر؛ وهذا جمود فإن الظن يكفينا فى مثل ذلك انتهى؛ ثم إنه ذكر فى هذه المنة أيضاً أسماء جماعة من أهل البيت لهم مزارات بمصر القاهرة أخبره عنهم سيدى على الخواص رحمه الله، وفى آخرها قال: فهؤلاء الذين بلغـنا أنهم فى مصر من أهل البـيت وصححه أهل الكشف. قال: وكـان سيدى على الخواص رضي الله عنه يختم زيارة أهل البيت بالإمام الـشافعى رضى الله تعالى عنه فعليك يا أخى بزيارة قرابة نبـيك محمد ﷺ وقدمهم على زيارة كل ولى فى مـصر عكس ما عليه العامـة فلا تكاد ترى أحـداً منهم يعـتني بزيارة أحـد ممن ذكرنا أبداً ويـعتنى بزيـارة بعض المجاذيب وينام فى موالدهم وهذا كله من جملة الجهل فاحذره ترشد والحمد لله رب العالمين (**وينبغى**) لكل من أراد أن يزور ولياً من أولياء الله أو من هو من أهل البيت أن يتخلق بآداب

الزيارة قبل التوجه ليعود عليه المدد ممن زاره قال الشعرانى فى «الأنوار» وهى التشوق إلى المزور والجزم بفضله وطهارته من المعاصى المعنوية والحسية والتماس بركة دعائه وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع وحفظ اللسان من الوقوع فى أعراض الناس وإن كان هذا عاماً، وإن خلت الزيارة عن هذه الآداب فلا نفع بها ولا ثواب بل هي تكلف إنفاق وإذا زرته بحسن القصد وحسن الأدب والتوسل به إلى ربك إن كان من الموتى وكان من أهل الله فإن لابد لك من المدد الأوفر فإن الله سبحانه وتعالى قد وكل بقبور الأكابر ملائكة يقضون حوائج الزائرين لأن أهل الله محل الكرم والسخاء أحياء وأمواتاً ومن دخل بيت كريم لا يرجع من غير مدد لاسيما إذا كانوا من أهل البيت رضى الله عنهم انتهى.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب السيدة سكينة بنت الحسين

ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

(أمها الرباب) بنت امرىء القيس بن عدى بن أوس الكلبى كان نصرانياً فجاء إلى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فدعا له برمح وعقد له علـى من أسلم بالشام فى قضاعة فتولى قبل أن يصلـى صلاة وما أمسى حتى خطب إليـه الحسين بنته الرباب فزوجه إيـاها فأولدها عبدالله وسكينـة رضى الله عنهم نقله الخطيـب البغدادى ومثله فى الاغانى؛ وسـكينة بضم السين وفتح الكاف وسكون الياء كذا ويؤخذ من عبـارة القاموس لقب لقبتها به أمها الرباب واسم سكينة أمسمة، وقيل: أمسنة، وقيل: أمـية، وقيل: آمنة قال أبو الفرج: وهو الصحيح كذا فى تاريخ ابن خلكان والاغانى. نقل أبو الفـرج عن مالك بن أعين قال سمعت سكينة بنت الحسين رضى الله عنها تقول عاتب عمى الحسن أبى فى أمى فقال أبى:

لَعَمْرُكَ إِنَّنـى لأُحـــبُّ داراً ... تكُــونُ بِهَـــا سُكَيْنَةُ والربابُ
أُحِبُّهُمَا وَأَبْذُلُ جُــــلَّ مَالى ... وَلَيْسَ لِعَاتِبٍ عندى عتَـــابُ
وَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَــابُوا مُعِيبَــاً ... حَــيَاتِى أَوْ يُغَيِّبَنِــى التُّرَابُ

قال هشام بن الكلبى: كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين رضى الله عنه، فقالت: ما كنت لاتخذ حما بعد رسول الله ﷺ: ولما قتل الحسين رضى الله عنه رثته بأبيات منها:

إنَّ الَّذى كَانَ نُوراً يُسْتَضَاءُ به ... بكَرْبَلاَءَ قَتِيــــلٌ غَيْرُ مَدْفُونِ
سِبْطَ النَّبِى جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً ... عَنَّا وَجَنِّبْتَ خُسْرَانَ المـوازيـنِ
قَدْ كُنْتَ لِى جَبَلاً صَعْباً أَلُوذُ به ... وكُنْتَ تَصْحَبُنَا بالرَّحـمِ والدينِ
مَنْ لِلْيَتَامَى وَمَنْ للسَّائلينَ وَمَنْ ... يَعنـى وَيَأْوى إليـه كلُّ مسكينِ
واللهِ لاَ أَبْتَغِى صِهْراً بِصِهْرِكُمُ ... حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمـلِ والطـينِ

(وفى الفصول المهمة): وبـقيت بعده سنة لا يظلها سقف بيـت إلى أن ماتت رحمها الله. وفى تاريـخ ابن خلكـان: كانت سكـينة سيدة نـساء عصرهـا ومن أجمل الـنساء، وأظرفهن وأحسنهن أخـلاقاً، وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنـها، ثم تزوجها عبدالله ابن عثـمان بن عبد الله بن حـكيم بن حزام فولـدت له قرينا. ثـم تزوجها الأصبغ بـن عبد

العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول. ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل، وقيل: فى ترتيب أزواجها غير هذا. والطرة السكينية منسوبة إليها، ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم انتهى. وفى الأغانى: كانت سكينة أحسن الناس شعراً وكانت تصفف جمتها تصفيفًا لم ير أحسن منه، حتى عرف ذلك. وكانت الجمة تسمى السكينية، وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه. ا هـ. (وفى درر الأصداف): كانت سكينة رضى الله عنها من الجمال والأدب والفصاحة بمنزلة عظيمة، وكان منزلها مألف الأدباء والشعراء وتزوجت عبد الله بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه فقتل عنها بالطف قبل أن يدخل بها. ثم تزوجها مصعب بن الزبير رضى الله عنهما وأمهرها ألف ألف درهم وحملها إليه على بن الحسن رضى الله عنهما فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت له الرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول: ما ألبستها إياه إلا لتفضحه. (عن محمد بن سلام): قال اجتمع فى ضيافة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما: جرير. والفرزدق. وكثير. ونصيب. وجميل. مكثوا فى ضيافتها أياما. ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فجلست حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم. ثم أخرجت وصيفة قد وردت الأشعار، والأحاديث. فقالت: أيكم الفرزدق؟؛ فقال: هأنذا. فقالت له: أنت القائل:

هُمَا دلَّتَانِى مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ... كما انْقَضَّ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَاسِرُهُ
فَلَمَّا استَوَتْ رِجْلاَيَ فِى الأَرْضِ نَادَتَا: ... أَحَيٌ يُرَجَّى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهُ؟

قال: نعم. قالت: فمن دعاك إلى إفشاء سرك وسرهما هلا سترتهما وسترت نفسك؟. خذ هذه الألف والحق بأهلك، ثم دخلت على مولاتها وخرجت؛ فقالت: أيكم جرير؟، فقال لها: هأنذا، فقالت: أنت القائل:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةَ الفؤادِ وَلَيْسَ ذَا ... وَقْتَ الزِّيَارَةِ فارْجِعِى بِسَلاَمِ

قال: نعم. قالت: فهلا رحبت بها؟. خذ هذه الألف درهم وانصرف. ثم دخلت وخرجت، فقالت: أيكم كثير؟. فقال: هأنذا، قالت: أنت القائل:

وأَعْجَبَنِى يَا عزُّ منْكَ خَلاَئِقُ ... كِرَامٌ إذا عُدّ الْخَلاَئِقُ أربَعُ
دُنُوكِ حتي يطْمَعَ الطَّالِبُ الصِّبَّا ... ورفعك إنسانَ الهوى حين يَطْمَعُ
فَوَ اللهِ مَا يَدْرِى كَرِيمٌ مُمَاطِلٌ ... أَيَنْسَاكِ إِذْ بَاعَدْتِ أَوْ يَتَضَرَّعُ

قال: نعم. قالت: ملحت وشكلت خذ هذه الألف والحق بأهلك، ثم دخلت وخرجت، فقالت: أيكم نصيب؟. فقال: هأنذا، قالت: أنت القائل:

وَلَوْلاَ أَنْ يُقَالَ صَبَا نَصِيبٌ ... لَقُلْتُ بِنَفْسِى النشأ الصغارُ
بِنَفْسِي كُلُّ مهضوم حَشَاها ... إذا ظُلِمتْ فلَيْس لها انتصارُ

قال: نعم. قالت: ربيتنا صغارا، ومدحتنا كباراً خذ هذه أربعة الآلاف درهم والحق بأهلك، ثم دخلت وخرجت. فقالت: يا جميل مولاتى تقرئك السلام وتقول: والله ما زالت مشتاقة إلى رؤيتك منذ سمعت قولك:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادِى الْقُرَى إِنِّى إِذاً لَسَعِيدُ
فَكُلُّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ ... وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ

جعلت حديثنا بشاشة؛ وقتلانا شهداء خذ هذه ألف الدينار والحق بأهلك. وعن حماد عن أبيه عن أبى عبد الله الزبير قال: اجتمع راوية جرير، وراوية كثير، وراوية جميل، وراوية الأحوص، وراوية نصيب. فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبى أشعر فحكموا بينهم سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فاستأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها: الذى كان من أمرهم: فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذى يقول:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الفُؤادِ وَلَيْسَ ذَا ... وَقْتُ الزِيَارةِ فَارْجِعِي بِسَلاَمِ؟

قال: نعم. قالت: وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق قبح الله صاحبك؛ وقبح شعره. هلا قال: فادخلى بسلام؟ ، ثم قالت لرواية كثير: أليس صاحبك الذى يقول:

يَقَرُّ بِعَيْنِى مَا يَقَرُّ بِعَيْنِهَا ... وَأَحْسَنُ شَىْءٍ مَابِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ

وليس بعينها أقر من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح؟. قبح الله صاحبك، وقبح شعره. ثم قالت لرواية جميل: أليس صاحبك الذى يقول:

فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِى مَعِى مَا طَلَبْتُهَا : وَلَكِنْ طِلاَبِيهَا لما فَاتَ مِنْ عَقْلِى؟

قال: نعم. قالت: فما أرى بصاحبك من هوى إنما يطلب عقله. قبح الله صاحبك، وقبح شعره. ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبك الذى يقول:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ ... فَوَاحَزَنَا مَنْ ذَا يَهِيمُ بِهَا بَعْدِى؟

قال: نعم. قالت: فما أرى له همة إلا فيمن يتعشقها بعده قبحه الله، وقبح شعره. ألا قال:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ ... فَلاَ صَلُحَتْ دَعْدُ لِذِى خَلَّةٍ بَعْدِى؟

ثم قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الذى يقول:

مِنْ عَاشِقِين تَوَاعَدَا وَتَرَاسَلاَ ... حَتّى إِذَا نَجْمُ الثُّرَيَّا حَلّقَا
بَاتَا بِأَنْعَمِ لَيلةٍ وَأَلَذّها ... حتى إذا وَضَحَ الصباحُ تَفَرّقَا؟

قال: نعم. قالت: قبح الله صاحبك وقبح شعره. ألا قال: تعانقا؟. قال إسحاق: فلم تثن على أحد منهم فى ذلك اليوم ولم تقدمه، وفى رواية أخرى أنها قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذى يقول:

فَيَا لَيْتَنِى أَعْمَى أَصَمُّ تَقُودُنِى ... بُثَيْنَةُ لاَ يَخْفَى عَلَىَّ كَلاَمُهَا؟.

قال: نعم. قالت: رحم الله صاحبك إن كان صادقا. اهـ ومثله فى الأغانى لكن وقع فى الأغانى خلط فى نسبة الأبيات إلى الشعراء ولم يذكر كثير عزة وذكر الأحوص مرتين وهو سهو من الكاتب؛ وكان يقال: إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين فى الحسن. **(توفيت)** السيدة سكينة رضى الله عنها بمكة يوم الخميس. لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائة. وصلى عليها شيبة بن النطاح المقرى. كذا فى «درر الأصداف». وفى تاريخ ابن خلكان: توفيت سنة سبع عشرة ومائة وكانت وفاتها بالمدينة. قال الشيخ عبد الرحمن الأجهورى فى كتابه «مشارق الأنوار»: والأكثرون على أن سكينة بنت الحسين ماتت بالمدينة. وفى «طبقات الشعرانى»: أنها مدفونة بالمراغة بقرب السيدة نفيسة، يعنى بمصر القاهرة، ومثله فى «طبقات المناوى». فإن قلت: هذا كلام ينافى بعضه بعضا. فإنك ذكرت: أنها توفيت بمكة، وبالمدينة، وبمصر. قلت: لا منافاة، لأنه مر بك آنفا فى أول الباب أن حال البرزخ كحال التيار فلا تغفل.

(تنبيه) فى «منن الشعرانى» ما نصه وأخبرنى يعنى الخواص: أن السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها فى الرواية عند الدرب قريباً من دار الخليفة عند الحمصانيين. ا هـ.
لكن نقل الأجهورى عن الشعرانى: أنه قال فى مننه: إن السيدة سكينة أخت الحسين لا بنته وتعقبه فى «المشارق» ولعل نسخة «المنن» التى وقعت للأجهورى كان بها تحريف، والله أعلم.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب السيدة رقية بنت الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنها

(أمها): أم حبيب الصهباء التغلبية، أم ولد كانت من سبى الردة الذى أغار عليه سسيدنا خالد بن الوليد بعين التمر، فاشتراها سيدنا على رضى الله عنه من سيدنا خالد. فعمر الأكبر شقيق رقية. وفى «الفصول المهمة» توأمين وعمر عمر هذا خمساً وثمانين سنة. وحاز نصف ميراث على رضى الله عنه، وذلك أن إخوته أشقاءه. وهم: عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم؛ وعن الليث بن سعد والدارقطنى أن رقية بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ قال الشعرانى فى الباب العاشر من المنن: وأخبرنى يعنى الخواص أن رقية بنت الإمام على كرم الله وجهه فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين ومعها جماعة من أهل البيت [1] اهـ. وهو معروف الآن بجامع شجرة الدر. وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة. والمكان الذى فيه السيدة رقية عن يمينه. ومكتوب على الحجر الذى ببابه هذا البيت:

بُقْعَةٌ شَرُفَتْ بِآلِ النَّبِىِّ ... وَبِبِنْتِ الرِّضَا عَلِىٍّ رُقَيَّة

هذا وقد أخبرنى بعض الشوام أن السيدة رقية بنت الإمام على: كرم الله وجهه ضريحاً بدمشق الشام وأن جدران قبرها كانت قد تعيبت فأرادوا إخراجها منه لتجديده فلم يتجاسر أحد أن ينزله من الهيبة فحضر شخص من أهل البيت يدعى السيد بن مرتضى فنزل فى قبرها ووضع عليها ثوباً لفها فيه وأخرجها فإذا هى بنت صغيرة دون البلوغ وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل فحدثنى به ناقلا عن أشياخه.

(تنبيه): أجمع جمهور المؤرخين وأصحاب السير على أن للإمام على كرم الله وجهه رقية واحدة من غير السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وخالفهم الليث بن سعد فقال: إنها منها كما قدمناه ثم رأيت بعضهم صرح بأن للإمام رقيتين تدعى إحداهما بالكبرى من

---

(١) (قوله ومعها جماعة من أهل البيت) بذلك المكان عاتكة بنت عمرو بن نفيل القرشية كانت أجمل نساء زمانها تزوجها عبد الله ابن سيدنا الصديق. فقتل عنها بالطائف. ثم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب فقتل. ثم تزوجها سيدنا الزبير بن العوام فقتل. ثم تزوجها محمد ابن سيدنا الصديق فقتل عنها وأحرق فى جيفة حمار بمصر القديمة، ولم يبق إلا رأسه الشريف. فدفنه مولاه بمحراب المسجد. وقيل: تحت المئذنة. ثم آلت أنها لا تتزوج بعد ذلك. وكان سيدنا محمد عاملا على مصر ولاه الإمام على كرم الله وجهه. فإنه تزوج أمه بعد سيدنا الصديق. ورباه فهو ربيب للإمام رضى الله عنهما ونفعنا بهما. اهـ. من كتب السير. اهـ مؤلف.

السيدة فاطـمة والأخرى تدعى بالصغرى أمهـا: أم حبيب شقيقة عمر وقـد تقدم ذلك فى أول الترجمة.

(**كرامة**): نقل الأجهورى: أن السيدة رقية لما جاءت من المدينة اعترضها شخص من آل يزيد وأراد قتلها فوقفت يده فى الهواء وسقط ميتاً.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى

قال الجبرتى هكذا ذكر عن نفسه: نسبه (ولد): سنة خمس وأربعين ومائة قال الجبرتى: هكذا سمعته من لفظه ورأيته بخطه. قال: ونشأ ببلاده وارتحل فى طلب العلم وحج مراراً ثم ورد إلى مصر فى تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة وألف وسكن «بخان الصاغة»، وأول من عاشره وأخذ عنه السيد على المقدسى الحنفى من علماء مصر وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوى، والجوهرى، والحنفى، والبليدى، والصعيدى، والمدابغى؛ وتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه. واعتنى بشأنه إسمعيل كتخدا عزبان وأولاده: بره حتى راج أمره وترونق حاله، واشتهر ذكره عند الخاص والعام، ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وأكابره وعلمائه. وأكرمه شيخ العرب همام وإسمعيل أبو عبد الله وأبو على؛ وأولاد نصير. وأولاد وافى وهادوه وبروه، وكذلك ارتحل إلى الجهات البحرية مثل: دمياط. ورشيد. والمنصورة وباقى البنادر العظيمة مراراً حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها وأكرمه الجميع واجتمع بأفاضل النواحى وأرباب العلم والسلوك وتلقى عنهم وأجازوه؛ وأجازهم وصنف عدة رحلات فى تنقلاته فى البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح نظما ونثراً لو جمعت كانت مجلداً ضخماً وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا: بأبى الفيض وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف وذلك برحاب ساداتنا بنى وفا يوم زيارة المولد المعتاد؛ ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة وشرع فى «شرح القاموس» حتى أتمه فى عدة سنين فى نحو أربعة عشر مجلداً سماه «تاج العروس» ولما أكمله أولم له وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية؛ وذلك فى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه فى علم اللغة وكتبوا عليه تقاريظهم نثراً ونظماً فممن قرظ عليه شيخ الكل فى عصره: الشيخ على الصعيدى، والشيخ أحمد الدردير، والسيد عبد الرحمن العيدروس، والشيخ محمد الأمير، والشيخ حسن الجداوى، والشيخ أحمد البيلى، والشيخ عطية الأجهورى، والشيخ عيسى البراوى، والشيخ محمد الزيات، والشيخ محمد عبادة، والشيخ محمد العوفى، والشيخ الهوارى، والشيخ أبو الأنوار السادات، والسيد على القناوى، والشيخ على خرايط، والشيخ عبد القادر بن خليل المدنى، والشيخ محمد المكى، والسيد على القدسى، والشيخ عبد الرحمن، مفتى جرجا والشيخ على الشاورى، والشيخ محمد الخربتاوى، والشيخ عبد الرحمن المقرى، والشيخ

محمد سعيد البغدادى، الشهير بالسويدى؛ وهو آخر من قرظ عليه. قال: وكنت إذ ذاك حاضراً وكتبه نظماً ارتجالا. وذلك فى منتصف جمادى الثانية سنة أربع وتسعين ومائة وألف وهو:

شَرَحَ الشريفُ المرتضى القاموسَا ... وأَضَافَ مَا قَدْ فَاتَه قَامُوسَا
نَفَذَتْ صحَاحُ الجَوْهَرِى وغيرُها ... سَحَرَ المدائنَ حين ألقى موسى
إذ قَدْ أبانَ الدرَّ من صَدَفِ النُّهَى ... فى سلك جَمْهَرَةِ اللّهَى تأنيسَا
وبَنَى أساساً فائقاً واختارَ فى ... إتقانه مُخْتَارَةَ تأسيسَا
فأثارَ منْ مصبَاحِ مُزْهرٍ نُوره ... عَيْنَ الغبى فأبْصَرَتْه نفيسَا
فَهُوَ الفريدُ ولاَ يُثَنّى جَمْعُهُ ... إذْ لا يُحاكُ كمثله تدليسَا
فَلِسَانُ نَظْمِى عَاجزٌ عن مَدْحِه ... فاللهُ يَنْشُرُ نَشْرَه تقديسَا
ويُديمُ مولاى الشريفَ بعَصْرِنَا ... فى كلِّ قطرٍ للهداة رئيسَا
وإذَا تَوَجّه لى بلمحة نظرة ... إنّى سَعيدٌ لاَ أصيرُ خَسيسَا
أُهْدِى الصلاةَ مَعَ السلامِ لجدِّهِ ... هَدْياً جزيلاً لا يطاقُ نفيسَا
والآلِ مع صحبٍ وهذا المرتضى ... ومن ارتضى ومن اصطفاه أنيسَا

قد تركنا باقى التقريظات مخافة طول الكلام. (ولما أنشأ محمد بك أبو الدهب) الجامع المعروف بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب اشترى جملة من الكتب ووضعها فيه فأنهوا إليه «شرح القاموس» هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ووضعه فيها؛ وللمترجم له مصنفات خلاف «شرح القاموس» وشرح الإحياء كثيرة منها: كتاب «الجواهر المنيفة فى أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة» رحمه الله مما وافق فيها الأئمة الستة؛ وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الفقه. «والنفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية» جمع فيه أسانيد العيدروس وهى فى نحو عشرة كراريس «والعقد الثمين فى طرق الإلباس والتلقين». «وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق»و«وشرح الصدر فى شرح أسماء أهل بدر» فى عشرين كراسة ألفها لعلى أفندى درويش وألف باسمه أيضاً«التفتيش فى معنى لفظ درويش» ورسائل كثيرة جداً منها «رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبى الوفا»، «وبلغة الأديب فى مصطلح آثار الحبيب»، «وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام»، «وزهر الأكمام المنتشق عن جيوب الإلهام بشرح صيغة صلاة سيدى عبد السلام»، «ورشفة المدام المختوم البكرى من صفوة زلال صيغ القطب البكري». «ورشف سلاف الرحيق فى نسب حضرة الصديق»، «والقول المثبوت فى تحقيق لفظ التابوت»، «وتنسيق قلائد المنن فى تحقيق كلام

الشاذلى أبى الحسن»، «ولـقط اللآلى من الجوهر الغالى»، وهى فى أسانيد الأستاذ الحفنى وكتب له إجازته عليها فى سنة سبع وستين وذلك سنة قدومه إلى مصر . **«والنوافح المسكية** على الـفوائح الكشكـية» وجزء فى حديث «نـعم الأدم الخل» «وهدية الإخوان فـى **شجرة** الدخان»، «ومـنح الفيوضات الـوفية فيما فى سورة الرحمـن من أسرار الصفة الإلـهية»، «وإتحاف سيد الحى بسلاسـل بنى طى»، «وبذل المجهود فى تخريج حديث شيبتنى هود»، «والمربى الكابلى فيمن روى عن الشمس البابلى»، «والمقاعد العندية فى المشاهد النقشبندية»، «ورسالة فى المناشى والصفين على خطبة الشيخ مـحمد البحيرى البرهانى على تفسير سورة يونس»، «وتفسـير على سورة يونس مستقـلا على لسان القوم»، «وشرحا عـلى حزب البر للشاذلى»، «وتكملة لشرح حرب البكرى للفاكهى من أوله». فكمله للشيخ أحمد البكرى، «ومقامـة سماها إسعاف الأشـراف»، «وأرجوزة فى الفقـه نظمها بـاسم الشيخ حسـن عبد اللطيف الحسنى المقـدسى»، «وحديقة الصفا فى ولد المصطفى»، وقرظ علـيها الشيخ حسن المدابغى «ورسالة فى طبقات الحافظ»، «ورسالة فـى تحقيق قول أبى الحسن الشاذلى» وليس من الكرم إلخ. «وعقيلـة الأتراب فى سند الطريقة والأحزاب» صنفها لـلشيخ عبد الوهاب الشربينى. «والتعليقـة على مسلسلات ابن عقيلة»، «والمنح العلية فى الطـريقة النقشبندية»، «والانتصار لوالدى النبى المختار»، «وألفيـة السند»، «ومناقب أصحاب الحديث»، «وكشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام»، «ورفع الشكوى«وترويح القلوب بذكر ملوك بنى أيوب»، «ورفع الكلل عن العلل»، ورسالة سماها«قلنسـوة التاج»ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسى؛ وذلك لـما أكمل «شرح القاموس» المسمى: «بتاج العروس» فأرسل إليـه كراريس من أوله حين كان بمصـر وذلك فى سنة اثنتين وثـمانين ليلطلع عـليها شيخه الشـيخ عطية الأجهورى؛ ويكتـب عليها تقريظـات ففعل ذلك وكتب إليه يـستجيزه فكتب إليه متن العلماء وكتب فى آخرها ما نصه:

أَجَزْتُ لــــــــــه أَبْقَاهُ رَبِّى وَحَاطَه	بِكُلِّ حـديــث حـازَ سَمْعِى بـإتــقـان
وَفقْه وتــــاريـــخ وشــــعـــر رَوَيْتُه	ومـــا سَمِعَتْهُ أُذْنى وَقـــالَ لِسَانِى
علَـى شَرْط أصحابِ الحديث وَضَبْطهم	بريـا عن الـتصحيف من غـير نـكرانِ
كـتـبـتُ لَـه خَطِّى واسْمِى مَـحـمَـدُ	وبـالمـرتـضـى عُرِفْتُ واللهُ يَرْعَانِى
ولـــدتُ بـــعـــامِ أَرَّخُوا فَكَّ خَتْمِه	وَبِاللهِ تَوْفِيـــقى وبـــــالله تُكْلاَنِى

(وكتب) معها جواب كـتابه وقد تركنا ما كتبه خوفاً من الإطالة. وللمـترجم أشعار كثيرة جوهرية نفيسـة صحاح وعرائس أبيات ذات وجوه صباح منها قـوله من قصيدة يمدح

بها الأستاذ العلامة شمس الدين السيد محمد أبا الأنوار بن وفا رحمه الله ويذكر فيها نسبه الشريف:

مَدَحْتُ أبَا الأنـــــوارِ أبْغى بِمَدْحه ... وفورَ حُظُوظى مِنْ جليلِ المآرب
نجيباً تسامَى فى المشارقِ نُورُه ... فلاحتْ هواديه لأهلِ المغربِ
مُحمدُ البانى مشيد افتخاره ... بعزِّ المساعى وابتذال المواهبِ
رَبيبُ العُلا المخضلِ سيبِ نَوالِه ... سماء الندى المنهل صوبَ السحائبِ
كَريمُ السَّجايا الغُرُّ واسطةُ العُلا ... بَسيمُ المُحَيّا الطلق ليس بغاضبِ
حَوَى كُلَّ حلمٍ واحتوى كُلَّ حكمة ... فَفَاتَ مَرَامَ المستمرِ الموارب
به ازْدَهَتْ الدنيا بهاءً وبهجةً ... وزانَتْ جَمَالاً مِنْ جميعِ الجوانبِ
مَخَايلُهُ تُنْبيكَ عَمَّا وراءَها ... وأنوارُه تُهْديكَ سُبُلَ المطالبِ
لَهُ نَسَبٌ يَعْلُو بأكرمِ والدٍ ... تَبَلَّجَ منه عن كريمِ المناسبِ

وهى طويلة ذكرها فى خاتمه رفع نقاب الخفا (وله) أيضاً رحمنا الله وإياه بمنه وجوده وكرمه:

كاف الكيَاسَة مع كَيْسٍ إذا اجتمعا ... يوماً لمرء غَدَا فى العصر سُلْطَانَا
بالكَيْسِ يُصبحُ مَقْضِياً حَوَائجَهُ ... وبالكياسَةِ يُولِي الكيسَ إحْسَانا
والكَيْسُ مُنْفَرِداً مُغْنٍ لصاحِبِه ... والكَيْسُ مُنْفَرِداً يُوليه مَجّانَا

وله فى أسماء أهل الكهف على الخلاف الوارد فيهم:

بتمليخ مكسلمين مثلين بعده ... دبرنوش مرنوش كذا أسد الكهف
وخذ شادنوشا سادس الصحب ذاكراً ... كفشطيوش فى رواية ذى العرف
نوانس مانينوس مع بطنيوشهم ... مكرطونش تلك الروايات فاستوف
وكشفوطط كند سلططنوس هكذا ... روينا وأرنوش على حسب الخلف
وينبونس كشفطيط أربطانس ... ومرطوكش عند الأجلة فى الصحف
وكَلْبُهم قِطْميرٌ سابعُ سبعةٍ ... فخذْ وتوسلْ يا أخا الكربِ والرجفِ

ومن كلامه أيضاً:

تَوَكَّلْ عَلَى مَوْلاَكَ واخـــشَ عِقــابَه ... وداوِمْ عـلى الـتَّقوى وحِفْظِ الجـوارحِ
وَقَدِّمْ مِنَ الْبِرِّ الــذى تـسـتـطـيـعُهُ ... وَمِنْ عَمَلٍ يَرْضَاه مَوْلاَكَ صَـالــحِ
وأقبــلْ عـلـى فِعْلِ الجـمـيـلِ وبَذْلِه ... إلى أهـلِه ما استَطَعْتَ غـيرَ مـكالحِ
ولا تـســمعِ الأقْوالَ مِنْ كُلِّ جـانــبٍ ... فَلاَ بُدَّ مِنْ مُثْنٍ عَلَيْكَ وقـــــادحِ

ونظمه كثير، ونثره بحر غزير، وفضله شهير، وذكره مستطير ولولا مخافة التطويل لأوردنا قدراً قريباً من كراسة من نظمه الجليل؛ ولم يزل المترجم له رضى الله عنه يخدم العلم ويرقى فى درج المعالى ويحرص على جمع الفنون التى أغفلها المتأخرون: كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث، واتصال طريق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين، وألف فى ذلك كتباً ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة. ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالاء تجاه جامع محرم أفندى، بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفى؛ وذلك فى أوائل سنة تسع وثمانين ومائة وألف. وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالاكابر والاعيان، فأحدقوا به، وتحبب إليهم، واستأنسوا به، وواسوه، وأكرموه، وهادوه؛ وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظمهم ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقى ويجيزهم بقراءة؛ وأوراد وأحزاب. فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية ورغبوا فى معاشرته لكونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ويعرف باللغة التركية والفارسية بل وبعض لسان الكرج فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه ثم شرع فى إملاء الحديث على طريق السلف فى ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة وكل من قدم عليه يملى عليه المسلسل بالأولية؛ وهو حديث الرحمة برواته ومخرجية، ويكتب له سنداً بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك؛ ثم إن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة. فقال لهم: لابد من قراءة أوائل الكتب. واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعداً عن الناس. فشرعوا فى صحيح البخاري بقراءة السيد حسين الشيخونى؛ واجتمع عليهم بعض أهل الخطة؛ والشيخ موسى الشيخونى إمام المسجد؛ وخازن الكتب وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيرها. وتناقل فى الناس سعى علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعى؛ والشيخ مصطفى الطائى، والشيخ سليمان الاكراشى؛ وغيرهم للأخذ عنه فازداد شأنه، وعظم قدره واجتمع عليه أهل تلك النواحى، وغيرها من العامة الاكابر والأعيان، والتمسوا منه تبيين المعانى؛ فانتقل من الرواية إلى الدراية، وصار درساً عظيما. فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية، وقد استغنى عنهم هو أيضا، وصار يملى على الجماعة بعد قراءة شىء من الصحيح حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال ويسرد رجال سنده، ورواته من حفظة، ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك، فيتعجبون من ذلك

لكونهم لم يعهدوها ممن سبق من المدرسين المصريين، وافتتح درساً آخر فى مسجد الحنفى.
وقرأ «الشمائل» فى غير الأيام المعهودة بعد العصر، فازدادت شهرته، وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه، ومشاهدة ذاته لكونها على خلاف هيئة المصريين، وزيهم. ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرى والمستملي وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثة كثلاثيات البخارى أو الدارمى أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده وبناته ونساؤه من خلف الستارة وبين أيديهم مجامر بخور العنبر والعود مدة القراءة؛ ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبى ﷺ على النسق المعتاد. ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك؛ وهذه كانت طريقة المحدثين فى الزمن السابق. قال: كما رأيناه فى الكتب القديمة.
قال الجبرتى: يقول الحقير: إنى كنت مشاهداً وحاضراً فى غالب هذه المجالس والدروس ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم «بخان الصاغة» «وبمنزلنا بالصنادقية» «وبولاق». وأماكن أخر كنا نذهب إليها للنزهة مثل «غيط المعدية» «والأزبكية». وغير ذلك فكنا نشتغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها؛ وهو كثير مثبوت المسموعات على النسخ
غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها؛ وهو كثير مثبوت المسموعات على النسخ؛
وفى أوراق كثيرة موجودة إلى الآن، وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار مثل: مصطفى بك الإسكندرانى وأيوب بك الدفتردار، فسعوا إلى منزله، وترددوا لحضور مجالس درسه وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال؛ فاشترى الجوارى وعمل الأطعمة للضيوف وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة؛ وحضر عبد الرزاق أفندى الرئيس من الديار الرومية إلى مصر وسمع به فحضر إليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريرى، فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون ويطالع له ماتيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية؛ ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده إليه، وخلع عليه فروة سمور ورتب له تعييناً من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز؛ ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسايرة وغلالا من الأنبار؛ وأنهى إلى الدولة شأنه، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفاً فى كل يوم. وذلك فى سنة إحدى وتسعين فعظم أمره وانتشر صيته وطلب إلى الدولة فى سنة أربع وتسعين فأجاب ثم اتسع وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة فى صناديق، وطار ذكره فى الآفاق وكاتبه ملوك النواحى من الترك والحجاز والهند البعيدة، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية وترادفت عليه الهدايا والصلات والأشياء الغريبة، وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهى عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد

الحميد فوقع لها عنده موقع، وكذلك أرسلوا إليه من طيور البغاء والجوارى والعبيد والطواشية فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغربة تلك عندها ويأتيه فى مقابلتها أضعافها؛ وأتاه من طوائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة وماء الكادى والمربيات والعود والعنبر والعطر والشاه والأرطال وصار له عند أهل الغرب شهرة عظيمة، ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى حتى إن أحدهم إذا ورد مصر حاجاً ولم يزره ولم يصله بشىء لا يكون حجه كاملا فتراهم فى أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب؛ وكل من دخل منهم قدم بين يدى نجواه شيئاً إما موزونات فضة أو تمراً أو شمعاً على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة. ويرى: أنه قد قبل حجه وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته إلى يوم معاده وقس على ذلك ما لم يقل. **(وماتت)**: زوجته زبيدة **وكنيتها**: أم الفضل فى سنة ست وتسعين فحزن عليها حزناً كبيراً ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة وستوراً وفرشاً وقناديل ولازم قبرها أياماً كثيرة وكان يجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسى والقهوة والشربات، واشترى مكاناً بجوار المقبرة المذكورة وعمر بيتاً صغيراً وفرشه، وأسكن به أمها؛ وكان يبيت به أحيانا، وقصده الشعراء بالمراثى. فكان يقبل منهم ذلك، ويجيزهم عليه ورثاها هو بقصائد. قال الناقل: وجدتها بخطه بعد وفاته فى أوراقه المدشته على طريقة شعر مجنون ليلى، فمنها:

أَعَاذِل مَنْ يُرزأ كَرُزْئِى لاَ يَزَلْ ... كَئِيباً وَيَزْهَدْ بَعْدَه فى العواقب
أصابَتْ يَدُ البينِ المشتِّت شَمَائلى ... وَحَفَّتْ نِظَامِى عادياتُ النوائب(١)
وَكُنْتُ إِذا مَا زُرْتُهَا فى سُحَيْرَةٍ ... أَعُودُ إِلَى رحلٍ بَطِين الحقائبِ(٢)

ومنها:

يَقُولُونَ لاَ تَبْكِى زُبَيْدَةَ وَاتّئِدْ ... وَسَلِّ هُمُومَ النفسِ بالذِّكْرِ والصبرِ
وتأتى لِى الأشجانُ مِنْ كُلِّ وجْهَةٍ ... بمختلف الأحزانِ بالْهَمِّ والفكرِ
وَهَلْ لِى تسلٌّ من فراقِ حَبيبَةٍ ... لها الجَدَثُ الأعلى بِيَشْكُرَ مِنْ مِصر
أَبَى الدَمعُ إلا أَنْ يُعاهِدَ أَعيُنى ... بِمَحْجَرِهَا والقدرُ يَجرى إلى القدرِ
فَإِمّا تَرَوْنِى لا تَزَالُ مَدَامِعِى ... لَدَى ذِكْرِها تَجْرِى إلى آخرِ العمرِ

(١) الشمائل: جمع مفرده الشِّمَال: ضد اليمين وهنا: الخُلُق. حَفّت: حف: أطاف به واستدار، البين - البعيد.
(٢) سُحَيْرَة: تصغير سحر: وقت السحر. بُطين: البعيد: وأيضا عظيم البطن.

ولولا مخافة التطويـل لأوردنا شيئاً كثيراً من كلامه من هذا القـبيل(ثم تزوج): بعدها بأخرى، وهى التى مات عنها وأحرزت ما جمعـه من مال وغيره، ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظمم القدر والجـاه عند الخاص والعام. وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار وأقبلت عـليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية لـزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بـهم قبل ذلك إلا فى النادر لغرض مـن الأغراض وترك الدروس والإقراء؛ واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التـى كانت تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة وأرسل إليـه مرة أيوب بك الـدفتر دار مع نجلـه خمسين إردبـاً من البر وأحـمالا من الأرز والسمن والزيت وخمسمائة ريال نقوداً وبقج كساوى أقمشة هندية وجوخ وغير ذلك. فردها وكان ذلك فى رمضان، وكذلك مصطفى بك الإسكنـدرانى وغيرهما وحضرا إليه فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما؛ ورجعا من غير أن يواجهاه، وبالجملة فإنه كان فى جميع المعارف صدراً لكل ناد حتى قـوض الدهر منه رفيع العماد وآذنت شمسه بـالزوال، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال كما قيل:

وَزَهْرَةُ الدنيا وَإِنْ أَيْنَعَتْ فَإِنَّها تُسْقَى بِمَاءِ الزَّوَالِ

وقد نعاه الفـضل والكرم؛ وناحت لفراقه حـمائم الحزم؛ وأصيب بالطـاعون فى شهر شعبان سنة خمس ومائتين وألف؛ وذلك أنه صـلى الجمعة فى مسجد الكردى المواجه لداره فطعن بعد فراغه من الصلاة؛ ودخل إلى البيت؛ واعـتقل لسانه فى تلك الليلة. وتوفى يوم الأحد فأخفـت زوجته وأقاربها موته حـتى نقلوا الأشياء الـنفيسة والمال والذخائـر والأمتعة والكتب المكلفة؛ ثم أشاعوا موته يوم الاثنين فحضر عثمان بك طبل الإسماعيلى، ورضوان كتخدا المجنـون، وادعى أن المتوفى أقامه وصيـاً مختاراً ،وعثمان بك نـاظراً بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتـباع المجنون. يقال له: حسين أغا، فـلما حضروا وصحبتهمـا مصطفى أفندى صادق أخـذوا ما أحبوه وابتغـوه من المجلس الخارج وخرجـوا بجنازته وصلـوا عليه ودفن بقبر كان قد أعده لنفسه فى حياته بجـانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية؛ ولم يعلم بموته أهل الأزهر ذلك اليوم لاشتغال الناس بـأمر الطاعون وبعد الخطة ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجـنازة، ومات رضوان كتخدا فـى أثر ذلك واشتغل عثـمان بك والإمارة لموت سيده أيـضاً، وأهمل أمر تركتـه فأحرزت زوجته وأقاربـها متروكاته؛ ونقـلوا الأشياء الثمينة والـنفيسة إلى دارهم ونسى أمره شـهراً حتى تغيرت الدولة وتملـك الأمراء المصريون الذين كانوا بالجهة القبلية وتزوجت زوجته برجل من الأجناد من أتباعهم، فعند ذلك فتحوا التركة بـوصاية الزوجة من طـرف القاضى خوفاً مـن ظهور وارث؛ وأظهروا ما ابـتغوه مما انتقوه من الـثياب وبعض الأمتعة والـكتب والدشتات وباعوها بـحضرة الجميع فبلـغت نيفاً ومائة ألف نصـف فضة، وأخذ منها بيت المـال شيئاً ؛وأحرز الباقى مـع الأول قال الناقل:

وكانت مخلفاته شيئاً كثيراً جداً. أخبرنى المرحوم حسن الحريرى، وكان من خاصته وممن يسعى فى خدمته ومهماته: أنه حضر إليه فى يوم السبت، وطلب الدخول لعيادته فأدخلوه عليه فوجده راقدا معتقل اللسان، وزوجته وأصهاره فى كبكبة واجتهاد فى إخراج ما فى داخل الخبايا والصناديق إلى الليوان، ورأيت كوماً عظيماً من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشمير والفراء من غير تفصيل نحو الحملين وأشياء فى ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها. قال: ورأيت عدداً من ساعات العلب الثمينة مبدداً على بساط القاعة وهى بغلافات بلادها. قال: فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده ففتح عينيه ونظر إلى، وأشار كالمستفهم عما هم فيه ثم غمض عينيه وذهب فى غطوسه. فقمت عنه. قال: ورأيت فى الفسحة التى أمام القاعة قدراً كثيراً من شمع العسل الكبير والصغير والكافورى المصنوع والخام وغير ذلك مما لم أره ولم ألتفت إليه. ولم يترك ابناً، ولا بنتاً؛ ولم يرثه أحد من الشعراء.

(صفته): كان ربعة نحيف البدن، ذهبى اللون، متناسب الأعضاء، معتدل اللحية قد وخطه الشيب فى أكثرها. مترفهاً فى ملبسه؛ ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض؛ ولها عذبة مرخية على قفاه ولها حبكة وشراريب حرير، طولها قريب من فتر، وطرفها الآخر داخل طى العمامة وبعض أطرافه ظاهر؛ وكان لطيف الذات، حسن الصفات، بشوشا، بسوما، وقوراً محتشما، مستحضراً للنوادر والمناسبات، ذكيا لوذعيا، فطناً، ألمعياً، روض فضله نضير، وماله فى سعة الحفظ نظير. جعل الله مثواه قصور الجنان، وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران. اهـ.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب السيدة زينب بنت الإمام على كرم الله وجهه

(أمها): فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهى شقيقة الحسن والحسين رضى الله عنهم. (تزوجها): ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذى الجناحين بن أبى طالب؛ وولدت له عليًا، وعوناً ويدعى بالاكبر، وعباساً ،ومحمداً ،وأم كلثوم، وذريتها موجودة إلى الآن بكثرة. قال العلماء: ويتكلم عليهم من عشرة وجوه: (أحدها): أنهم من آل النبى ﷺ وأهل بيته بالإجماع لأن آله: هم المؤمنون فى بنى هاشم والمطلب. (الثانى): أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع لأن أولاد بنات الإنسان معدودون فى ذريته وأولاده حتى ولو أوصى لأولاد فلان دخل فيه أولاد بناته. (الثالث): أنهم لا يشاركون أولاد الحسن والحسين فى الانتساب إليه ﷺ، وإنما خص ﷺ أولاد فاطمة دون غيرها من بقية بناته، لأنهن لم يعقبن ذكرا ذا عقب حتى يكون كالحسن والحسين (الرابع) أنهم يطلق عليهم اسم الأشراف على الاصطلاح القديم. (الخامس): أنهم تحرم الصدقة عليهم لأن بنى جعفر من الآل قطعاً. (السادس): أنهم يستحقون سهم ذوى القربى. (السابع): أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش لأنها لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة. (الثامن): هل يلبسون العلامة الخضراء؟. والجواب أن هذه العلامة ليس لها أصل لا فى الكتاب، ولا فى السنة، ولا كانت فى الزمن القديم؛ وإنما حدثت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين . وفى «درر الأصداف» ما نصه: وأما العلامة الخضراء فأحدثها السلطان الملك الأشرف شعبان من دولة الأتراك بمصر فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. وأما العمامة الخضراء فأحدثها السيد محمد الشريف المتولى باشا مصر سنة أربع بعد الألف لما دار بكسوة والمقام وأمر الأشراف أن يمشوا أمامه وكل واحد منهم على رأسه عمامة خضراء؛ وإنما اختيرت العلامة الخضراء للأشراف لأن الأسود شعار بنى العباس، والأصفر شعار اليهود، والأزرق شعار النصارى، والأحمر مختلف فيه، انتهى، وفيها قال جماعة من الشعراء من ذلك: قول جابر بن عبد الله الأندلسى الأعمى صاحب «شرح الألفية» المشهور بالأعمى والبصير:

جَعَلُوا لأَبْنَاء الـرَّسُـول عَلاَمَةً ... إِنّ الـعـلامَـةَ شَأْنُ مَنْ لَمْ يـشْهَرُ
نُورُ الـنُّبُوَّةِ فِى وَسِيـم وُجُوهِهِمْ ... يُغْنِى الشَّـرِيفَ عَنِ الـطِّرَازِ الأخضـرِ

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقى:

أَطْرَافُ تِيجَانٍ أَتَتْ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرٍ بِأَعْلامٍ عَلَى الأشْرَافِ
وَالأَشْرَفُ السُّلْطَانُ خَصَّهُمُ بِهَا شَرَفًا لِيَعْرِفَهُمْ مِنَ الأَطْرَافِ

وغاية القول: إنه لا بأس بها لكل شريف سواء كان من ذرية الحسنين أم لا؛ ولا يمنع من لبسها أحد من الناس إلا لغرض شرعى. (التاسع، والعاشر): هل يدخلون فى الوصية على الأشراف والوقف عليهم؟. والجواب: إن وجد فى كلام الموصى والواقف نص يقتضى دخولهم أو خروجهم اتبع؛ وإلا فلا؛ والعمدة فى ذلك العرف وعرف مصر من عهد الدولة الفاطمية إلى الآن أن الشريف لقب لكل حَسَنِىٍّ وحُسَيْنِىٍّ خاصةً فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف. قال الشعرانى فى «مننه»: أخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى: أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام على رضى الله عنه، وكرم الله وجهه، وأنها فى هذا المكان بلا شك، وكان رضى الله عنه يخلع نعله من عتبة الدرب، ويمشى حافياً حتى يجاوز مسجدها، ويقف تجاه وجهها، ويتوسل بها إلى الله تعالى فى أن يغفر له. اهـ. وفى «لواقح الأنوار» أن زينب المدفونة بقناطر السباع أخت الحسين رضى الله عنهما وفى «الطبقات» للشعرانى فى ترجمة الحسين رضى الله عنه نصه وأنشدت أخته زينب المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة برفع صوت ورأسها خارج من الخباء:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِىُّ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ
بِعِتْرَتِى وَبِأَهْلِى بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ مِنْهُمْ أُسَارَى وَمِنْهُمْ خُضِّبُوا بِدَمِ
مَا كَانَ هَذَا جَزَائِى إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ أَنْ تَخْلُفُونِى بِسُوءٍ فِى ذَوِى رَحِمِى

لكن فى شرح «عقود الجمان»: أن هذه الأبيات لابنة عقيل بن أبى طالب ونص عبارته ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهزهم إلى المدينة قال: فبعث معهم أميناً فلقيهم نساء بنى هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبى طالب تبكى؛ وتقول: ماذا تقولون؟. الأبيات. اهـ. وقد تقدم مثله عن «الفصول المهمة» أيضاً، ولقائل أن يقول: ما المانع من أن هذه قالت، وهذه قالت؟. والله أعلم، وفى «تاريخ القرمانى» هَمَّ شمرُ بقتل على زين العابدين بن الحسن وهو مريض فخرجت إليه زينب بنت على بن أبى طالب كرم الله وجهه؛ وقالت: والله لا يقتل حتى أقتل. فكف عنه انتهى. ذكر الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» عن أبى إسحق عن خزيمة الأسدى: قال: دخلنا الكوفة سنة إحدى وستين فصادفت منصرف على بن الحسين بن على رضوان الله عليهم أجمعين بالذرية من «كَرْبَلاءَ» إلى ابن زياد بالكوفة ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب، وسمعت على بن

الحسين رضى الله عنهما وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض: يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم. ورأيت زينب بنت على كرم الله وجهه ورضى عنها، فلم أر والله خفرة أنطق منها، كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين، فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فسكتت الأنفاس، وهدأت الأجراس، فقالت: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد: يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل أتبكون؟. فلا سكنت العبرة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم مثل ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾[1] الا وإن فيكم الصلف[2] والصنف وداء الصدر الشنف[2] وملق[2] الأمة وحجز الأعداء كمرعى على دمنة[2]، أو كفضة على ملحودة[2] ألا ساء ما تزرون إى والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلا فقد ذهبتم بعارها وشنارها،[2] فلن ترحضوها[2] بغسل أبداً، وإنما ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدار حجتهم، وسيد شباب أهل الجنة، ويلكم يا أهل الكوفة، ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفى العذاب أنتم خالدون. أتدرون أى كبد لرسول الله ﷺ فريتم؟، وأى دم له سفكتم؟، وأى كريمة له أبرزتم؟، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[3] ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض أفعجبتم إن أمطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فلا يحقره البدار ولا يخاف عليه فوات الثأر كلا إن ربى وربكم لبالمرصاد. ثم سارت، فرأيت الناس حيارى، واضعى أيديهم على أفواههم، ورأيت شيخا قد دنا منها يبكى حتى اخضلت لحيته. ثم قال: بأبى أنتم وأمى كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً. انتهى. وفى «الخطط»: لما مرت زينب بالحسين ووجدته صريعا. صاحت: يا محمداه هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء. يا محمد: بناتك سبايا، وذريتك مقتلة. فأبكت كل عدو، وصديق رضى الله عنها.

(تنبيه): أول من أنشأ «قناطر السباع»: الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى، ونصب عليها سباعاً من الحجارة فإن رسمه على شكل سبع، ولذلك سميت قناطر السباع. وكانت مرتفعة. فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطانى. كان يتردد إليه كثيرا. ويمر عليها ويتضرر من ارتفاعها؛ ويقال: إنه أشاع هذا. والقصد إنما هو كراهته لنظره أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر أحد غيره بشىء يعرف به فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة له ومعروفة، كما كان يفعل من محو آثار من تقدمه، وتخليد ذكره. فاستدعى

---

(١) سورة النحل: آية ٩٢ .

(٢) صَلَفَ: تمدح بما ليس فيه، وادعى فوق ذلك اعجابا وتكبراً . شنف: المبغض. ملق: يعطى بلسانه ماليس فى قلبه. دمنة: ماسقطت فيه أبعار الإبل والغنم، عفن النخل وسوادها. ملحود: عن الدين حاد وطعن فيه ومارى. شنار: العار والعيب. رحض يده وثوبه غسله .

(٣) سورة مريم : الآيات ٨٩ : ٩٠ .

الأمير علاء الدين والى مصر، وأمره بهدمها، وعمارتها أوسع مما كانت عليه بعشرة أذرع، وأقصر من ارتفاعها الأول، ففعل كما أمره وذلك فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ولم يضع سباع الحجر عليها فتحدث الناس بأن السلطان أزالها لكونها رسم سلطان غيره فامتعض لذلك وأمر علاء الدين بوضعها كما كانت عليه وهى باقية هناك إلى الآن إلا أن الشيخ محمداً المعروف بصائم الدهر شوه صورها. كما فعل بوجه أبى الهول ظناً منه أن هذا الفعل من جملة القربات. ا هـ. «خطط». قال الشيخ عبد الرحمن الأجهورى المقرى فى كتابه «مشارق الأنوار» : قد حصل لى فى سنة سبعين ومائة بعد الألف كرب شديد من كروب الزمان فتوجهت إلى مقام السيدة زينب المذكورة وأنشدتها هذه القصيدة فانجلى عنى الكرب ببركتها وهى:

آلَ طَه لكُمْ عَلَيْنَا الولاءُ ... لا سِواكُم بِمَا لَكُم آلاءُ
مَدْحُكُمْ فى الكتابِ جاءَ مُبيناً ... أنبَأتْ عَنه مِلَّةٌ سمحاءُ
حُبُّكم واجبٌ على كُلِّ شخصٍ ... حدثتنا بِضِمنه الأنباءُ
إنّنِى لستُ أستطيعُ امْتِدَاحاً ... لعُلاكُم وأنْتُم البلغاءُ
كَيفَ مَدْحِى يَفِى بعلياءِ مَنِ قَدْ ... عَجَزَتْ عن بُلوغه الفصحاءُ
مَدْحُكُمْ إنّما يُريدُ بليغ ... وقفتْ عندَ حَدِّه الشعراءُ
شَرُفتْ مِصرُنا بِكُم آلَ طه ... فَهَنِيئاً لنا وَحق الهناءُ
منكم بِضعةُ الإمامِ علىٍّ ... سيفُ دينٍ لِمَنْ به الاهتداءُ
خَيرَةُ الله أفضلُ الرسلِ طراً ... مَن له فى يومِ المعادِ اللواءُ
زينبُ فَضْلُها علينا عميمٌ ... وَحماها من السَّقامِ شفاءُ
كَعبَةُ القاصدين كنزُ أمان ... وَهِى فينا اليَتيمةُ العصماءُ
وَهِى بدرٌ بلا خُسوفٍ وشمسٌ ... دُونَ كَسْفٍ والبِضْعةُ الزهراءُ
وهى ذُخرِى ومَلْجَئِى وأمانى ... ورَجائِى وَنِعْمَ ذاك الرجاءُ
قد أنختُ الخطوبَ عندَ حماها ... فعسى تَنجَلِى بها الضراءُ
لَيْسَ إلاكِ وُصلَتِى لِنَبِى ... خَمَدَتْ عند نصره الأعداءُ
منَ كراماتها الشموسُ أضاءتْ ... أينَ منها السُّهَا وأينَ السماءُ؟
مَنْ أتَاها وَصَدْرُه ضَاقَ ذَرْعاً ... من عَسيرٍ أو ضاقَ عنه الفضاءُ
حُلّتْ الخُطُوبُ مسرعاً وَجلَته ... فانجلَّى عَنه عُسْرُه والعناءُ
لا يُضاهِى آلَ النّبىِ وَصيفُ ... لا يوفى كمالهم أدباءُ
شَرُفَتْ منهم النفوسُ وساروا ... حيثما أشرفوا فهم شرفاءُ

وعليهم جلالةٌ وَفَخَارُ ... ووقارُ وهيبةٌ وضياءُ
نَوَّرُوا الكونَ بعد ما كان ظالماً ... إذ أضاءتْ ذِمَارَهُم الغراءُ
كُلُّ مدحٍ مُقَصَّرٌ بِعُلَاهم ... كُلٌّ فَرْضٍ مِنْ هَدْيِهُم لألاءُ
لهم الفضلُ مِنًى السُّتُّ فأنَّى ... مَنْ سِواهم يكونُ فيه استواءُ؟
أم هل يستوى الذين دليل ... ولتطهيركم بذاك اقتفاء
إِنَّ لى يا كرامُ حَقُّ جِوارى ... فاحفظُوه فإنكم أُمناءُ
عن أبيكُم رَوَى الثقاتُ حديثاً ... حَدَّثتنا بضمنه الأنباءُ
إن بالجار لم يزلْ يُوصِى جِبْرا ... ئيلُ معناه وليس فيه خفاءُ
لستُ أخشى الضياعَ والحبٌّ عندى ... طِبُّ قلبى ومُقْلَتى وجلاءُ
بيتُكم مَهْبطٌ لِجبريلَ وَحيًا ... فيه تَغْدُو الملائكةُ الكرماءُ
مَنْ أتى حيَّكُم وكان أسيراً ... لدواعيه زالَ عنه الشقاءُ
يا كرامَ الورى أغيثُوا نَزِيلا ... أجحَفَتْهُ الخطوبُ والأدواءُ
قَسَماً إِنَّ وَصفكم فى الثُّريا ... أيَّدَتْكم نجومُها والسماءُ
فَتَوسَّلْ بِهم لِكُلِّ صَعبٍ ... حيثُ جاءَ ابْتَغَوْا فهم شفعاءَ
وَصلاةٌ على النَّبِىِّ وآلَ ... وكذلك الصحابة الأتقياءَ
ما حمامٌ بروضة قد تَغَنَّى ... أو عَلَى الدَّوْح تَسْجَعُ الورقاءُ
أو عُبَيْدَ الرحمنِ أنشأ مَدْحاً ... آلَ طَهَ لكم علينا الوُلاءُ

●●●●●

فصل
فى ذكر مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين
ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

(أمها): أم إسحاق التيمية بنت طلحة بن عبيد الله كذا قاله الخطيب البغدادى ومثله فى «الفصول المهمة» **(وتزوج)**: فاطمة بنت الحسن رضى الله عنهما ابن عمها ابن عمها حسن المثنى بن الحسن السبط عمها. فولدت له عبد الله يلقب بالمحض وإنما سمى بالمحض لمكانه من الحسين. وكان يشبه رسول الله ﷺ وكان شيخ بنى هاشم قيل له: لم صرتم أفضل الناس؟. فقال: لأن الناس كلهم يتمنون أن يكرهوا منا، ولا نتمنى أن نكون من أحد وكان قوى النفس شجاعاً ورعاً . قال من الشعر شيئاً ومنه:

بِيضٌ حرائرُ ما هَمَمْنَ بريبةٍ ... كَظِباءِ مكَّةَ صَيْدُهُنَّ حرامُ
يَحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الكلامِ زوانياً ... ويَصُدُّهُنَّ عن الخنا الإسلامُ

وكان عبد الله يلى صدقات أمير المؤمنين على بن أبى طالب بعد أبيه الحسن ونازعه فى ذلك زيد بن على بن الحسين ولهما فى ذلك حكايات مشهورة فى كتب التواريخ ومات عبد الله المحض فى حبس أبى جعفر الدوانيقى مخنوقاً وولدت له أيضاً : فاطمة بنت الحسين صاحبة الترجمة للحسن المثنى، إبراهيم القمر، والحسن المثلث، وكل منهم له عقب. ا هـ. من «بحر الأنساب». وفى «بغية الطالب» ومات المحض هو وإخوته فى سجن المنصور العباسى. وكان موته: سنة خمس وأربعين ومائة. قال: وسمى بالمحض: لأنه أول من جمع بين ولادة الحسن والحسين من الحسنية، وأول من جمعها من الحسينية محمد الباقر. ا هـ. ثم مات عنها الحسن فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم. وفى الأغانى: خطب الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم إلى عمه الحسين فقال له الحسين: يا ابن أخى قد كنت أنتظر هذا منك انطلق معى فخرج به حتى أدخله منزله فخيره فى ابنتيه فاطمة وسكينة، فاختار فاطمة فزوجه إياها. قال عبد الله بن موسى فى خبره: إن الحسين خيره فاستحيا فقال له: قد اخترت لك فاطمة بنتى فهى أكثر شبهاً بأمى فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ا هـ. ومثله فى «الفصول المهمة» «وتاريخ الخطيب البغدادى» من رواية الزبير بن بكار. وروى عنها الإمام أحمد وابن ماجة عن أبيها الحسين رضى الله عنه عن النبى ﷺ حديثا: **«ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها وإن قدم مشهدها فيحدث لها الاسترجاع إلا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب»**. وفى «درر الأصداف» ولما حضرت الحسن زوجها الوفاة. قال لفاطمة: إنك امرأة مرغوب فيك، وكأنى بعبد الله ابن عمرو بن عثمان إذ خرج لجنازتى قد خرج على فرس مرجلا جمته لابساً حلته يسير فى

جانب الناس فيتعرض لك فانكحى من شئت سواه فإنى لا أدع من الدنيا ورائى هما غيرك. فقالت له: آمن من ذلك، وحلفت له بالعتق والصدقة أنها لا تتزوجه. ثم مات الحسن؛ وخرج عبد الله بن عمرو لجنازته فى الحالة التى وصفه بها الحسن، وكان يقال لعبد الله بن عمرو المطرف لحسنة فنظر إلى فاطمة حاسرة تضرب وجهها فأرسل يقول لها: إن لنا فى وجهك حاجة فارفقى به فاستحيت وعرف ذلك منها وخمرت وجهها؛ فلما حلت أرسل إليها يخطبها؛ فقالت: كيف بأيمانى التى حلفت له بها؟فأرسل إليها يقول لها: لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شىء شيئان؛ فعوضها عن يمينها فنكحته وولدت له: محمداً، والقاسم، وكان عبد الله بن الحسن المثنى ولدها يقول: ما أبغضت بغضى عبد الله بن عمرو أحداً ولا أحببت حب ابنه محمدا أحداً. ا هـ. وفى «الفصول المهمة». ولما مات الحسن المثنى بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل، وتصوم النهار، وكانت تشبه بالحور العين لجمالها؛ فلما كان رأس السنة. قالت لمواليها: إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط؛ فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟. فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا. انتهى، وكانت فاطمة رضى الله عنها كريمة. ففى «الفصول المهمة» أيضاً :أن يزيد لما جهزهم إلى المدينة بعد قتل أبيها الحسين رضى الله عنه أرسل معهم رجلا أميناً من أهل الشام فى خيل سيرها صحبتهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة: قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشىء؟فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذه الحلى. قالت: فافعلى فأخرجت له سوارين ودملجين، وبعثنا بهما إليه فردهما؛ وقال: لو كان الذى صنعته رغبة فى الدنيا لكان فى هذا مقنع بزيادة كثيرة، ولكنى والله ما فعلته إلا الله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ، وكانت فاطمة أكبر سناً من سكينة. ا هـ. قال القطب الشعرانى فى كتابه «الأنوار» عن شيخه الخواص: إن السيدة فاطمة النبوية بنت الإمام السبط مدفونة بالدرب الأحمر .اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن الأجهورى الكبير: السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين السبط مدفونة خلف الدرب الأحمر فى زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية فى مسجد جليل، ومقامها عظيم وعليه من المهابة والجلال والوقار ما يسر قلوب الناظرين، ولنا فيها أرجوزة عظيمة، ولنا بها زيارات، وما اشتهر من أن فاطمة النبوية بدرب سعادة غير صحيح؛ وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون معبدها ويحتمل أن تكون فاطمة أخرى من بيت النبوة. ا هـ. وهو موافق لما قالوه من أن أولاد الحسين رضى الله عنه الإناث ثلاث: سكينة وزينب وفاطمة واحدة ثم رأيت فى «درر الأصداف» ما هو صريح فى أن للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى؛ وعبارته وبالإسناد عنهم لما قتل الحسين بن على رضى الله عنه جاء غراب

فتمرغ فى دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنهما ،وهى الصغرى، فرفعت رأسها ، ونظرت إليه وبكت بكاء شديداً وأنشأت تقول:

نَعَقَ الغرابُ فقلتُ: مَنْ ... تَنْعيه وَيْحَكَ يا غرابُ؟
قَالَ: الإمام. فقلتُ: مَنْ؟ ... قال: الموفقُ للصواب
قلتُ: الحسينُ؟ فقالَ لى ... بمقال محزون أجابَ:
إنّ الحسينَ بكَرْبَلاء ... بَيْنَ الأسنَّةِ والظِّراب(١)
أَبْكى الحسينَ بعَبْرَةٍ ... تُرْضِى الإِلَهَ مع الثواب
ثُمَّ استَقَلَّ به الجَنَا ... حُ فلم يطق رد الجواب
فَبَكَيْتُ مِمّا حَلّ بى ... بَعْدَ الرضى المستجاب

فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين رضى الله عنه. انتهى هذا وقد مر آنفا أن فاطمة كانت مع أبيها بكربلاء، وأنها كانت أكبر سناً من سكينة. لا يقال: إذا كان للحسين فاطمة صغرى، وفاطمة كبرى على هذا، فما المانع من أن فاطمة التى بدرب سعادة إحداهما لأنا نقول: هذا مما يحتاج إلى نقل؛ والشيخ الأجهورى حجة نفعنا الله ببركاته، وأمدنا من إمداداته.

(تنبيه): من أهل البيت بقرب مزار الشيخ الحموى «بدرب سعادة» السيدة صفية بنت إسمعيل بن محمد بن إسمعيل بن قاسم بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم. توفيت صفية ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة من الهجرة النبوية. كذا نقلته من خط بعض الفضلاء. وعزاه لكتاب «الأنساب» للشيخ منصور بن عبد الحق الأهريتى الفيومى. ا هـ. وفى «رحلة ابن بطوطة»: بعد الكلام على غزة ما نصه: وبالقرب من هذا المسجد مقبرة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام فى أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع «بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة، والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء، وفى رسول الله أسوة. هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهم»، وفى اللوح الآخر منقوش: «صنعه محمد بن أبى سهل النقاش بمصر». وتحت ذلك هذه الأبيات:

أَسْكَنْتُ مَنْ كان فى الأحشاء مَسْكَنُه ... بالرَّغم مِنّى بَيْنَ التُّرْبِ والحجرِ
يا قَبْرَ فاطمةَ بِنْتِ ابن فَاطمةٍ ... بِنْتِ الأئمةِ بنت الأنجم الزهرِ
يا قبرُ مَا فيكَ مِنْ دينٍ ومن وَرَعٍ ... وَمِنْ عفافٍ ومِنْ صَوْنٍ ومن خَفَرِ

(١) الأسنة: جمع سنان، وسنان الرمح. الظراب: ما نتأ من حجر وحُدَّ طرفه.

اهـ ما أورده الشيخ الصالح؛ ومن كلام فاطمة رضى الله عنها: والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئاً ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً إلا وقد ناله أهل المروءات فاستتروا بجميل ستر الله، توفيت رضى الله عنها سنة عشر ومائة كذا فى كتب التاريخ.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب السيدة عائشة بنت جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين
ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

فأخوها: موسى الكاظم، ولم أعثر على أمها. نعم: إن كانت شقيقته فأمها حينئذ: حُمَيْدة بضم الحاء وفتح الميم كما ضبطه بعضهم البربرية. قال الشعرانى فى «المنن» فى الباب العاشر: أخبرنى سيدى على الخواص: أن السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق رضى الله عنهما فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة. ا هـ. لكن قد تقدم فى ترجمة جعفر الصادق عند الكلام على أولاده عن «الفصول المهمة» أن بنت جعفر الصادق اسمها: فروة وهو محل نظر. قلت: على فرض أن جعفر الصادق رضى الله عنه لم يرزق من الإناث إلا فروة هذه يحتمل أن يكون هذا الاسم لقباً لعائشة أو كنية وسقط من الكاتب لفظ أم ويرشحه أن جدتها أم أبيها جعفر تدعى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه؛ والله أعلم بحقيقة الحال؛ والظن لا يغنى من الحق شيئاً. قال الشعرانى فى «طبقاته»: فى فصل ذكر جماعة من عباد النساء. قال: ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رحمها الله وهى المدفونة بباب قرافة مصر رضى الله عنها كانت تقول: وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأدور به على أهل النار وأقول لهم: وحدته فعذبنى. توفيت سنة خمس وأربعين ومائة رضى الله عنها. ا هـ ومثله فى «طبقات المناوى».

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور بن السيد زيد الأبلج بن حسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

أمها: أم ولد تزوج بنفيسة: إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهم؛ وكان يدعى بإسحاق المؤتمن. وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين وروى عنه الحديث. وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول: حدثنى الثقة الرضى إسحاق بن جعفر. وكان له عقب بمصر من غير السيدة نفيسة. وولدت السيدة نفيسة منه ولدين القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا. وكان مولد السيدة نفيسة بمكة المشرفة سنة خمس وأربعين ومائة. ونشأت بالمدينة فى العبادة والزهادة تصوم النهار وتقوم الليل. وكانت لا تفارق حرم النبى ﷺ. وحججت ثلاثين حجة أكثرها ماشية. وكانت تبكى بكاء كثيراً، وتتعلق بأستار الكعبة، وتقول: «إلهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا سبب لى أتسبب به بحجبك عنى». قالت زينب بنت يحيى المتوج وهو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم: خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا أفطرت بنهار. فقلت: أما ترفقين بنفسك؟. قالت: كيف أرفق بنفسى وقدامى عقبات لا يقطعهن إلا الفائزون؟. قال القضاعى: قيل: لزينب بنت أخى السيدة نفيسة رضى الله عنهم ما كان قوت السيدة نفيسة؟. قالت: كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة؛ وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها فكانت كلما اشتهت شيئاً وجدته فى السلة، وكنت أجد عندها ما لا يخطر بخاطرى ولا أعلم من يأتى به. فتعجبت من ذلك!، فقالت لى: يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفى طاعته. وكانت لا تأكل لغير زوجها شيئاً. وعن زينب أيضاً قالت: كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره. كانت تقرأ القرآن وتبكى وتقول: إلهى وسيدى يسر لى زيارة خليلك إبراهيم عليه السلام فحجت هى وزوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق، ثم زارت قبر خليل الرحمن عليه السلام، ثم رجعت إلى مصر وسكنت «بالمنصوصة» فى دار «أم هانىء»، وكان بجوارهم يهودى له ابنة مقعدة لا تستطيع القيام، فقالت لها أمها يوماً : إنى ذاهبة إلى الحمام ولا أدرى ما نصنع بك؟. فهل لك أن نحملك معنا؟. فقالت: لا أستطيع ذلك. قالت: هل تقيمين فى البيت وحدك حتى نعود؟. قالت: لا يا أماه، ولكن اجعلينى عند هذه الشريفة التى بجوارنا حتى تعودى. فدخلت أمها إلى السيدة نفيسة وسألتها فى ذلك، فأذنت لها فجاءت بابنتها إليها فوضعتها فى جانب من البيت ومضت فجاء وقت صلاة الظهر؛ فأحضرت السيدة نفيسة ماء توضأت به فجرى من مائها شىء إلى جانب الصبية المقعدة. فجعلت تمر به على أعضائها. فتمددت بإذن الله تعالى، فلما جاء أهلها خرجت إليهم تمشى فسألوها عن شأنها فأخبرتهم، فأسلموا. اهـ. من «درر الأصداف». لكن الذى فى «الخطط للمقريزى». أنها توضأت، وصبت من فضل

وضوئها. وهذه كرامة عظيمة منها رضى الله عنها. وسيأتى ذكر كرامات لها أخر إن شاء الله تعالى. وكان قدوم السيدة نفيسة إلى مصر سنة ثلاث وتسعين ومائة على خلاف في ذلك، وفى «تاريخ ابن خلكان»: دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضى الله عنه، وقيل: دخلت مع أبيها الحسن وأن قبره بمصر لكنه غير مشهور. ا هـ. قلت: هو مشهور الآن بل وقبر والده السيد زيد الأبلج رضى الله عنه. كما سيأتى ذلك فى ترجمة السيد حسن الأنور، ولما سمع أهل مصر بقدومها وكان لها ذكر شائع عندهم تلقتها النساء والرجال بالهوادج من العريش ولم يزالوا معها إلى أن دخلت مصر، فأنزلها عنده كبير التجار بمصر جمال الدين عبد الله بن الجصاص بالجيم، وقيل: بالحاء والأول أصح؛ وكان من أهل الصلاح والبر فنزلت عنده فى داره وأقامت بها مدة شهور والناس يأتون إليها أجمعون من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها كذا فى المآثر النفيسة لكن قد تقدم عن «درر الأصداف»: أنها نزلت ،وبعلها بالمنصوصة ولا منافاة لاحتمال أنها نزلت أولا عند عبد الله ابن الجصاص، وثانياً: بالمنصوصة والله أعلم. قال المناوى: قدمت السيدة نفيسة مصر وبها بنت عمها سكينة المدفونة بقرب دار الخلافة بمصر ولها الشهرة التامة فخلعت عليها الشهرة فصار لنفيسة القبول التام بين الخاص والعام. ا هـ. وفى «مشارق الأنوار» للشيخ عبد الرحمن الأجهورى ما نصه، قال الشعرانى: لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت ابنة عمها السيدة سكينة المدفونة قريباً من دار الخلافة مقيمة بمصر قبلها ولها الشهرة العظيمة فخلعت الشهرة والنذور عليها واختفت رضى الله عنها. ا هـ. وفى النفس منه شىء لأن قوله مقيمة بمصر صريح فى أنهما كانتا فى عصر واحد وليس كذلك لأن وفاة السيدة سكينة كانت سنة ست وعشرين ومائة، وقيل: سنة سبع عشر ومائة على ما فى «تاريخ ابن خلكان» وولادة السيدة نفيسة كانت خمس وأربعين ومائة باتفاق.

نعم لو حملنا الشهرة فى عبارة المناوى على شهرة البرزخ كان وجيهاً، نقل صاحب «المآثر النفيسة» ما نصه: قال الحسن بن زولاق: ولما شاعت هذه الكرامة بين الناس لم يبق فطلبت عند ذلك الرحيل إلى بلاد الحجاز عند أهلها شق ذلك على أهل مصر وسألوها فى الإقامة فأبت فاجتمع أهل مصر ودخلوا على السرى بن الحكم أمير مصر وأخبروه: أنها عزمت على الرحيل فاشتد ذلك عليه وبعث كتاباً ورسولاً يأمرها بالرجوع عما عزمت عليه فأبت فركب بنفسه وأتى إليها وسألها فى الإقامة. فقالت: إنى كنت نويت الإقامة عندكم وإنى امرأة ضعيفة والناس قد أكثروا من المجىء عندى وشغلونى عن أورادى وجمع زادى لمعادى، ومكانى هذا صغير وضاق بهذا الجمع الكثيف. فقال لها السرى: أنا سأزيل عنك جميع ما شكوته وأمهد لك الأمر على ما ترتضيه أما ضيق المكان فإن لى داراً واسعة بدرب السباع وأشهد الله تعالى أنى قد وهبتها لك وأسألك أن تقبليها منى ولا تخجلينى بالرد

على، فقالت: قد قبلتها منك ففرح السرى بـقبولها منه؛ فقالت: كيف أصنع بهذه الجموع الوافدين على؟. قال: تتفقى معهم على أن يكون للناس فى كل جمعة يومان وباقى الجمعة تتفرغين فيه لخدمة مولاك اجعلى يوم السبت والأربعاء للناس، ففعلت ذلك واستمر الأمر على ذلك. ا هـ.

(حكاية) ذكر القرمانى فى تاريخه و«صاحب الغرر والعرر» و«صاحب المستطرف». أيضاً: أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم: متى يركب؟. قالوا: في غد؛ فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت: يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها؛ فإذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم، وخلوتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم. اعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: آية:٢٢٧]قال: فعدل لوقته. ا هـ. قلت: نسبة هذه المقالة إلى السيدة نفيسة صاحبة الترجمة مردودة بوجهين: أحدهما: نقلي، وثانيهما: ذوقى أما النقلى فهو: أن ظهور الدولة الطولونية التى أولها أحمد بن طولون كان فى سنة أربع وخمسين ومائتين كما فى تاريخ الإسحاقى أو سنة ثمان ومائتين. باتفاق بعلم ذلك بمراجعة كتب التواريخ. وأما الذوقى: فهو أن السيدة نفيسة رضى الله عنها ليست من أوباش الناس حتي يتوهم غبى غافل فضلا عن فطن عاقل أنها تذهب إلى أحمد بن طولون وتقف بالطريق تنتظره نعم. لا مانع من صدور ذلك من نفيسة أخرى والله أعلم.

(تنبيه) أجمع أهل السير والتاريخ: على وفاة السيدة نفيسة بمصر القاهرة بخلاف غيرها حتى إن بعضهم يسميها بنفيسة المصرية قال ابن الملقن: ولما دخل الإمام الشافعى رضى الله عنه مصر كان يتردد إليها، وكان يصلى بها التراويح فى مسجدها فى رمضان، وكان يأتى إليها ويسألها الدعاء وسماع الشافعى الحديث منها هو الصحيح خلافاً لمن قال: إنه قرأ عليها وهو صاحب التحفة الأنسية. ا هـ. من المآثر النفيسة، هذا ولقائل أن يقول: ما المانع من كونه قرأ عليها وقرأت عليه. وفى المآثر أيضاً؛ وكان الشافعى رضى الله عنه إذا مرض يرسل إليها إنساناً من أصحابه كالربيع الجيزي، أو الربيع المرادى فيسلم المرسل إليها، ويقول لها: إن ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء؛ فتدعو له فلا يرجع له القاصد إلا وقد عوفى من مرضه فلما مرض مرضه الذى مات فيه أرسل لها على جاري عادته يلتمس منها الدعاء، فقالت للقاصد: متعه بالنظر إلى وجهه الكريم فجاء القاصد له فرآه الشافعى؛ فقال له: ما قالت لك؟. قال: قالت لى: كيت وكيت فعلم أنه ميت فأوصى، وأوصى أن تصلى عليه. فلما توفى سنة أربع ومائتين كما هو المشهور مروا به على بيتها فصلت عليه مأمومة، وكان الذى صلى بها إماماً أبو يعقوب البويطى أحد أصحابه رضى الله عنه؛ وكان مرور

جنازة الشافعى على بيتها بأمر السرى أمير مصر لأنها سألته فى ذلك نفاذاً لوصية الشافعى رضى الله عنه لأنها كانت لا تستطيع الخروج إلى جنازته لضعفها من كثرة العبادة. قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعى رضى الله عنه: سمعت بعد انقضاء الصلاتين أن الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعى بالشافعى. وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه رضى الله تعالى عنهما ونفعنا ببركتهما.

(كرمات زيادة على ما سبق): الأولى: عن سعيد بن الحسن قال: توقف النيل فى زمانها فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجاءوا به إلى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفر البحر وزاد زيادة عظيمة. **(الثانية):** أن امرأة عجوزاً كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن من الجمعة إلى الجمعة وفى آخر الجمعة تأخذ العجوز غزلهن وتمضى به إلى السوق فتبيعه وتشترى بنصف ثمنه كتاناً وبنصفه الآخر ما يتقوتن به من الجمعة، إلى الجمعة؛ فأخذته العجوز يوماً ولفته فى خرقة حمراء ومضت به إلى السوق فبينما هى مارة بالطريق والغزل على رأسها قد انقض طائر على رزمة الغزل واختطفها، وارتفع؛ فوقعت المرأة مغشياً عليها؛ فلما أفاقت. قالت: كيف أصنع بالأيتام وقد أجهدهم الجوع؟. فبكت فاجتمع الناس وسألوها عن شأنها؛ فأخبرتهم بالقصة فدلوها على السيدة نفيسة رضى الله عنها وقالوا لها: امضى إليها واسأليها الدعاء. فإن الله تعالى يزيل ما بك فمضت إلى السيدة نفيسة فأخبرتها بقصتها وما جرى لها وسألتها الدعاء، فرحمتها السيدة نفيسة وقالت: « يا من علا فقدر وملك فقهر اجبر من أمتك هذه ما انكسر فإنهن خلقك وعيالك»، ثم قالت: اقعدى فإنه على كل شيء قدير فقعدت المرأة على الباب وفى قلبها من جوع الأولاد التهاب فما كانت إلا ساعة؛ وإذا بجماعة قد أقبلوا عليها واستأذنوا فى الدخول عليها فأذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فسألتهم عن أمرهم فقالوا: إن لنا لأمراً عجيباً نحن قوم تجار مدة ونحن مسافرون فى البحر ونحن بحمد الله سالمون، فلما وصلنا إلى قرب بلدكم انفتحت المركب التى نحن فيها ودخل الماء وأشرفنا على الغرق وجعلنا نسد المكان الذى انفتح بجهدنا، فلم ينسد، فاستغثنا إلى الله تعالى وتوسلنا بك إليه فإذا بطائر ألقى علينا خرقة فيها غزل فوضعناها فى المكان المنفتح فانسد بإذن الله تعالى ببركتك وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة شكراً لله تعالى على السلامة. فعند ذلك بكت السيدة نفيسة رضى الله عنها؛ وقالت: «إلهى ما أرأفك وألطفك بعبادك ثم نادت العجوز فجاءت؛ فقالت لها السيدة: بكم تبيعين غزلك كل جمعة؟فقالت: بعشرين درهماً. فقالت: أبشرى فإن الله تعالى عوضك عن كل درهم خمساً وعشرين درهماً. ثم قصت القصة عليها ودفعت لها ذلك، فأخذته وأتت بناتها فأخبرتهن بما جرى. وكيف رد الله تعالى لفتها ببركة السيدة نفيسة رضى الله عنها. **(الثالثة):** تزوج رجل من أهل المغافر بامرأة ذمية فجاء منها بولد فأسر فى

بلاد العدو فجعلت المرأة تدخل البيع وتسأل عن الأسارى وولدها فقالت لزوجها: بلغنا أن بين أظهرنا امرأة يقال لها: نفيسة بنت الحسن اذهب إليها لعلها تدعو لولدى فإن جاء آمنت بدينها. قال فجاء الرجل إلى السيد نفيسة رضى الله عنها: وقص عليها القصة فدعت له أن الله يرده عليه. فلما كان الليل إذا الباب يطرق فخرجت المرأة. فوجدت ولدها واقفاً بالباب. فقالت له: يابنى أخبرنى بأمرك كيف كان؟. فقال: يا أماه كنت واقفاً بالباب فى الوقت الفلانى وهو الوقت الذى دعت فيه السيدة نفيسة وأنا فى خدمتى فلم أشعر إلا ويد قد وقعت على القيد وسمعت من يقول: أطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسةبنت الحسن. فأطلقت من الغل والقيد؛ ثم لم أشعر بنفسى إلا وأنا داخل من رأس محلتنا إلي أن وقفت على الباب ففرحت أمه وشاعت هذه الكرامة؛ وأسلم فى تلك الليلة أهل سبعين داراً ببركتها، وأسلمت أمه وصارت من الخدام للسيدة نفيسة رضى الله عنها. ومما اتفق أن بنتاً كانت تلعب مع الصبيان وعلى رأسها قلنسوة عليها بعض دراهم ودنانير فطمع صبى من الصبيان فى البنت فأخذها وذهب بها إلى مقبرة السيدة نفيسة صاحبة الترجمة ونزل بالبنت من القبور وذبحها وأخذ الطاقية، ففقد البنت أهلها وأخذوا يفتشون عليها فلم يروا لها أثرا ولا خبراً ثم ألهموا القبض على الصبيان الذين جرت عادة البنت اللعب معهم فقبضوا عليهم ورفعوهم إلى الحاكم فهددهم فأقر الصبى بما فعله مع البنت فأخذوه وذهبوا به إلى المقبرة ونزلوا القبر فوجدا به البنت ولها حياة مستقرة وقد انقطع خروج الدم من موضع الذبح فخاطوا ذلك الموضع وعاشت البنت وأخبرت: أنها لما ذبحها الصبى وانصرف دخلت عليها امرأة حسنة الصورة وقالت لها: لا تخافى يا بنتى ومسحت على محل الذبح فانطقع الدم وسقتها. فقالت لها: من أنت؟. قالت: أنا السيدة نفيسة رضى الله عنها. أوردها ابن إياس فى حوادث المائة العاشرة. وذكر الشيخ عبد الرحمن الأجهورى فى «مشارق الأنوار»: أن السيدة جوهرة جارية السيدة نفيسة أخذت إبريق السيدة تملؤه فوضعته فجاء ثعبان يتمسح برأسه كأنه يتبرك به.

(**تتمة فى الكلام على وفاتها**): قال القضاعى: إن السيدة انتقلت من المنزل الذى نزلت به إلى دار أبى جعفر خالد بن هرون السلمى وهى التى وهبها لها أمير مصر السرى بن الحكم فى خلافة المأمون فأقامت بها حيناً إلى زمن وفاتها. وحفرت قبرها بيدها فى بيتها وكانت تصلى فيه كثيراً وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة وفى رواية عنه ألفى ختمة وقيل: ألفاً وتسعمائة. قالت زينب بنت أخيها: تأملت عمتى فى أول يوم من رجب وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتاباً. وكان غائباً بالمدينة تأمره بالمجىء إليها. ولا زالت كذلك إلى أول جمعة من شهر رمضان، فزاد بها الألم، وهى صائمة، فدخل عليها الأطباء الحذاق، وأشاروا عليها بالإفطار لحفظ القوة. لما رأوا من الضعف الذى أصابها. فقالت: واعجباه لى ثلاثون سنة

أسأل الله عزّ وجلّ: أن يتوفانى وأنا صائمة فأفطر؟. معاذ الله. ثم أنشدت تقول:
قال صاحب المآثر النفيسة، ومن الناس من يرى: أن هذه الأبيات لمحمد بن إبراهيم بن

اصْرِفُوا عَنّى طَـــبِيبِـــى ۝ وَدَعُونِى وَحَبِيـــبِـــى
زَادَ بِى شَوقِــــى إلَيــــهِ ۝ وَغَرَامِى فِى لَهِيـــبِ
طَــابَ هَــتــكِــى فِــى هــواه ۝ بَــيْــنَ واشٍ ورقيبِ
لاَ أُبَالِــــى بِفَوْتِ ۝ حينَ قَدْ صَارَ نَصِيـــبِى
لَيْسَ مَــنْ لاَمَ بَعْذلُ ۝ عَنْه فيـــه بِمُصِيبِ
جَسَــدِى راضٍ بِسُقْمِى ۝ وَجُفُونِى بِنَحِيـــبِ

ثابت الكيزانى الشيعى. قالت زينب ثم: إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط من شهر رمضان فاحتضرت واستفتحت بقراءة سورة الأنعام فما زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّه كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسه الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:١٢]ففاضت روحها الكريمة. وفى «درر الأصداف» عنها فما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلام عندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٧]. غشى عليها فضممتها لصدرى فتشهدت شهادة الحق وقبضت رحمة الله عليها. ووصل زوجها فى ذلك اليوم؛ فقال: إنى أحملها إلى المدينة وأدفنها بالبقيع فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به إلى إسحاق ليرده عما أراد فأبى فجمعوا له مالا كثيراً وَسْق بعيره الذى أتى عليه وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى فباتوا فى مشقة عظيمة فلما أصبحوا اجتمعوا عليه فوجدوا منه غير ما عهدوه بالأمس؛ فقالوا له: إن لك لشأنا. قال: نعم رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لى: رد عليهم أموالهم وادفنها عندهم، وذلك فى سنة ثمان ومائتين بعد وفاة الإمام الشافعى رضى الله عنه بأربع سنين ودفنت بمزار بدرب السباع؛ وكان يوم دفنها يوماً مشهوداً وأتوها من البلاد والنواحى يصلون عليها بعد دفنها وأوقدت الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف عليها قال القضاعى: أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وحفرت قبرها بيدها فى البيت الذى كانت قاطنة فيه. ا هـ. قال الدميرى: السيدة نفيسة رضى الله عنها كانت أمية لا تقرأ شيئاً إلا أنها سمعت الحديث كثيراً؛ وكانت من أهل الخير والصلاح وكانت فى آخر عمرها إذا عجزت عن الصلاة قائمة صلت قاعدة وكانت من كثرة الصيام والقيام ضعف قواها. وزار قبرها جماعة من الأولياء والصلحاء كالأستاذ الكبير أبى الفيض تومان ذى النون المصرى ابن إبراهيم الإخميمى أحد رجال الطريقة المعتبرين، وأبى الحسن الدينورى وأبى على الروذبارى وأبى بكر أحمد بن نصر الدقاق، وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الحمال الواسطى،

وشكران بن عبد الله المغربى، وإدريس بن يحيى الخولانى، والفضل بن فضالة، والقاضى بكار بن قتيبة، وإسماعيل المزنى صاحب الإمام الشافعى وعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى، وولده الإمام محمد صاحب «تاريخ مصر»، وعبد الرحمن بن الحكم، والإمام أبو يعقوب البويطى، والربيع بن سليمان المرادى ممن لا يحصى عددهم إلا الله. وينبغى زيادة على ما تقدم فى أول الباب للزائر إذا دخل ضريحها بل وضريح كل من كان من أهل البيت خلافاً لمن خصه بالسيدة نفيسة أن يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[الاحزاب:٣٣]. « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد اللهم إنك قد ندبتنى لأمر قد فهمته وقلته وسمعته وأطعته واعتقدته وجعلته أجراً لنبيك محمد ﷺ إذ هديتنا به إليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب:٤٣]حبيباً إليه ما هديتنا عزيزاً عليه عنتنا وتلك الفريضة التى سألتها له: وهى المودة فى القربى اللهم إنى مؤديها مريداً بها النفع فى دينى ودنياى متوسلا بها إليك يوم انقطاع الأسباب اللهم زدهم شرفاً وتعظيماً وهب لى بزيارتهم ثواباً ومغفرة وأجراً عظيماً السلام عليكم يا بنى المصطفى يا بنى فاطمة الزهراء اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد اللهم بلغنى ما أملت وما رجوت وأعد على وعلى المسلمين من بركاتهم يا رب العالمين». كذا فى «درر الأصداف» وفيه زيادات انظرها. قال الموفق بن عثمان: وكان بعض السلف يزور السيدة نفيسة ويقول عند ضريحها: «السلام والتحية والإكرام والرضا من العلى الأعلى الرحمن على السيدة نفيسة سلالة نبى الرحمة وهادى الأمة من أبوها علم العشيرة وهو الإمام حيدرة السلام عليك يا بنت الحسن المسموم أخى الإمام الحسين المظلوم والسلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى رضى الله عنك وعن أبيك وعمك وجدك وحشرنا فى زمرتهم أجمعين. اللهم بحق ما كان بينك وبين جدها محمد ﷺ ليلة المعراج اجعل لنا من همنا الذى نزل بنا الفرج واقض حوائجى». وكان بعض السلف يقول أيضاً: السلام والتحية والإكرام على أهل البيت النبوية والرسالة والسلام عليك يا بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ويا سلالة خديجة الكبرى أنتم يا أهل البيت غياث لكل قوم فى اليقظة والنوم فلا يحرم من فضلكم إلا محروم، ولا يطرد من بابكم إلا مطرود ولا يواليكم إلا مؤمن تقى، ولا يعاديكم إلا منافق شقى. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنى خير ما رجوت بهم وبلغنى خير ما أملت فيهم واحفظنى بذلك فى دينى ودنياى وآخرتى إنك على كل شيد قدير». ثم قال:

يَا بنى الزهراءِ والنورِ الذى ... ظَنّ موسى أنّه نارُ قبس
لاَ أُوَالِى قطُّ مَنْ عَادَاكُمُ ... إِنَّهُمُ آخِرُ سَطْرٍ فى عبس

وقد مدح بعض الفضلاء السيدة نفيسة بأبيات أحببنا ذكرها. فقال:

يَا مَنْ له فى الكون من حاجة ... عليكَ بالسيدة الطاهرة
نفيسةُ والمصطفى جدُّهَا ... أسرارُها بين الورَى ظاهره
فى الشرق والغرب لها شهرةٌ ... أنوارُها ساطعةٌ باهره
كَمْ من كَرَامات لَهَا قد بدتْ ... وكم مقامات لها فاخره
يا حبَّذَا سيدةٌ شرُفَتْ ... بها أراضى مصرَ والقاهرة
بنَفْسِها قد حَفَرَتْ قَبْرَهَا ... حال حياة يَالَها حافرة
تَتْلُو كتابَ الله فى لَحْدِها ... وهى لمن قَدْ زارَهَا ناظره
حَجَّتْ ثلاثينَ علَى رِجْلِها ... صائمةً عن أكْلِها قاصره
كانتْ تُصلِّى وتقومُ الدجى ... دوماً على أقدامِها ساهره
عابدةٌ زاهدةٌ جامعةٌ ... للخير فى الدنيا وفى الآخره
فى كلِّ قُطْرٍ قد سَمَا ذِكْرُهَا ... عالمةٌ فائقةٌ ماهره
يُسْقَى بها الغَيْثُ إذا ما القُرَى ... قد أجْدَبتْ من سُحْبِها الماطره
والناسُ قد عاشوا بها فى صَفَا ... عَيْشٍ بأيامٍ لها زاهره
والشافعىُّ قد كان يأتى لها ... سعياً إلى دارٍ بها عامره
يَرْجُو بأنْ تَدْعُوَ له دَعْوَةً ... فيا لها من دعوة وافره
صلّتْ عليه بعد موت وقد ... أوْصَى بذا فهى له شاكره
سُبْحَانَ مَنْ أعْلَى لها قَدْرَهَا ... لأنَّها بَيْنَ الورى نادره

وللشيخ أحمد الخامى:

يا صاحِ إنْ رُمْتَ الحياةَ الفاخرةَ ... فاقْصِدْ حمى بنت الكرام الطاهره
ذات الكرامات المعظمة التى ... أسرارُها بين الخلائق ظاهره
وبهَا توسلْ واحتمى بجوارها ... اذكُرْ مُصَابَكَ تَلْقَها لك ناصره
فهى المنجيةُ الشباب من العذا ... ب مُغِيثةُ الملهوف شَمْسُ الدائرة
كَمْ جَاءَهَا ذُو فاقة يَرْجُو الغنى ... جَبَرَتْ بتيسير المَعايش خاطره
فاغْنَمْ وَسَلْ بمقامها تُعْطَ المنى ... فعلى الدوام لزائريها حاضره

وادخلْ وُطْف واسعَ وَسَلْ | بتأديب ما تشتهيه ونادها بالطاهره
إنىّ قَصَدْتُك مُسْتغيثاً لائذاً | مُسْتعْطَفاً أهلَ القلوبِ العامره
حاشا وكلا أنْ يُضَامَ نزيلُكم | أو أنْ يعودَ بصفقة هى خاسره
يا كعبةَ الأسرار جئتك لائذاً | أبغى الندى من كفٍّ[1] كف عاطره
يا أمَّ قاسمِ الغياثَ فإننَّى | عبدٌ ضعيفُ الحال يدى قاصره
دَنِفٌ[2] ومسكينٌ مهينٌ عابرٌ | مالى مُعينٌ قَطُّ عينى ساهره
ياَ بنتَ طهَ انْقذى مَنْ لم يَجِدْ | جاهاً سوى ذى المعجزات الظاهره
المصطفى الهادىَ البشيرُ محمَّدٌ | مَنْ يرتَجى كُلُّ الأنام مآثره
صلّى عليه اللهُ مَا بَدْرُ زَهَا | والآل الصحب النجوم الزاهره
أو ما استغاثَ الحامى أحمدَ قائلاً | يا صَاحِ إنْ رُمْتَ الحياةَ الفاخرة

قال المقريزى: قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر وذكر بقية المواضع. فقال: وسجن نبى الله يوسف عليه السلام. ومسجد موسى صلوات الله عليه وسلامه وهو الذى بُطَرا، والمخدع على يسار المصلى فى قبلة المسجد الأقدام بالقرافة قال ولم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون إلى أحدها فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم. قال: وقد جرب ذلك. وقد عد من المواضع التى يجاب بها الدعاء: جامع ابن طولون كما ذكره عند الكلام عليه وعبارته جامع ابن طولون موضعه يعرف «بجبل يشكر» قال ابن عبد الظاهر: وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء. وقيل: إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات قال ويقال إن أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر. قال: مكتوب فى اللوح الرخام الذى على باب ضريحها وهو الذى كان مصفحاً بالحديد بعد البسملة ما نصه: «نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد بن أبى تميم الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام، ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين، عَضَدَ اللهُ به الدين، وأمتع بطول بقائه المؤمنين، وأدام قدرته أوعلى كلمته وشد عضده بولده الأجل الأفضل سيف الأنام جلال الإسلام، شرف الأنام، ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه، وأمتع أمير المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتى وثمانين وأربعمائة». والقبة التى على الشريح جددها الخليفة الحافظ لدين الله فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. وأمر بعمل الرخام الذى بالمحراب كذا فى «الخطط»، وتوفى السرى ابن الحكم سنة أربع ومائتين وهى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله عنه وكان الخليفة إذ ذاك المأمون.

---

(١) وكف: المطر المنهل، العرق، سحاب يقطر سيله قليلا قليلا. اللسان (وكف).
(٢) دنف: المرض الملازم.

فصل
فى ذكر مناقب السيد حسن الأنور والد السيدة نفيسة وأخيه السيد محمد الأنور والدهما السيد زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين

قال صاحب كتاب «مرشد الزوار إلى قبور الأبرار»: قدم الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب مصر ومعه ابنته نفيسة وكان إماماً عظيماً عالماً من كبار أهل البيت معدود من التابعين ولى المدينة من قبل عبد الله بن أبى جعفر المنصور بن أبى عامر العباسى الخليفة. وكان مجاب الدعوة. وكان يسمى شيخ الشيوخ. ومدح بقصائد كثيرة لكرمه وحلمه وهو ممن انتهت إليه الرياسة فى زمنه من بنى الحسن. ولما ولى الحسن والد السيدة نفيسة رضى الله عنهما المدينة كان بها رجل فقير يقال له: أبو ذئب فقربه الحسن وأحسن إليه وكثر مال الرجل ورأسه وقربه إلى المنصور فلما عظم عند المنصور شرع يتكلم فى حق الحسن وينم عليه حتى إنه قال للمنصور: إنه يريد الخلافة فأحضره المنصور وسلب نعمته ثم بعد قليل ظهر للمنصور كذب القائل فرد على الحسن أمواله وأنعم عليه إنعاماً بليغاً وأرسله إلى المدينة على عادة فلما قدم المدينة أرسل إلى ابن أبى ذئب هدية عظيمة وأمده بمال جزيل ولم يعاتبه. وفى «الخطط» أمه: أم ولد توفى أبوه زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو غلام وترك عليه ديناً أربعة آلاف دينار فحلف السيد حسن ألا يظل رأسه سقف مسجد رسول الله ﷺ أو بيت رجل يكلمه فى حاجة حتى يقضى دين أبيه فوفاه. ومن كرمه رضى الله عنه أنه أتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة؛ فقال: يا ابن رسول الله لا أعود، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم**» وأنا ابن أبى أمامة بن سهل بن حنيف وقد كان أبى مع أبيك كما علمت فقالت صدقت هل أنت عائذ؟. قال: لا والله. فأقاله وأمر له بخمسين ديناراً؛ وقال: تزوج بها وعد فتاب الشاب فكان الحسن يحسن إليه بعد، وكان الحسن والد السيدة نفيسة مجاب الدعوة يقال: مرت به امرأة وهو فى الأبطح ومعها ولدها فاختطفه عقاب فسألت الحسن: أن يدعو الله لها برده فرفع يده إلى السماء ودعا ربه فإذا بالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يضيره بشىء فأخذته أمه ا هـ وللسيد حسن رواية فى «سنن النسائى» كذا فى «حسن المحاضرة». حكى: أنه دخل بعض الشعراء على الحسن الأنور بن زيد الأبلج صاحب الترجمة فأنشده:

* اللهُ فَردُ وابنُ زيد فردُ *

* فقَال: بفيكَ الأثْلَبَ ألا قلت:

* اللهُ فَردُ وابنُ زيد عبدُ *

ونزل عن سريره وألصق خده بالأرض، وخلف السيد حسن الأنور من الأولاد تسعة

ذكور، هم: القاسم، ومحمد، وعلى، وإبراهيم، وزيد، وعبيد الله، ويحيى، وإسماعيل، وإسحاق، ومن البنات: ثنتين: أم كلثوم ونفيسة، وأمهم: أم سلمةواسمها: زينب بنت الحسن عمه بن الحسن بن على بن أبى طالب. وأما نفيسة فأمها: أم ولد كما تقدم وتزوج أم كلثوم عبد الله ابن برعش النسابة فى كتابه «تحفة الأشراف»: أن الإمام زيداً الأبلج والد السيد حسن الأنور رضى الله عنه كان يأخذ بيد ولده الحسن ويدخل إلى قبر النبى ﷺ ويقول: يا سيدى يا رسول الله هذا ولدى الحسن أنا عنه راض. ثم يرجع وينصرف فلما كان فى بعض الليالى نام فرأى المصطفى ﷺ وهو يقول له: يا زيد إنى راض عن ولدك الحسن برضاك عن،ه والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى فلما أنشأ الحسن وجاء بالسيدة نفيسة إلى المدينة كان يأخذها بيدها ويدخل بها إلى القبر الشريف ويقول: يا رسول الله إنى راض عن بنتى نفيسة ويرجع فما زال يفعل حتى رأى النبى ﷺ فى المنام وهو يقول ياحسن أنا راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها قال الشعرانى فى «المنن» وأخبرنى يعنى شيخه الخواص رضى الله عنه: أن الإمام الحسن والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريباً من جامع القراء بين مجراة القلعة وجامع عمرو. اهـ. قلت: وقد وجد ما يدل على دفن والده السيد زيد الأبلج بهذا المكان. أيضاً وهو: أنه وجد حجراً عتيقا شرقى مقام والده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو مجراة القلعة بقليل مرقوم عليه نسب زيد، ومن شك فى ذلك فليذهب إلى هناك ليعلم ذلك بالمعاينة، والمشاهدة. وقدمنا الكلام عليه فى تذييل، وذكرنا فيه أيضاً الحسن المثنى أخاه، وذلك عند الكلام على أولاد الحسن السبط فى الباب الثانى فارجع إليه إن شئت. إن قلت: لمَ لَمْ تترجمْ له ههنا فى هذا الباب؟. قلت: لأنى لم أعلم بذلك إلا بعد الفراغ من الباب الثانى. وأما السيد محمد الأنور عم السيدة نفيسة. فقد قال الشعرانى فى «المنن»: أخبرنى يعنى شيخه الخواص أن الإمام محمداً الأنور عم السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع طولون، مما يلى دار الخليفة فى الزاوية التى ينزل إليها بدرج انتهى. قلت: وهو على يمين الطالب السيدة سكينة، ومكتوب على بابه فى لوح رخام هذا البيت:

مَسْجِدٌ حَلَّ فِيه نَجْلٌ لِزَيدٍ   ذَلكَ الأنورُ الأجلُّ محمدُ

●●●●●

فصل
فى ذكر مناقب السيد زيد بن السيد علي زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه

أمه أم ولد. فى «الفصول المهمة»: كان زيد بن على رضي الله عنهما ديناً شجاعاً ناسكاً وكان من أحسن بنى هاشم عبادة وأجلهم سيادة وكان ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن على فإن له لساناً أقطع من ظُبَةِ[1] السيف، وأحد من شبا[2] الأسنة، وأبلغ من السحر والكهانة، ومن النفث فى العقد. قال له يوماً هاشم بن عبد الملك بلغنى أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة. فقال له زيد: قد كان إسمعيل بن إبراهيم ابن أمة وإسحاق بن حرة فأخرج الله من صلب إسمعيل خير ولد آدم. فقال له: قم. فقال: إذا. لا ترانى إلا حيث تكره، فلما خرج من الدار. قال: ما أحب أحد الحياة إلا ذل. فقال له سالم مولى هشام: بالله لا يسمعن منك هذا الكلام أحد. انتهى. وفى «الخطط». وكنيته أبو الحسن وتنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة وكان بالمدينة وروى عن أبيه على بن الحسين، وعن أبان بن عثمان، وعبيد الله بن أبى رافع، وعروة بن الزبير. وروى عنه محمد بن شهاب الزهيرى، وزكريا بن أبى زائدة وخلق. وروى له أبو داود الترمذى والنسائي وابن ماجة وذكره ابن حبان فى الثقات. وقال: ورأى جماعة من الصحابة. قيل لجعفر الصادق بن محمد: إن الرافضة يتبرءون من عمك زيد. فقال: برىء الله ممن تبرأ من عمى. كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا فى دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله. قال أبو إسحاق السبيعى رأيت زين بن على فلم أر فى أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل منه. وكان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً. قال الشعبى: والله ما ولدت النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد. وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً ولا أبين قولا لقد كان منقطع القرين. وكان يدعى بحليف القرآن قرأ مرة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[3]. فقال: إن هذا لوعيد وتهديد من الله، ثم قال: اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا. انتهى. وكان يقال لزيد: زيد الأياد خرج زيد على هشام بن عبد الملك وقد طمحت نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين من جهة هشام فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله أكثرهم وكان قد بايعه ناس من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر لينصروه. فقال: كلا بل

---

(١) ظُبَة: حد السيف أو السنان. (٢) شبَا جمع الشباة: حد كل شيء

(٣) سورة محمد: آية ٣٨.

أتولاهما. إذن نرفضك. فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا: رافضة فقيل لهم: رافضة من حينئذ وجاءت طائفة، وقالوا: نحن نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فقبلهم، وقاتلوا معه فسموا: الزيدية كذا فى تاريخ ابن عساكر والعجب ممن يتمذهب بمذهب زيد ويبرأ من الشيخين ويكرهما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما، ثم إن زيداً أصيب بسهم فى جبهته اليسرى ثبت في دماغه فأنزلوه فى دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات لليلتين من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وكان عمره إذ ذاك: اثنتين وأربعين سنة. ولما مات اختلف أصحابه فى أمره فقال بعضهم: نطرحه فى الماء وقال بعضهم: بل نحز رأسه ونلقيه فى القتلى فقال ابنه يحيى: والله لا يأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم: ندفنه فى الحفرة التى يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا وأجروا عليه الماء وكان معهم مولى سندى فدل عليه. وقيل: رآهم فدل عليه يوسف بن عمر والى العراق لما تفوق أصحاب زيد فأخرجه وقطع رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة آلاف درهم على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة وسار منها إلى مصر. وأما جسده فإن يوسف بن عمر صلبه بالكناسة وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوبًا أكثر من سنتين حتى مات هشام وولى الوليد من بعده فبعث إلى يوسف بن عمر أن أنزل زيدًا وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده فى الريح ولما صلب زيد استرخى بطنه على عورته حتى لا يرى من سوأته شيء خطط. وفى «تاريخ أبى القاسم ابن عساكر»: أن العنكبوت نسجت على عورة زيد بن على بن الحسين لما صلب عريانًا فى سنة إحدى وعشرين ومائة وأقام مصلوبًا أربع سنين. وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة ثم أحرقوا خشبته وجسده. اهـ.

قال عبد الله بن حسين بن على بن الحسين بن على سمعت أبى يقول: اللهم إن هشامًا رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وإن يوسف بن عمر أحرق زيدًا اللهم فسلط عليه من لا يرحمه اللهم وأحرق هشامًا فى حياته إن شئت وإلا فاحرقه بعد موته. قال: فرأيت والله هشامًا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعًا على كل من أبواب دمشق عضو منه. فقلت: يا أبتاه وافقت دعوتك ليلة القدر وبعد قتل زيد انفض ملك بنى أمية وتلاشى بنى العباس. كذا فى «الخطط»، وفى الجمل على الهزيمة عند الكلام على قوله:

رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلاء مُسيءٌ   خَفَّفَتْ بَعْضَ رِدْئه الزَّوْرَاءُ

ما نصه «الزوراء» هى ناحية ببغداد والمراد ما وقع فيها من خلفائها بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت أخذوا ثأر بنى عمهم الحسين وغيره فخروجوا على بنى أمية فنزعوا الخلافة منهم وقتلوهم شر قتلة وخصوصًا السفاح منهم الذى أخرج بنى أمية من القبور وحرقهم وذرّاهم فى الهواء وهو أول خلفاء بنى العباس وهو عبد اللهابن محمد بن على بن عباس فلما ولى الخلافة بعد قطيعة بنى أمية أمر بهشام بن عبد الملك فنبشوا قبره فوجد بحاله لأنه كان طلى بالعنبر لئلا يتغير. فأخرجوه من قبره، وجلدوه حتى تناثر لحمه،

وحرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد جزاء وفاقًا. انتهى. قال المقريزى فى «الخطط» عند الكلام على المشاهد التى يتبرك بها بمصر: هذا المشهد الذى بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ. وإنما هو مشهد رأس زيد بن على زيد العابدين بن الحسين وكان يعرف قديمًا بمسجد محرس الخصى قال القضاعى: مسجد محرس الخصى بنى على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر ونصبه على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع. وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل ابن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن الصيرفى: حدثنى الشريف فخر الدين أبو الفتوح خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف. قال: لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة[1] وافرة وفى الجبهة أثر فى سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل إلى داره حتى عمر هذا المشهد. وكان وجدانه يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسمائة. وكان الوصول به فى يوم الأحد ووجدانه يوم الأحد قال المقريزى: ومشهده باق إلى الآن بين كيمان مدينة مصر يتبرك به الناس ويقصدونه لا سيما فى يوم عاشوراء قال بعضهم: والدعاء عنده مستجاب والأنوار ترى عليه.

(تنبيه) ما ذكره المقريزى: من أن تسمية هذا المشهد بمشهد زين العابدين خطأ يشهد له اتفاهم على دفن زين العابدين بالبقيع؛ وقد خالفهم الشعرانى فى «مننه» وعبارته: وأخبرنى يعنى الخواص أن رأس زين العابدين ورأس زيد بن الحسين فى القبة التى بين الأثل قريبًا من مجراة القلعة. اهـ. وفيه: أن زين العابدين لم يقتل ولم يقطع رأسه رضى الله عنه ولم أر من عد فى أولاد الحسين زيدًا من أصحاب المواد التى بيدى ثم رأيت الشيخ الأكبر صدر به أولاد الحسين فى محاضراته. ولم أعثر على وفاته. وكان سيبوية يحتج بشعر السيد زيد-[2] وكان نقش خاتمة: «اصبر تؤجر اصدق تنجح».

(١) هامة: الرأس، ورأس كل شيء.

(٢) ومن شعره رضى الله عنه:

ومن فضل الأقوام يوما برأيه ... فإن عليا فضلته المناقب

وقول رسول الله والحق قوله ... وإن رغمت منه الأنوف الكواذب

بأنك منى يا على معا لنا ... كهارون من موسى أخ لى وصاحب

ـ دعاه ببدر فاستجاب لأمر فبادر فى ذات الإله يضارب اهـ . من خط مؤلف «نور الأبصار».

فصل
ومن أهل البيت السيد إبراهيم ابن السيد زيد

قال الشعراني في «المتن»: أخبرني يعني شيخه الخواص أن رأس السيد إبراهيم بن الإمام زيد في المسجد الخارج بناحية المطرية مما يلي الخانقاه وهو الذي قاتل معه الإمام مالك رضي الله عنه، واختفى من أجله كذا وكذا سنة. اهـ. قال بعضهم: وهذا خلاف ما عليه النسابون. فإنهم لم يذكروا في أولاد زيد بن علي بن زين العابدين ولا في أولاد زيد بن الحسن من اسمه إبراهيم فحينئذ لا يظهر أن زيد بن علي زيد العابدين أبو إبراهيم المذكور، ولا زيد بن الحسين السبط أيضًا وذكروا أن الذي قاتل معه مالك أي أفتى الناس بالخروج معه وبايعه هو محمد الملقب بالمهدي بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط فلعل إبراهيم هذا هو إبراهيم بن عبد الله المحض أخو محمد المهدي المذكور وكان مرضي السيرة من كبار العلماء. روى: أن الإمام أبا حنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معه ومع أخيه محمد. قال أبو الحسن المعمري: قتل إبراهيم في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وحمل ابن أبي الكرام رأسه الشريف إلى مصر. انتهى. قال القضاعي: مسجد «تبر» بني على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أنفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك. وقال الكندي في «كتاب الأمراء»: ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة، لينصبوه في المسجد الجامع، وقامت الخطباء فذكروا أمره اهـ. قال «المقريزي»: هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق عرف قديمًا بالبئر والجميزة وعرف بمسجد «تبر» وتسميه العامة: مسجد التبن وهو خطأ وموضعه قريب من المطرية «وتبر» هذا أحد الأمراء في أيام كافور الإخشيدي ولما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار« تبر» هذا في جماعة من الكافورية وحاربه فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب وأقام على الخلاف فسير إليه عسكرًا وحاربه بناحية «صهرجت» فانكسر وقبض عليه وأدخل إلى القاهرة على فيل فسجن إلى صفر سنة ستين وثلثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله وجلس عدة من أصحابه في القيد إلى ربيع الآخر منها فأطلق وأقام أيامًا مريضًا. ومات فسلخ بعد موته. وصلب. قال ابن عبد الظاهر: إنه حشي جلده تبنًا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرنا وقبره بالمسجد المذكور. اهـ. قال بعض المؤرخين: كان جوهر القائد المذكور عبدًا صقليًا رافضًا شيعيًا .ومن آثاره المحل الأنور الجامع الأزهر.

فصل
فى ذكر مناقب حسين أبى على المشهور بأبى العلاء الحسينى رضى الله تعالى عنه

قال الشعرانى فى «الطبقات»: كان الشيخ حسين أبو على من أكمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديًا ثم تدخل فتجده سبعًا، ثم تدخل عليه فتجده فيلا، ثم تدخل عليه فتجده صبيًا، ومكث نحو أربعين سنة فى خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة. وكان من لا يعرف أحوال الفقراء. يقول: هذا كيماوى سيماوى ولما شرع الخواجا ابن البرلسى فى بناء زاويته قال أعداؤه: إن هذا المصروف العظيم إنما هو من كيماء الشيخ حسين فبرطل عليه بعض العياق أن يقتلوه فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه فى تليس ورموه على الكوم وأخذوا على قتله ألف دينار ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسينًا رضى الله عنه جالسًا. فقال لهم: غركم القمر وكانت النموس تتبعه حيثما مشى فى شوارع وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية. وكان رضى الله عنه بريئًا من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذى ضربت به رقابهم فى الشريعة. وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه الذى هو مدفون عنده الآن مثقوب اللسان لكثرة ما كان ينطق به من الكلمات التى لا تأويل لها يزحزحها. فقال الشيخ عبيد: اربطوها فى بيضى بحبل وأنا أنزل وأسحبها ففعلوا فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل إلى البحر، مات رضى الله عنه سنة نيف وتسعين وثمانمائة ودفن بزاويته بساحل النيل بمصر المحروسة ببولاق. اهـ. (ومن أهل البيت): السيدة أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين وقبرها بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق. وهى أم جعفر بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق كانت من الزاهدات. كذا فى «الخطط» وفى «طبقات المناوى» فى ترجمة جعفر الصادق وله أى لجعفر ولد اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهعما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه قال بعضهم فى رد هذا: ذكر بعد النسابين أنه ليس فى أولاد جعفر من اسمه القاسم وأن أم كلثوم بنت جعفر لصلبه. انتهى (ومن أهل البيت): السيدة بنت محمد بن جعفر الصادق كانت شديدة الغيرة صوامة قوّامة لا تلتفت إلى أهل الدنيا ولا تقبل ما يعطونه لها ومشهدها معروف بإجابة الدعاء وإذا دخل الزائر إليه وجد أنسًا عظيمًا وقبرها بالمشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص غربى قبر الإمام الشافعى رضى الله عنهم روى أن

أهل مصر جاءوا إلى هذا المشهد يستسقون وقد توقف النيل فجرى بإذن الله تعالى توفيت سنة ثلثمائة وأربعين كذا فى «الكواكب السيارة» (ومن أهل البيت): بهذا المشهد السيدة الطاهرة فاطمة بنت القاسم بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين رضى الله عنهم. وكانت تعرف بالعيناء سميت بذلك لحسن عينيها حكى خادمها: أنه كان يقرأ سورة الكهف فغلط فى موضع فردت عليه من داخل القبر. وروى: أنه كان بعينها شبه بالسيدة فاطمة الزهراء كذا فى«الكواكب السيارة» (ومن أهل البيت): السيدة آمنة بنت موسى الكاظم حكى الوزارى خادمها: أنه كان يسمع فى قبرها قراءة القرآن بالليل. روى: أن رجلا جاء بعشرين رطلا من الزيت وعاهد الخادم أن يوقدها فى ليلة واحدة فجعله الخادم فى القناديل. فلم يوقد منه شىء فتعجب الخادم من ذلك فرآها فى المنام. فقالت له: يا فقيه رد عليه زيته واسأله من أين اكتسبه فإنا لا نقبل إلا الطيب؟ فلما أصبح جاء إلى الرجل الذى أعطاه الزيت وقال له: خذ زيتك. فقال: لمَ آخذه؟. فقال: إنه لم يوقد منه شىء ورأيتها فى المنام فقالت لا نقبل إلا الطيب. فقال: صدقت السيدة إنى رجل مكاس. فقال: قف فخذه فأخذه. وقبرها بالقرافة أيضًا. كذا فى« الكواكب السيارة» (ومن أهل البيت): السيد يحيى الشبيه ابن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق رضى الله عنهم. قال القرشى فى تاريخه: كان شبيهًا برسول الله ﷺ ابن النحوى كان بين كتفيه شامة بها شبه بخاتم النبوّة وكان إذا دخل الحمام ونظر الناس البشامة التى بين كتفيه يكثرون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ولما سمع أهل مصر بقدومه خرجوا إلى ظاهر مصر يتلقونه وكان ابن طولون أقدمه من الحجاز وكان يوم قدومه يومًا مشهوداً. وقبره بالقرافة. وبالمشهد قبر أخيه عبد الله وقبره وسط القبة وعنده لوح رخام فيه نسبه وكان يتلو أخاه من العبادة والطهارة والفقه والصلاح وهو مجحل عظيم معروف بإجابة الدعاء وبالقبة الدريد زوجة القاسم الطيب إلى جانب قبر والدها وكانت من الزاهدات العابدات وهى شريفة رضى الله عنها فى «الكواكب السيارة» (ومن أهل البيت) السيد يحيى بن الحسن الأنور أخو السيدة نفيسة وليس بمصر من إخواتها سواه ولا عقب له (حكى) عنه: أنه كان على قبره نور قال أبو المذكر دخلت إلى قبر يحيى ولم أحسن الأدب فسمعت من ورائى قائلا يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] اهـ. من «الكواكب السيارة» قال فيه: وعند الخروج من قبر السيد يحيى تجد حوشًا على يسار السالك مقابلا لضريح بن جماعة من الأشراف .قيل: إنه به البنات الأبكار.

●●●●●

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

فصل
ومن أهل البيت

نسل طباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم نقل صاحب «درر الأصداف» ما نصه: لا خلاف عند علماء النسب فى صحة هذا النسب إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا يعرف له بها وفاة وسمى طَبَاطَبَا بفتح الطاءين كما ذكره فى «مختصر التواريخ» لرتّة[1] كانت فى لسانه قال أبو بكر الخطيب: لما قدم بغداذ فى خلافة الرشيد سمع به فبعث إليه فظن أن أحدًا قد وشى به فدخل على الرشيد فقام إليه وأجلسه إلى جانبه وقال: ما حاجتك يا أبا إسحق؟. فقال له: ظلمنى صاحب الطباء يعنى صاحب القباء وكان يقلب القاف طاء وفى «تاريخ ابن خلكان» وإنما قيل له ذلك: لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء طلب يومًا ثيابه. فقال له غلامه أجىء بدراعة؟. فقال لا طَبَاطَبَا يريد قباقبا فبقى له واشتهر به انتهى، وللسيد طباطبا من الأولاد لصلبه القاسم الرَّسِّى بفتح الراء والسين المهملة المشددة قال المعانى: هذه النسبة إلى بطن من بطون السادة العلوية. انتهى. ولما وصل القاسمَ إلى مصر جلس بالجامع العتيق واجتمع عليه الناس لسماع الحديث وجمعوا له مالا فأبى أن يقبله. فازداد أهل مصر فيه محبة. وكانت له دعوة مستجابة قال العبدلى: كان القاسم أبيض مقرون الحاجبين كثير الخضوع لا يتكلم إلا بالقرآن والحديث وكان يقول: حدثنى أبى عن جدى عن أبيه الحسن السبط عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم. وكان يقول: من أراد البقاء ولا بقاء فليلتحف الرداء ولا يكاثر الغذاء وليقلّ من مجامعة النساء. وقال: خير نسائكم الطيبة الرائحة. كان القاسم أكثر أهل زمانه علمًا. قيل: إنه عاد إلى الحجاز ومات بالرس سنة خمس وعشرين وثلثمائة. قال فى «الكواكب السيارة»: وهذا المشهد قبر مكتوب عليه إبراهيم طَبَاطَبَا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهم وقال فى موضع آخر قيل إن بالتربة من أبناء طَبَاطبا لصُلْبه الحسن الأكبر، والحسن الأصغر، وعبد الله، وأحمد، والببغاء الكبير، والببغاء الصغير، والأزرق الكبير، والأزرق الصغير قال: ومن أولاد الحسن الكبير رضي الله عنهم بهذه التربة على بن الحسين بن طباطبا. قيل: بلغ ماله عند موته ثلاثة قناطير من الذهب ونصفًا وسبعة قناطير من الفضة ومائة أمة. وكان قد أوصى بثلث ماله صدقة. وتوفى سنة خمس وخمسين وثلثمائة. قال: وبهذا المشهد الإمام أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا وكان جليل القدر وله كلام رائق. قيل: إنه تصدق بمال أبيه كله حتى كان لا يجد ما ينفق وكان يأكل فى

(١) الرُّتّة: بالضّمّ: العجمة فى الكلام.

اليوم والليلة مرة واحدة، فلما بلغ ذلك ابن طولون وقع له بقرية من قرى مصر، وكان يشفع عنده، ويمشى فى قضاء حوائج الناس. قال ابن زولاق: لم يكن بمصر فيمن نزل من الأشراف أكثر شفقة ورأفة وسعيًا فى حوائج الناس من محمد بن على بن الحسن قال ابن النحوى: كان عبد الله بن طباطبا شريفًا جميلا عفيفًا فصيحًا. وكان له رباع وضياع ودائرة متسعة وكان كثير الافتقاد للفقراء والأرامل والمنقطعين ذكر ابن زولاق. قال: حدثنى عبد الله بن أحمد بن طباطبا. قال: رأيت كأن طاقة فى السماء صعدت إليها؛ ومشيت فيها فرأيت سريرًا وعليه امرأة فعلمت أنها خديجة رضى الله عنها فسلمت عليها .فقالت من أنت؟ فقلت عبد الله بن أحمد بن طباطبا فصاحت يا فاطمة قد جاء من أولادك ولد فخرجت من بيت على يسار خديجة فقمت إليها فقالت: مرحبًا بالولد الصالح ثم أقبل اثنان أعلم أنهما الحسن والحسين رضى الله عنهما. فقبلت يد أحدهما. فقال: هذا عمك وأشار إلى الحسين، ثم خرج رجل عليه سكينة ووقار. فقال لى أحدهمًا: هذا جدك على بنى أبى طالب ثم رأيت رجلا أقبل جليلا جميلا فانكببت على رجليه فمنعنى. وقال: لا تفعل هذا يا عبد الله مرحبًا بالولد الصالح وجلسوا يتحدثون فما أنسيت طيب حديثهم إلى الآن فأخذ بيدى رسول الله ﷺ فأنزلنى من الطاقة يده فى يدى وهو يقول لى: بلغت الأرض فأقول: لا إلى أن بلغ إبهام رجلى الأرض فلما وصلت رجلى انتهيت كالمصروع لا أعقل شيئًا فجاءونى بالمعوذين وعلقوا علىّ التعاويذ فبلغ الحديث إلى أبى عبد الله الزيدى فجاءنى وسألنى عن قصتى فحدثته؛ فقال: ليتنى كنت معكم. قال ابن النحوى فى كتابه «الرد على أولى الرفض» وكان فى دهليز داره رجلان يكسران اللوز والفستق لعمل الحلوى للفقراء، وكان يرسل إلى كافور فى كل يوم رغيفين وجامين منها. فقال بعض المصريين لكافور: هذا ينزل من قدرك. فقال له: يا شريف لا ترسل. فقال: إنى ما كنت أرسل إليك ما كنت أرسله استخفافًا بك وإنما لى والدة تعجنه بيدها وتقرأ عليه القرآن. قال: صدقت فكان لا يأكل بعد ذلك إلا منه قال العبدلى النسابة فى كتابه: وفى سنة نيف وأربعين نام رجل فرأى فى منامه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى مشتاق إلى زيارتك وليس لى مال يوصلنى إليك. فقال له رسول الله ﷺ: زر عبد الله بن أحمد بن طباطبا تكن كمن زارنى. توفى عبد الله بن أحمد بمصر. سنة ثمان وأربعين وثلثمائة. وفى «طبقات الشعرانى» ودفن بالقرب من الإمام الليث. انتهى. وفى «الكواكب السيارة» ما نصه. ومعه فى القبة والده أى والد عبد الله. قال: وكان أحمد هذا عظيمًا جليل القدر يسأله السائل فيعطيه أثوابه. قال أبو جعفر: كان أحمد بن على طباطبا شاعرًا فصيحًا. فمن شعره رضى الله عنه:

لَقَدَ غَرّت الدنْيا أُنَاسًا فَأَصبَحُوا ... سُكَارَىَ بلا عقلٍ وَمَا شَرِبوا خَمْرَاَ
وَقَدْ خَدَعَتْهُـم مِـنْ زَخارِفِـها بِمَا ... غدوا فِى كَرْبٍ وَقَدْ كَابَـدُوا ضَرَّاَ

وله شعر كثير فى دواوين مشهورة.

(نادرة) جاء إلى أحمد هذا رجل يطلب منه مالا. فقال: لَمْ يكُنْ عندى شىء، ولكن خذنى فبعنىَ فأخذه وأتى به للوزير الماردانى ليشتريه فقال الوزير: وَأنى أجد مالا يكون ثمنك؟. ثم أمر للرجل بألف دينار. وكان أحمد بن على هذا يقول: أشد الخجلة خجلة السؤال، وأشد الندم الندم على المعاصى. وفى «تاريخ ابن خلكان» ومن أولاد طباطبا أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعسل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم الشريف الحسنى الرسى المصرى كان نقيب الطالبيين بمصر وكان من أكابر رءوسهما وله شعر مليح فى الزهد والغزل وغير ذلك. توفى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ودفن بمقبرة مصر خلف المصلى الجديد بمصر وعمره إذ ذاك كان أربعًا وستين سنة انتهى. وفى «الكواكب السيارة» قال: وفى هذا المشهد عند باب القبة قبر السيدة خديجة بنت محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا كانت زاهدة عابدة وهى زوجة عبد الله بن أحمد المتقدم ذكره قال: بعلها عبد الله كانت تسابقنى إلى صلاة الليل. وما رأيتها ضحكت قط. توفيت سنة عشرين وثلثمائة وصلى عليها زوجها عبد الله وهى مدفونة فى القبة تحت رجليه.

(وحكت) خديجة هذه عن بعلها حكاية عجيبة: قالت: جئت مع بعلى عبد الله إلى دار له على جانب النيل وكان بها أثاث له وقماش فوجدت رجلا فتح الباب وضم جميع ما كان فى البيت وحمله على رأسه وكنت فى الدار فأردت أن أتكلم فأشار إلىّ السكوت، فجعل يزاحمنى فى السلالم والسيد عبد الله بعلها يقيه من الحائط حتى لا يصاب بها فلما نزل قلت له: هذا متاعنا فَلمَ تدعه يأخذه وينصرف؟. فقال: وما يدريك أن يكون ذلك سببًا لتوبته؟. فما كان إلا قلَيل حتى جاء رجل ومعه عبيد وحشم. فقال له: يا سيدى أريد منك أن أخلو بك فجاء معه. وقال: هل تذكر الذى كنت تقيه من الحائط؟. قال: نعم. قال: يا سيدى أنا هو ولقد بورك لى فى متاعك حتى إن جميع ما تراه منه ومعى آلاف وقد جئت إليك بهذه ألف الدرهم وعبدين وجاريتين. فتبسم. وقال: أنا منذ رأيتك دعوت لك بالبركة والله لا أقبل منك شيئًا ثم جاء إلىّ فأخبرنى بذلك رضى الله عنه. (قال): وفى هذا المشهد عند الحائط الغربى قبر أبى الحسن على بن الحسن بن على بن محمد بن محمد بن على بن الحسن بن طباطبا؛ ويعرف بصاحب الحوراء كان فى أول عمره ينام الليل فنام ليلة فرأى الجنة وما فيها من الحور فأعجبته حوراء. فقال لها: لمن أنت؟ فقالت: لمن يؤدى ثمنى. فقال: وما ثمنك؟ فقالت ألا ينام الليل. فقال: والله لا نمت بعد ذلك فرآها مرة أخرى وهى تقول: إياك والنوم لئلا ينفسخ العقد.

(وحكى) ابن عثمان: أن أبا الحسن رأى فى النوم جارية نزلت من السماء أضاءت الدنيا لنور وجهها فقال لها لمن أنت.؟ فقالت: لمن يعطى ثمنى. فقال: وما ثمنك؟ قالت مائة ختمة فقرأها. ولما فرغ منها رآها فى المنام. فقال لها: قد فعلت ما أمرتنى به. فقالت له: يا شريف أنت ليلة غد عندنا فأصبح وجهز نفسه وأعلمهم بموته، فمات من يومه رضى

الله عنه. قال ابن عثمان: وإلى جانب قبره قبر فرج غلامهم، وكان قد توفى قبلهم. وكان إذا اشتد بهم أمر قالوا: اللهم بحرمة فرج فرّج عنا فيفرج الله عنهم ببركته. قال: وبهذا المشهد قبر أبى محمد الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا وكان من الزهاد. قال رضى الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله من أقرب الناس من أهلك إليك؟ قال من ترك الدنيا وراء ظهره وجعل الآخرة نصب عينيه لَقِيَنِى وكتابه مطهر من الذنوب. توفى سنة أربع وخمسين وثلثمائة وفى «طبقات الشعرانى»: أن صاحب الرؤيا السيد عبد الله من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن يعنى المتقدم. ولقائل: أن يقول لا مانع من وقوعها لهما. وفى «الكواكب» قال: ومعهم فى القبة القاسم يحيى بن على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين ابن سيدنا على رضى الله عنهم. قال: وهذا نسب صحيح ذكر الشيخ أبو جعفر شيخ النسابة. قال: كان أبو بكر القاسم يحيى هذا من كبار العلويين انتهت إليه الرياسة فى زمنه رضى الله عنه. انتهى: وقد جمع هذا المشهد من آل محمد رسول الله ﷺ جماعة كثيرة وجمع جماعة من أهل العلم والصلاح منهم: سهل بن أحمد البرمكى المستورر للدولة الطولونية، وكان مشهورًا بالخير كثير البر للفقراء محبًا لآل رسول الله ﷺ. وقد أنشأ التربة المنسوبة إليه بجانب الأشراف رغبة فيهم. ولما حضرته الوفاة عاهد أهل بيته ألا يبكوا عليه وأمر أن يدفن بالتربة المذكورة وأنشد يقول:

إِذَا مَا بَكَى البَاكُونَ حَوْلِى تَحَرُّقًا ... وَقَالُوا جميعًا سهلُ بنُ أحمدَ
فَقَلْتُ لَهُم: لا تَنْدُبُونِى فَإِنَّنِى ... مَعَ السادة الأطهارِ آلِ محمدِ

قلت: ومن نسل طباطبا أبو الحسن محمد بن أحمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم. وفى «معاهد التنصيص»[1]: كان شاعرًا مفلقًا عالمًا محققًا ولد بأصبهان وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء وأدباء. وكان مشهورًا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وجودة الذهن وله من المصنفات كتاب «عيار الشعر» و«كتاب تهذيب الطبع» و«كتاب العروض» ولم يسبق إلى مثله، ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتًا ليس فيها راء ولا كاف أولها:

يَا سيِّدًا دَانَت له الساداتُ ... وتَتَابَعَتْ فى فعلِه الحسناتُ

يقول منها فى وصف القصيدة: ميزانها عند الخليل معدل * متفاعلن متفاعلن فعلات*
ومن شعره يهجو أبا على الرسى ويرميه بالدعوة والبرص:

أَنْتَ أعطيتَ من دلائل رُسْل ... الله آيًا بها عَلَوْتَ الرءوسا
جِئْتَ فَرْدًا بِلاَ أبٍ وَبِيُمْنَا ... كَ بَيَاضٌ فأنتَ عيسى وموسى

(١) على شواهد التلخيص: لبدر الدين أبى الفتح عبد الرحمن بن عبد الرحمن العبادى العباسى. (ت/٦٩٣هـ).

فصل
ومن أهل بيت السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا

قال فى «الكواكب السيارة» وإلى جانب قبر البويطى رضى الله عنه قبر السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم حكى عنها مع: بشير بن سعيد الجوهرى حكاية، وذلك: أنه أصاب الناس قحط عظيم وكان زوجها مات وخلف مخدعًا لا يعرف ما فيه فقالت يومًا لـلخادمة وقد ضاق صدرها: ليت شعرى ما فى هذا المخدع؟. ففتحته فوجدت فيه شيئًا ملقى فى جانبه فأخذته فإذا هو كيس فيه عقد قد علاه الصدأ. فقالت للخادمة: امضِ به إلى السوق لعل أن يزودنا ولو بقوت اليوم فخرجت الخادمة فطافت به على باب الصاغة فوجدت رجلا قائمًا عليه آثار الخير فنظرت إليه. فقال: يا أمة الله ما لك؟. فقصت عليه القصة. فأخذه منها وغاب قليلا وجاء إليها. وقال: تبعينه بمائة دينار فسكتت الجارية وظنت أنه يهزأ بها، فتركها وغاب قليلا. ثم أتى إليها، وقال: ما يزيد ثمنه على مائتين وخمسين دينارًا. فقالت الجارية: يا سيدى أنا خدمة امرأة شريفة أتهزأ بها ولها دعوة مجابة فقال: لا والله ما أنا بهازئ بها ولا أقول إلا حقًا. فقالت الجارية: اقبض المال وامض معى إلى مولاتى فقبض المال وأتى معها إلى الدار فدخلت وأعلمت السيدة فاطمة بذلك فخرجت السيدة فاطمة ووقفت وراء الباب. وقالت: أحق ما تقول هذه الجارية؟. قال: نعم ثم صب المال في طرف الجارية. فقالت السيدة فاطمة: اجعل هذا المال نصفين لنا النصف ولك النصف. فقال: لا، والله لا ينالنى منه شىء بل ينالنى منك دعوة تكون فى عقبي إلى يوم القيامة. فقالت: جعل الله فى نسلك الصالحين. فكان من نسله أبو عبد الله الحسينى وأبو الفضل بن عبد الله بن الحسين بن بشير الجوهرى رضى الله عنها وعنهم. قال: ثم تمشى خطوات مستقبل القبلة تجد قبر السيد الشريف أبى الفريد المعروف بصاحب الخيار. حكى عنه: أن إنسانًا ورث عن أبيه مالا كثيرًا فأذهبه ثم تداين دينًا فذهب منه فلقيه صاحب الدين وكتب ورقة اعتقاله ثم وقف الناس فانتظره إلى مضى ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الثالث. قال فى نفسه من أين أعطى هذا الرجل؟. ثم أتى إلى القرافة وزار أكثر قبورها حتى انتهى إلى هذا القبر وكان عليه بناء بالطوب اللبن حاجزًا فزار الرجل، وابتهل إلى الله تعالى ثم أخذه النوم فرأى كأن الشريف صاحب القبر نواله خيارًا، وكان فى أيام عدمه فاستيقظ فوجده فى حجره فتعجب من ذلك فبينما هو يتعجب وإذا بالأمير ابن طولون واقف على رأسه. فقال له: مررت من ههنا مرارًا فما رأيتك إلا اليوم. فنهض الرجل قائمًا وقص عليه قصته ثم ناوله الخيار فأخرج الأمير ابن طولون مالا، وقال

له: أقض بهذا دينك. (قال)؛ وكان ابن طولون ملازمًا لزيارة الصالحين مشهوراً بالخير انتهى.

(ومن المزارات): مشهد سنا وثنا. قال المقريزى فى «الخطط» يقال: إنهما من أولاد محمد بن جعفر الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم فماتت إحداهما فصارت الأخرى تتلو وتهدى ثواب قراءتها لأختها حتى ماتت.

(تنبيه) قد تقدم فيمن ذكر من أهل البيت أنى لم أعين له مزاراً معلومًا وسببه عدم تبيين المواد التى بيدى لها ولكن سألت عن المعظم فوجدته بالقرافة الصغرى وهى التى بها ضريح إمامنا الشافعى رضى الله عنه والباقى بها أيضًا ولكن درست علاماتها.

(تتمة فى الكلام على القرافة) قال المقريزى وفى «الخطط» قال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى القرافة هم بنو غض وفى نسخة بنو غصن بن سيف بن وائل بن المغافر، وقال أبو عمرو الكندى: بنو جحض بن سيف بن وائل بن الجيزى بن شراحبيل بن المغافر بن يغفر. وقيل: إن قرافة اسم أم عذافر وجحض ابنى سيف بن وائل بن الجيزى فقد صحف القضاعى فى قوله غض بالغين المعجمة والأقرب ما قاله الكندى لأنه أقعد بذلك وقال ياقوت: والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء: مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم: بنو قرافة. اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين: القرافة الكبرى حيث الجامع الذى يقال له: جامع الأولياء، والقرافة الصغرى وبها قبر الإمام الشافعى وكانت فى أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن. هم من المغافر بن يغفر يقال لهم: بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبرى جبانة وهى حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الأولياء قاله المقريزى فى «الخطط» ثم قال: والناس فى القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم، واتخذوا الترب الجليلة أيضًا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب أبنيه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعى وبنى أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعى، وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعى، وأجرى لها الماء من بركة الكبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعى وأنشأوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها فى الزيادة وتلاشى أمر تلك؛ وأما القطعة التى تلى قلعة الجبل فحدثت بعد السبعمائة من الهجرة وكان بين قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه، وباب القرافة ميدان تتسابق فيه الأمراء والأجناد فى جهة وتجتمع الناس هناك للتفرج زدالسابق من تربة الأمير بدر إلى باب القرافة ثم أحدث أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون فى هذه الجهة الترب فبنى الأمير يلبغا التركمانى الأمير

طقتمـر الدمشقى والأمير قوصـون وغيرهم من الأمراء، وتبـعهم الجند وسائر النـاس فبنوا الترب الدمشقى والأمير قوصون وغيرهم من الأمراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانت[1] والأسواق والطواحين والحمامات حتى صارت العمارة من بركة الجيش إلى باب القرافة وانقســمت الطرق فى القرافة وتعددت بـها الشوارع ورغب كثير من سكـناها لعظم القصور التى أنشئت بها وسميت بالترب قال موسى ابن محمد بن سعيد فى كتاب« المعرب عن أخبار المـغرب» بتُّ ليالى كـثيرة بقرافة الـفسطاط وهى فى شـرقيها بها مـنازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة. وقبور عليها مبان معتنى بهـا، وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الإمام الشافعى[2] رضى الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافـعية ولا تكاد تخلو من ترب ولا سيما فى الليـالى المقمرة وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم وفيها أقول:

إنّ الـقرافَةَ قـد حَوَتْ ضدّيـنِ مِنْ ... دُنْيـا وأُخْرى فـهـــى نِعْمَ المـنـزلُ
يَغْشَى الخليعُ بها الـسماعَ مواصِلاً ... ويـطوفُ حـولَ قـبرِهـا المـتـبتـلُ
كَمْ لـيـلــة تِنَا بـــهـا ونَديمُنـــا ... لَحْنٌ يـكادُ يـذوبُ مـنـه الجنـدلُ
والـبدرُ قـد مَلأَ الـبسـيـطةَ نـورُه ... فـكـأنَّمـا قد فـاضَ مـنـه جـدولُ
وبَدَا يُضـــاحِكُ أَوْجُهـــا حَاكَيْنَه ... لَمَّا تكَامَلَ وَجْهُهُ المـتـهـــلـــلُ

وقال شافع بن على:

---

(١) الخوانات : جمع خان. النُزُل أو الفندق.

(٢) قوله (التى فيـها قبر الإمام الشافعى) أى وهى الصغـرى أى وبها قبر الإمام الليث بن سعد بـن عبد الرحمن كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى، ولد الليث سنة أربع وتسعين من الهجرة فـى شعبان نقل ابن خلكان مـن قلقشندة قرية من قرى مـصر والفهمى نسبة إلى فـهم بطن من قريش قال أخوهم: فأبت إلى فهم البيت واختلفوا هـل سمع عن مالك أو سمع مالك عنه قال ابن خلكان: رأيت فى بعـض المجاميع أن الليث كـان حنفى المذهب وأنه ولـى قضاء مصر، وأن الإمام مالـكًا أهدى إليه صينية فيها تمـر فأعادها مملوءة ذهبًا وأنه كان يتخذ لأصحابـه الفالوذج ويعمل فيها الدنانير فـيحصل لكل من أكل كثيـرًا أكثر من صاحبه. تـوفى رضى الله عنه يوم الخمـيس وقيل: الجمعة منتصف شعبان سـنة خمس وسبعين ومائـة. ودفن يوم الجمعة بقرافة مـصر الصغرى قال بعض أصحـابه: لما دفن الليث بن سعـد سمعنا صوتًا وهو يقول:
ذهب الليث فلا ليث لكـم ومضى العلم قريبًا .وقد نقل صاحب الكواكب: أن ولـدًا من عقب الليث ارتحل إلى البلاد الشامية وكان قد أعـيل فاجتمع به رجل من أهل الثروة واليسار وقال لـه: أنا ملكك وما تحت يدى ملكك فقال لـه: ولم ذلك؟. فقال: أنا عبد من عبيـد أبيك أبقيت، وكان معى بعـض من المال واتجرت فيه ففتح الفتاح علىّ فقال له: أعتقتك ووهبتك ما بـين يديك قال صاحب «الكواكب»: لم يترجح عندى تفضيل أحدهما على الآخر. نقله صاحب« نور الأبصار». .

تَعَجَّبْتُ مِنْ أهـلِ الـقـرافـة إذْ غَدَتْ ... عَلَى وَحْشَـة الموتـى لـهـا قَلْبُنا يَصْبـو
فَأَلْفَيْتُهـــا مأوَى الأحـــبــــةِ كُلِّهِمْ ... ومُسْتَوطِنَ الأحبـابِ يَصْبُو لـه القـلبُ

وقال الأديب محمد بن أحمد العميدى:

إذَا مَا ضَاقَ صَدْرِى لَمْ أجِدْ لِـى ... مَـقـرٌّ عــبـادة إلاَّ الـقـرافـة
لَئِنْ لَمْ يَرْحَمِ الْمَوْلَى اجْتِهَادِى ... وَقِلَّةَ نَاصِرِى لَـم ألْقَ رافـــه

روى عن أبى طيبة عن أبى بريدة مرسلا قال أبـو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتابـه «فتوح مصر»: حدثنا عبد الله بن صالح حدثنـا الليث بن سعد قال: سأل المقوقس عمرو بن الـعاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف ديـنار فعجب عمرو من ذلك قال: أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه فكتب إليه عمر سله لمَ أعـطاك به ما أعطاك وهى لا تزرع ولا يستـنبت بها ماء ولا ينتفع بـها؟ فسأله فقال: إنَّا لنـجد صفتها فى الـكتب أن فيها غراس الجـنة فكتب بذلك إلـى عمر رضى الله عنه. فكـتب إليه عمر إنا لا نعـلم غراس الجنة إلا المؤمنين فـاقبر فيها من مات قـبلك من المسلمين ولا تـبعه بشىء. فكان أول من دفن فيـها رجل من المغافر يقال له: عـامر فقيل: عمرت فقال المقوقس لعـمرو ما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الـذى بين المقبرة وبينهم. وعن أبى لهيعـة أن المقوقس قال لعمرو: إنا نجد فـى كتابنا ما بين هذا الجبل وحـيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة بقوله إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فقال: صدق فاجعلها مقبرة للمسلـمين فقبر فيها ممن عرف مـن أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر عـمرو بن العاص السهـمى، وعبد الله بن حـذافة السهمى، وعـبد الله بن الزبيـدى، وأبو بصيرة الـغفارى، وعقبة بـن عامر الجهنى، ويقـال: وسلمة بن مخلـد الأنصارى وفى «شرح الشريـشى على المقامات الحريرية»: أن السـيدة آسية امرأة فرعون مدفونة بالقرافة الـكبرى. وروى أبو سعيد عبد الرحمـن بن أحمد بن يونس «في تاريـخ مصر» من حديث حرملـة بن عمران: قال: حدثنى عمير بن أبى مدرك الخولانى عن سفيان بن وهب الخولانى بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سفح هذا الجبل، ومعنا المقوقس. فـقال له عمرو: يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام؟. فقال: لا أدرى ولكن الله أغنى أهله بهـذا النيل عن ذلك ولـكنا نجد تحته مـا هو خير من ذلك. قـال: وما هولله؟. قال: ليدفنن تحته قوم يبعـثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم: قال عمرو: اللـهم اجعلنى منهم قال حرملة بن عمران: فرأيت قبر عمرو بن العـاص، وقبر أبى بصيرة، وقبر عقبة بن عامر فيه قال المقريزى: والإجماع على أنه ليس فـى الدنيا مقبرة أعجب ولا أبهى ولا أعظم ولا

أنظف من أبنيتها، وقبابها وحجرها، ولا أعجب تـربة منها كأنها الكافور والزعفران مقدسة فى جميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها.

(عجيبة) قال المقريزى: وفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمـائة ظهر شىء بالقرافة يقال له: القطربة تنزل من جبل المقطم. فاختطفت جماعة من أولاد سكانها حتى رحل أكثرهم خوفًا منها، وكان شـخص من أهل مصر يعرف: بحـميد الفوال خرج من إطفيـح على حماره، فلما وصل إلـى حلوان عشاء، رأى امرأة جالسة عـلى الطريق فشكت إليـه ضعفًا وعجزًا، فأردفها خلفه فلم يشعر بالحمار إلا وقد. سقط فنظر إلى المرأة، فإذا بها قد أخرجت جوف الحمار بمـخالبها، ففـر وهو يعدو إلى والى مـصر، وذكر له الخبـر، فخرج بجماعـته إلى الموضع فـوجد الدابة قد أكـل جوفها، ثـم صارت بعد ذلك تـتبع الموتى بـالقرافة وتـنبش قبورهـم وتأكل أجوافهـم، وامتنع النـاس من الدفن فى الـقرافة زمنا حـتى انقطعـت تلك الصورة. قال المقريزى: ما كان من القرافة فى سـفح الجبل يقال له: القرافة الصغرى، وما كان فى شرقى مصـر بجوار المسكن يقال له: القـرافة الكبرى كما تقدم. وفيـها كان مدافن أموات المسلمين مـنذ افتتحت مصر، واختطت الـعرب مدينة الفسطاط ولم يكـن لها مقبرة سواها، فلما قـدم جوهر القائد من قبل المعز وبـنى القاهرة وسكنها الخلـفاء، اتخذوا بها تربة عرفت بتربة الـزعفران قبروا بها موتاهم، ثم لما مات أميـر الجيوش بدر الجمالى. دفن خارج باب النصر. فاتخذ الناس هناك مقابر مـوتاهم، وكثرت مقابر أهل الحسينية فى هذه الجهة. انتهى.

●●●●●



الباب الرابع

فى ذكر مناقب الأئمة الأربعة

أصحاب المذاهب رضى الله عنهم

فى «الروض الفائق» ما نصه: قال بعض الصالحين: رأيت فى النوم كأنى دخلت الجنة فرأيت فى وسطها عموداً من نور، ورأيت أربعة يجرونه بأربع سلاسل من جهاته الأربع وهو ثابت لا يتغير من مكانه فقلت: يا لله العجب لو جرّه هؤلاء من فرد جهة واحدة لكان أسهل عليهم. فسألت بعض الملائكة عن ذلك، فقال لى: هذا العمود هو دين الإسلام، وهذه الأربع سلاسل المذاهب الأربعة، وهؤلاء الذين يجرونه هم أئمة الإسلام: الشافعى، وأحمد، وأبو حنيفة، ومالك رضى الله عنهم أجمعين، فاتفاقهم فرض، وقولهم حق، واختلافهم رحمة للمسلمين.

فالشّافعىُّ لَهُ عُلُومُ تشرقُ — بَيْنَ الْوَرَى ولَه ثَنَاءُ يَعبَقُ
ولمالَكَ نُشِرَتْ عُلُومٌ مَا لَهَا — حَدٌّ كَبَحْرٍ زَاخِرٍ يَتَدَفّقُ
ولأحْمَدَ تُعَزُّ العلومُ لأنّه — يَرْوِى الحديثَ وصدْقُهُ مُتَحَقِّقُ
وابو حنيفَةَ سابقٌ فلأجْلِ ذَا — آثَارُهُ وَعُلُومُه لا تُسْبَقُ
فُهُمُ الأئِمَّةُ خَصَّهُم رَبُّ العلا — بالفضلِ مِنْه فَشَأْوُهُم لا يُلَحَقُ

فصل

فى ذكر مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه الكوفى مولى بنى تيم الله بن ثعلبة

وزُوْطا بضم الزاى وسكون الواو كذا ضبطه بعضهم ولد أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه بالكفوفة سنة ثمانين ونشأ بها. وكان رضى الله عنه حسن السمت والوجه والثوب والفعل والمواساة لكل من طاف به. وكان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير. وكان من أحسن الناس منطقا، وأدرك رضى الله عنه ستة من الصحابة وهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وعبد الله بن أنيس، وعبد الله بن أبى أوفى وواثلة ابن الأسقع، ومعقل بن يسار، وفى إدراكه جابر بن عبد الله خلاف، وفى «تتمة المختصر» لم يلق أحدًا منهم ولا أخذ عنهم وأصحابه يزعمون غير ذلك انتهى.

(ذكر) الخطيب فى «تاريخ بغداد»: أنه أخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان وسمع عطاء بن أبى رباح، وأبا إسحاق السبيعى، ومحارب بن دثار، والهيثم بن حبيب الصواف، ومحمد بن المنكدر، ونافعًا مولى عبد الله بن عمر، وهشام بن عروة، وسماك بن حرب. وفيه قال أبو حنيفة، دخلت على أبى جعفر أمير المؤمنين فقال لى: يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم؟ قال: قلت: عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب، وعن على بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس قال: بخ بخ استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين رضى الله عنهم أجمعين. وفيه أيضًا: أقبل أبو حنيفة يومًا على المنصور وهو أبو جعفر وعنده عيسى بن موسى فقال المنصور: إن هذا لعالم الدنيا ثم قال: يا نعمان عمن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عمر، عن عمر، وعن أصحاب على وعن على، وعن أصحاب عبد الله، عن عبد الله وما كان فى وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه قال: لقد استوثقت. روى عن أبى حنيفة ابن المبارك، ووكيع بن الجراح، والقاضى أبو يوسف. ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم. وحكى عن الشافعى: أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: مقاتل بن سليمان فى التفسير. وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر. وعلى أبى حنيفة فى الفقه. وفى «ربيع الأبرار» يقال: إن أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا: أبو حنيفة فى الفقه، والخليل فى نحوه، والجاحظ فى تأليفه، وأبو تمام فى شعره، وفيه كان الثورى إذا سئل عن مسألة دقيقة قال: لا يحسن أن يتكلم فيها إلا رجل قد حسدناه يعنى أبا حنيفة. وفى «تاريخ اليافعى» نقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد وأراد أن يوليه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلنّ فحلف أبو حنيفة لا يفعل فقال الربيع بن

يونس الحاجب لأبى حنيفة: ألا ترى أن أمير المؤمنين يحلف؟. فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين أقدر منى على كفارة يمينه فأمر به إلى السجن فلم يقبل القضاء فضربه مائة سوط وحبس إلى أن مات. قال الخطيب البغدادى: إن المنصور لما بنى مدينته ونزل بها ونزل المهدى فى الجانب الشرقى وبنى مسجد الرصافة أرسل إلى أبى حنيفة فجىء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى. فقال له: إن لم تفعل ضربتك بالسياط فقال: أو تفعل؟. قال: نعم. فقعد فى القضاء يومين، فلم يأته أحد، فلما كان فى اليوم الثالث أتاه رجال صفار ومعه آخر فقال الصفار: لى على هذا درهمان وأربعة دوانق ثمن تور صفر قال أبو حنيفة: اتق الله وانظر فيما يقول الصفار، قال: ليس علىّ شىء فقال أبو حنيفة للصفار: وما تقول؟ قال: استحلفه لى فقال أبو حنيفة: قل: والذى لا إله إلا هو فجعل يقول فلما رآه أبو حنيفة مقدمًا على اليمين قطع عليه وأخرج من صرة فى كمه درهمين ثقيلين وقال للصفار: هذا عوض مالك عليه فلما كان بعد اليومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات رحمه الله. وفى «ربيع الأبرار» للزمخشرى: أراد عمر بن هبيرة أبا حنيفة على القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط على رأسه وليسجننه وفعل حتى انتفخ وجه أبى حنيفة ورأسه من الضرب فقال: الضرب فى الدنيا بالسياط أهون علىّ من مقامع الحديد فى الآخرة؛ وعن أبى عون: ضرب أبو حنيفة مرتين على القضاء ضربة ابن هبيرة وضربة أبو جعفر وأحضر بين يديه فدعا له بسويق وأكرهه على شربه فشربه ثم قام فقال: إلى أين؟ فقال: إلى حيث بعثتنى فمضى به إلى السجن فمات فيه؟ وكان الإمام أحمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبى حنيفة وذلك بعد أن ضرب الإمام أحمد على ترك القول بخلق القرآن. وفى الكشاف؛ وكان أبو حنيفة يفتى سرًا بوجوب نصرة زيد بن على وحمل المال إليه والخروج على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليفة كالدوانيقى وأشباهه. وقالت له امرأة: أشرت على ابنى بالخروج مع إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال: ليتنى مكان ابنك، وكان يقول فى المنصور وأشياعه، لو أرادوا بناء مسجد وراودونى على عدّ آجرّه لما فعلت. وذكر الخطيب فى تاريخه: أن أبا حنيفة رأى فى المنام. أنه نبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من سأل محمد بن سيرين: قال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علمًا لم يسبقه إليه أحد. وعن صالح بن محمد بن يوسف بن رزين عن أبى حنيفة أنه قال: رأيت فى المنام كأنى نبشت قبر رسول الله ﷺ وأخرجت عظامًا فاحتضنتها قال: فهالتنى هذه الرؤيا فدخلت على ابن سيرين وقصصتها عليه فقال: إن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد ﷺ روى عن أبى حنيفة: أنه قال: دخلت البصرة فظننت أنى لا أسأل عن شىء إلا أجبت عنه فسألونى عن أشياء لم يكن عندى فيها جواب فجعلت على نفسى ألا أفارق حمادًا فصحبته عشرين سنة قال: وما صليت صلاة إلا واستغفرت لحماد مع والدىّ، ولكل من

قرأت عليه. وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول: ما جاءنا أو يقول: ما أتانا عن الله ورسوله قبلناه على الرأس والعين، وما جاءنا أو ما أتانا عن الصحابة اخترنا أحسنه، ولم نخرج عن أقاويلهم، وما جاءنا وما أتانا عن التابعين فهم رجال، ونحن رجال. كذا فى «ربيع الأبرار»، وكان أبو حنيفة كثيرًا ما ينشد هذين البيتين:

حَسَدُوا الفَتَى إنْ لَمْ ينالُوا سَعْيَهُ ... وَالْكُلُّ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَائِرِ الحسناءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... حَسَدًا وَبُغْضًا إنَّه لَدَمِيمُ

وعن خلف سالم عن صدقة المقابرى، وكان صدقة مجاب الدعوة قال: لما دفن أبو حنيفة فى مقابر الخيزران سمعت صوتًا من الليل ثلاث ليال يقول:

ذَهَبَ الفِقْهُ فَلاَ فِقْهَ لَكُمُ ... واتَّقُوا اللهَ وكَونُوا خُلُفَا
مَاتَ نعمانُ فَمَنْ هَذَا الذِى ... يُحْيِى الليْلَ إذَا مَا سَجَفَا

وفى «تاريخ ابن الوردى»: كان شيخنا العلامة صدر الدين محمد بن الوكيل العثمانى ينشد لبعضهم:

الفِقْه فقهُ أبِى حَنِيفَةَ وَحْدَهُ ... والدِّينُ دِينُ محمدِ ابنِ كِرامِ
إنَّ الأولى فِى دِينِهِم مَا استَمْسَكُوا ... بمحمدِ ابنِ كرامِ غيرِ كِرامِ

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟. قال: نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته. وعن على بن عصام قال: لو وزن عقل أبى حنيفة بعقل أهل الأرض لرجح بهم. وفى «حياة الحيوان»: كان أبو حنيفة إمامًا فى القياس، وصلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ القرآن فى ركعة واحدة، وكان يبكى فى الليل حتى ترحمه جيرانه. وختم القرآن فى المواضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة. اهـ. وروى عن أسد بن عمرو: أنه قال: صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان يسمع بكاؤه حتى ترحمه جيرانه.

(فوائد): الأولى: أنّ أبا حنيفة رضى الله عنه كان لـه جار إسكاف يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلا تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه غنى وقال:

أَضَاعُونِى وأَىُّ فَتَى أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَاد ثَغْرِ

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة، وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله. ففقد أبو حنيفة صوته. فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس

منذ ليال، فصلى أبو حنيفة الفجر مـن غده، ثم ركب بغلته، وأتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فـقال: ائذنوا له، وأقبلـوا به راكبًا ولا تدعوه ينزل حتـى يطأ البساط ففـعل به ذلك؛ فوسع له الأميـر فى مجلسه؛ وقال: ما حـاجتك؟. قال: أشفع فى جارى، فـقال الأمير: أطلقوه، وكل من أخذ فى تلك الليلة، فأطلقوهم أيضًا، وذهبوا، وركب أبو حنيفة بغلته، وخرج الإسكاف يمشى وراءه فقال له أبو حنيفة: يـا فتى هل أضعناك؟. فقال: بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرًا عـن حرمة الجوار. ثم تاب الرجل ولم يعد إلى مـا كان يفعل كذا فى «تاريخ بغـداد» و«وفيات الأعيان»، وهذا البيت للـعرجى فى «تتمة المختصـر» نسبة إلى العرج بسكون الراء عقبة بين مكة والمدينة وهو عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه. اهـ. وفـى «المطول»: عبد الله بن عمرو بـن عثمان بن عفان رضى الله عـنه وقيل: البيـت لأمية بن أبى الصـلت وقد أورده «صاحب الـتخليص» شـاهدًا فى فن البديـع على التضمين وشرحه السـعد بما نصه: «اللام فى ليوم لام التوقيت والكـريهة من أسماء الحرب وسداد بـكسر السـين سده بالخيل والرجال والـثغر مـوضع المخافـة من فروج البـلدان أى أضاعونى فى وقت الحرب وزمان سد الثغر ولـم يراعوا حقى أحوج ما كانوا إلى وأى فتى أى كاملا من الفتيان أضاعوا وفيه تنديم وتخطئة لهم». اهـ ومثله فى الأطوال. واستشهد به أيضًا النضر بن شميل بضم الشين ابن خَرَشة بفتح الخاء المعجمة البصرى النحوى على كسر السين من سداد حين قال المأمون: حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمـالها كان فيه سداد من عوزى وفتح السين سداد فأعاد النضر الحديث وكسر السين فاستوى المأمون جالسًا وقال: تلحننى يا نضر فقال: إنما لحن هشـيم وكان لحانًا فتبع أمير المؤمـنين لفظه. قال: فما الفرق بـينهما؟ قال: السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسـداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئًا فهو سداد بكسر السين وأنشد البيت فأمر له بخمسين ألف درهم.

(الثانية) روى: أن امرأة دخـلت فى مـسجـد أبى حنـيفة وهـو جالـس بين أصحـابه فأخرجت تفاحة أحد جانـبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديـه ولم تتكلم. فأخذها أبو حنيفـة وشقها نصفين. فقامت المـرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادهـا فسألوه عن ذلك فقال: إنهـا ترى تارة أحمر مثل أحد جانـبى التفاحة وتارة أصفر مـثل الجانب الآخر سألت أن يكون حيضًا أو طهـرًا؟ فشققت التفاحة وأريتها باطنـها وأردت بذلك ألا تطهرى حتى ترى البياض مثل باطنها. فقامت وخرجت. **(الثالثة)**: أن أعرابيًا دخل على أبى حنيفة وهو جالس بين أصـحابه فقال له: أفى الصلاة واو أو واوان؟. فـقال: واوات فقال: بارك الله فيك كما بارك فى لا ولا، فلم يعلم أحد سؤال السائل، ولا جواب أبى حنيفة. فسألوه عن ذلك. فقال: سألنى أو فى التشهد واو أو واوان فـقلت واوات بالجمع فدعا لى بالبركة كما بارك فى الشجرة الزيتونة لا شرقـية ولا غربية كذا فى «المبسوط». **(الرابعة)**: روى: أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان جالسًا يومًا فى المسجد فدخل عليه طائفة من الخوارج شاهرين

سيوفهم، فقالوا: يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك. قال: أغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبي. قالوا: كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك؟ فقال: سلوا إذن فقالوا: جنازتان على الباب إحداهما: رجل شرب الخمر فغص فمات سكران، والأخرى امرأة حملت حملا من الزنا فماتتا في ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنتن والقوم السائلون مذهبهم التكفير بارتكاب ذنب واحد؟. فإن قال: مؤمنان قتلوه. فقال: من أيّ فرقة كانا أمن اليهود؟. قالوا: لا. قال: أمن النصارى؟. قالوا: لا. قال: أمن المجوس؟. قالوا: لا. قال: أمن عبدة الأوثان؟. قالوا: لا. قال ممن كانا؟. قالوا: من المسلمين. قال: قد أجبتم. قالوا: وكيف؟. قال: اعترفتم بأنهما كانا مسلمين ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين؟. قالوا: هما في الجنة أو في النار؟. قال: أقول فيهما: ما قال الخليل ﷺ في حق من هو شر منهما: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) أو أقول: ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٢) فتابوا واعتذروا إليه اهـ. من «الروض الفائق». وعن محمد بن الحسن قال: حدثني القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾(٣) فلم يزل يرددها ويبكي ويتضرع إلى أن طلع الفجر. وعن ابن أبي زائدة قال: صليت العشاء الآخرة مع أبي حنيفة وخرج الناس وأنا في المسجد أريد أن أسأله عن مسألة، وهو لا يعلم أني في المسجد فقرأ حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾(٤). فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر. ويروى: أنه من شدة خوفه سمع قارئًا يقرأ ليلة في المسجد: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾(٥) فلم يزل قابضًا على لحيته إلى الفجر وهو يقول: يجزى بمثقال ذرة رضي الله عنه.

(تتمة) روى: أن الخليفة دعا أبا حنيفة رضي الله عنه وقال له: كم يحل للرجل الحر من النساء الحرائر؟ فقال: أربع فقال الخليفة: اسمعي يا حرة فقال أبو حنيفة على البديهة: يا أمير المومنين لا يحل لك إلا واحدة فغضب الخليفة وقال: الآن قلت أربع فقال: يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾(٦). فلما سمعتك تقول: اسمعي يا حرة عرفت أنك لا تعدل: فلهذا قلت: لا يحلّ لك إلا واحدة، فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت تشكره وتثني عليه فلم يقبلها وردّها وقال للرسول: قل لها: أنا ما تكلمت لأجلك

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.
(٢) سورة المائدة: الآية ١١٨.
(٣) سورة القمر: الآية ٤٦.
(٤) سورة القمر: الآية ٢٧.
(٥) سورة الزلزلة: الآية ١.
(٦)سورة النساء: الآية ٣..

وما تكلمت إلا لأجل الله فأجرى على الله. وكان رضى الله عنه كثير الخوف والصدقة قال الخطيب: كـان أبو حنيفة إذا أنفق عـلى عياله نفقة تـصدق بمثلها وإذا اكتسـى ثوبًا جديدًا ؛كسا بقدر ثمنه العلماء، وكان إذا وضع بين يديه الـطعام ترك منه بقدر ما يأكل ثم يطعمه لإنسان فقير أو لمن فـى بيته يحتاج إليه وكان رضى الله عنه يؤثـر رضا ربه على كل شىء ولو أخذته السيوف فى الله لاحتمل وكان دائما يتمثل بهذين البيتين:

عَطَاءُ ذى العـرشِ خَيْرٌ مِنْ عَطَائكُمُو ... وَفَضْلُه وَاسِعٌ يُرْجَى وَيُنْتَظَرُ
تُقَدِّرُونَ الـعـطـا مِنْكـم بِمِنَّتِـكُم ... واللهُ يُعْطِى فـــلا مَنٌّ وَلا كَدَرُ

قال أبو بكـر بن أحمد بن ثابت المؤرخ: يـقال: إن أباه ثابتًا هو الذى أهـدى الفالوذج لعلى بن أبى طالب يوم النيروز. وقيل: يوم المـهرجان، وكان أبو حنيفة يقول: أنا فى بركة دعوة صدرت من على بن أبى طالب لأبى. وفى رواية وكان ثابت أبو أبى حنيفة ببغداد فى رجب أو شعبان سنـة خمسين ومائة وكان ابن سبعـين سنة وهى السنة التى ولد فـيها إمامنا الشافعى رضى الله عنهما وقيل: إن المنصور سقاه سما فمات لقيامه مع إبراهيم بن عبد الله ابن حسن. ذكره اليافعى فى تاريخه. وعن جعـفر بن الحسن قال: رأيت أبا حنيفة فى المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟. قال: غفر لى.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب إمام دار الهجرة أبى عبد الله مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى

نسبة إلى بطن من حمير يقال له: ذو أصبح. نقله بعضهم. وفى «تتمة المختصر» ما نصه. مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحرث الأصبحى نسبة لذى أصبح الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قطحان. اهـ. وأنس بن مالك هذا غير أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ إذ هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصارى الخزرجى، وأنس أبو الإمام مالك تابعى. ولد الإمام مالك رضى الله عنه سنة إحدى أو ثلاث أو أربع أو خمس أو سبع وتسعين. قال الشافعى رضى الله عنه: إذا وجدت، لمالك حديثًا فشد يدك به فإنه حجة، وحمل حديث أبى هريرة «يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة». على مالك وعن الشافعى رضي الله عنه أنه قال: ما بعد كتاب الله كتاب هو أكثر صوابًا من «موطأ» مالك قال العلماء: قول الشافعى هذا كان قبل تصنيف البخارى ومسلم كتابيهما وإلا فهما أصح الكتب المصنفة. قال الشافعى رضى الله عنه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وأخذ القراءة عن نافع بن أبى نعيم؛ وسمع الزهرى. وأخذ العلم عن ربيعة الرأى. قال الشافعى: قال لى محمد بن الحسن :أيما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكًا؟. قلت: على الإنصاف قال: نعم. قلت: أنشدك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم؟ اللهم صاحبكم. فأنشدك الله من أعلم بالسنة؟ قال: اللهم صاحبكم قلت: من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم. قلت: فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء كذا فى «تتمة المختصر».

(صفة الإمام مالك رضى الله عنه) كان طويلاً جسيمًا عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية قيل: كانت تبلغ لحيته صدره وقيل: كان أشقر أزرق العينين يلبس الثياب العدنية الرفيعة. قال أشهب: إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفيه قيل: وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة كذا فى كتاب «الطبقات للشعرانى» وغيره. روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الأنساب: أن الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى رضى الله عنه كان إمام دار الهجرة، وفيها ظهر الحق وانتصر وقام الدين واشتهر فى سائر الأقطار، وضربت له أكباد الإبل، وارتحل الناس إليه من كل فج؛ فانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة فاحتاج أشياخه إليه ومكث يفتى الناس ويعلمهم

نحواً من سبعين سنة. وشهد له التابعون بالفقه والحديث. وروى عنه محمد بن شهاب الزهرى، وربيعة بن عبد الرحمن فيه أهل المدينة سنة أربع وأربعين ومائة. ومالك أسود الرأس واللحية والناس سكوت لا يتكلم أحد منهم هيبة، ولا يفتى أحد فى مسجد رسول الله ﷺ غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثنى فاستزدته فزادنى ثم غمزنى أصحابه فسكت. قال مالك رضى الله عنه: ما جلست للفتيا والحديث حتى شهد لى سبعون شيخًا من أهل العلم أنى مستحق لذلك وقال حماد بن زيد لرجل جاءه فى مسألة إختلف الناس فيها: يا أخى إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة وأصغ إلى قوله فإنه حجة مالك ابن أنس إمام الناس: وقال حماد بن سلمة: لو قيل لى: اختر لأمة محمد ﷺ إمامًا يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكًا لذلك موضوعًا وأهلا ورأيت ذلك صلاحًا للأمة. وقال الليث بن سعد: علم مالك علم نقى مالك أمان لمن أخذ به من الأنام. وكان عبد الرحمن ابن القاسم يقول: إنما اقتدى فى دينى برجلين مالك فى علمه، وسليمان بن القاسم فى ورعه. وقال محمد بن رمح: حججت مع أبى وأنا صبى لم أبلغ الحلم فنمت فى مسجد رسول الله ﷺ فى الروضة بين القبر والمنبر فرأيت ﷺ قد خرج من قبرة وهو متوكئ على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقمت فسلمت عليه فرد علىّ السلام فقلت: يا رسول الله أين أنت ذاهب؟. فقال: أقيم لمالك الصراط المستقيم فانتبهت أنا وأبى فوجدت الناس مجتمعين على مالك وقد أخرج الموطأ وكان أول خروجه. وحدث محمد بن عبد الحكم قال: سمعت محمد بن أبى السرى العسقلانى يقول: رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت: يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ: إنى قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت: يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك، فقال ﷺ: يا ابن السرى إنى قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ألا وهو «الموطأ» ألا وليس بعد كتاب الله ولا سنتى فى إجماع المسلمين حديث أصح من الموطأ فاسمعه تنتفع به. قال عمر بن أبى سلمة: ما قرأت كتاب الجامع من موطأ مالك إلا أتانى آت فى المنام فقال لى: هذا كلام رسول الله ﷺ حقًا. قيل: إن مالكًا رضى الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقى متفكرًا فى أى شىء يسمى به تأليفه. قال: فنمت فرأيت النبى ﷺ فقال: وطئ للناس هذا العالم فسمى كتاب الموطأ. قال عبد الله بن المبارك: كنا عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما تفرق الناس عنه قلت له: يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبًا. قال: نعم صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ، وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبى ﷺ يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل فى ذلك؟ فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم ما ترون. وكان يكره أن يحدث فى الطريق أو هو قائم مستعجل أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

(فوائد): الأول: قال عتيق بن يعقوب الزبيرى: قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه

أن مالك بن أنس عنده الموطـأ يقرأه على الناس فوجه إليه البرمكـى وقال له: أقرئه السلام وقل له: يحمل إلىّ الكـتاب فيقرأه على فأتاه البرمكى فأخبره فـقال له: أقرئه السلام وقل له: إن العلم يزار ولا يزور، وإن الـعلم يؤتى ولا يأتى، فأتاه البرمكـى فأخبره وكان عنده أبو يوسف القـاضى، فقال: يا أمير المؤمنين يـبلغ أهل العراق أنكم وجهـت إلى مالك ابن أنس فى أمر فخالفك اعزم عليه فبينما هم كذلك إذ دخل مالك بن أنس فسلم وجلس فقال له الرشيد: يا ابن أبى عامـر أبعث إليك فتخالفنى فقال: يا أمير المـؤمنين أخبرنى الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «كنت أكتب الوحى بين يدى النبى ﷺ فكتب: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

وكان ابن أم مكتوم عـند النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله إنى رجـل ضرير، وقد أنزل الله تعالـى فى فضل الجـهاد ما قد علـمت. فقال الـنبى ﷺ: «لا أدرى». وقلـمى رطب ماجف حتى ثقل فـخذ النبى ﷺ علىّ ثم أغمى على الـنبى ﷺ ثم جلس رسول الله ﷺ فقال: يا زيد اكتب ﴿غَيْرُ أُولِي الضرر﴾(١). يا أمير المؤمنين حرف واحـد تعب فيه جبريل والملائكـة من مسيرة خـمسة آلاف عام ألا ينبـغى لى أن أعزّه وأجلّه وإن الله تعالـى رفعك وجعلك فى هذا المـوضع فلا تكن أنت أول من يضع عزّ العلم فـيضع الله عزّك قال: فقام الرشيد فمشى مع مالك إلى منزله يسمع منـه الموطأ وأجلسه معه على المصنفة فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لمـالك: تقرأه على قال: يا أمير المؤمنين ما قـرأته على أحد منذ زمان قال: فيـخرج الناس حتـى أقرأه أنا عليـك. فقال: س إن العلـم إذا منع من العـامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر أن يقرأه معن بن عيسى القزاز عليه فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه لهرون الرشيد: يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وأنهم ليحبون التواضع للعلم فنزل الرشيد عن المنصة فـجلس بين يديه. اهـ من «الروض الفائق». (الثانية منه أيضًا): قال: كـان مالك رضى الله عنه فى تعـظيم علم الدين مبـالغًا حتى إذا أراد أن يحدث توضأ وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن فى الجلوس على وقار وهـيبة ثم حدث فقيل له: فى ذلك. فقـال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ هكذا يكون تعظـيم العلم فالعلماء إذا عظموا العلم عـظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار فى قلوب الملوك ومن دونهم فيا أيها الطالب للعلم تواضع له فمن تواضع لله ومن تواضع لله فإن التراب لما ذل لأخمص الـقدمين صار طهورا للوجه كما قال تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾(٢) يا هذا دم على حضور مجلس العـلم فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضـاع فإذا صار رجلا صبر على الفـطام. واعلم أن طريق الفضائـل مشحونة بالبلاء ليرجع عنها مخنث العزم.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

وَلَوْ أنّ أهلَ العلم صَانُوه صَانَهم ... وَلَوْ عَظّمُوه فى النفوس لَعَظُما
أأغرسُه عزاً وأجنيه ذلَّة ... إذًا فاتّباعُ الجهل قَدْ كانَ أحْزَما

(الثالثة): سأله الرشيد هل: لك دار؟. فقال: لا. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال له: اشتر لك بها داراً فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال له: ينبغى لك أن تخرج معنا فإنى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن. فقال له: أما حملك الناس على الموطأ فليس إلى كذلك سبيل لأن أصحاب النبى ﷺ اقترفوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم؛ وقد قال رسول الله ، : **«اختلاف أمتى رحمة»**. وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله ﷺ: **«المدينة خير لكم لو كانوا يعلمون»**. وقال: **«المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير الحديد»**. وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعنى أنك إنما كلفتنى مفارقة المدينة بما اصطنعته لدىّ من أخذ هذه الدنانير فالآن خذها فإنى لا أوثر الدنيا وما فيها على مدينة النبي. ﷺ **(الرابعة)**: سئل رضى الله عنه عن معنى قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[1] فعرق، وأطرق، وصار ينكت بعود فى يده، ثم رفع رأسه. وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج. كذا فى «طبقات الشعرانى». **(الخامسة)**: سعى الإمام مالك رضى الله عنه إلى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله ابن العباس ابن عم المنصور وقالوا: إنه لا يرى الإيمان ببيعتكم هذه بشىء لأن يمين المكره ليست لازمة فغضب ودعا له وجرده وضربه بالسوط، ومدت يده حتى خلعت كتفه وارتكب منه أمرًا عظيمًا فلم يزل بعد ذلك الضرب فى علاء ورفعة. **(السادسة)**: قال القعنبى: دخلت على مالك فى مرضه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكى، فقلت: يا أبا عبد الله ما الذى يبكيك؟. فقال: يا ابن قعنب وما لى لا أبكى، ومن أحق بالبكاء منى؟، والله لوددت أنى ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيى بسوط سوطًا وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت إليه، وليتنى لم أفت بالرأى. كذا فى «تتمة المختصر». (قيل): لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم وانتشر صيته، وذكره فى البلاد حملت إليه الأموال، فكان يفرقها على أصحابه، وأصحابه يفرقونها فى وجه البر موافقة لفعله، وما كان يدخرها، وكان يقول: ليس الزهد فقد المالك وإنما الزهد فراغ القلب منه. وقال رضى الله عنه: ما كان رجل صادق فى حديث لا يكذب إلا متعة الله بعقله ولم تصبه عند الهرم آفة ولا خوف. وعن الدراوردى رحمه الله. قال: رأيت فى المنام أنى دخلت مسجد رسول الله ﷺ، فرأيت النبى ﷺ يعظ الناس إذ دخل مالك فلما رآه النبى

(١) سورة طه ٥.

ﷺ قال إلىّ إلىّ فـأقبل حتى دنا منه فـنزع رسول الله ﷺ خاتمه من أصبعـه، ووضعه فى خنصر مالك رضى الله عنه؛ فأولته العلم قد وضـعه النبى ﷺ إليه. وكانت العلماء تقتدى بعلـمه والأمراء تستضىء برأيه، والعامـة منقادة إلى قـوله، فكان يأمر فـيمتثل أمره بـغير سلطـان، ويقول: فلا يسأل عـن دليل على قـوله. ويأتى بالجـواب فما يجسر أحـد على مراجعته ولذلك. قال فيه بعض محبيه:

يَأْتى الجـــوابُ فَلاَ يُراجَعُ هَيْبَةً ... والســائـلـون نــواكسُ الأذْقَان
لَيْسَ الـوقَارُ وَعزُّ سـلطـانِ التُّقـى ... فـهو المـطاعُ ولَيْسَ ذا الـسـلطـانِ

(وعن الشافعى) رضى الله عنه: قال: رأيت على باب مالك دواب من أفراس خراسان جاءته هدية. وقيل: مـن مصر ما رأيت أحسن منها. فقلت له: مـا أحسن هذه فقال: هى هدية منى إليك. فقلت: دع لنفسك منـها دابة تركبها. فقال: إنى لأستحى من الله أن أطأ تربة فيها نبى ﷺ بـحافر دابة. وكان يحيى بن سعيد رحمه الله يـقول: مالك رحمة لهذه الأمة. وقال أبو قدامة: مالك أحفظ أهل زمانه. وقال أبو عبد الله المنتاب: حفظ مالك مائة ألف حديث. وقال الليث بن سعد: والله ما على وجه الأرض أحب إلىّ من مالك. وقال: اللهم من عمرى فى عمره. وكان الأوزاعى يعظم مالكًا وإذا ذكره يقول: قال عالم العلماء. قال عالم المدينة. قال مفتى الحرمين. وقال المثنى بـن سعيد القصير سمعت مالكًا يقول: ما بت ليلة إلا رأيت النبى ﷺ فيها.

(تتمة): توفى الإمام مالك رضـى الله عنه لعشرة أيام خلت من ربـيع الأول سنة تسع وسبعين ومـائة. ومرض يوم الأحد، ومات يـوم الأحد. وعاش تسعين سـنة. وأوصى أن يكفن فى بعض ثيابـه، ويصلى عليه فى موضع الجنائز. فصلى عليـه أكثر الناس منهم ابن عياش، وهاشم، وابن كنانة، وشعبة بن داود، وكاتبه حبيب، وابنه، ونزل فى قبره جماعة من الأكابر وفى «طبقـات الشعرانى»: ومكث رضى الله عنه خمسًا وعشريـن سنة لم يشهد الجماعة فقيل لـه: ما يمنعك من الخروج؟. فقال: مخالفة أن أرى مـنكرًا أحتاج أن أغيره. قال: وإنما سـومح فى ذلك لأنه مجـتهد، ولو فعـل الذى مات فيه فدخـل ابن الدراوردى فقال: يا أبا عبد الله رأيت البارحة رؤيا أتسمعها منى؟. فقال: قل. قال: رأيت رجلا ينزل من السماء عليـه ثياب بيض وبيده سجل ينشره ما بين الـسماء والأرض ثلاث مرات يقول: هذه براءة لمالك من النار؛ فبينما أنا أحدثه إذ دخل عليه رسول الأمير. فقال: يا أبا عبد الله إن مؤذن مسجد المدينة رأى البارحة رؤيا، فسمعتها منه فقص عليه مثل ذلك. فقال مالك: الله المستعان ما شاء الله كان. وعن أبى زكريا قال: سـمعت الشافعى رضى الله عنه يقول: قالت لى عمـتى ونحن بمكة: رأيت فى هـذه الليلة رؤيا. قلت: ومـا هى؟. قالت: رأيت

قائلا يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض. فحسبنا ذلك اليوم، فكان اليوم الذى مات فيه مالك. ورأى بعض الصالحين: مالكا بعد موته فى المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟. قال: غفر لى. قال: بماذا؟. قال: بكلمة سمعتها عن عثمان، أنه كان إذا رأى ميتًا قال: «الله لا إله إلا هو الحى القيوم سبحان الحى الذى لا يموت»، فأدمت قولها، فأدخلنى الله الجنة.

وعن يونس بن عبد الأعلى. قال: سمعت بشر بن بكر يقول: رأيت الأوزاعى فى المنام مع جماعة من العلماء فى الجنة، فقلت له: أين مالك؟. فقيل: رفع. قلت: بماذا؟. قال: بصدقة. اهـ من «الروض الفائق».

فصل

فى ذكر مناقب إمامنا الشافعى رضى الله عنه

هو أبو بكر بن محمد بن إدريس الشافعى المطلبى وإنما نسب لشافع لأنه صحابى ابن صحابى، وللتفاؤل بالشفاعة، وهو جده: الثالث، إذ هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف. يجتمع مع النبى ﷺ فى: عبد مناف، وهو: الثالث من أجداد النبى ﷺ: والتاسع مع أجداد الشافعى رضى الله عنه.

(تنبيه) لا يخفى أن هاشمًا الذى فى نسب الإمام غير هاشم فى نسبه ﷺ لأن الثانى عم الأول، وأن الشافعى مطلبى من جهة أبيه، وهاشمى من جهة أمهات أجداده، وأزدى من جهة أمه، وقيل: أمه فاطمة بنت عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاحفظه فإنّه وَهْمُ جماعةٌ من المتأخرين من أرباب الحواشى، فخبطوا خبط عشواء، وركبوا متن عمياء، وقد نقل عن الحاكم أبى عبد الله وأبى بكر البيهقى، والخطيب البغدادى: أنهم ذكروا أن الشافعى ولده هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ ثلاث مرات. وذلك لأن أم السائب هى الشفا بنت الأرقم بن هاشم بن عبد مناف وأم الشفا هى خَليدة بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة وكسر اللام وسكون المثناة التحتية ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف وأم عبد يزيد هى الشفا بنت هاشم بن عبد مناف تزوجها هاشم فولدت له عبد يزيد فالشافعى ابن عم رسول الله ، وابن عمته. ولد الشافعى رضى الله عنه بغزة سنة خمسين ومائة فى رجب. وقيل: فى شعبان يوم توفى أبو حنيفة. وعن الذهبى لم يثبت اليوم. وقيل: بعسقلان. وقيل: باليمن. والأول أصح ونشأ بمكة، وحفظ القرآن. وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر وتفقه على مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وأذن له فى الإفتاء أى الاجتهاد وهو ابن خمس عشرة سنة كذا فسر الإفتاء شيخ المشايخ الباجورى فى حشايته على ابن القاسم الغزى وهو ما يرشد إليه استنباطه الحكم من الحديث بعدم وقوع الطلاق على الرجل الذى باع القمرى كما سيأتى فى الفائدة. وكان سنه رضى الله عنه إذ ذاك أربع عشرة سنة. وأذن مالك رضى الله عنه له بالإفتاء حينئذ ثم لازم مالكًا بالمدينة. وقدم ببغداد فاجتمع عليه علماؤها، وأخذوا عنه، وصنف فيها مذهبه القديم، ثم عاد إلى مكة، ثم خرج إلى بغداد فأقام بها شهرًا، ثم خرج إلى مصر وصنف فيها مذهبه الجديد بجامع عمرو، ثم لم يزل ناشرًا للعلم مشتغلاً به، وكان الشافعى رضى الله عنه يقسم الليل أثلاثًا: ثلث للعلم، وثلث للصلاة، وثلث للنوم (صفته): كان رضى الله عنه طويلا سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين، يخضب لحيته بالحناء حمراء قانئة، حسن الصوت حسن السمت، عظيم العقل

حسن الوجه حسن الخلق، مهيبًا فصيحًا. من أذرب الناس لسانًا إذا خرج لسانه بلغ أنفه وكان مسقامًا ممنوًا بالبواسير كذا وصفه ابن الصلاح. وعن الربيع قال: كان الإمام الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى كل يوم مرة، وعن الربيع أيضًا: كان يختم القرآن فى رمضان ستين مرة، فرأيته يصلى نحواً من ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمر على آية رحمة إلا سأل الإنابة لنفسه وللمؤمنين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ منها، وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين. قال الحميدى: كان الشافعى يختم كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ فى الصلاة وكان يقول رضى الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة؛ ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة. وكان رضى الله عنه يقول: ما حلفت بالله فى عمرى لا كاذبًا ولا صادقًا. وسئل رضى الله عنه عن مسألة فسكت، فقيل له: لِمَ لا تُجيب؟، فقال: حتى أعلم الفضل فى سكوتى أو فى جوابى. قال الشافعى رضى الله عنه: لما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسألة وكان منزلنا بمكة فى شعب الخيف؛ وكنت فقيراً بحيث لا أملك أن أشترى القراطيس فكنت آخذ وأكتب فيه. (وفى تاريخ ابن الوردى): أخذ الشافعى العلم من مالك، ومسلم بن خالد الزنجى، وسفيان بن عيينة. وسمع الحديث من إسماعيل بن علية وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى. ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم، ونظاره محمد بن الحسن بالرقة فقطعه الشافعى؛ وكان الشافعى حافظًا للشعر. قرأ عليه الأصمعى «ديوان الهذليين» و«ديوان الشنفرى» بمكة، وقدم بغداد مرتين وناظر بشرًا المريسى بها، وكان بشر معتزليًا وناظر حفصا الفرد بمصر قال حفص القرآن مخلوق واستدل فتجاريا حتى كفره الشافعى، وقال: إنما خلق الله الخلق بـ «كن» فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقًا خلق بمخلوق. اهـ. قال المزنى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم: جاء الشافعى إلى مالك رضى الله عنهما. فقال له: أريد أن أسمع منك الموطأ فقال مالك: امض إلى حبيب كاتبى فإنه يقول: قرأته، فقال له الشافعى: تسمع منى رضى الله عنك صفحًا، فإن استحسنت قراءتى قرآته عليك وإلا تركتك، فقال له: اقرأ. فقرأ صفحاً، ثم وقف. فقال له مالك: هيه فقرأ صفحًا، ثم سكت، فقال له الإمام: هيه فقرأ فاستحسن مالك قراءته فقرأ عليه الموطأ أجمع. ثم أتاه بعد ذلك. فقال له مالك: اطلب من يقرأ لك. فقال له الشافعى: أحب أن تسمع قراءتى فإن خفت عليك وإلا طلبت من يقرأ لى، فقال: اقرأ فقرأت عليه فأعجبه ذلك. ثم قال: اقرأ، فقرآت عليه الموطأ من أوله إلى آخره حفظًا. فدعا لى وسر بذلك وكان حفظ الشافعى رضى الله عنه للموطأ فى تسع ل. كذا نقله بعضهم وقيل: فى ثلاث. روى الحميدى: أن الشافعى رضى الله عنه خرج إلى اليمن فى بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعه عشرة آلاف درهم، فضرب خيمته خارج مكة فكان الناس يأتونه، فما برح من مكانه حتى فرقها جميعها، وخرج يومًا من الحمام وقد أتى بمال كثير فدفعه للحمامى. وسقط سوطه من يده وهو راكب فرفعه إليه

إنسان فأعطاه خمسين ديناراً. وروى عنه: أنه خاط قميصًا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره. فهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقًا لا تخرج منه يده إلا بجهد، والكم الآخر كان رأس عدل. فلما جاء الشافعي رأى كمه ضيقًا جدًا والآخر متسعًا جدًا. فقال: جزاك الله خيرًا هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب. وكان رسول الملك قد جاء إلى الشافعي بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط، فقال له: ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب، وفكرته فى تفصيله، فسأل عنه الخياط، فقيل له: هذا الإمام الشافعي، فتبعه، وقبل قدميه، واعتذر إليه، ثم خدمه وصار من أصحابه. قال الربيع: تزوّجت، فسألني الشافعي كم أصدقتها؟. فقلت: ثلاثين ديناراً. قال: كم أعطيتها. قلت: ستة دنانير. فأرسل إليّ بصرة فيها أربعة وعشرون ديناراً، وجعل لى معلومًا على الأذان بالجامع سنة إحدى ومائتين كذا فى «الروض الفائق». ومن كلام الشافعي رضى الله عنه فى الكرم كما فى شرح «لامية العجم» لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وكتاب «المناقب» للرازى:

يَا لَهْفَ نَفْسى عَلى مَالٍ أُفَرِّقُهُ ... عَلَى الْمُقِلِّينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ
إنَّ اعتِذَارِى إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِى ... مَا لَيْسَ عِنْدِى لِمَنْ إِحْدَى المصيبَاتِ

ومن كلامه أيضًا رضى الله عنه كما فى الشرح المذكور:

عَلَىَّ ثِيَابٌ لَو تُبَاعُ جَمِيعُهَا ... بِفَلْسٍ لكَانَ الْفَلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا
وَمَا ضَرَّ نَصْلُ السَّيفِ إِخْلاقُ غِمْدِهِ ... إِذَا كانَ عَضْبًا حَيْثُ وَجَّهْتَه بَرَى[1]

ومن كلامه رضى الله عنه الذى أورده الدميرى فى «حياة الحيوان» والرازى فى المناقب:

سأَكْتُمُ عِلْمِى عَنْ ذَوِى الجهْلِ طَاقَتِى ... ولا أَنْثُرُ الدُّرَّ النَّفِيسَ عَلَى الغَنَمْ
فَإِنْ يَسَّرَ اللهُ الكَرِيمُ بِفَضْلِهِ[2] ... وَصَادَفْتَ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ
بَثَثْتُ[3] مُفِيدًا واسْتَفَدْتُ ودَادَهُم ... وَإلاَّ فَمَخْزُونٌ[4] لَدَىَّ وَمُكْتَتَمْ
فَمَنْ[5] مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ المُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

ومن كلامه رضى الله عنه:

إذَا لَمْ أَجِدْ خِلاً تَقِيًّا فَوَحْدَتِى ... أَلَذُّ وأَشْهَى مِنْ غَوِىّ أُعَاشِرُهْ
وَأَجْلِسُ وَحْدِى لِلْعِبَادَةِ آمِنًا ... أَقَرُّ لِعَيْنِى مِنْ جَلِيسٍ أُحَاذِرُهْ

---

(١) فى الديوان: فَرَى بمعنى قطع. (٢) فى الديوان * لَئِنْ سَهَّلَ اللهُ الْعَزِيزُ بِلُطْفِهِ *
(٣) فى الديوان: بَثَثْتُ. (٤) فى الديوان: فَمَكْنُونٌ. (٥) فى الديوان: وَمَنْ.

ومن كلامه رضى الله عنه:

زِنْ مَنْ وَزَنَتَ بِمَا وَزَنـ ... ـــــــك وَمَا وَزَنَكَ بِهِ فَزِنْهُ
مَنْ جَا إِلَيْكَ فَرُحْ إِلَيْه ... وَمَنْ جَفَاكَ فَصُدَّ عَنْهُ
مَنْ ظَنَّ أَنَّكَ دُونَهُ ... فَاتْرُكْ هَوَاهُ إِذَنْ وَهِنْهُ
وَارْجِعْ إِلَى رَبِّ الـــعِبَادِ ... فَكُلُّ مَا يَأْتِيـــكَ مِنْهُ

ومن كلامه رضى الله عنه:

أَكَلَ الـعُقَـابُ بِقُوَّةٍ جِيفَ الـعَـلا ... وَجَنَى الذُّبَابُ الشَّهْدَ وَهُوَ ضَعِيفُ

ومن كلامه رضى الله عنه:

تَمَـــنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيـلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَد
فَقُلْ لِلَّذِ يَبْغِى خِلافَ الَّذِى مَضَى ... تَهَيَّأْ لأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنْ قَدِ
وَقَدْ عَلِمُوا لَوْ يَنْفَعُ الـعِلْمُ عِنْدَهُـم ... لَئِنْ مِتُّ مَا الدَّاعِى عَلَىَّ بِمُخْلِدِ(١)

ومن كلامه رضى الله عنه:

كُلُّ الـــعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا ... إِلا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدِ

ومن كلامه أيضًا رضى الله عنه:

أَمَتُّ مَطَامِعِى فَأَرَحْتُ نَفْسِى ... فَإِنَّ الـــنَّفْسَ مَا طَمِعَتْ تَهُونُ
وَأَحْيَيْتُ الْقُنُوعَ وَكَانَ مَيْتًا ... فَفِى إِحْيَائِهِ عِـــرْضٌ مَصُونُ
إِذَا طَمَعٌ يَحِلُّ بِقَلْبِ عَبْدٍ ... عَلَتْهُ مَهَانَةٌ وَعَلاهُ هُونُ

ومن كلامه أيضًا:

مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُـــفْـــرِك ... فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيـــعَ أَمْرِكْ
وَإِذَا قَصَـــدْتَ لِحَـــاجَـــةٍ ... فَاقْصِـــدْ لِمُعْتَرِفٍ بِقَـــدْرِكَ

ومن كلامه رضى الله عنه:

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَـــا لا بَقَاءَ لَهَا ... يُمْسِى وَيُصْبِحُ فِـــى دُنْيَاه سَفَّارا
هَلا تَرَكْتَ لِذِى الـــدُّنْيَا مُعَانَقَةً ... حَتَّى تُعَانِقَ فِى الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِى جِنَانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا ... فَيَنْبَـــغِى لَكَ أَنْ لا تَأْمَنَ الـــنَّارا

وله رضى الله عنه كلام كثير فى النظم والنثر أفرد بالتأليف، وحسبك قوله رضى الله عنه:

---

(١) بهذه الرواية فى سير أعلام النبلاء، وفى جمهرة رسائل العرب ٢/ ٢٥٥ وفى حياة الحيوان، وفى الديوان.
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو هَلاكِى بِضَائِرِى ... وَلا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِى بِمُخْلِدِى.

وَلَوْلا الشِّعْرُ بِالعُلَمَاءِ يُزْرِى لَكُنْتُ اليَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ
وَأَشْجَعَ فِى الْوَغَى مِنْ كُلِّ لَيْثٍ وَآلِ مُهَلَّبٍ وَأَبِى يَزِيدِ
وَلَوْلا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّى حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ عَبِيدِى

قال الشعرانى فى «المنن»: يعنى بالناس أبناء الدنيا الذين يحبونها بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك: أنت عبد عبدى. فقال: ولم ذلك؟. فقال: لأنك عبد الدنيا والدنيا خادمة لى. اهـ.

(ومن كلامه المنثور): من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة، فإنه حياة القلوب، ومصباح البصائر، ومن كلامه رضى الله عنه: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وقال رضى الله عنه: أظلم الظالمين لنفسه الذى إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف، وتكبر على ذوى الفضل، وكان رضى الله عنه يقول: وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم ولم ينسب إلىّ منه شيء. وقال أيضًا ما نظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعاد، ويكون على رعاية من الله عزّ وجلّ. وما ناظرنى أحد قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه ولا أبالى أن يبين الله عزّ وجلّ الحق على لسانى أو على لسانه، وقال أيضًا: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت مودته؛ ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته.

(لطيفة) حكى عن الشافعى: أنه قال كان لرجل ابن أبله فبعثه يومًا ليشترى حبلا طوله ثلاثون ذراعًا. فقال: فى عرض كم؟ قال: فى عرض مصيبتى فيك.

(فوائد): الأولى: كان الإمام الشافعى رضى الله عنه جالسًا بين يدى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنهما فجاء رجل فقال لمالك: إنى رجل أبيع القمارى، وإنى بعت فى يومى هذا قمريًا فرده علىّ المشترى. وقال: قمريك لا يصيح، فحلفت بالطلاق: أنه لا يهدأ من الصياح. فقال له الإمام: طلقت زوجتك، ولا سبيل لك عليها. وكان الإمام الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة، فقال لذلك الرجل: أيما أكثر صياح قمريك أم سكوته؟. فقال: بل صياحه، فقال: لا طلاق عليك. فعلم بذلك الإمام مالك. فقال للشافعى: يا غلام من أين لك هذا؟. فقال: لأنك حدثتنى عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة: «أن فاطمة بنت قيس قالت: يا رسول الله إن أبا جهم، ومعاوية خطبانى فقال ﷺ: أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه». وقد علم رسول الله ﷺ أن أبا جهم كان يأكل، وينام، ويستريح، وقد قال ﷺ: لا يضع عصاه على المجاز، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته، ولما كان صياح قمرى هذا أكثر من سكوته جعلته كصياحه دائمًا. فتعجب الإمام مالك من احتجاجه! . وقال له: افت فقد آن لك أن تفتى. فأفتى من تلك السن كذا فى «حياة الحيوان». **(الثانية)**: أن محمد بن الحسن، وأبا يوسف، ويعقوب بن إبراهيم صاحبى أبى حنيفة رضى الله عنهم امتحنا

الشافعى محمد بن إدريس رضى الله عنه صاحب الترجمة بحضرة الرشيد. فقالا: ما تقول: فى رجلين خطبا امرأة فحلت لأحدهما ولم تحل للآخر وليست بمحرم له؟. فقال: إن أحد الرجلين كان له أربع نسوة فحرمت عليه الخامسة، فقالا: ما تقول: فى رجلين شربا خمرا فوجب على أحدهما: الحد ولم يجب على الآخر وكانا مسلمين؟ فقال: إن أحدهما: كان حرًا بالغًا فوجب عليه الحد، والآخر كان صبيًا لم يبلغ الحلم. قالا: فما تقول فى خمسة زنوا فوجب على أحدهم القتل، وعلى الآخر: الرجم، وعلى الثالث: الحد. وعلى الرابع: نصف الحد، وعلى الخامس: لم يجب عليه شىء. فقال: أما الأول: فمشرك زنى بمسلمة فوجب عليه القتل. وأما الثانى: فمحصن زنى فوجب عليه الرجم. وأما الثالث: فبكر زنى فوجب عليه الحد. وأما الرابع: فمملوك زنى فوجب عليه نصف الحد. وأما الخامس: فصبى أو مجنون،. قالا: فما تقول: فى رجل أخذ قدحًا فيه ماء فشرب بعضه حلالاً وحرم عليه الباقى؟. فقال: إنه لما شرب بعضه عرف ما فى باقيه فحرم عليه، قالا: فما تقول: فى رجل دفع لزوجته كيسًا مختومًا، وقال: لها أنت طالق إن لم تفرغيه، ولا تفتحيه، ولا تقطعيه ،ولا تفتقيه فأفرغته على ذلك الحكم؟. قال: إن الكيس كان مملوءًا سكرًا أو ملحًا فوضعته فى الماء فذاب وتفرغ، قالا: فما تقول فى جماعة صلحاء سجدوا لغير الله تعالى وهم فى فعلهم مطيعون؟ قال: إنهم الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام، قالا: فما تقول فى رجل صلى بقوم فسلم عن يمينه فطلقت زوجته. وسلم عن يساره فبطلت صلاته، ونظر إلى السماء فوجب عليه ألف درهم؟. قال: إن هذا الرجل لما سلم عن يمينه نظر إلى رجل كان تزوج امرأته بالغيبة، ولم يدخل بها قد قدم من السفر فوجب عليه طلاقها، ثم سلم عن يساره، فرأى فى ثوبه دمًا كثيرًا فوجب عليه إعادة الصلاة، ثم نظر إلى السماء فرأى الهلال وكان عليه ألف درهم فى الشهر فوجبت عليه، قالا: فما تقول: فى رجل لقى جارية فقبلها. وقال: فديت من أبى جدها، وأخى عمها، وأنا زوج أمها؟ قال: هى ابنته، قالا: فما تقول فى امرأة لقيت غلامًا فقبلته. وقالت: فديت من أمى ولدت أمه، وأخو زوجى عمه، وأبوه ابن حماتى، وأنا امرأة أبيه؟. قال: هى أمه. فلما فرغ من مسائلهما. أقبل الشافعى على محمد بن الحسن؛ وقال: ما تقول فى رجل تزوج امرأة وزوج ابنه أمها فجاءت الأم والبنت بولدين ما يكون هذا الولد من ذلك وذلك من هذا؟. فسكت محمد بن الحسن؛ فقال الرشيد للشافعى: فسر لنا هذه. فقال: يا أمير المومنين ابن الأم خال لابن البنت وابن البنت عم لابن الأم. فأعجب الرشيد ذلك، ثم أقبل الشافعى على أبى يوسف وقال: ما تقول فى رجل مات وخلف ستمائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهم واحد افرض لنا هذه القسمة، فسكت أبو يوسف. فقال الرشيد للشافعى بحياتى: فسر لنا الأخرى. فقال: يا أمير المؤمنين هذا الشخص مات وخلف ستمائة درهم وترك ابنتين أصابهما الثلثان، وهما أربعمائة درهم، وخلف والدته أصابها السدس، وهو مائة درهم، وخلف زوجته أصابها الثمن، وهو خمس وسبعون درهمًا، وله اثنا عشر أخًا كل واحد منهم درهمان فبقى للأخت درهم. اهـ من «الكنز المدفون» ومثله

فى كتاب «المناقب» للرازى وهى فائدة جمعت فوائد. **(الثالثة)**: كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعى رضى الله عنهما ويذكره كثيرًا ويثنى عليه وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين الأخيار، وتود أن ترى الشافعى لتعظيم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت ففرحت البنت بذلك طمعًا أن ترى أفعاله وتسمع مقاله، فلما كان الليل قال الإمام أحمد: انظرى إلى وظيفة صلاته وذكره، والإمام الشافعى رضى الله عنه مستلق على ظهره والبنت ترقبه إلى الفجر، فقالت لأبيها: رأيتك تعظم الشافعى وما رأيت له فى هذه الليلة لا صلاة، ولا ذكرا، ولا وردا، فبينما هم فى الحديث إذ قام الشافعى، فقال له: أحمد كيف كانت ليلتك؟. فقال: ما رأيت ليلة أطيب منها، ولا أبرك، ولا أربح. فقال: كيف ذلك؟. قال: لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين، ثم ودعه ومضى. فقال أحمد بن حنبل لابنته: هذا الذى عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم. اهـ من «الروض الفائق». **(الرابعة)**: روى سويد بن سعيد رحمه الله قال: كان الشاعى جالسًا بعد صلاة الصبح فى مدينة النبى ﷺ إذ دخل عليه رجل، فقال له: إنى خائف من ذنوبى أن أقدم على ربى وليس لى عمل غير التوحيد، فقال له الإمام الشافعى رضى الله عنه: يا مؤمن لو أراد الله عزّ وجلّ أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه حيث يقول: ﴿**وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾[1] ولو أراد عقوبتك فى جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفتك به وتوحيدك ثم أنشد:

فبكى الرجل وأقبل على العبادة، وفرح بكلامه رضى الله عنه كذا فى «الروض الفائق»

إنْ كُنْتَ تَغْدُو فِى الذُّنُوبِ جَلِيدًا ... وَتَخَافُ فِى يَوْمِ الْمَعَادِ وَعِيدَا
فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهَيْمِنِ عَفْوُهُ ... وَأَتَاحَ مِنْ نِعَمٍ عَلَيْكَ مَزِيدَا
لا تَيْأَسَنْ مِنْ لُطْفِ رَبِّكَ فِى الحَشَا ... فِى بَطْنِ أُمِّكَ مُضْغَةً وَوَلِيدَا
لَوْ شَاءَ أَنْ تَصْلَى جَهَنَّمَ خَالِدًا ... مَا كَانَ أَلْهَمَ قَلْبَكَ التَّوْحِيدَا

(الخامسة): روى عبد الله بن مروان: قال: كنت أجلس فى حلقة العلم عند الإمام الشافعى رضى الله عنه، وأكتب ما أفهمه منه فأتيته سحرًا فوجدته فى المسجد وهو قائم يصلى فجلست حتى فرغ من صلاته، ثم دعا بدعوات حفظتها منه. فكان من جملة ذلك: «اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة. وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك. وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك مقرونًا بعوافى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين»: قال: فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

وخرجت خلفه فوقف ينظر إلى السماء ثم أنشد:

ومن جملة دعائه رضى الله عنه: «اللهم إنى أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة

بِمَوْقِف ذُلِّى دُونَ عِزَّتِكَ الـــعُظْمَى ... بِمَخْفِىِّ سِرٍّ لا أُحِيـــطُ بِه عِلْمَا
بِإِطْرَاقِ رَأْسِى بِاعْتِرَافِى بِذِلَّتِى ... بِمَدِّ يَدِى أَسْتَمْطِرُ الجُودَ والـرَّحْمَى
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى الَّتِى بَعْضُ وَصْفِهَا ... لِعِـزَّتِهَا يَسْتَغْرِقُ الـنَّثْرَ والـنَّظْمـا
بِعَهْدٍ قَدِيمٍ مِنْ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾(١) ... بِمَنْ كَانَ مَجْهُولاً فَعُرِّفَ بِالأَسْمَا
أَذِقْنَا شَرَابَ الأُنْسِ يَا مَنْ إِذَا سَقَى ... مُحِبًّا شَرَابًا لا يُضَامُ وَلا يَظْمَا

جلالك مـن كل آفة وعاهة وطـارق من الإنس والجن إلا طارقًا يطـرق بخير. اللـهم أنت عياذى فبك أعوذ، وأنت ملاذى فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنـة، أعوذ بجلالك وكرمك من خـزيك، وكشف سترك ونسيـان ذكرك، والانصراف عن شكرك، وأنا فى كنفك ليلى ونهـارى ونومى وقرارى وظعنى وأسفارى، ذكرك شعارى وثناؤك دثـارى، لا إله إلا أنت تنـزيها لأسمائـك وتكريمًا لسبـحات وجهك، أجـرنى من خزيك ومن شر عبادك، وقنى سيئات مكـرك، واضرب على سرادقات حفظك، وأدخلنى فى حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين كذا فـى «الروض الفائق». وفيه أيضًا قرأ بعضهم يومًا قوله تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنـطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾(١). فتغير لونه واقشعر جلده واضطربـت مفاصله وخر مغشيًا علـيه. فلما أفاق قال: أعوذ بك من مـقام الكذابين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيبتك نفوس المشتاقين، إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عنى فى تـقصيرى بكرمك. وهذه الفائدة قد احتوت على فوائد. (السادسة): قال عبد الله بن مـحمد البكرى: كنت مع الإمام الـشافعى رضى الله عنه بشط بغداد فرأى شابًا يتوضأ ولا يحـسن الوضوء فقال له: يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إلـيك فى الدنيا والآخـرة. ثم مضى فأسـرع الشاب فى وضوئه ثـم لحق الإمام الشافـعى ولم يعرفـه، فالتفت إلـيه الإمام. وقال له: هـل لك من حاجة؟. قـال: نعم. علمنى مما علمك الله، فقال له: اعلم أن من عرف الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا أفلا أزيدك؟. قال: بلى. قال: من كان فيه ثلاث خـصال فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعـروف، وائتمر به، ونهى عن المنـكر وانتهى عنـه، وحافظ على حدود الله تـعالى. قال: أفلا أزيدك؟. قـال: بلى. قال: كن فى الدنيا زاهدًا، وفى الآخرة راغبًا، واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مـضى فسأل عنه الشاب بعـد ذلك. فقيل له: الإمام الشافـعى رضى الله عنه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢ . (٢) سورة المرسلات ٣٥، ٣٦.

يقول: رأيت وأنا فى اليمن كأنى جالس فى فضاء الطواف إذ أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت إليه مسرعًا وسلمت عليه وصافحته فعانقنى ونزع خاتمه من أصبعه فجعله فى أصبعى فلما أصبحت قصصت ذلك على المعبر. فقال: لى أبشر يا أبا عبد الله، أما رؤيتك لعلى بن أبى طالب فى المسجد الحرام فهو النجاة من النار، وأما مصافحتك إياه فهو الأمان يوم الحساب، وأما جعله الخاتم فى أصبعك فسيبلغ اسمك فى الدنيا ما بلغ اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه. قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى؛ وقال له ابنه: يا أبت أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء؛ فقال الإمام أحمد: يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا، والعافية للناس، فانظر يا بنى هل من هذين خلف؟. قال صاحب الروض: هكذا العلماء والصالحون هم كالشمس للدنيا والعافية للناس وليس منهما خلف فإن بهم يدفع الله البلاء، وينزل الرخاء، وتعم البركة، وتنشر الرحمة، فلله درهم فروا من الدنيا إلى الله وأنتم تفرون من الله إلى الدنيا. قال الخطيب فى الإقناع: وحمل حديث «عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا» على الشافعى. وفى رواية «يملأ الأرض علمًا». وعن أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى. قال: قال أحمد بن حنبل: إن الله تعالى يقيض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب فنظرنا؛ فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز؛ وفى رأس المائتين الشافعى، وكان أحمد بن حنبل يقول: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعى رضى الله عنهما.

(تتمة) «فى الكلام على رحلته ووفاته وأولاده رضى الله عنه». قال الشيخ الإمام العالم المقرى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الأردبيلى المالكى بالجامع العتيق بمصر فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن فتح المعروف بابن الحبشى سنة ثلاثين وخمسمائة، أخبرنا الشريف القاضى الموسوى بن إسماعيل بن الحسينى المقرى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر، قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفارسى فى ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربعمائة؛ قال: أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر. قالا: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصرى الكراز. قال: حدثنى أبو الفرج عبد الرازق حميدان البطين. قال: حدثنى أبو بكر محمد بن المنذر. قال: حدثنى الربيع بن سليمان. قالا: سمعت الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول: فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لا نبات بعارضى من الأبطح إلى ذى طوى وعلَىّ بردتان يمانيتان فرأيت ركبًا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب إلى شيخ كان فيهم قال: سألتك بالله إلا ما حضرت طعامنا. قال الشافعى رضى الله عنه: وما كنت أعلم أنهم أحضروا طعامًا، فأجبت مسرعًا غير محتشم، فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فأخذت كأخذهم كى لا يشتبه عليهم مأكلى والشيخ ينظر إلىّ ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت عليه؛ فأقبل على الشيخ

وقال: أمكى أنت؟. قلت: مكى. قال: أقريشى أنت؟. قلت قريشى، ثم أقبلت عليه، وقلت: يا عم بما استدللت علىّ؟. قال: أما فى الحضر فبالزى، وأما فى النسب فبأكل الطعام لأنه من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه، وذلك فى قريش خصوصًا، قال الشافعى رضى الله عنه: فقلت للشيخ: من أين أنت؟. قال: من يثرب مدينة النبى ﷺ، فقلت له: مَنِ الْعَالِمُ بها، والْمتكَلِّمُ فى نص كتاب الله تعالى والمفتى بأخبار الرسول ﷺ. قال: سيدى ابن أصبح مالك بن أنس رضى الله عنه. قال الشافعى رضى الله عنه: فقلت: واشوقاه إلى مالك؛ فقال لى: قد بل الله شوقك انظر إلى هذا البعير الأورق فإنه أحسن جمالنا ونحن على رحيل، ولك منا حسن الصحبة حتى تصل إلى مالك. فما كان غيز بعيد حتى قطروا بعضها إلى بعض وأركبونى البعير الأورق وأخذ القوم فى السير وأخذت أنا فى الدرس فختمت من مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة؛ ودخلت المدينة فى اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر فى مسجد رسول الله ﷺ؛ ودنوت من القبر فسلمت على النبى ﷺ ولذت بقبره. فرأيت مالك بن أنس متزرًا ببردة متشحًا بأخرى. قال حدثنى ببردة، متشحًا بأخرى. قال: حدثنى نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده إلى قبر رسول الله ﷺ قال الشافعى رضى الله عنه: فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بىَ المجلس؛ فأخذت عودًا من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثًا كتبته بريقى على يدى، والإمام مالك رضى الله عنه ينظر إلى من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس، وانتظرنى مالك أن أنصرف فلم يرنى انصرفت فأشار إلى فدنوت منه فنظر إلى ساعة ثم قال: أَحَرَمِىٌّ أنت؟. قلت: حرمى. قال: أمكى أنت؟ قلت: مكى. قال: أقرشى أنت؟. قلت: قرشى. قال: كملت أوصافك لكن فيك إساءة أدب. قلت: وما الذى رأيت فى من سوء أدبى؟. قال: رأيتك وأنا أملى ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك. فقلت: عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول. فجذب مالك يدى إليه فقال: ما أرى عليها شيئًا. فقلت: إن الريق لا يثبت على اليد، ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست، وحفظته إلى حين قطعت. فتعجب الإمام مالك من ذلك، فقال: أعد لى ولو حديثًا واحدًا. قال الشافعى رضى الله عنه: فقلت: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر، وأشرت بيدى إلى القبر كإشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثًا حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس. وسقط القرص فصلى مالك المغرب، وأقبل على عبده، وقال: خذ بيد سيدك إليك، وسألنى النهوض معه. قال الشافعى رحمه الله: فقمت غيرممتنع إلى ما دعا من كرمه، فلما أتيت الدار أدخلنى الغلام إلى خلوة فى الدار، وقال لى: القبلة فى البيت هكذا، وهذا إناء فيه ماء، وهذا بيت الخلاء، قال الشافعى رضى الله عنه: فما لبث مالك رضى الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقًا، فوضعه من يده وسلم الإمام علىّ، ثم قال للعبد: اغسل علينا. ثم وثب الغلام إلى الإناء وأراد أن يغسل علىّ أولا فصاح عليه مالك، وقال: الغسل

فى أول الطعام لرب البيت، وفى آخر الطعام للضيف. قال الشافعى رضى الله عنه: فاستحسنت ذلك من الإمام مالك رضى الله عنه، وسألته عن شرحه، فقال: إنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل، وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه. قال الشافعى رضى الله عنه. الطبق فكان فيه صفحتان فى إحداهما: لبن والأخرى: تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية، فقال لى: يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم فقلت: لا عذر لى على من أحسن إنما العذر على من أساء. قال الشافعى رضى الله عنه: فأقبل مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قال عنى، وقال: حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتى فلما كان فى الثلث الأخير من الليل قرع علىّ مالك الباب. فقال لى: الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل إناء فيه ماء فتشنّع(1) علىّ ذلك فقال: لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض. قال الشافعى رضى الله عنه: فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الإمام مالك فى مسجد رسول الله ﷺ، والناس لا يعرف بعضهم بعضًا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى إلى أن طلعت الشمس على رءوس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالأمس وناولنى الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه. قال الشافعى رضى الله عنه: فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ قال الشافعى: فأمليت عليهم حفظًا منهم عبد الله بن الحكم، وأشهب، وابن القاسم. قال الربيع: وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبى ﷺ قال الشافعى رضى الله عنه: فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيرًا، فسألته عن اسمه فأخبرنى، وسألته عن بلده، فقال: العراق. فقلت: أى العراق؟. فقال لى: الكوفة، فقلت: مَنْ العالم بها، والمتكلم فى نص الكتاب، والمفتى بأخبار رسول الله ﷺ، فقال لى: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه، فقال الشافعى رضى الله عنه: فقلت: ومتى عزمتم تظعنون؟. فقال لى: فى غداة غد وقت الفجر، فعدت إلى مالك، فقلت له: خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود إليه أو أرحل فى طلب العلم، فقال لى: العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلبه. قال الشافعى رضى الله عنه: فلما أزمعت(2) على السفر زوّدنى الإمام مالك رضى الله عنه، فلما كان السحر سار معى مشيعًا إلى البقيع، ثم صاح بعلو صوته من يكرى راحلته إلى الكوفة؟، فأقبلت عليه، وقلت: بم تكترى وليس معك ولا معى شىء؟، فقال لى: انصرف البارحة بعد صلاة العشاء إذ قرع قارع علىّ الباب فخرجت إليه فأصبت ابن القاسم، فسألنى قبول هديته، فقبلتها فدفع إلى صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى، فاكترى لى بأربعة دنانير،

(1) تشنع: استقبح واستهجن.
(2) أزمع: المضاء فى الأمر، والعزم عليه.

ودفع إلى باقى الدنانير، وودعنى وانصرف وصرت فى جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع وعشرين مـن المدينة فدخلت المسجد بعـد صلاة العصر، وصليت العصـر بينما أنا كذلك إذ رأيت غـلامًا قد دخل المسجد وصـلى العصر، فمـا أحسن الصلاة، فقـمت إليه ناصحًا، فقلت: أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار، فقال لى: أنا أظن أنك من أهل الحجاز لأن فيـكم الغلظة والجفاء، وليس فيكم رقـة أهل العراق، وأنا أصلى هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدى محمد بن الحسن وأبى يوسف فما عابا على صلاتى قَطُّ. وخرج معجبًا ينفـض رداءه فى وجهى، فلقى للتوفيق محمـد بن الحسن، وأبا يوسف بباب المسجد، فقال: أعلمتما فى صلاتى مـن عيب؟. فقالا: اللهم لا. قال: ففى مسجدنا هذا من عـاب صلاتى، فقالا: اذهب إلـيه، فقل له: بم تـدخل الصلاة؟. قال الشـافعى رضى الله عنه: فـقال لى: يا من عاب صلاتى بم تـدخل فى الصلاة؟. فقلـت: بفرضين وسنة، فعاد إليهما وأعلمهما بالجواب، فـعلما أنه جواب من نظر فى العلم، فقالا: اذهب إليه فقل له: ما الفـرضان، وما السنة؟، فأتى إلى فقال: ما الفرضـان، وما السنة؟، فقلت له: أما الفرض الأول: فـالنية، والثانى: تكبيـرة الإحرام؛ والسنة رفع اليدين. فعـاد إليهما فأعلمهما بذلك فـدخلا إلى المسجد فنظرا إلىّ أظنهما: ازدريانى فـجلسا فى ناحية، وقالا: اذهب إليه، وقل له: أجب الشيخين. قال الشافعى رضى الله تعالى عنه: فلما أتانى علمت أنى مسئـول عن شىء من العلم، فـقلت: من حكم العـلم أن يؤتى إليه، وما عـلمت لى إليهما حاجة. قال الشـافعى رضى الله عنه: فقاما من مجلسهما إلىّ فلـما سلما على قمت إليهما، وأظهـرت البشاشة لهما وجلست بـين يديهما فأقبل على محـمد بن الحسن. قال: أحرمى أنـت؟؛ فقلت: نـعم؛ فقال: أعربـى أم مولى؟؛ فقـلت: عربى؛ فـقال: من أى العرب؟؛ فقلت: من ولد المطلب. قال: من ولد من؟. قلت: من ولد شافع. قال: ؟؟ مالك؟ (هكذا وقعت هـذه اللفظة). قلت: من عنده أتيت. قـال لى: نظرت فى الموطأ؟. قلت: أتيت على حفظة؛ فعظم ذلك علـيه، ودعا بدواة وبياض وكتب مسألة فى الطهارة، ومسألة فى الزكاة، ومسألة فى البيوع والفرائض، والرهان، والحج، والإيلاء، ومن كل باب فى الفقه مسألـة، وجعل بين كل مسألتين بياضًا، ودفع إلـى الدرج، وقال: أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ. قال الشافعى رضى الله عنه: فأجبت بنص كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإجماع المسلمين فى المسائل كلـها، ثم دفعت إليه الدرج فتأمله ونظر فيه، ثم قال لعبده: خذ سيدك إليك. قال الشافعى رضى الله عنه: ثم سألنى النهوض مع العبد، فنهضت غـير ممتنع فلما صرت إلى الـباب. قال لى العبد: إن سيدى أمرنـى ألا تصير إلى المنزل إلا راكبا. قـال الشافعى رضى الله عنه: فقلـت له: قدم إلىّ بغلة بسرج محـلى فلما علوت علـى ظهرها رأيت نفسـى بأطمار رثة. فطاف بى أزقـة الكوفة إلى منزل مـحمد بن

الحسن، فرأيت أبوابًا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة، فذكرت ضيق أهل الحجاز يأكلون القديد، ويمصون النوى، ثم أقبل علىّ محمد بن الحسن، وأنا فى بكائى، فقال: لا يرعك يا عبد الله ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال، ومكتسب وما يطالبنى الله فيها بفرض، وإنى أخرج زكاتها فى كل عام فأسر بها الصديق، وأكبت بها العدو. قال الشافعى رضى الله عنه: فما بت حتى كسانى محمد ابن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج إلى الكتاب الأوسط تأليف الإمام أبى حنيفة، فنظرت فى أوله وفى آخره، ثم ابتدأت الكتاب فى ليلتى أتحفظه فما أصبحت إلا وقد حفظته، ومحمد بن الحسن لا يعمل بشىء من ذلك؛ وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب فى النوازل فأنا قاعد عن يمينه فى بعض الأيام إذ سئل عن مسألة أجاب فيها، وقال: هكذا قال أبو حنيفة، فقلت له: قد وهمت فى الجواب فى هذه المسألة، والجواب من قول الرجل كذا وكذا وهذه المسألة الفلانية وفوقها المسألة الفلانية، فى الكتاب الفلانى، فأمر محمد بن الحسن بالكتاب، فأحضر، فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت؛ فرجع عن جوابه إلى ما قلت ولم يخرج إلىّ كتابًا بعد هذا. قال الشافعى: فاستأذنته فى الرحيل، فقال: ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عنى، وبذل إلى مشاطرة نعمته، فقلت: ما لذا قصدت، ولا لذا أردت، ولا رغبتى إلا فى السفر. قال: فأمر غلامه أن يأتى ما فى خزانته من بيضاء وحمراء فدفع إلى ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم، وأقبلت أطوف العراق، وأرض فارس، وبلاد الأعاجم، وألقى الرجال حتى صرت ابن إحدى وعشرين سنة، ثم دخلت العراق فى خلافة هرون الرشيد، فعند دخول الباب تعلق بى غلام فلاطفنى، وقال لى: ما اسمك؟، فقلت: محمد، فقال: ابن من؟. قلت: ابن إدريس الشافعى، فقال: مطلبى؟. فقلت: أجل، فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه، وخلى سبيلى، فأويت إلى بعض المساجد أفكر فى عاقبة ما فعل، حتى إذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد، وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا إلىّ؛ فقالوا للناس: لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة؛ ثم أقبلوا علىّ، وقال: أجب أمير المؤمنين، فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلامًا مُبينا، فاستحسن الألفاظ ورد علىّ الجواب، ثم قال: تزعم أنك من بنى المطلب؛ فقلت: يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل. فقال: ابن لى عن نسبك. فانتسب حتى لحقت آدم عليه السلام. فقال لى الرشيد: ما تكون هذه الفصاحة، ولا هذه البلاغة إلا فى رجل من ولد المطلب. هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيهم حكمك وحكمى على ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الأمة؟. فقلت: يا أمير المؤمنين لو سألتنى أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا. فبكى الرشيد؛ وقال: تقبل من عرض الدنيا شىء؟ (هكذا وردت هذه اللفظة)

قلت: يكون معجلا. فأمر لى بألف دينار فما برحت عن مقامى حتى قبضتها. ثم سألنى بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتى فلم تسع المروءة أن منعت مسئولا غير المقاسمة فيما أنعم الله به على، فخرج لى قسم كأقسامهم ثم عدت إلى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فتقدم يصلى بنا غلام صلاة الفجر فى جماعة، فأجاد القراءة ولحقه سهو فلم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج؟. فقلت له بعد السلام: أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعًا وأعدنا ثم قلت له: أحضر بياضًا أعمل لك باب السهو فى الصلاة والخروج منها. فسارع إلى ذلك. ففتح الله عزّ وجلّ فألفت كتابًا من كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإجماع المسلمين. وسميته باسمه وهو أربعون جزءًا يعرف بكتاب «الزعفرانى» وهو الذى وضعته بالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين. وولانى الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز. فرأيت فتى فى قبته فلما أشرت إليه بالسلام أمر قائد القبة أن يقف وأشار إلىّ بالكلام. فسألته عن الإمام مالك وعن الحجاز. فأجاب بخير ثم عاودته إلى السؤال عن مالك فقال: أشرح لك أو أختصر؟ قلت: فى الاختصار البلاغة. فقال: فى صحة جسم، وله ثلثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود إليه إلى سنة فقد اختصرت لك خبره. قال الشافعى رضى الله عنه: فاشتهيت أن أراه فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره فقلت له: أما عندك من المال ما يصلح للسفر. فقال: إنك لتوحشنى خاصة، وأهل العراق عامة، وجميع مالى فيه لك. فقلت له: فبم تعيش؟. قال: بالجاه ثم نظر إلى وحكمنى فى ماله، فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر. فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة. فذكرت فضل الغسل وما جاء فيه، فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسى شعثا. فدعوت المزين فلما بدأ برأسى وأخذ القليل من شعرى دخل قوم من أعيان البلد، فدعوه فسار إليهم وتركنى فلما قضوا ما أرادوا منه عاد إلىّ فما أردته وخرجت من الحمام، فدفعت إليه أكثر ما كان معى من الدنانير وقلت له: خذ هذه وإذا وقف بك غريب ولا تحقره، فنظر إلى متعجبًا. فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبنى الناس. فبينما أنا كذلك إذ خرج بعض من كان فى الحمام من الأعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى له فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها، وقال لى: أنت الشافعى؟. فقلت: نعم فمد الركاب مما يلينى، وقال بحق الله اركب ومضى بى الغلام مطرقًا بين يدى حتى أتيت إلى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله فأظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علىّ ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى، فقال: ما لك يا عبد الله، فقلت له: طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعرفة؟. فقال: أنا ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد؛ وأنت لى أستاذ قال الشافعى رضى الله عنه: فقلت: العمل بين أهل العقل رحم متصلة فأكلت بفرحة إذ لم يعرف الله تعالى إلا بينى وبين أبناء جنسى. فأقمت عنده ثلاثًا، فلما كان بعد ثلاث. قال لى: إن لى حول حران أربع ضياع ما بنجران أحسن منها أشهد الله إن اخترت

المقام فإنها هدية منى إليك. فقلت: فبم تعيش؟. قال: بما فى صناديقى تلك وأشار إليها وهى أربعون ألف درهم؛ وقال: اتجر بها فقلت: ليس إلى هذا قصدت ولا خرجت من بلدى إلا فى طلب العلم؛ فقال لى: فالمال إذًا من شأن المسافر. فقبضت أربعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدى أحمال. ثم تلقانى الرجال، وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل، وسفيان بن عيينة، والأوزاعى، فأجزت كل واحد منهم على قدر ما قسم الله له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معى إلا عشرة دنانير، فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل إلى منهل حتى قصدت مدينة النبى ﷺ بعد سبعة وعشرين يومًا بعد صلاة العصر فصليت العصر، ورأيت كرسيًا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ».

قال الشافعى رضى الله عنه: فدخل من باب النبى ﷺ وقد فاح عطره فى المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام إليه من كان قاعدًا وجلس على الكرسى، فألقى مسألة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى الصبر، فقمت قائمًا فى سور الحلقة فرأيت إنسانًا. فقلت له: قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال. فأضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه. فقال لهم: أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل بإصابته. فلما ألقى السؤال الثانى: أقبل علىّ الجاهل يطلب منى الجواب. فقلت: له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت إليه مالك، وأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب فخالفوه؛ فقال لهم: أخطأتم وأصاب الرجل. قال الشافعى رضى الله عنه فلما ألقى السؤال الثالث: قلت له: قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك وأقبل على أصحابه فخالفوه؛ فقال: أخطأتم وأصاب الرجل. ثم قال للرجل: ادخل ليس ذلك موضعك، فدخل الرجل طاعة منه لمالك، وجلس بين يديه؛ فقال له مالك فراسة قرأت الموطأ؟. قال: لا. قال: فنظرت ابن جريج؟. قال: لا. قال: فلقيت جعفر بن محمد الصادق؟. قال: لا. قال: فهذا العلم من أين؟. قال: إلى جانبى غلام شاب يقول لى: قل: الجواب كذا وكذا؛ فكنت أقول. قال: فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضى الله عنه؛ فقال للجاهل: قم فَأْمُرْ صاحبك بالدخول إلينا. قال الشافعى رضى الله عنه. فدخلت فإذا أنا من مالك بالموضع الذى كان الجاهل فيه جالسًا بين يديه فتأملنى ساعة؛ وقال: أنت الشافعى؟. فقلت: نعم. فضمنى إلى صدره ونزل عن كرسيه؛ وقال: أتمم هذا الباب الذى نحن فيه حتى ننصرف إلى المنزل الذى هو لك المنسوب إلىّ قال الشافعى رضى الله عنه: فألقيت أربعمائة مسألة فى جراح العمد فما أجابنى أحد بجوانب واحتجت أن آتى بأربعمائة جواب. فقلت: الأول: كذا وكذا، والثانى: كذا وكذا حتى سقط القرص، وصلينا المغرب فضرب مالك بيده إلىّ، فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الأول، فبكيت. قال: بم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله أن قد بعت الآخرة بالدنيا؟. قلت: هو والله. قال: طب نفسًا

وقر عينًا هذه هدايا خراسان، وهدايا مصر، والـهدايا لا تجيء من أقاصى الدنيا، وقد كان النبى ﷺ يقبل الهدايا ويرد الصدقة وإن لى ثلثمائة خلعة من رق خراسان، وقباطى مصر، وعندى عبيـد بمثلها لم تستكـمل الحلم فهم هدية مـنى إليك؛ وفى صناديقى تـلك خمسة آلاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك منى نصفها. قلت: إنك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع مـا دعوتنى به إلا تحت خاتمى ليجرى ملكى عليـه فإن حضرنى أجلى كان لورثتى دون ورثتك. وإن حضرك أجلك كان لـى دون ورثتك. فتبسم فى وجهى. وقال: أبيت إلا العلم؛ فقلت: لا يستعمل أحسن منه وما بت إلا وجميع ما وعدنى تحت ختمى. فلما كان فى غداة غد صليت الفجر فـى جماعة، وانصرفت إلى المنزل أنا وهو وكل واحد منا فى يد صاحبـه. إذ رأيت كراعًا على بابه من جياد خراسان، وبغـالا من مصر، فقلت له: ما رأيت كراعًا أحسن من هذا؛ فقال: هو هديـة منى إليك يا أبا عبد الله؛ فقلت له: دع لك منها دابة؛ فقال: إنى أستحى من الله أن أطأ قرية فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة. قال الشافعى رضى الله عنـه: فعلمت أن ورع الإمام مالك باق على حالـه فأقمت عنده ثلاثًا. ثم ارتحلـت إلى مكة، وأنـا أسوق خير الله، ونـعمة ثم أنفـذت من يعلـم بخبرى، فـلما وصلت إلى الحرم خرجت العـجوز، ونسوة فضمتنى إلى صدرها، وضمتـنى بعدها عجوز كنت آلفها دعوها خالتى وقالت:

لَيْسَ أمَّك اجْتَاحَت المُنَا   يا كُلُّ فؤادِ عَلَيْك أمٌّ

قال الشافعى رضى الله عنه: وهو أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز: إلى أين عزمت؟فقلت: إلى المنزل، فقالت: هيهات تخرج من مكة بالأمـس فقيرًا وتعود إلـيها مترفًا تفـخر على بنى عـمك بذلك. فقلـت: ما أصنع؟ فقالت: ناد بالأبطح فى العرب بإشباع الجائع وحمـل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت مـا أمرت به وسار بذلك الفعل الرجال علـى آباط الإبل وبلغ ذلك مالكًا فبعث إلىّ يستـحثنى على هذا الفعل ويعدنى أنه يحمل إلـىّ فى كل عام مثلما صار إلىّ مـنه وما دخلـت إلى مكـة وأنا أقدر علـى شىء مما جـاء معى إلا عـلى بغلـة واحدة وخمسين دينارًا، فوقعت المقرعة، فناولتنى إياها أمة على كتفها قربة؛ فأخرجت لها خمسة دنانير؛ فقالـت لى العجوز: ما أنت صانع؟. فقـلت: أجيزها على فعلهـا. فقالت: ادفع إليها جميع ما تأخـر معك. قال: فدفعت إليها، ودخلت إلى مكة فمـا بت تلك الليلة إلا مديونًا؛ وأقام مالك رضى الله عنه إلىّ فى كل عـام مثلما كان دفع إلىّ أولا. إحدى عشرة سنة، فلما مات ضاق بى الحجاز، وخرجت إلى مصر، فعوضنى الله عبد الله بن عبدالحكم فقام بالكـلفة فهذا جميع مـا لقيته فى سفرى. فافـهم ذلك يا ربيع. قال الربـيع: وسألنى المزنى إمـلاء ذلك بحضرته فـما وجدنا للمـجلس فرجة، فمـا وقع كتاب السفـر إلى أحد

غيرى. اهـ من «ثمرات الأوراق» للشيخ تقى الدين أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى. توفى الإمام الشافعى رضى الله عنه يوم الجمعة بعد العصر سلخ رجب سنة أربع ومائتين. وله من العمر أربع وخمسون سنة. ودفن بالقرافة فى هذه القبة المشهورة التى عليها من الأنس والرحمات ما لا يخفى. وفيها يقول صاحب البردة:

لَقُبَّهِ قبرِ الشافعى سَفِينَةٌ ... رَسَتَ فى بناءِ مُحْكَمٍ فَوْقَ جُلْمُودِ
وَقَدْ غاضَ طوفانُ العلومِ بقبرِهِ اسـ ... ـتوى الفُلْكُ من ذاكَ الضريحِ على الجودى

وقال آخر:

أَتيتُ لقبرِ الشافعى أَزُورُه ... تَعَرَّضَنا فُلْكُ وَمَا عِنْده بَحْرُ
فَقُلتُ تَعالَى اللهُ تِلْك إشارةٌ ... تُشِيرُ بأنَّ البحرَ قَد ضَمَّه القبرُ

وقال آخر:

لقد أصبحَ الشافِعىُّ الإما ... مُ فِينا له مَذْهَبُ مذهبُ
ولو لَمْ يكنْ بَحْرَ علمٍ لَما ... غَدَا وعلى قَبْرِه مركبُ

وقال آخر:

مَرَرْتُ على قُبَّةِ الشافعىِّ ... فَعَايَنَ طَرْفِى عليها العشار
فقلتُ لِصَحْبِى لا تَعْجَبُوا ... فإنَّ المراكبَ فوقَ البحارِ

وقال آخر:

أَكْرِمْ به رجلاً ما مِثْلُه رجلٌ ... مشارِ؛ لرسولِ الله فى نسبِه
أَضْحَى بمصرَ دَفِينا فى مُقَطَّمِها ... نعم المقطمُ والمدفونُ فى تربِه

قال الشيخ عبد الرحمن الحيرتى: وقد جددها الأمير على بيك الملقب بجن على، ويلقب أيضًا: ببلوط قبان المتوفى سنة ست ومائة وألف فكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس وكان قد تشعث وصدأ لطول الزمان فجدد ما تحته من خشبها البالى بغيره من الخشب النقى الحديث، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجيد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل كثير وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب، واللازورد، والأصباغ، وكتب بإفريزها تاريخًا بخط صالح أفندى. اهـ. وقد أراد أناس نقله رضى الله عنه إلى بغداد فلما حضروا عبقت رائحة عظيمة عطلت حواسهم

فتركوه. قال الشيخ محيى الدين بن العربى فى« المحاضرات» روى عن المزنى. قال: دخلت على الشافعى رضـى الله عنه فى مرضه الذى مات فيه فقلت لـه: كيف أصبحت؟. قال: أصبحت من الدنيـا راحلا، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملى ملاقـيًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا فلا أدرى أروحـى تصير إلى الجنـة فأهينها، أم إلـى النار فأعزيهـا ثم أنشأ يقول:

وَلَمّا قَسَى قَلْبِى وَضَاقَتْ مَذَاهِبِى ... جَعَلْتُ رَجَائِى نَحْو عَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِى ذَنْبِى فَلَمَّا قَرَنْتُه ... بِعَفْوِكَ رَبِّى كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
وما زلتَ ذا عَفْوٍ عن الذنبِ لم تَزَلْ ... تجـودُ وتـعْفُوَ مــنــةً وتَكَرُّمَا

هذا ما فى المحاضرات، ثم رأيت فى الروض الفائق زيادة على ذلك هى:

فَلِلّهِ دَرُّ الـــــــعَارِفِ الْفَرْدِ إِنّه ... تَسِحُّ لِفَرْطِ الـــوَجْدِ أَجْفَانُه دَمَا
يُقِيـــمُ إِذَا مـــا اللّيْلُ جَنّ ظَلامُه ... عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدّةِ الخَوْفِ مَأْتَمَا
فَصِيــــــحًا إِذَا كَانَ فِى ذِكْرِ رَبِّهِ ... وَفِيمَا سِوَاه فِى الْوَرَى كَانَ مُعْجَمَا
وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِه ... وَمَا كَانَ فِيــــهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمَا
فَصَارَ قَرِيـــــنَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِه ... وَيَخْدُمُ مَوْلاهُ إِذَا اللّيـــلُ أَظْلَمَا
يَقُولُ حَبِيـــبِى أَنْتَ سُؤْلِى وَبُغْيَتِى ... كَفَى بِكَ لِلـــرَّاجِينَ سُؤْلا وَمَغْنَمَا
أَلَسْتَ الـــذِى غَذَّيْتَنِى وكَفَلْتَنِى ... وَمَا زِلْتَ مَنَّانًا عَلَىّ وَمُنْعِمَا
عَسَى مَنْ لَهُ الإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلّتِى ... وَيَسْتُرُ أَوْزَارِى وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا

قال الشعرانى فى «المنن»: ومما وقع لى مع الإمام الشافعى رضى الله عنه: أننى تعوقت عن زيارتـه مدة، فرأيتـه فى المنام وقـال لى: أنا عاتب عـليك، وعلـى الشيخ نـور الدين الطرابلسى الحنفى، وعلى الشيخ نور الدين الشونى فى قلة الزيارة. فإن صرت رهين رمسى أنتظر دعوة من رجل صالح فقلت له: إن شـاء الله تعالى نزوركم بكرة النهار؛ فقال: لا، بل تذهب فى هـذا الوقت معى. وكنت تلك اللـيلة فى مولد فى الروضة عـند سيدى أبى الفضل شيخ بيت الـسادات من بنى الوفا رضى الله عنه. فخرجت لزيـارته ثم سبقنى هو. فتلقـانى من خلف قبته ممـا يلى قبر القاضى بـكار. وطلع بى إلى فوق القـبة، وفرش لى

حصيراً جديـداً ووضع لى سفرة فيها خـبز لين أبيض، وجبن أزرار، وشق لى بـطيخة من العبدلاوى، وكان أول طلوعه بمصر؛ وقال لى: كـل يا أخى فى هذا المكان الذى ماتت فيه ملوك الدنيا بحسرة أكلة فيه معى. اهـ. ومما وقع لى معه بعد ذلك: أنه لما دخل على بيتى؛ وقال: قد جئت آخذك تسكن عندى أنت وعـيالك. فقلت له: إن شاء الله فى غد. فقال: بل فى هذا الوقت فحمل ابـنتى رقية على كتفه، وأخذ بيد أختها نـفيسة، وخرجت معه أنا وأمهما حتى أدخـلنا القبة؛ فأسكننى بين قـبره وبين قبر أم السلطان الكامـل المدفونة خلف ظهره؛ فغار منا الخدام؛ فقال لهم: هذا لا يزاحمكم فى شىء من الدنيا فرجعوا عنى، ثم انتفخت القبة من أعاليها كالباب فنـزل منه شىء أبيض كالقطن أو كالجص المعجون فلا زال ينزل ويتـراكم حتى صار كومًا عـند رأس الإمام؛ فقلت لـه: ما هذا؟. فقال: هذا سـكينة الحياء من الله تعـالى. فمن نظر إليها رزقـه الله تبارك وتعالى الاستحيـاء من الله حق الحياء فصرت آمر كل داخل بالنظر إليها ثم استيقظت. اهـ.

(**كرامة**): نقـل غير واحد أن الإمـام الشافـعى رضى الله عنـه لما احتـضر دخل علـيه أصحابه فقال أما أنت يا أبا يعقوب فتمـوت فى قيودك؛ وأما أنت يا مزنى فيكون لك بمصر هنات وهنات؛ وأما أنت يا ابن عبد الحكم فترجـع إلى مذهب أبيك؛ وأنت يا ربيع أنفعهم فى نشر الـكتب. فكان كما قـال رضى الله عنه. (**ومناقبه**): رضى الله عنه كثـيرة؛ فعن هرون ابن سعيد الـهيثم الإيلى: قال: ما رأيت مثـل الشافعى قط؛ ولقد قدم علـينا مصر؛ فقالـوا: قدم رجل من قريش فـقيه فجئنـاه، وهو يصلى فـما رأينا أحسن مـنه وجهًا، ولا أحسن صلاة. فافتتنَّا به فلما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن منطقًا منه. وكان يتكلم فى الحقيقة، وفى الزهد، وفى أسرار القلوب، وكان يـقول: كيف يزهد فى الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة؟، وكيف يخلص من الدنيا من لا يخلو من الطمع الكاذب؟، وكيف يسلم من لا يسلم الناس من لسانه ويده؟، وكيف ينال الحكمة من لا يريد بقوله وجه الله عزّ وجلّ؟. وتزوج الشافـعى رضى الله عنه من: حمـيدة بنت نافع بن عنـبسة بن عمرو بن عـثمان بن عفان. فـولدت له: أبا عـثمان محـمدًا، وكان قاضـيًا بمدينة حـلب، وفاطمـة، وزينب. وللشافعى ولد آخر يقال له: الحسن مات طفلا، وأمه أم ولد. نقله الرازى.

●●●●●

فصل

فى ذكر مناقب الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال ابن أسد بن إدريس الشيبانى المروزى ثم البغدادى الحافظ

وفى تاريخ ابن خلكان ما نصه: الإمام أحمد بن حنبل، هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن واسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن على بن بكر ابن وائل ابن واسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيبانى المروزى الأصل قال هذا هو الصحيح فى نسبه ا هـ. ولد الإمام أحمد رضى الله عنه سنة أربع وستين ومائة فى شهر ربيع الأول بمرو. وقيل: ببغداد. ونشأ بها. قال ابن خلكان: كان الإمام أحمد إمام المحدثين. صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره. قيل: وكان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الإمام الشافعى وخواصه رضى الله عنهما. ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعى إلى مصر. اهـ. وكان شيخاً أسمر مديد القامة يخضب بالحناء. وفى «طبقات الشعرانى»: وكان يقول: رأيت رب العزة فى المنام، فقلت: يارب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟. فقال: بكلامى يا أحمد، فقلت: بفهم أو بغير فهم؟. قال: بفهم وبغير فهم، وكان رضى الله عنه إذا جاءه طالب حديث وحده لم يحدثه حتى يكون معه غيره، وكان يقول: تزوج يحيى بن زكريا عليهما السلام مخافة النظر، وكان رضى الله عنه يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة، وكان لا يدع قيام الليل قط وله فى كل يوم وليلة ختمة، وكان يسر ذلك عن الناس. قال أبو عصمة: بت ليلة عند أحمد رضى الله عنه فجاءنى فوضعه فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو. فقال: يا سبحان الله رجل يطلب العلم ولايكون له ورد من الليل، وكان رضى الله عنه يلبس الثياب النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر رأسه وبدنه، وكان مجلسه خاصاً بالآخرة فيه شيد من أمر الدنيا وتعرت أمه من الثياب فجاءته زكاة فردها، وقال: العرى خير من أوساخ الناس، وإنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار، وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء فى قصعة حتى تبتهل ثم يأكلها بالملح، وكانوا فى بعض الأوقات يطبخون له فى فخارة عدساً وشحماً وكان أكثر إدامة الخل، وكان إذا مشى فى الطريق لا يمكن أحداً يمشى معه، وكان يحيى الليل كله منذ كان غلاماً، وكان من أصبر الناس على الوحدة لا يراه أحد إلا فى المسجد أو جنازة أو عيادة وكان يكره المشى فى الأسواق، وكان ورده كل يوم وليلة، وحج رضى الله عنه خمس حجات ثلاثة منها ماشياً وكان ينفق فى كل حجة نحو عشرين درهماً. ولما قدم للسياط أيام المحنة. أغاثه الله تعالى برجل يقال له: أبو الهيثم العيار، فوقف عنده، وقال يا أحمد أنا

فلان اللص ضـربت ثمانية عـشر ألف سوط لأقر فمـا أقررت وأنا أعرف أنى علـى الباطل فاحذر أن تقلق وأنت تموت على الحق من حرارة السـوط، فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص، وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه. ولما دخل أحمد رضى الله عنه على المتوكل قال المتوكل. قال: المتوكل. لأمه: يا أمـاه قد نارت الدار بهذا الرجل ثم أتوا بثياب نفيسة فألبسوهـا له فبكى الإمام، وقال: سلمت منهم عمرى كلـه حتى إذا دنا أجلى بليت بهم وبدنياهم ثم نـزعها لما خرج، وكان رضى الله عنه يواصل الصوم فيـفطر كل ثلاثة أيام على تمر وسويق. قال الفضيل بن عياض: حبس الإمام أحمد رضى الله عنه ثمانية وعشرين شهراً وكان فيها يضرب كل ليل بالسياط إلى أن يغـمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه، ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم، وتولى بعده الواثق فاشتد الأمر على أحمد، وقال: لا أسكن فى بلد ألحد فيه فـأقام مختفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مـات الواثق، وولى المتوكـل فرفع المحنة عن أحـمد وأمر بإحضاره وإكـرامه وإعزازه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وإظهار السنة، وأن الـقرآن غير مخلوق، وخمدت المعتزلة، وكانوا أشر الطوائف المبتدعة. قال أحمد بن غـسان: ولما حملت مع أحمد إلى المأمون تلقاه الخادم وهو يبكى، ويمسح دموعه، ويقول: عَزّ على يا أبا عبد الله ما نزل بك قد جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يـجرده قط، وبسط نطعاً لم يبسطه قط، ثـم قال: وقرابتى من رسول الله ﷺ لا رفعت السـيف عن أحمد وصاحبـه حتى يقولا: مخلوق فـجثا أحمد على ركـبتيه ولحظ السماء بعينيه ودعا فما مضى الثلـث الأول من الليل إلا ونحن بصيحة وضجة فأقبل علينا خادمه وهـو يقول: صدقت يا أحمد القرآن كلام الله غير مـخلوق قد مات والله أمير المؤمنين، وكـان قد لقيه قبـل أن يدخل المدينة رجل مـن العباد. فقال: احـذر يا أحمد أن يكون قدومـك مشئوماً على المـسلمين فإن الله تعـالى قد رضى بك لهم وافـداً والناس إنما ينظرون إلى ما تقول: فيقولون به فقال أحمـد: حسبنا الله ونعم الوكيل. ولما سجنوه رضى الله عنه وضعـوا فى رجليه أربعة قيـود وكان ابن أبى داود هو الذى تولى جـدال أحمد عن الخليفـة. وكان يقول للخليـفة: إن أحمد ضال مبتـدع ثم يلتفت إلى أحمـد، ويقول: قد حلف الخليفة ألا يقتلك بالسيف، وإنما هو ضرب بعد ضرب بعد ضرب إلى أن تموت، فما زالوا بأحمد رضى الله عنه يناظرونه بالليل والنهار إلى أن ضجر الخليفة من ذلك، فلما طال بهم الحال. قال ابن أبى دؤاد يا أمير المؤمنين اقتله ودمه فى أعناقنا، فرفع الخليفة يده، ولطم أحمد فخر مغشياً عليه، فخاف الخليفة عـلى نفسه ممن كان من الشيعة مع أحمد، فدعا بماء فرش منه على وجه أحمد. ا هـ.

(غريبة) اجتمع الشافعى، وأبو ثور، ومحمد بن الحكم رضى الله عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب، وقدموا الشافعى. ثم ما زالوا يصلون فى المسجد إلى

أن صلوا العتمة. ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل، ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك، فقال الشافعي: مم تضحك يا أبا عبد الله؟. قال: خرجت إلى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا. قال الشافعي: فما سببه؟. قال أحمد: قالت لى أم عبد الله: إنكم لما خرجتم إلى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة زكى الرائحة، فقال: يا أحمد بن حنبل، فقلنا لبيك. فقال: هاكم خذوا هذا فسلم إلينا زنبيلا أبيض، وعليه منديل طيب الرائحة، وطبق مغطى بمنديل آخر، وقال: كلوا من رزق ربكم واشكروا له، فقال الشافعي: يا أبا عبد الله فما فى الزنبيل والطبق. فقال: عشرون رغيفاً قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأزكى من المسك ما رأى الراءون مثله، وخروف مشوى مزعفر حار، وملح فى سكرجة، وخل فى قارورة على طبق، وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد، ثم أخرج الكل، ووضعه بين أيديهم، فتعجبوا من شأنه، وأكلوا ما شاء الله. قال: فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة، وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج إلى طعام غيره مدة شهر، فلما أن فرغوا من الأكل حمل أحمد ما بقى منه وأدخله إلى أهله فأكلوا وشبعوا وبقى منه شيء فاجتمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله، وأن الرسول كان ملكاً من الملائكة. قال صالح بن أحمد بن حنبل: ما أصابتنا مجاعة قط ما دام ذلك الزنبيل فى بيتنا، وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضى الله عنهم وأعاد علينا من بركاتهم. اهـ. من «ثمرات الأوراق».

(فوائد): الأولى بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلا وراء النهر يروى أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد بن حنبل إليه فلما ورد عليه وجده يطعم كلباً فسلم عليه أحمد رضى الله عنه فرد عليه السلام ثم اشتغل بإطعام الكلب، ولم يقبل على الإمام فوجد الإمام أحمد فى نفسه شيئاً إذ أقبل الرجل على الكلب، ولم يلتفت إليه فلما فرغ الرجل من طعمة الكلب التفت إلى الإمام، وقال: لعلك وجدت فى نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك؟ قال: نعم، فقال الرجل: حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة». ثم قال الرجل: أرضنا هذه ليست بها كلاب؛ وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه. فقال الإمام أحمد: يكفينى هذا الحديث، ثم رجع. كذا فى حياة وغيره.

(الثانية): قال الشعرانى فى «المنن»: لم يدون الإمام له مذهباً وإنما مذهبه الآن مفلق من صدور أصحابه فإنه كان مذهبه الحديث، وكان يقول: أستحيى من رسول الله ﷺ أن أتكلم فى معنى كلامه فقد لا يكون ذلك مراده، وكان رضى الله عنه يقول: أو لأحدكم كلام مع رسول الله ﷺ. قال الشعرانى: وبلغنا أنه وضع فى أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسألة رضى

الله عنه. ا هـ. (الثالثة): قال المروزى: لما حبس أحمد بن حنبل فى سجن الواثق على أن يقول بخلق القرآن. جاءه السجان يوماً، فقال له: يا أبا عبد الله الحديث الذى يروى فى الظلمة وأعوانهم صحيح؟ قال: صحيح. قال السجان: أفأنا من أعوان الظلمة؟. قال: لا. قال: وكيف ذلك؟. قال: لأن أعوان الظلمة الذى يأخذ شعرك، ويغسل ثوبك، ويصلح طعامك، وأما أنت فمن الظلمة؟. (الرابعة): قال إدريس الحداد: لما زالت المحنة وصرف أحمد إلى بيته حمل إليه مال كثير جزيل وهو محتاج إلى أيسره، فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيراً. فجعل عمه إسحاق يحسب ما رده فى ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار، فقال له أحمد: يا عم أراك مشغولا بحساب ما لا يفيدك؟. فقال له: قد رددت اليوم كذ وكذا وأنت محتاج إلى حبة. قال: يا عم لو طلبناه لم يأتينا إنما أتانا لما تركناه. قال على بن سعيد الرازى: سرنا مع أحمد بن حنبل يوماً إلى باب المتوكل فلما أدخلوه من باب الخاصة. قال لنا أحمد: انصرفوا عافاكم الله فما مرض منا أحد بعد ذلك اليوم ببركة دعائه. وقال هلال بن العلاء: أربعة لهم على الإسلام منة أحمد بن حنبل حيث ثبت على المحنة، ولم يقل بخلق القرآن؛ وأبو عبد الله الشافعى حيث بنى الفقه على الكتاب والسنة؛ وأبو عبد الله القاسم بن سلام حيث فسر حديث النبى ﷺ؛ وأبو زكريا حيث بين الصحيح من السقيم. (الخامسة): كان له على ولده عبد الله رغيف خبز وشىء من الأدم فلما ولى ولده القضاء امتنع من قبول الرغيف؛ وقال: والله لا آكل له طعاماً أبداً فكان كما قال إلى أن مات. قال إدريس الحداد: ما رأيت أحمد قط إلا مصلياً، أو يقرأ فى المصحف، أو كتاب، وما رأيته فى شىء من أمور الدنيا. قال: وكان إذا اشتد به الأمر بقى اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، فإذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنه شبعان. قال الشافعى: خرجت من بغداد وما خلفت لها أحداً أتقى، ولا أورع، ولا أفقه من أحمد بن حنبل. قال عبد الله ابن أحمد بن حنبل: كان أبى يقرأ فى كل ليلة سبع القرآن ويختم فى كل سبعة أيام ختمة؛ ثم يقوم إلى الصباح وكان يصلى فى كل يوم ثلثمائة ركعة. فلما ضرب بالسياط أضعفه ذلك فكان يصلى كل يوم مائة وخمسين ركعة، وكان له فى الليل ثلاث هدآت وثلاث صيحات. قال: وكان ذات يوم جالساً عند الشافعى فمر بهما شيبان الراعى، وعليه مدرعة صوف، فقال أحمد للشافعى: يا أبا عبد الله ألا أنبه هذا الجاهل على جهله؟. فقال له الشافعى: لا تفعل دعه فى شأنه، فقال أحمد: لابد، ثم إنه استحضر شيبان. وقال له: ياشيبان ما تقول فى رجل نسى صلاة من يوم لا يدرى أى صلاة هى؟. ما الواجب عليه أن يفعل؟. قال شيبان: يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله، فهو ساه غافل، الواجب عليه أنْ يؤدب حتى لا يرجع إلى مثلها أبداً، ثم بعد ذلك يقضى صلاة اليوم أجمع. ثم التفت إليهما، وقال: هل تقدران أن ترداً على؟. قال: فصاح أحمد، وقال: لا والله بل هذا هو

الحق ثم تركهما وانصرف. قال إدريس: كان أحمد لا يلبس ثوبا مكفوفا بل كان يشلله، ويقور وسطه، ويتركه فى رأسه، ويقول: هذا لمن يموت كثيرُ قال: وكان أكثر مؤنته من نبات الأرض، ويقول: هذا والله هو الحلال الذى لا حساب له ولا تبعة. قال: وكان يوماً جالساً وعنده جماعة نساء من أصحابه؛ فجاءت إليه امرأة، وقالت له: يا سيدى إننا جماعة نساء نقعد على سطوحا بقطن الغزل فيمر بنا مشاعل أهل الشرطة أفيجوز لنا أن نغزل فى ضوئها وشعاعها؟، فقال لها: أحمد من أنت؟. فقالت له: أنا أخت بشر الحافى، فقال لها أحمد: من بيتكم خرج الورع، لا تغزلى فى ضوئها. قال إدريس الحداد: لما دخل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بعض حوائجه، فأخذ سطلا كان معه، فدفعه إلى بعض البقالين رهناً على شىء كان يأخذه. فلما فتح الله عليه بفكاكه حضر عند ذلك البقال، فدفع له ما كان له، وطلب السطل. فقام البقال، وأحضر سطلين على هيئة واحدة، وقال له: قد اشتبه على سطلك فخذ أيهما شئت. فقال أحمد: وأنا أشكل على أيهما لى؟ والله: لا أخذته. فقال البقال: وأنا لا أتركه أبداً؛ فاتفقا على بيعه والتصدق به. قال: وخرج يوماً من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم». وحلف ألا يخرج إلا مغطى الوجه لئلا يبصر أحداً وكانت إذا وقعت الحادثة أو المسألة لا يكتبها حتى يوردها على الفقهاء فإن وافق رأيهم رأيه كتبها وإلا تركها واستغفر الله مما خطر بباله، وكان رضى الله عنه إذا جف القلم بيده مسحه فى رأسه ولم يمسحه فى ثوبه، فقيل له فى ذلك: فقال: إن هذا مداد أثر العلم فلا أضعه فى خرقة لعلها ترمى فى نجاسة. وروى ألف ألف حديث منها بالأسانيد والمتون مائة ألف وخمسون ألفاً. ذكر ذلك صاحب «الروض الفائق» وأنشد:

وأَحْمَدُ المعروفُ فى كُلِّ مشهد ... وَقَدْ رَفَعَ اللهُ العظيمُ لَه قَدْراً
وآتاهُ عِلْماً فى الْوَرَى وَمَهَابَةً ... وَجَادَ عَلَيْه بالكرامَةِ فى الأُخْرَى

توفى أحمد رضى الله عنه سنة إحدى وأربعين ومائتين. وعاش سبعاً وسبعين سنة. ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه، وقال: هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده. واجتمعت الناس، والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدرب. ولما قبض صاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، وارتجت الدنيا لموته، وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلون عليه فحزروا من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف، ومن النساء ستين ألف امرأة سوى من كان فى الأطراف، والسفن، والأسطحة، فإنهم ذلك يكونون أكثر من ألف ألف. وفى رواية: بلغوا ألفى ألف وخمسمائة ألف؛ وأسلم يومئذ عشرون ألفاً من اليهود، والنصارى، والمجوس. كذا فى «طبقات الشعرانى»، ومثله فى «تاريخ ابن

الوردى»: وفيه قال: حدث إبراهيم الحربى. قال: رأيت بشر بن الحرث الحافى فى المنام كأنه خارج من مسجد الرصافة، وفى كمه شىء يتحرك؛ فقلت: ما فعل الله بك؟. فقال: غفر لى وأكرمنى. فقلت: ما هذا الذي فى كمك؟. قال: قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل، فنثر عليه الدر والياقوت، فهذا مما التقطت. قلت: ما فعل يحيى بن معين، وأحمد ابن حنبل؟. قال: تركتهما وقد زارا رب العباد، ووضعت لهما الموائد. قلت: فلم لا تأكل معهما أنت؟. قال: قد عرف هوان الطعام على، فأباحنى النظر إلى وجهه. انتهى. ومثله فى «تاريخ ابن خلكان».

(فائدة) الأئمة الستة أصحاب المذاهب المتبوعة فى الأمصار: أبو حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثورى، وداود الظاهرى. وقد جمعوا فى بيتين وهما:

وَإِنْ شِئْتَ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ فَاسْتَمِعْ ... لِتَعْرِفَهُمْ وَاحْفَظْ إِذَا كُنْتَ سَامِعًا
مُحَمَّدٌ، وَالنُّعْمَانُ مَالِكُ أَحْمَدُ ... وَسُفْيَانُ، وَاذْكُرْ بَعْدَ دَاوُدَ تَابِعًا



خاتمة الكتاب

فى ذكر مناقب الأربعة الأقطاب

وهم: سيدى أحمد الرفاعى، وسيدى عبد القادر الْجَيْلى وسيد أحمد البدوي، وسيدى إبراهيم الدسوقى. وكلهم أشراف من أهل البيت ينتهى نسبهم إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم. إلا سيدى عبد القادر فإلى سيدنا الحسن السبط بن سيدنا على بن أبى طالب كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى فى الكلام على ترجمته. قال سيدى حسن يخاطب أخاه سيدى أحمد البدوى: واعلم يا أخى أن كل بلاد لها رجال ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله تعالى رجل واحد، وقد يكون امرأة فى كل زمان، وهو القاهر فوق عباده له الاستطالة على كل شىء شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق. يقول حقاً، ويحكم عدلا. قال: وكان صاحب هذا المقام عبد القادر الجيلانى ببغداد. انتهى. وفى «زبدة الأعمال» أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد. ثم مسكن النقباء: المغرب، ومسكن النجباء: مصر، ومسكن الأبدال: الشام، والأخيار: سياحون فى الأرض، والعمد: فى زوايا الأرض، ومسكن الغوث: مكة. فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة: ابتهل فيها النقباء، ثم النجباء، ثم الأخيار، ثم العمد، فإن أجيبوا، وإلا ابتهل فيها الغوث، فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته. انتهى. قال المناوى: رأيت فى «شرح مقدمة الوصول» للشيخ إبراهيم المواهبى نقلا عن شيخه العارف أبى المواهب التونسى رضى الله عنهما: أن أول من تولى القبطانية من المصطفى ﷺ فاطمة الزهراء مدة حياتها رضى الله عنها، ثم انتقلت منها إلى أبى بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم على، ثم الحسن رضى الله عنهم. انتهى. ولكن نقل عن العارف المرسى رضى الله عنه: أن أول الأقطاب مطلقاً: الحسن بن على رضى الله عنهما، والله أعلم.

(فالأول من السادة الأشراف الأربعة: سيدى أحمد بن الرفاعى):

قال المناوى فى الطبقة السادسة من طبقاته سيدى أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة أحد الأولياء المشايخ المشاهير أبو العباس الرفاعى المغربى شريف نَمَى رَوْضُ شَرَفِه وَهَمَى على العالم غيث سلفه وكان سيداً جليلاً صوفياً عظيماً نبيلا. قدم أبوه العراق. وسكن أم عبيدة بأرض البطائح. وولد صاحب الترجمة سنة خمسمائة، ونشأ بها، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه. وقرأ كتاب التنبيه. وجاهد نفسه حتى قصرها، وأعرض عما فى أيدى الناس، وأقبل على اشتغاله بالحقيقة ومهر واشتهر وانتهيت إليه الرياسة فى علوم القوم؛ وكشف مشكلات منازلاتها وتخرج به خلق كثير، وأحسنوا به الاعتقاد. ا هـ. قال ابن خلكان وغيره وَهُمُ الطائفة الرفاعية؛ ويقال لهم: الأحمدية، والبطائحية، ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول فى التنانير، وهى تضرم ناراً، وينام أحدهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر، وتوقد لهم النار العظيمة، ويقال لهم: السماع فيرقصون فيها إلى أن تنطفىء، ويركبون الأسد. وكان ابتداء أمره: أنه مر على عبد الملك الحزنوبى، فقال له: يا أحمد أول ما أقول لك ملتفت لا يصل، ومشكك لا يفلح، ومن لم يعرف من وقته النقص فكل أوقاته نقص. ففارقه، وجعل يكررها سنة ثم عاد إليه، وقال:

أوصنى. فقال: ما أقبح الجهل بالألباء، والعلة بالأطباء، والجفاء بالأحباء. قال: فخرجت وجعلت أرددها سنة فانتفعت بموعظته تلك. قال بعضهم: لكونه اختصر له الطريق. وسأله رضى الله عنه رجل أن يدعو له. فقال: عندي قوت يوم ومن عنده قوت يوم لا يسمع دعاؤه، فإذا فقدته دعوت لك. وكان يغسل للمجذومين، والزمنى ثيابهم، ويفلى شعورهم، ويحمل إليهم الطعام، ويأكل معهم، ويسألهم الدعاء، ويقول: زيارتهم واجبة لا مستحبة. ومر بولد، فقال له: ابن من أنت؟. فقال له: أيش فضولك. فجعل يكررها، ويبكى، ويقول أدبتنى يا ولدى. وكانت حلقة مريديه ستة عشر ألفاً. وكان يمد لهم السماط صباحاً ومساء. وكان يضرب به المثل فى تحمل الأذى ومكارم الأخلاق. ومن مكارم أخلاقه ما نقله الشنوانى فى حاشيته على مختصر ابن أبى حمزة: أن كلباً حصل له جذام فاستقذرته نفوس أهل بلده، وصار كل واحد يطرده عن بابه. فأخذه سيدى أحمد الرفاعى، وخرج به إلى البرية، وضرب عليه مظلة. وصار يأكل هو وإياه، ويسقيه، ويدهنه حتي عافاه الله من الجذام بعد أربعين يوماً، فسخن له ماء، وغسله، ودخل به البلد. فقيل له: أتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء كله؟. فقال: نعم. خفت أن يؤاخذنى الله يوم القيامة، ويقول: أما عندك رحمة لهذا الكلب؟! أما تخشى أن أبتليك بما ابتليت به الكلب؟! اهـ. وكان رضى الله عنه كثيراً ما يتجلى الحق عليه بالعظمة فيذوب حتي يصير بقعة ماء ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئاً فشيئاً حتى يرد إلى بدنه المعتاد ويقول لجماعته: لولا لطف الله ما عدت إليكم. وفى «طبقات الشيخ عبد الوهاب السبكى»: أن هرةً نامت على كم صاحب الترجمة، وجاء وقت الصلاة، فقص كمه، ولم يزعجها، وعاد من الصلاة فوجدها قد قامت فوصل الكم بالثوب وخاطه؛ وقال: ما تغير. وتوضأ فى يوم بارد ومد يده زماناً طويلاً لا يحركها فتقدم يعقوب مؤذن المنارة يقبل يده، فقال: أى يعقوب شوشت على هذه الضعيفة. فقال يعقوب: ما هى؟. قال: بعوضة كانت تأكل رزقها من يدى فهربت منك. وكان رضى الله عنه يقول: سلكت كل طريق فما رأيت أسهل، ولا أقرب، ولا أصلح من الافتقار، والذل، والانكسار.

(كرامات): الأولى: أنه كان إذا صعد الكرسى للقراءة سمع كلامه البعيد كالقريب حتى إن أهل القرى الذين حول بلده يسمعون كالذين بزاويته حتى إن الأصم إذا حضره سمع كلامه فقط. **(الثانية)**: أنه كان إذا سأل إنسان أن يكتب له عوذة يأخذ الورقة، ويكتب عليها من غير مداد ففعل ذلك لرجل يوماً. فغاب عنه مدة، ثم جاء بها ليكتب له ممتحناً، فلما نظرها الشيخ قال له: يا ولدى هذه مكتوبة. **(الثالثة)**: أن رجلين من أصحابه وجماعته تحابا فى الله، فخرجا يوماً بصحراء، فتمنى أحدهما كتاب عتق من النار ينزل من السماء، فسقط منها ورقة بيضاء، فلم يريا فيها كتابة. فأتيا إليه، ولم يخبراه بالقصة، فنظر إليها، ثم خر ساجداً لله تعالى: ثم قال: الحمد لله الذى أرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الآخرة. فقيل له: هذه بيضاء. فقال: أى أولادى يد القدرة لا تكتب بسواد، هذه

مكتوبة بالنور، وذكرها الـتى قبلها «صاحب درر الأصداف». (الرابعة): لما حج رضى الله عنه ووقف على القبر الشريف أنشد:

فِى حَالَةِ الْبُعْدِ رُوحِى كُنْتُ أُرْسِلُهَـا ... تُقَبِّلُ الأَرْضَ عَنِّى وَهِى نَائِبَتِى
وَهَذِهِ دَوْلَةُ الأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ ... فَـامْدُدْ يَمِينَكَ كَىْ تَحْظَى بِهَا شَفَتِى

فخرجت لـه اليد الشريفة من الـقبر، فقبلهـا بحضرة الناس، وهم ينـظرون. كذا فى «درر الأصداف»، و«حاشية الجمل على الهمزية». قـال الشيخ سليمان الجمل: ووقع ذلك أيضاً لـشيخ الناظم الـقبط المرسى فإنـه قال: صافحت بـكفى هذه كف النـبى ﷺ مولداً. انتهى. لكن المـشهور بهذه الكرامة: سيدى علـى الرفاعى الشهير بأبى شـباك الذى بمسجد ذخيره الملك بسوق السلاح تجاه مدرسة السلطان حسن ولقائل أن يقول: لا مانع من وقوعها لهما. والله أعلم. (الخامسة): قال الشعرانى فى «المنن»: أخبرنـى الشيخ أحمد الخنازيرى الضرير أنـه بات عنده فى مشهـده الذى فى البرية، فـقال له الخادم: لا تقدر تنـام هنا من الهيبـة التى تقع فى الـليل. فقال: توكـلت على الله؛ فلمـا دخل وقت العشاء ارتـعد من الهيبة حتى كادت مـفاصله تنقطع، وصارت السباع تجار خارج المـقام وأبوابه الحديد يحس بها تفتح وتردد لـها صوت عظيم. قال: ثم إنى أحسست بشـخص جلس عندى، وقال: ليلة مباركة أما تـقرأ القرآن أقرأ معك؟. فقلت له: نعم. فقـرأت أنا وإياه من سورة النحل إلى سورة النجـم، فلما قرب طلوع الفجر أتـانى برغيفين وإناءين فى أحـدهما لبن دسم، وفى الآخر عسل نـحل، فأكلت حتى شبعـت فطلع الفجر فلـم أجده. ثم قال: إن الخادم جاءنـى، وقال: خاطرى مـعك فى هذه الـليلة، فـإن أحداً لا يقدر يـنام هنا أبـداً. قال: فقصصـت عليه القصة. فـقال: هذا الذى قرأ معك وأطـعمك هو سيدى أحمـد. انتهى. (السادسة): أراد شراء بستان فأبى صاحبه بيعه إلا بقصر فى الجنة فأرعد وتغير واصفر؛ ثم قال: قد اشتريته منك بذلك. قال: اكتب لى خطك. فكتب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ابتاع إسـمعيل من العبد أحـمد الرفاعى ضامناً عـلى كرم الله تعالى له قصـراً فى الجنة يحف به حدود أربع: الأول لجنة عدن. الثانى: لجـنة المأوى. الثالث: لجنة الخلد. الرابع: لجنة الفردوس. بجميع حوره، وولدانه، وفـرشه، وأسرته، وأنهاره، وأشجاره عوضاً عن بستانه فى الدنيـا. والله شاهد على ذلك. وكفيل. فلما مات إسمعـيل دفنت معه الورقة. فأصبحوا وإذا مكـتوب على قبره: ﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾[1] مناوى.

(تنبيه) قال المقريزى فى الخطط: مسجد ذخيرة الملك تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون التى تلى الباب الكبير الذى سده الملك الظاهر برقوق. أنشأه ذخيرة الملك جعفر مـتولى الشرطة. قال ابن المأمون فى تاريخه: وفى هذه السـنة - يعنى سنـة ست عشرة وخمسـمائة - استخدم ذخـيرة الملك جعفـر فى ولاية

(١) سورة الأعراف: آية ٤٤.

القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى، وجرى من ظلمه وعسفه ما هو مشهور، وبنى المسجد الذى ما بين الباب الجديد إلى الجبل الذى هو معروف به، وسمى مسجد «لا بالله». وذلك أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم، فيحلفون، ويقولون: «لا بالله»، فيقيدهم، ويستعملهم فيه بغير أجرة، ولم يعمل فيه منذ أنشأه إلا صانع مكره، أو فاعل مقيد، وكتبت عليه الأبيات:

بَنَى مَسْجِداً لله مِنْ غَيْرِ حِلِّه   وَكَانَ بِحَمْدِ الله غَيْرُ مُوَفَّقِ
كَمُطْعِمَةِ الأَيْتَامِ مِنْ كَدِّ فَرْجِهَا   لَكِ الْوَيْلُ لاَ تَزْنِى وَلا تَتَصَدَّقِى

وكان قد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفساد وخرج عن حكم الكتاب فابتلى بالأمراض الخارجة عن المعتاد ومات بعد ما عجل الله له ما قدر وتجنب الناس تشييعه والصلاة عليه؛ وحكى عنه فى حالتى غسله وحلوله بقبره: ما يعيذ الله منه كل مسلم. وقال ابن عبد الظاهر. مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل، وذكر ما تقدم عن ابن المأمون. انتهى. قلت: وقد جدد فى زماننا فى أواخر المائة الثالثة عشرة، ولم يكمل. وفى «طبقات الشعرانى»: وكان سيدى أحمد الرفاعى يبدأ مَنْ لقيه بالسلام حتى الأنعام والكلاب، وكان إذا رأى خنزيراً يقول له: أنعم صباحاً، فقيل له فى ذلك، فقال: أعود نفسي الجميل، وكان إذا سمع بمريض فى قرية ولو على بعد يمضى إليه يعوده ويرجع بعد يوم أو يومين، وكان يخرج إلى الطريق ينتظر العميان حتى إذا جاءوا يأخذ بأيديهم ويقودهم، وكان إذا رأى شيخاً كبيراً يذهب ألى أهل حارته ويوصيهم عليه، ويقول: قال النبى ﷺ: «من أكرم ذا شيبة يعنى مسلماً سخر الله له من يكرمه عند شيبته». وكان إذا قدم من السفر، وقرب من أم عبيدة يشد وسطه ويخرج حبلا مدخراً معه، ويجمع حطباً، ثم يحمله على رأسه، فإذا فعل ذلك فعل الفقراء كلهم، فإذا دخل البلد فرق الحطب على الأرامل، والمساكين، والزمنى والمرضى، والعميان، والمشايخ، وكان رضى الله عنه لا يجازى قط بالسيئة. ولقيه مرة جماعة من الفقراء، فسبوه، وقالوا: يا أعور يا دجال يا من يستحل المحرمات يا من يبدل القرآن يا ملحد يا كلب. فكشف سيدى أحمد رضى الله عنه رأسه وقبل الأرض، وقال: يا أسيادى اجعلوا عبيدكم فى حل، وصار يقبل أيديهم وأرجلهم، ويقول: ارضوا عنى وحلمكم يسعنى فلما أعجزهم. قالوا: ما رأينا قط فقيراً مثلك تحمل منا هذا كله ولا تتغير. فقال: هذا ببركتكم ونفحاتكم ثم التفت إلى أصحابه، وقال: ما كان إلا خيراً أرحناهم من كلام كان مكتوماً عندهم، وكنا نحن أحق به من غيرنا فربما لو وقع منهم ذلك لغيرنا ما كان يحملهم. وأرسل إليه الشيخ إبراهيم البستى كتاباً يحط عليه فيه. قال سيدى أحمد رضى الله عنه للرسول: اقرأه لى، فقرأه فإذا فيه أى أعور، أى دجال، أى مبتدع يا من جمع بين الرجال والنساء حتى ذكر الكلب ابن الكلب، وذكر أشياء تغيظ فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب أخذه سيدى أحمد رضى الله عنه، وقرأه، وقال: صدق فيما قال ، جزاه الله عنى خيراً ثم أنشد:

فَلَسْتُ أُبَالِى مِنْ زمانٍ بريبهِ إذَا كُنتُ عنْد الله غَيْرَ مُرِيبِ

ثم قال للرسول: اكتب إليه الجواب من هذا اللاش أحيمد إلى سيدى الشيخ إبراهيم البستى رضى الله عنه أما قولك الذى ذكرته فإن الله تعالى خلقنى كما شاء وأسكن فى ما شاء وإنى أريد من صدقاتكم أن تدعو لى ولا تخلينى من حلك وحلمك فلما وصل الكتاب إلى البستى هام على وجهه فما عرفوا إلى أين ذهب؟.

وكان رضى الله عنه إذا علم أن الفقراء يريدون أن يضربوا أحداً من إخوانهم لزلة وقعت منه يستعير منه ثيابه ويلبسها، وينام فى موضعه فيضربونه، فإذا فرغوا من ضربه، واشتفوا منه يكشف لهم عن وجهه، فيغشى عليهم، فيقول لهم: ما كان إلا الخير أكسبتمونا الأجر والثواب. فيقول بعض الفقراء لبعضهم: تعلموا هذه الأخلاق، وقال رضى الله عنه لأصحابه يوماً: من رأى فى أُحَيْمِد منكم عيباً فليعلمه به. فقام شخص. فقال: يا سيدى فيك عيب عظيم. قال: وما هو يا أخى؟، فقال: كون مثلنا من أصحابك. فبكى الفقراء وعلا نحيبهم، وبكى سيدى أحمد معهم، وقال: أنا خادمكم أنا دونكم. وكان لسيدى أحمد شخص ينكر عليه وينقصه فى نواحى أم عبيدة فكان كلما لقى فقيراً من جماعة سيدى أحمد فيجد فيه أى: ملحد، أى باطلى، أي زنديق، وأمثال ذلك من الكلام القبيح. ثم يقول سيدى أحمد رضى الله عنه: صدق من أعطاك هذا الكتاب. ثم يعطى الرسول دريهمات ويقول: جزاك الله عنى خيراً كنت سبباً لحصول الثواب. فلما طال الأمر على ذلك الرجل، وعجز عن سيدى أحمد مضى إليه فلما قرب من أم عبيدة كشف رأسه، وأخذ مئزره وجعله فى وسطه وأمسكه إنساناً وصار يقوده حتى دخل على سيدى أحمد، فقال: ما أحوجك يا أخى إلى هذا؟، فقال: فعلى، فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه: ما كان إلا الخير يا أخى؛ ثم طلب منه أخذ العهد عليه، فأخذه عليه وصار من جملة أصحابه إلى أن مات؛ وكان رضى الله عنه يقول: لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى فيه شىء من الخبث لا لعدو، ولا لصديق، ولا لأحد من خلق الله عزّ وجلّ. وهناك تستأنس الوحوش بك فى غياضها، والطير فى أوكارها لا تفر منك، ويتضح لك سطر الحاء والميم، وقال له شخص من تلامذته: يا سيدى أنت القطب، فقال: نزه شيخك عن القطبية، فقال له: وأنت الغوث؟ فقال: نزه شيخك عن الغوثية. قال الشعرانى: قلت: وفى هذا دليل على أنه تعدى المقامات والأطوار لأن القطبية والغوثية مقام معلوم، ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وإن كان له فى كل مقام مقام. والله أعلم.

وفى «طبقات الفقهاء الشافعية» لابن السبكى: أحضر بعض الأكابر مريضاً لصاحب الترجمة رضى الله عنه ليدعو له فبقى أياماً لم يكلمه، فقال يعقوب مؤذن منارة المسجد: أى سيدى ما تدعو لهذا المريض؟، فقال: أى يعقوب وعزة العزيز لأحمد كل يوم عليه مائة

حاجة مقضية وما سألته منها حاجة واحدة، فقلت: أى سيدى فتكون واحدة لهذا المريض المسكين؟. فقال: لا كرامة ولا عزازة تريد أن أكون سيىء الأدب؟ لى إرادة. ثم قرأ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) أى يعقوب الرجل المسكين فى أحواله إذا سأل حاجة وقضيت له نقص تمكنه درجة. فقلت: أراك تدعو عقب الصلاة وكل وقت. قال: ذاك الدعاء تعبد، وامتثال، ودعاء الحاجات له شروط وهو غير هذا الدعاء ثم بعد يومين شفى ذلك المريض انتهى.

(تنبيه) ابن السبكى المذكور هو صاحب «جمع الجوامع»، وولده التاج السبكى أخذ عن ابن الرفعة، وقد رأيت بعضهم نسب له الأبيات المشهورة وهى:

سَهَرِى لتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلَذُّ لِى ... مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ
وَصَرِيرُ أَقْلامِى عَلَى أَوْرَاقِهَا ... أَحْلَى مِنَ الدَّوْكَاءِ والعُشَّاقِ
وأَلَذُّ من نَقْرِ الفَتَاةِ لِدُفِّهَا ... نَقْرِى لأُلْقِى الرَّمْلَ عَنْ أوراقِ
وتَمَايُلِى طَرَبًا لحلِّ عَوِيصَةٍ ... فِى الدَّرْسِ أَشْهَى من مُدَامَةِ سَاقِى
وأَبِيتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وتَبِيتُهُ ... نَوْمًا وتَبْغِى بَعْدَ ذَاكَ لَحَاقِى

قال يعقوب الخادم رضى الله عنه: ولما مرض سيدى أحمد رضى الله عنه مرض الموت. قلت له: تجلى العروس فى هذه المرة. قال: نعم. فقلت له: لماذا؟ فقال: جرت أمور اشتريناها بالأرواح وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم وشريته بما بقى من عمرى فباعنى وكان يمرغ وجهه، وشيبته على التراب، ويبكى ويقول: العفو العفو، ويقول: اللهم اجعلنى سقف البلاء عن هؤلاء الخلق. وكان مرض الشيخ رضى الله عنه بالبطن فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله. فبقى به المرض شهراً. فقيل له: من أين هذا كله ولك عشرون يوماً لا تأكل ولا تشرب؟. فقال له: يا أخى هذا اللحم يندفع ويخرج ولكن قد ذهب اللحم، وما بقى إلا المخ، واليوم نخرج، وغداً نعبر على الله تعالى، فخرج منه شىء أبيض مرتين، أو ثلاثاً، وانقطع. ثم توفى يوم الخميس وقت الظهر ثانى عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة؛ وكان يوماً مشهوداً وكان آخر كلمة قالها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ودفن فى قبر الشيخ يحيى النجارى؛ وكان شافعى المذهب. قرأ كتاب «التنبيه» للشيخ أبى إسحاق الشيرازى. وما تصدر قط فى مجلس ولا جلس على سجادة تواضعاً. وكان لا يتكلم إلا يسيراً، ويقول: أمرت بالسكوت رضى الله عنه. كذا فى «طبقات الشعرانى» وخالفه، وغيره فى تاريخ الوفاة. فإنه قال: مات رضى الله عنه ببلدة أم عبيدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة.

(١) سورة الأعراف ٥٤.

ولم يعقب، وإنما المشيخة لابن أخيه رضى الله تعالى عنهما. قال المناوى: وله فى الطريق كلام عال، ومنه: الزهد أو مقامات القاصدين إلى الله تعالى فمن لم يحكم أساسه فيه لم يصلح له شيء من بعد المقامات، وقال رضى الله عنه علامة الأنس بالله: الوحشة من جميع الخلق إلا الأولياء: فإن الأنس بهم أنس به. قال رضى الله عنه: من توهم أن عمله يوصل إلى مأموله الأعلى، فقد ضل، وقال رضى الله عنه: قرب قلبك من مجالسة الذاكرين لعله يتنبه من غفلتك، وقال رضى الله عنه: أقرب الأشياء إلى المقت رؤية النفس وأحوالها وأعمالها، وأشد منه طلب العوض على العمل. وقال رضى الله عنه: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات، وقال رضى الله عنه: العبودية الوفاء بالوعود، والصبر على المفقود، وقال رضى الله عنه: سلكت كل طريق فما رأيت أقرب، ولا أسهل، ولا أصلح من الذل والانكسار لعظيم أمر الله تعالى، والشفقة على خلقه. اهـ ولولا مخافة التطويل لزدناك كلاماً من هذا القبيل.

(الثانى من الأقطاب الأربعة سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه) هو أبو صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن حسن المثنى بن الحسن بن على بن على طالب رضى الله عنهم أجمعين. ولد رضى الله عنه: سنة سبعين وأربعمائة كذا فى «طبقات الشعرانى»، قال: وحكى عن أمه رضى الله عنها. قالت: لما وضعت ولدى عبد القادر كان لا يرضع ثديه فى نهار رمضان، ولقد غم على الناس هلال رمضان فأتونى وسألونى عنه، فقلت لهم: إنه لم يلتقم اليوم ثدياً، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ببلدنا فى ذلك الوقت ولد للأشراف ولد لا يرضع فى نهار رمضان وكان رضى الله عنه يلبس لباس العلماء ويتطيلس ويركب البغلة، ويتكلم على كرسى عال، وربما خطا فى الهواء خطوات على رءوس الناس، ثم يرجع إلى الكرسى رضى الله عنه. يقول: بقيت أياماً لم أستطعم فيها بطعام، فلقينى إنسان فأعطانى صرة فيها دراهم، وأخذت منها خبزاً سميداً وخبيصاً، وجلست آكله فإذا برقعة مكتوب فيها: قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة: «إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقى ليستعينوا بها على الطاعات أما الأقوياء فما لهم وللشهوات». فتركت الأكل، وانصرفت وكان رضى الله عنه يقول: إنه لترد على الأثقال الكبيرة التى وضعت على الجبال لتصدعت فإذا كثرت على الأثقال وضعت جنبى على الأرض وتلوت: ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ (١). ثم أرفع رأسى، وقد انفجرت عنى تلك الأثقال. وكان رضى الله عنه يقول: قاسيت الأهوال فى بدايتى فما تركت هولا إلا ركبته. وكان لباسى جبة صوف، وعلى رأسى خُرَيْقة، وكنت أمشى حافياً فى الشوك

(١) سورة الشرح ٥، ٦.

وغيره، وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمـامة البقل، وورق الخس من شاطىء النهر، ولم أزل آخذ نفسي بالمجاهدات حتى طرقني من الله تعالى الحال، فإذا طرقني صرخت، وهمت على وجـهي سواء كنت فـي صحراء أو بين النـاس. وكنت أتظـاهر بالتخـارس والجنون؛ وحملـت إلى البيمارسـتان، وطرقتنـي مرة الأحوال حتى مـت، وجاءوا بالكفن والـغاسل وجعلوني على المغسل ليغسلوني؛ ثم سرى عني، وقمت وقال له رجل مرة: كيف الخلاص من العجب؟. فقـال رضي الله عنه: من رأى الأشياء من الله، وأنه هو الذي وفـقه للعمل وأخرج نفسه من البين فقد سلم من العجب. وقيل له مرة: ما لنا لا نري الذباب يقع على ثيابـك، فقال: أي شيء يعمـل الذباب عندي، وأنا مـا عندي شيء من دبس الـدنيا، ولا عسل الآخرة. وكان رضي الله عنـه يقول: أيما امرىء مسلم عبر على بـاب مدرستي خفف الله عنه العذاب يوم القـيامة؛ وكان رجل يصرخ في قبره ويصبح حـتى آذى الناس فأخبروه به. فقال: إنه رآني مرة، ولابد أن الله تعالى يرحمه لأجل ذلك. فمن ذلك الوقت ما سمع له أحد صراخاً. وكـان رضي الله عنه يقرأ القرآن بالـقراءات بعد الظهر، وكان يـفتي على مذهب الإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهما؛ وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون: سبحان من أنعم عليه.

(فوائد): الأولى: رفع إليه سؤال في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابد أن يعبد الله عزَّ وجلَّ عبادة ينـفرد بها دون جميع الناس وقت تـلبسه بها، فماذا يفعـل من العبادات؟. فأجاب على الـفور يأتي مكة، ويخلى له المـطاف، ويطوف أسبوعاً وحده، فينـحل يمينه. فأعجب علماء العراق وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها. **(الثانية)**: رفع له شخص أدعى: أنه يرى الله عز وجل بعينـي رأسه. فقال: أحق ما يقولون عنك؟. فقال نعـم فانتهره ونهاه عن هذا القول وأخذ عليـه ألا يعود إليه. فقيل للشيخ: أمحق هـذا أم مبطل؟. فقال: هذا محق ملبس عـليه؛ وذلك أنه شهد ببصيـرته نور الجمال. ثم خرج من بصيـرته إلى بصره لمعة، فرأى بصره ببصيرته وبصيرته يتصـل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ما شهده ببصيرته وإنما رأى بصره ببصيرته فقط وهو لا يدرى. قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ (١) وكان جمع من المشـايخ وأكابر العلماء حاضريـن هذه الوقعة؛ فأطربهم سـماع هذا الكلام، ودهشوا من حـسن إفصاحه عن حال الرجـل، ومزق جماعة ثيابهم، وخرجوا عـرايا إلى الصحراء. **(الثالثة)**: قال رضي الله عنـه: تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق، ثم تدلى فيـه صورة تناديني: يا عبد الله أنا ربك، وقد حـللت لك المحرمات. فقلت: اخسـأ يا لعين. فإذا ذلك النور ظلام، وتـلك الصورة دخن، ثم خاطبـني: يا عبد القادر نجوت مـني لعلمك بأمـر ربك، وفقهك في أحـوال منازلاتك. ولقد أضلـلـت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطـريق. فقلت: لله الفضل. فقيل له: كيف عـلمت أنه شيطان؟.

---

(١) سورة الرحمن آية ١٩، ٢٠.

قال: بقوله: قد حللت المحرمات. وسئل رضى الله عنه عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانية؟. فقال: الوارد الإلهى لا يأتى بـاستدعاء، ولا يذهب بسبب، ولا يأتى على نمط واحد، ولا فى وقت مخصوص، والطارق الشيطـانى بخلاف ذلك غالباً. وسئل رضى الله عنه: عن الهمـة، فقال: هى ألا يتعرى العبد بـنفسه عن حب الدنيا، وبروحـه عن التعلق بالعقبـى، وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى، ويـتجرد بسره عن أين يلمح الـكون أو يخطر على سره. ولما اشتهر أمره فى الافاق اجتمع مائة فقـيه من أذكياء بغداد يمتحنونه فى العلم. فجمع كل واحد له مسائل، وجاء إليه فلما استقر بهم المجلس أطرق الشيخ، فظهرت من صدره بارقـة من نور فمرت علـى صدور المائة، فمحـت ما فى قلوبـهم فبهتوا واضـطربوا وصاحوا صيحة واحدة، ومزقوا ثيابهم، وكشفوا رءوسهم ثم صعد الكرسى وأجاب الجميع عما كان عندهم فاعـترفوا بفضله؛ وكان من أخلاقه: أن يقف مع جـلالة قدره مع الصغير والجارية ويجـالس الفقراء ويفلـى لهم ثيابهـم، وكان لا يقوم قط لأحد من الـعظماء، ولا أعيان الدولة، وما ألـم قط بباب وزير ولا سلطان، وكان رضى الله عنـه يقول: أقمت فى صحراء العـراق وخرابه خمساً وعشـرين سنة مجرداً سـائحاً لا أعرف الخلق ولا يعـرفوننى يأتينى طوائف مـن رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله عـزّ وجلّ، ورافقنى الخضر عليه السلام فى أول دخولى العراق، وما كنت عرفته، وشرط: ألا أخالفه، وقال لى: اقعد هنا فجـلست فى الموضع الذى أقـعدنى فيه ثلاث سنين يـأتينى كل سنة مـرة، ويقول لى: مكانك حتى آتيك. ذكر ذلك الـشعرانى فى «طبقاته». **(ومن)** كلام سيدى عبد القادر كما فى كتابه فتـوح الغيب: إذا أقامك الله تعالى فى حـالة فلا تطلب الانتقال منـها إلى ما هو أعلى منـها أو أدنى، بل تربص حتـى يكون الحق تعالى هو الـذى ينقلك إليهـا بغير إرادة منك. وإذا أوقفك بالباب فلا تطلب الدخول إلى الدار، واصبر حتى تدخل إليها بعد تكرر الإذن بالدخول؛ وإياك أن تـقنع بمجرد الإذن لك بالدخول مرة واحـدة لجواز أن يكون ذلك مكراً وخـديعة من المـلك. فإذا كان الدخـول جبراً محـضاً، وفضلا من المـلك فحيـنئذ لا يعاقبـك الملك على الدخول، وإنمـا تتطرق العقوبة إلـيك بشؤم اختيارك، وشـرهك، وقلة صبرك، وسوء أدبك، وتركك الرضا بحالتك التى أقامك الحق تعالى فيها. إذا أدخلك تلك الدار بالإذن، فكن مطرقا برأسك، غاضاً بصرك، متأدباً ناظراً لما تؤمر به من الخدمة فتبادر إلى ذلك غير طالب للترقى إلى الدرجة العليا؛ قال تعالى لنبيه ﷺ: **﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾** (١) الاية.

فنهاه عن الالتفات إلى غير الحالة التى هو فيها، ثم إن العبد الطالب للانتقال من حال إلى حال لا يخلو من أين يكون ذلك الأمر؟. قسم له أو قسم لغيره أو لم يقسمه الله لأحد بل أوجده الله تعـالى فتنة، فأما المـقسوم فهو واصل إلـى العبد لا محالة فـى الوقت الذى

(١) سورة الحجر ٨٨ وسورة طه: ١٣١ ـ وبداية الآية فيها ﴿ولا تَمُدَّنَّ. . . الآية.

جعله الحق تعالى فلا ينبغى له أن يظهر الشره، وسوء الأدب فى طلبه، وأما المقسوم لغيره فلا يتعب نفسه فيما لا يناله، ولا يصل إليه. وإن كان لم يقسم لأحد وإنما جعله الله فتنة فكيف يرضى العاقل أن يستجلب لنفسه الفتنة ويستحسنها فإذن الخير والسلامة فى حفظ الحال. ثم إذا رقيت بعد الدار إلى الغرفة ثم منها إلى السطح. فكن كما ذكرنا من الأدب والإطراق بل يتضاعف ذلك منك لأنك صرت أقرب إلى حضرة الملك. فإياك وطلب الانتقال إلى محل أقرب من ذلك، إلا إن أعلمك الملك أن تلك الدرجة أو المقام الذى تطلب الانتقال إليه قد وهبه الحق لك بعلامات وآيات. انتهى. كلام سيدى عبد القادر رضى الله عنه قال الشعراني فى «المنن»: وهو كلام فى غاية النفاسة فتدبره والحمد لله رب العالمين، وله كلام كثير منظوم فمنه:

أَنَا قُطْبُ أقطابِ الْوُجُودِ حقيقةً ... على سائرِ الأقطابِ قَوْلِى وَحُرْمَتِى
تَوَسَّلْ بِنَا فى كُلِّ هَوْلٍ وَشِدةٍ ... أُعِيثُكَ فى الأشْيَاءِ طُرّاً بِهِمَّتِى

ومن كلامه أيضاً:

أَنَا مِنْ رجال لا يَخَافُ جَلِيسُهُم ... رَيْبَ الزمان وَلا يَرى ما يَرْهَبُ

(كرامات): الأولى: جاء رَجل من أهل بغداد وذكر أن له بنتاله قد اختطفت من سطح داره وهى بكر، فقال له الشيخ عبد القادر رضى الله عنه: اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ، واجلس عند التل الخامس، وخط عليك دائرة فى الأرض، وقل وأنت تخطها: «بسم الله على نية عبد القادر». فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف الجن على صور شتى فلا يرعك منظرهم، فإذا كان السحر مر بك ملكهم فى جحفل منهم فيسألك عن حاجتك، فقل له: قد بعثنى إليك الشيخ عبد القادر، واذكر له شأن ابنتك. قال: فذهبت، وفعلت ما أمرنى به الشيخ عبد القادر رضى الله عنه. فمرت بى صور مزعجة المنظر، ولم يقدر أحد منهم أن يمرّ على الدائرة التى أنا فيها، وما زالوا يمرون زمرًا زمرًا إلى أن جاء ملكهم راكبًا فرسًا، وبين يديه أمم منهم، فوقف بإزاء الدائرة، وقال: يا إنْسى ما حاجتك؟ فقلت له: قد بعثنى إليك الشيخ عبد القادر: فنزل عن فرسه، وقبل الأرضَ، وجلس خارج الدائرة، وجلس من معه ثم قال: ما شأنك؟. فذكرت له قصة ابنتى. فقال لمن حوله: علىَّ بمَنْ فعل هذا فأتانى بمارد، ومعه بنتى، فقيل له: إن هذا مارد من مردة الصين. فقال له: ما حملك على أن اختطفت هذه من تحت ركاب القطب؟. فقال: إنها وقعت فى نفسى فأمر، به فضربت عنقه، وأعطانى ابنتى، فقلت: ما رأيت مثل الليلة من امتثالك أمر الشيخ عبدالقادر، فقال: نعم إنه فى داره ينظر إلى مردة الجن والإنس. كذا فى «حياة الحيوان» فى حرف الجيم عند الكلام على الجن. **(الثانية)**: جاءت امرأة بولدها إلى الشيخ عبد القادر رضى الله عنه، وقالت له: إنى رأيت قلب ابنى هذا شديد التعلق بك، وقد خرجت عن حقى فيه لله عزّ وجلّ ولك، فاقبله وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق. فدخلت عليه أمه يوماً، فوجدته نحيلا مصفر اللون من أثر الجوع والسهر، ووجدته يأكل قرصاً من شعير؛ فدخلت على الشيخ عبد القادر رضى الله عنه، فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة

مسلوقة قد أكلها، فقالت: يا سيدى تأكل لحم الدجاج، ويأكل ابنى خبز الشعير؟. فوضع الشيخ يده على تلك العظام، وقال: قومى بإذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم؛ فقامت دجاجة سوية. قال الشيخ رضى الله عنه: إذا صار ابنك يفعل هكذا فليأكل ما شاء الله. كذا فى «حياة الحيوان». **(الثالثة):** قال الشيخ الدميرى فى حياة الحيوان أيضاً روينا بالسند الصحيح: أن الشيخ عبد القادر الجيلى قدس الله روحه جلس يوماً يعظ وكانت الريح عاصفة فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوشت على الحاضرين ما هم فيه. فقال الشيخ: يا ريح خذى رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها فى ناحية ورأسها فى ناحية. فنزل الشيخ عن الكرسى وأخذها بيده ومرر يده الأخرى عليها. وقال: بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك. انتهى. **(الرابعة):** سقط عليه رضى الله عنه وهو يدرس حية ففر من حضر منها. فدخلت فى ذيله وخرجت من طوقه والتفت على عنقه فلم يقطع كلامه، ولم يتغير ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يفهم، وانصرفت، فسئل عن ذلك فقال: قالت: اختبرت عدة أولياء فلم أجد كثباتك. فقلت: ما أنت إلا دودة يحركك القضاء والقدر. كذا فى درر الأصداف. **(الخامسة)** توضأ رضى الله عنه يوماً فبال عليه عصفور، فرفع رأسه إليه وهو طائر، فوقع ميتاً فغسل الثوب، ثم باعه، وتصدق بثمنه. وقال: هذا بهذا كذا فى «طبقات الشعرانى»، وفيه: وكان رضى الله عنه يقول: يارب كيف أهدى إليك روحى، وقد صح بالبرهان أن الكل لك، وكان رضى الله عنه يتكلم فى ثلاثة عشر علما، وكانوا يقرءون عليه فى مدرسته درساً من التفسير ودرساً من الحديث ودرساً من المذهب، ودرساً من الخلاف، وكانوا يقرءون عليه طرفى النهار التفسير، وعلوم الحديث، والمذهب والخلاف، والأصول والنحو. ا هـ. قال ابن الحاج فى شرح رسالة ابن باديس: حضر يوماً مجلسه الشيخ أبو الفرج بن الجوزى رضى الله عنه ففسر الشيخ عبد القادر رضى الله عنه آية وذكر فيها وجوهاً وإلى جانب الشيخ أبى الفرج من يسأله أتعرف هذا القول؟. فيقول: نعم إلى أن بلغ أحد عشر يعرفها أبو الفرج. ثم زاد الشيخ حتى انتهى إلى أربعين وجها، وعزا كل وجه إلى قائله، فاشتد تعجب الشيخ أبى الفرج من كثرة علم الشيخ، ثم قال: نترك المقال، ونرجع للأحوال لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، ومزق أبو الفرج ثوبه. ا.هـ. ومن كلامه رضى الله عنه زيادة على ما سبق: احذروا ولا تأمنوا، ولا تضيفوا إلى أنفسكم حالا، ولا مقالا، ولا تدعوها، ولا تخبروا بما يطلعكم الله تعالى عليه من الأحوال فإن كل يوم هو فى شأن. وقال رضى الله عنه: لا تشك ضرا نزل بك لغير الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾(1). واحذر أن تشكو ضيق رزقك، وعندك قوت، فربما عسر عليك أسباب الرزق عقوبة على كفرانك. وقال رضى الله عنه النعم: واصلة إليك اجتلبتها

(1) الأنعام: 17.

أم لا، والبلوى حاصلة بك وإن كرهتها. فسلم لله فى الكل يفعل الله ما يشاء فإن أتتك نعمة، فاشتغل بالذكر والشكر، أو بلوى فبالصبر والموافقة وأعلى منهما الرضا والتلذذ بالقضاء. وكان رضى الله عنه يقول: ارض بالدون ولا تنازع ربك فى قضائه فيقصمك، ولا تغفل عنه فيسلبك، ولا تقل فى دينه بهواك فيرديك، ولا تسكن إلى نفسك فتبلى بها وبمن هو شر منها، ولا تظلم أحداً ولو بسوء ظنك به وحملك له على محامل السوء فإنه لا يجاوز بك ظلم ظالم. وكان رضى الله عنه يقول: إذا وجدت فى قلبك بغض شخص أو حبه، فاعرض أفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت محبوبة فيهما فأحبه وإن كانت مكروهة فاكرهه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١) ولا تهجر أحداً إلا الله وذلك إذا رأيته مرتكباً كبيرة أو مصراً على صغيرة. قال الشعرانى: قلت: ومعنى رأيته مرتكباً كبيرة العلم بذلك، ولو ببينة فلا يشترط فى جواز الهجر رؤية الهاجر لذلك العاصى ببصره. كذا فى «طبقات الشعرانى»، وغيره. قال الأديب ابن حجة فى شرح بديعيته: ومما جاء فى تجاهل العارف للمبالغة والتعظيم، قول القطب الفرد الجامع الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه من قصيدة:

أَأَظْمَأُ وَأَنْتُ العَذْبُ فِى كُلِّ مَنْهَلٍ ... وَأُظْلَمُ فِى الدُّنيَا وَأَنْتَ نَصِيرِى

وقد رأيت هذا البيت وبيتاً آخر معه فى ورقة عتيقة ضاعت منى مكتوباً فيها خاصيتهما، ولكن أنسيتها. والبيت الآخر هو ذا:

وَعَارٌ عَلَى حَامِى الْحِمَى وَهُوَ فِى الْحِمَى ... إِذَا ضَاعَ فِى الْبَيْدَا عِقَالُ بَعِيرِى

قال ابن الحاج فى شرح رسالة ابن باديس: روى عنه: أنه قال: قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى: قالوا: فلم يبق ولى لله تعالى فى المشرق ولا فى المغرب، ولا من وراء السد، ولا فى جزائر البحر المحيط، ولا فى جبل قاف إلا مد عنقه فى بلاد المغرب فسأله أصحابه عن ذلك. فقال: إن سيدى الشيخ عبد القادر قال فى هذه الساعة: قدمى هذه على رقبة كل ولى. فأرخ أصحابه ذلك اليوم حتى قدم المسافرون من أرض العراق، فأخبروا بقوله ذلك فى اليوم، ولما قال: ذلك وهو على منبر وعظه سمع الرفاعى من أم عبيدة بلده، فطأطأ رأسه، وقال: وعلى رقبتى، وكذلك سائر الأولياء فى سائر البلدان. وفى «طبقات الشرنوبى»: سمى عبد القادر بالجيلانى: لأن الله تعالى تجلى عليه، وهو فى بطن أمه مائة مرة، فسمته به الملائكة، فسمعت به الرجال وسمته به، وشاع. (توفى) رضى الله عنه سنة إحدى وستين وخمسمائة. ودفن ببغداد رضى الله عنه قال ابن الأثير: كان الجيلى رضى الله عنه من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلى المذهب ومدرسته رباطه مشهوران ببغداد كذا

---

(١) سورة ص: آية ٢٦.

فى تاريخ أبى الفداء.

(الثالث من الأربعة الأقطاب سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه):

وهو أحمد بن على ابن إبراهيم بن محمد بن أبـى بكر بن إسمعيل بن عمر بن عثمان ابن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيـسى بن على بن محمد بن حسن بن جعفر بن على بن موسى بن جعفر الصادق بن محمـد الباقر بن على زيد العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طـالب كرم الله وجهه، المعروف بالشيـخ أبى الفتيان الشريف العـلوى السيد أحمد البـدوى الملثم المعتـقد، والمشهور أن سلفـه رضى الله عنه تحول من الحـجاز إلى بلاد المغرب، ثم خرج أبوه على بن إبراهيم من فاس فى سنة ثلاث وستمائة ومعه أولاده وامرأته فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله وأولاده كلهم منها. وهم: الحسن ومحمد وفاطمة وزينب ورقية وفـضة. وأحمد البدوى صاحب التـرجمة يريدون الحج، فحج بـهم فى سنة سبع وسـتمائة، والسـيد أحمد البـدوى كان عمره إحدى عـشرة سنة، وأقام بمـكة وعرف بالبدوى لكثرة ما كـان يتلثم وعرض عليه أخوه التزويج فامتـنع، وأخذه تحت كنفه، وأقرأه القرآن، واشتهر بمكة بـالشجاعة، وسمى العطاب، والغضبان ثـم حدث له حال فى نفسه، فتغيرت أحـواله، واعتزل الناس، ولزم الصمـت وكان لا يتكلم إلا بالإشارة؛ فـقيل له فى منامه: أن سـر إلى طندتا وبشر بـحال يكون له، وذلك فـى ليلة الأحد عاشر مـحرم سنة ثلاث وثلاثين وستـمائة فسار هو وأخوه حسـن من مكة فى شهر ربيـع الأول إلى العراق، ودخل بغداد وجال فى البلاد، ثم عاد حسن إلى مكة، وتأخر أحمد بعده ثم لحق به، وقدم مكة ولزم الصيام ،والقيام حتى كان يطوى أربعـين يوماً لا يتناول فيها طعاماً ولا شراباً وفى أكثر أوقاته يكون شاخـصاً ببصره إلى السماء، وقد صارت عيناه تـتوقدان كالجمر، ثم سار من مكة فى سنة أربع وثـلاثين وستمائة يريد مصر، ونزل ناحية طنـدتا فى رابع عشر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمائة، وأكثر من الصـياح ليلا ونهاراً وأقام بعد ذلك بطندتا كذا نقل عن المـقريزى وغيره. وفي «طـبقات الشعرانـى»: ما نصه وكان مولـده رضى الله عنه بمدينة فاس بالمغرب لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها حين أكثر القتل فى الشرفاء، فلما بلغ سبع سنين سمع أبو ه قائلا: يقول له فى مـنامه: يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة، فإن لنا فـى ذلك شأنا، وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة. قـال الشريف حسن أخو سيدى أحـمد رضى الله عنـهما: فمـا زلنا ننـزل على عرب ونـرحل عن عرب فـيتلقـونا بالترحيب والإكرام حتى وصلنا إلى مكة المشرفة مع أبى أربع سنين فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ومـكثنا عندهم فى أرغـد عيش حتى توفى والدنـا سنة سبع وعشرين وسـتمائة. ودفن بـباب المعلاة. وقـبره هنـاك ظاهر يزار فـى زاوية. قال الـشريف حـسن فأقمـت أنا وإخوتى. وكان أحمد أصغرنا سـناً، وأشجعنا قلباً وكن من كثرة ما يتلـثم لقبناه بالبدوى.

فأقرأته القرآن فى المكتب مع ولدى الحسين، ولم يكن فى فرسان مكة أشجع منه، وكانوا يسمونه فى مكة العطاب، فلما حدث عليه حادث تغيرت أحواله، واعتزل عن الناس، ولازم الصمت، فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة، وكان بعض العارفين يقول: إنه رضى الله عنه حصلت له جمعية على الحق تعالى، فاستغرقته إلى الأبد، ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا، ثم إنه فى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. رأى فى منامه ثلاث مرات: قائلا يقول: قم يا أحمد، واطلب مطلع الشمس، فإذا وصلت مطلع الشمس، فاطلب مغرب الشمس، وسر إلى طندتا، فإن بها مقامك أيها الفتى. فقام من نومه، وشاور أهله، وسافر إلى العراق، فتلقاه أشيخاها منهم سيدى عبد القادر الجيلانى، وسيدى أحمد بن الرفاعى، فقالوا: يا أحمد مفاتيح العراق، والهند، واليمن، والروم، والمشرق، والمغرب بأيدينا، فاختر أى مفتاح شئت. ، فقال لهما سيدى أحمد: لا حاجة لى بمفتاحكما ما آخذ المفتاح إلا من الفتاح. قال سيدى حسن رضى الله عنه: فلما فرغ أخى أحمد من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدى بن مسافر، والحلاج وأضرابهما خرجنا قاصدين إلى ناحية طندتا، فأحدق بنا الرجال من سائر الأقطار يعارضوننا، ويقاتلوننا، فأومأ بيده إليهم سيدى أحمد البدوى، فوقعوا أجمعين. فقالل له: يا أحمد أنت أبو الفتيان، وانكبوا مهرولين راجعين، ومضينا إلى أم عبيدة. فرجع سيدى حسن إلى مكة، وذهب سيدى أحمد رضى الله عنه إلى فاطمة بنت برى. وكانت امرأة لها حال عظمى، وجمال بديع، وكانت تسلب الرجال أحوالهم، فسلبها سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه حالها. وتابت على يديه. وحلفت أنها لا تتعرض لأحد بعد ذلك اليوم، وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا عونا لبنت برى إلى أماكنهم؛ وكان يوماً مشهوداً بين الأولياء، ثم إن سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه رأى الهاتف فى منامه يقول: يا أحمد سر إلى طندتا، فإنك تقيم بها، وتربى بها رجالا، وأبطالا: عبد العال، وعبد الوهاب، وعبد المجيد، وعبدالمحسن، وعبد الرحمن. وكان ذلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة فدخل رضى الله عنه مصر. ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعاً إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط، فصعد إلى سطح غرفته، وكان طول نهاره، وليله واقفاً شاخصاً ببصره إلى السماء وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقد كالجمرة وكان يمكث أربعين يوماً، فأكثر لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، ولا ينزل من السطح، وخرج إلى ناحية فيشى المنارة فتبعه الأطفال فكان منهم عبد العال، وعبد المجيد؛ فورمت عين سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فطلب من سيدى عبد العال بيضة يعملها على عينه. فقال: وتعطينى الجريدة الخضراء التى معك؟، فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه: نعم. فأعطاها له، فذهب إلى أمه، فقال لها: ههنا بدوى عينه توجعه، وطلب منى بيضة، وأعطانى هذه الجريدة؛ فقالت: ما عندى شىء، فرجع فأخبر سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه بذلك، فقال: اذهب فأتنى بواحدة من الصومعة، فرجع سيدى عبد العال الصومعة، فوجد قد ملئت بيضاً، فأخذ له واحدة منها

وخرج بها إليه، ثم إن سيدى عبد العال تبع سيدي أحمد رضى الله عنه من ذلك الوقت، ولم تقدر أمه على تخليصه منه، فكانت تقول: يا بدوى الشؤم علينا. فكان سيدى أحمد رضى الله عنه إذا بلغه ذلك يقول: لو قالت: يا بدوى الخير كانت أصدق، ثم أرسل إليها يقول لها: إنه ولدى من يوم قرن الثور، وكانت أم عبد العال قد وضعته فى معلف الثور وهو رضيع فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه فى القماط فشال عبد العال على قرنه وهاج فلم يقدر أحد على تخليصه منه، فمد سيد أحمد البدوى رضى الله عنه يده وهو بالعراق فخلصه من القرن فتذكرت أم عبد العال الواقعة، واعتقدته من ذلك اليوم، ولم يزل سيدى أحمد على السطوح مدة اثنتى عشرة سنة وكان سيدى عبد العال يأتى إليه بالرجل أو الطفل فيطأطىء من السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيملؤه مدداً ويقول لعبد العال: اذهب به إلى بلد كذا، أو موضع كذا، فكانوا يسمون أصحاب السطح، وكان رضى الله عنه لم يزل متلثماً بلثامين، فاشتهى سيدى عبد المجيد رضى الله عنه يوماً رؤية وجه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه، فقال يا سيدى أريد أن أرى وجهك أعرفه، فقال: يا عبد المجيد كل نظرة برجل، فقال يا سيدى: أرنيه ولو أموت، فكشف له اللثام الفوقانى، فصعق ومات فى الحال، وكان فى طندتا سيدى حسن الصائغ الأخنائى، وسيدى سالم المغربى فلما قرب سيدى أحمد رضى الله عنه من مصر أول مجيئه من العراق. قال سيدى حسن رضى الله عنه: ما بقى لنا إقامة صاحب البلد قد جاء فخرج إلى ناحية إخنا، وضريحه بها مشهور إلى الآن، ومكث سيدى سالم رضى الله عنه. فسلم لسيدى أحمد رضى الله عنه ولم يتعرض له فأقره سيدى أحمد رضى الله عنه وقبره فى طندتا مشهور وأنكر عليه بعضهم فسلب وانطفأ اسمه وذكره. ومنهم صاحب الإيوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر كان ولياً عظيماً، فثار عنده الحسد، ولم يسلم الأمر لقدرة الله تعالى فسلب، وموضعه الآن بطندتا مأوى للكلاب ليس فيه رائحة صلاح، ولا مدد فكان الخطباء بطندتا انتصروا له وعملوا له وقتا، وأنفقوا عليه أموالا وبنوا الزاوية مئذنة عظيمة فرفسها سيدى عبد العال رضى الله عنه برجله فغارت إلى وقتنا هذا وكان الملك الظاهر بيبرس أول الفتوحات يعتقد سيدى أحمد رضى الله عنه اعتقاداً عظيماً وكان ينزل لزيارته. ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر ليتلقوه وأكرموه غاية الإكرام.

(صفته رضى الله عنه): كان غليظ الساقين، طويل الذراعين، كبير الوجه، أكحل العينين طويل القامة قمحى اللون، وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر جدرى فى خده اليمين واحدة وفى خده الأيسر ثنتان: أقنى الأنف على أنفه شامتان من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة وكان بين عينيه جرح موسى جرحه، ولد أخيه الحسين بالأبطح لما كان بمكة، ولم يزل من حين كان صغيراً باللثامين. ولما حفظ القرآن العظيم. اشتغل بالعلم

مدة على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عـنه حتى حدث له حادث الوله، وكان إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يخلعهـا لغسل ولا لغيره حتى تذوب فيبدلونها له بغـيرها. والعمامة التى يلبسها الخليفة فى كل سنة فى المولد هـى عمامة الشيخ بيده،وأما البشت الصوف الأحمر، فهو من لباس سيدى عبد العال رضى الله عنه. ا هـ من «طبقات الشعرانى».

(كرامات): **الأولى**: أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد قاضى القضاه بالديار المصرية سمع الشيخ وأحواله فنزل إليه واجتمع به بناحية طندتا، وقال له: يا أحمد هذا الحال الذى أنت فيه ما هو مشكور فإنه مخالف للشـرع الشريف فإنك لا تصلى ولا تحضر الجماعة وما هذه طريقة الصالحين فالتفت إليه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه، وقال له: اسكت وإلا أطير دقيقك ودفـعه دفعة، فلم يشعر بنـفسه إلا وهو فى جزيرة واسعة ولم يـعلم لها طولا ولا عرضاً فأقبل يلوم نـفسه، ويعاتبها، وهو ذاهل العقل غائـب عن الصواب، ويقول: ما لى ولمعـارضة أولياء الله تعـالى فلا حول ولا قوة إلا بـالله العلى الـعظيم. وصار يـبكى، ويستغيث، ويبتهل إلى الله تعالى: فبينـما هو كذلك إذ ظهر له رجل له هيبة ووقار، وسلم عليه فرد عليه السـلام وقام إليه وجعل يقبل يديه ورجليه. فقال لـه: ما قضيتك؟. فأخبره بخبره مع سيدى أحمـد البدوى. فقال له: لقد وقعت فى أمر عظيـم أتدرى كم بينك وبين القاهرة؟. قال: لا والله. قـال: بينك وبينها سفـر ستين سنة فازداد هماً علـى همه، وغماً على غمه، وكبر فى قلبه الخوف؛ وقال: يا تـري من يخلصنى من هذه الورطة. إنا لله وإنا إليه راجعون، وأقـبل على الرجل يقول لـه: أرشدنى يرحمك الله. فقال لـه: هون عليك الأمر فما يـحصل لك إلا الخير إن شاء الله تعـالى. قال: وكيف لى بذلك؟. فـأخذه بيده وأراه قبة كـبيرة، وقال له: تـرى هذه القبة اذهب إلـيها واجلس فـيها، فإن سيـدى أحمد البدوى يصلى فيها العصر بجماعة مـن الرجال ويودعونه وينصرف كل واحد منهم إلى حال سبيله فإذا صـليت معهم، فتعلق بـه، وتملق بين يديه، وقبل يديه ورجـليه واكشف رأسك وتأدب معه وقل له: أسـتغفر الله وأتوب إليه ولا أعود لما صدر مـنى، فإذا رأى منك ذلك فإنه يقبل عليك، ويردك إلى موضعك. إن شاء الله تعالى وكان الرجل الذى أتى الشيخ ابن دقيق العيد هو الخضر عـليه السلام، فامتثل الشيخ تقى الدين بـن دقيق العيد أمره، ومشى إلى القبة، وجـلس فيها على وضوء يـنتظر قدوم الجماعة فـما كان إلا هنيهة حتـى أقبلت الجماعة من كل جانب ومكان، وأقيمت الصلاة، فتقدم سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وصلى بهم إمامـا، فلما انقضت الصلاة تعلـق الشيخ ابن دقيق العيد بـأذياله وكشف رأسه وجعل يقبل يديه، ورجـليه، ويبكى، ويستغفر، ويعتذر، وأنصف مـن نفسه. قال: فأقبل عليه سيدى أحمـد رضى الله عنه، وقال له: ارجع عما كنت فيه ولا تعـد إلى مثله، فقال له: السمع والطاعة يا سيدى فدفعـه الشيخ دفعة لطيفة، وقال: اذهب إلى بيتك فإن عيالك

فى انتظارك. قال: فلم يشعر ابن دقيق العيد بنفسه إلا وهو واقف بباب داره بمصر، فأقام مدة ببيته لا يخرج منه لما جرى له مع سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه قال صاحب «الجواهر السنية»: أخبرنا بهذه الكرامة الفقيه الأجل الرضى شمس الدين محمد المعروف بالحلبى. قال: كنت أحضر مجلس الشيخ زين الدين بن النقاش المكنى بأبى هريرة بجامع أحمد بن طولون، وكنت إذ ذاك شاباً، فذكر لأهل مجلسه هذه الكرامة؛ وذلك بعد أن قال لأهل مجلسه: يا أهل المجلس ما تقولون فى سيدى أحمد البدوى؟. فسكتوا فأعاد عليهم ذلك. ثانياً، وثالثاً، وهم يسكنون، فقال لهم: كان رجلاً صالحاً، واتفق له مع الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كذا وكذا. وحكى لنا هذه الحكاية من أولها إلى آخرها، وقال: إن هذه الكرامة صحيحة فإن الشيخ ذكر هذه الحكاية بنفسه عن نفسه. **(الثانية)**: أن الشيخ ابن دقيق العيد كان قد أرسل إلى سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه. وقال له: امتحن لى هذا الرجل الذى اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل فإن أجابك عنها، فهو: ولى لله تعالى. فمضى إليه سيدى عبد العزيز، وسأله عنها، فأجاب عنها بأحسن جواب، وقال: هذا الجواب مسطر فى كتاب «الشجرة»: فوجدوه فى الكتاب كما قال. وكان سيدى عبد العزيز إذا سئل عن سيدى أحمد رضى الله عنه. يقول: هو بحر لا يدرك له قرار. كذا فى الطبقات. **(الثالثة)**: قال الشعرانى فى «الطبقات»: شاهدت أنا بعينى سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيراً على منارة سيدى عبد العال رضى الله عنه مغلولاً مقيداً وهو مخبط العقل، فسألته عن ذلك. فقال: بينا أنا فى بلاد الإفرنج آخر الليل توجهت إلى سيدى أحمد؛ فإذا أنا به؛ فأخذنى وطار بى فى الهواء فوضعنى هنا فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدة الخطفة. كذا فى الطبقات. **(الرابعة)**: قال الشعرانى فى «الطبقات»: أخبرنى شيخنا الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه أن شخصاً أنكر حضور مولده فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدى أحمد رضى الله عنه. فقال: بشرط ألا تعود. فقال: نعم. فرد عليه ثواب إيمانه، ثم قال له: وماذا تنكر علينا؟. قال: اختلاط الرجال والنساء. فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه: ذلك واقع فى الطواف، ولم يمنع أحد منه. ثم قال: وعزة ربى ما عصى أحد فى مولدى إلا وتاب وحسنت توبته. إذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار، وأحميها من بعضها فيعجزنى الله عزّ وجلّ عن حماية من يحضر مولدى؟. **(الخامسة)**: قال الشعرانى: حكى لى شيخنا أيضاً: أن سيدى الشيخ أبا الغيث بن كتيلة أحد العلماء بالمحلة الكبرى وأحد الصالحين بها كان بمصر، فجاء إلى بولاق فوجد الناس مهتمين بأمر المولد، والنزول فى المراكب، فأنكر ذلك، وقال: هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم ﷺ مثل اهتمامهم بأحمد البدوى؛ فقال له شخص: سيدى أحمد ولى عظيم، فقال: ثم فى هذا المجلس من هو أعظم مقاماً، فعزم عليه شخص، فأطعمه سمكاً فدخلت حلقة شوكة تصلبت، فلم يقدروا على نزولها بدهن غطاس، ولا بحيلة من الحيل، وورمت رقبته حتى صارت كخلية النحل تسعة الأشهر.

ذكره الله بالسبب، فقال: احملونى إلى قبة سيدى أحمد رضى الله عنه، فأدخلوه، فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دماً. فقال: تبت إلى الله تعالى يا سيدى أحمد. وذهب الوجع والورم من ساعته.

(السادسة): أنكر ابن الشيخ خليفة بناحية «أبيار» بالغربية حضور أهل بلده إلى المولد. قال الشعرانى: فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوى، فلم يرجع، فاشتكاه لسيدى أحمد، فقال: ستطلع له حبة ترعى فمه ولسانه. فطلعت من يومه ذلك، وأتلفت وجهه ومات بها.

(السابعة): وقع ابن اللبان فى حق سيدى أحمد رضى الله عنه، فسلب القرآن، والعلم، والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء، فلم يقدر أحد أن يدخل فى أمره، فدلوه على سيدى ياقوت العرشى. فمضى إلى سيدى أحمد رضى الله عنه، وكلمه فى القبر، فأجابه وقال له: أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله. فقال: بشرط التوبة. فتاب ورد عليه رأس ماله: قال الشعرانى: وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان فى سيدى ياقوت رضى الله عنه، وقد زوجه سيدى ياقوت ابنته. ودفن تحت رجليها بالقرافة. اهـ. من «الطبقات».

(الثامنة): قال الشعرانى: أخبرنى الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه. قال: ضاعت حمارة أخى أيام المولد فجاء إلى قبر سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه. فقال: والله لا أخرج حتى تجىء حمارتى فبينما هو جالس فى القبة إذا بالحمارة واقفة جنب التابوت.

(التاسعة): قال الشعرانى فى «الطبقات الصغرى»: أخبرنى الخواجا الحلبى. قال: بينما أنا مسافر بحمل قماش إلى المولد، إذا سبعة فرسان أحاطوا بى ليأخذوا ما معى. فقلت: يا سيدى أحمد أنا فى دركك. فما تم الكلام حتى خرج عليهم فارس على حصان أبيض لا يرى منه إلا عيناه فطردهم حتى غابوا عنى. فعرفت: أنه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه. **(العاشرة)**: أن امرأة أسر الإفرنج ولدها. فلاذت به فأحضره إليها فى قيوده. رضى الله عنه. **(الحادية عشرة)**: مر عليه رجل حامل قربة لبن. فأومأ إليها بأصبعه فانْقَدّتْ، وانسكب اللبن وخرجت منه حية قد انتفخت. ذكرها والتى قبلها ابن حجر. **(الثانية عشرة)**: أن حجراً أسود مثبتاً فى ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى، وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس أنه أثر قدمى النبى ﷺ، وكل من زار الأستاذ يتبرك بمحل القدمين. سعى جماعة عند بعض السلاطين فى إخراجه من محله، ونقله للسطان للتبرك به، فأرسل السلطان جماعة من الجند يأخذون الحجر، فلما هموا بقلعه صار الحجر مما لا يقدر أحد أن يأخذه، وهو على الهيئة التى كان عليها قبل ذلك، فخافوا وتركوه فى محله.

(الثالثة عشرة): قال الشعرانى: ومما وقع أننى دخلت مع شيخى محمد الشناوى لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه، فشاوره الشيخ فى سفره إلى المدينة ليشترى رصاصاً للحمام الذى عمره بطندتا. فقال له سيدى أحمد البدوى من القبر: سافر، وتوكل على

الله. قال الشعرانى فى المنن: ومما وقع لى مع سيدي أحمد رضى الله عنه أنه جاء ودعانى أيام خروج الناس من مصر إلى مولده. وقال: إن زرتنى طبخت لك ملوخية فلما ذهب إلى طندتا طبخ لى جميع من ضيفنى فيها ملوخية لمدة ثلاثة أيام من غيّر تواطىء تصديقاً لكلام الشيخ فى المنام، وصار كل من دخل القبة يبدأ بالسلام على قبل زيارة الشيخ حتى استحييت منه، وكانت أم ولدى عبد الرحمن لها معى مدة سبعة شهور وهى بكر فجاءنى، وقال: اختل بها فى ركن القبة الذى على يسار الداخل، وأزل بكارتها. ففعلت فطبخ لى حلوى وملوخية حتى كفى أهل المولد فلما رأيته أتى كنت جالساً على سطح المقام وقت الزوال، فرأيت هلال قبة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه يدور، ويزعق كالحجر العظيم من حجارة المعصرة الذى ليس تحته حب، فدار نحو ثلاث دورات، ثم جاء الخبر بنصرة السلطان سليمان بن سليم من آل عثمان على أهل رودس فى ذلك الوقت. وكذلك ما سمعنا تابوته يفرقع ويزعق إلا ويحدث فى المملكة أمر، وعن المتبولى رضى الله عنه. قال: قال لى رسول الله ﷺ: ما فى أولياء مصر بعد محمد بن إدريس أكبر فتوة منه؛ ثم السيدة نفيسة؛ ثم شرف الدين الكردى؛ ثم المنوفى. قال ابن عربى: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان. وفى هذا القدر كفاية. والله ولى التوفيق والهداية. قال بعضهم: ويؤثر عن سيدى أحمد البدوى شعر، وهو قوله:

مَجَانِينُ إلا أَنَّ سِرَّ جُنُونِهِم … عَزِيزٌ عَلَى أَبْوَابِهِ يَسْجُدُ الْعَقْلُ

وقد عثرت على هذه الأبيات فأحببت أن أذكرها وهى:

أَنَا الْمُلَثَّمُ سَلْ عَنِّى وَعَنْ هِمَمِى … يُنْبِيكَ عَزْمِى بِمَاذَا قُلْتُه بِفَمِى
قَدْ كُنْتُ طِفْلاً صَغِيراً نِلْتُ مَنْزِلَةً … وَهِمَّتِى قَدْ عَلَتْ مِنْ سَالِفِ الْقِدَمِ
أَنَا السَّطُوحِى وَاسْمِى أَحْمَدُ الْبَدَوِىّ … فَحْلُ الرِجَالِ إِمَامُ الْقَوْمِ فِى الْحَرَمِ
لَكَ الْهَنَا يَا مُرِيدِى لا تَخَفْ أَبَداً … واشْطَحْ بِذِكْرِى بَيْنَ الْبَانِ والْعَلَمِ
إِذَا دَعَانِى مُرِيدِى وَهُوَ فِى لَجَجٍ … فِى قَاعِ بَحْرٍ نَجَا مِنْ سَاحَةِ الْعَدَمِ

توفى سيدى أحمد البدوى. سنة خمس وسبعين وستمائة، واستخلف بعده على الفقراء سيدى عبد العال، وسار سيرة حسنة، وعمر طويلا إلى. أن. مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واشتهرت أصحابه بالسطوحية، نفعنا الله ببركتهما وأمدنا من إمداداتهما أمين.

(الرابع من الأربعة الأقطاب
سيدى إبراهيم الدسوقى القرشى الهاشمى)

وقد ذكر نسبه الشعرانى فى كتابه «الطبقات» بقوله: وهو إبراهيم بن أبى المجد بن قريش بن محمد ابن أبى النجا بن زين العابدين بن عبد الخلق بن محمد بن أبى الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبى القاسم بن جعفر الزكى بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب القرشى الهاشمى رضى الله عنهم أجمعين. اهـ. قال المناوى فى «طبقاته سيدى»: إبراهيم الدسوقى شيخ الطائفة البرهامية: صاحب المحاضرات القدسية، والعلوم اللدنية، والأسرار العرفانية. أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات وخرق لهم العادات ذو الباع الطويل، والتصرف النافذ، واليد البيضاء فى أحكام الولاية، والقدم الراسخ فى درجات النهاية. انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام، وقد كان يتكلم بجميع اللغات من عربى وسرياني وغيرهما؛ ويعرف لغات الوحش والطير. (ومن كلامه) كما فى «طبقات الشعرانى»: يجب على المريد ألا يتكلم قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب، وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام فى حق ربه عزّ وجلّ. فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب، وأسقاه من ماء التربية، ولاحظه بالسر المعنوى الأولى؛ فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربيه، ويا شقاء من أساء. وكان رضى الله عنه يقول: من عامل الله تعالى بالسرائر جعله على الأسرة والحظائر، ومن خلص نظره من الانعكاس سلم من الالتباس، وكان رضى الله عنه يقول: الشريعة أصل والحقيقة فرع «فالشريعة»: جامعة لكل علم مشروع، و«الحقيقة»: جامعة لكل علم خفى؛ وجميع المقامات مندرجة فيها، وكان رضى الله عنه يقول: يجب على المريد أن يأخذ العلم ما يجب عليه فى تأديته فرضه ونفله، ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة فإن ذلك شغل منه عن مراده بل يفحص عن آثار الصالحين فى العلم ويواظب على الذكر.

ومن كلامه المنظوم رضى الله عنه:

سَقَانى مَحْبُوبى بِكَأْسِ المحبة ... فَتُهْتُ عن العاشق سُكْراً بِخَلْوَتى
وَلاحَ لنا نورُ الجلالة لَوْ أضاءَ ... أَطُوفُ عَلَيْهِم كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةِ
وَنَادَمَنى سراً بِسِرٍّ وحكمة ... وإنّ رسولَ الله شَيْخى وقُدْوَتى
وَعَاهَدَنى عَهْداً حَفِظْتُ لِعَهْدِهِ ... وَعِشْتُ وثيقاً صَادِقاً بِمَحَبَّتى
وَحَكَّمَنى فى سائر الأرض كُلِّهَا ... وَفى الجنّ والأشباحِ والمَرَدَة
وفى أرضِ صينِ الصين والشرق كُلِّهَا ... لأقْصَى بلاد الله صَحَّتْ ولايتى
أنا الحَرْفُ لا أُقْرأُ لِكُلِّ مُنَاظِرٍ ... وَكُلُّ الوَرَى مِنْ أَمْرِ رَبِّى رَعِيَّتى

وَكَمْ عَالِمٍ قَدْ جَاءَنَا وَهُوَ مُنْكِرٌ ... فَصَارَ بِفَضْلِ اللهِ مِنْ أَهْلِ خِرْقَتِي
وَمَا قُلْتُ هَذَا الْقَوْلَ فَخْراً وَإِنَّمَا ... أَتَى الإِذْنُ كَيْ لاَ يَجْهَلُونَ طَرِيقَتِي
تَجَلَّى لَنَا الْمَحْجُوبُ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ ... فَشَاهَدْتُهُ فِي كُلِّ مَعْنَى وَصُورَةِ

ا هـ. من «طبقات الشعرانى»: وإن أردت أن تتضلع من كلامه المنثور والمنظوم فعليك بها. وذكر عن سيدى إبراهيم: أنه صام فى المهد، وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة، وأن الدنيا جعلت فى يده كخاتم، وأنه جاوز سدرة المنتهى، وجالت نفسه فى الملكوت، ووقف بين يدى الله تعالى، وأنه فك طلسم السبع المثانى، وأن قدمه لم تسعها الدنيا، وقال رضى الله عنه: وليت القطبية فرأيت المشرقين والمغربين، وما تحت التخوم، وصافحت جبريل عليه السلام.

(كرامات): الأولى: جاء سبعة من القضاة يمتحنونه، فلما وصلت مركبهم إلى البر بناحية دسوق أرسل النقيب لهم، فدفعهم فوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف، فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيرت أجسادهم، وخلقت ثيابهم، ثم تذكروا ما وقعوا فيه، فتابوا هنالك. فأرسل لهم النقيب فدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق ومسح الله من قلوبهم تلك الأسئلة كلها، واعترفوا بما كانوا جاءوا لأجله. فقال لهم الشيخ رضى الله عنه: قولوا ما عندكم من المسائل. فضحكوا، وقالوا: يكفينا ما جرى لنا. فأخذوا عليه العهد، وصاروا من تلامذته حتي ماتوا. كذا فى «درر الأصداف». **(الثانية)** قال المناوى: خطف تمساح صبياً، فأتته أمه مذعورة، فأرسل نقيبه. فنادى بشاطىء البحر معاشر التماسيح من ابتلع صبياً، فليطلع به، فطلع، ومشى معه إلى الشيخ، فأمره أن يلفظه، فلفظه حياً. وقال للتمساح: مت بإذن الله فمات. **(الثالثة)**: توجه بعض تلامذته إلى ناحية الإسكندرية لحاجة يقضيها لأستاذه، فتشاجر مع رجل من السوقة فى شأن حاجة اشتراها منه، فاشتكاه السوقى إلى قاضى المدينة ـ وكان جباراً ظالماً متكبراً على الفقراء ـ فلما وقف ذلك الفقير بين يديه أمر بحبسه، وأراد ضربه بلا موجب بغضاً فى الفقراء، فأرسل الفقير إلى شيخه سيدى إبراهيم يتشفع به فى خلاصه، فلما بلغه الخبر كتب إلى القاضى رقعة فيها هذه الأبيات:

سِهَامُ اللَّيْلِ صَائِبَةُ الْمَرَامِي ... إِذَا وُتِرَتْ(١) بِأَوْتَارِ الْخُشُوعِ
يُقَوِّمُهَا إِلَى الْمَرْمَى رِجَالٌ ... يُطِيلُونَ السُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ
بِأَلْسِنَةٍ تَهِيمُهُمْ(٢) فِى دُعَاءٍ ... بِأَجْفَانٍ تَفِيضُ مِنَ الدُّمُوعِ
إِذَا أَوْتَرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ سَهْماً ... فَمَا يُغْنِى التَّحَصُّنُ بِالدُّرُوعِ

(١) وتر القوس: شدَّ وترها.
(٢) الحب جعله ذو هُيام.

فلما وصلت الرقعة إلى القاضى جمع أصحابه، وقال لهم: انظروا إلى هذه الورقة التى جاءت من هذا الرجل الذى يدعى الولاية بعد أن آذى حاملها بالكلام، واحتقره ثم زاد فى سب الأستاذ ثم أخذ يقرؤها فلما وصل إلى قوله:

﴿ إذَا أوتَرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ سَهْماً ﴾

خرج سهم من الورقة فدخل فى صدره وخرج من ظهره، فوقع ميتاً نعوذ بالله من سوء الاعتقاد فى الصالحين، والاعتراض على الأولياء العارفين فعند ذلك هاج الناس، وآمنوا بكرامة الشيخ وأطلقوا الرجل مكرماً معظماً، وأنعموا على الذى جاء بالرقعة إنعاماً كثيراً ببركة سيدى إبراهيم رضى الله عنه. ذكرها الشيخ يوسف الخضرى فى كتابه «روضة الناظر». قال الشعرانى فى «الطبقات»: تفقه سيدى إبراهيم الدسوقى على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، ثم اقتفى آثار السادة الصوفية؛ وجلس فى مرتبة المشيخة؛ وحمل الراية البيضاء؛ وعاش من العمر ثلاثاً وأربعين سنة؛ ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان. حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة رضى الله عنه.

(تميم فى الكلام على مناقب القطب أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه)

كانت ولادته رضى الله عنه سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. وقد نقل ابن عباد نسبه من كتاب «اللطيفة المرضية فى شرح دعاء الشاذلية» للشيخ شرف الدين أبى سليمان داود السكندرى بقوله: هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية، المحمدى العلوى الحسنى الفاطمى أبو الحسن على الشاذلى بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم. ا هـ. وفيه: أنه لم يكن فى أولاد الحسن بن على من اسمه محمد له عقب؛ وأن الذى أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج، وحسن المثنى كما نص عليه غير واحد. قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم، وهما: الحسن، وزيد. اهـ. فصوابه محمد بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب اللهم إلا أن يقال: إن ولد الابن ابن. قال بعضهم: على أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى «شاذلة»: قرية بأفريقية قرب تونس نشأ ببلده، واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يناظر عليها مع كونه ضريراً، ثم انتهج التصوف، وَجَدَّ واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره، وطار فى الفضائل طيره وحمد فى الطريق سراه وسيره نظم، فرقق ولطف وتكلم على الناس فقرظ الآذان، وشنف وطاف، وجال، ولقى الرجال، وقدم الإسكندرية من المغرب، وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب، وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء والدنيا حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكاسات بين يديه، ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب الغوث فعليه الشاذلى رضى الله عنه. ثم تحول إلى الديار المصرية، وأظهر فيها طريقته المرضية، وسيرته النبوية، وكان يقرأ

ابن عطية، «والشفـاء»، وأخذ عنه العز بن عبد السلام، وله أجزاء مـحفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة، وقـيل له: من شيخك؟. فقال: أما فيما مضى فعـبد السلام بن مشيش، وأما الآن فإنى أسـتقى من عشرة أبحـر خمسة سماويـة، وخمسة أرضية. انتـهى. قال أبو الحسن «صاحب الترجـمة»: سألت الله أن يجعل القطب من بيتى، فـإذا النداء: يا على قد استجبنا لك. وكان يقول: قيل لى: ما على وجه الأرض مجلس فى علم الحديث أبهى من مجلس عـبد العظيم المنـذرى، وما على وجه الأرض مجـلس فى علم الحقائـق أبهى من مجلسك، وكان رضى الله عنه يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب، وابن عبد السلام عز الدين، وابن دقيق العيد، وعبد العظيم المنذرى، وابن عطية، والشفاء، ويمشون بين يديه إذا خرج. وكان رضى الله عنه يقول: إذا عرضت لك حاجة إلى الله، فأقسم على الله بى. قال الشيخ أبو العباس المرسى: والله ما ذكرته فى شدة إلا انفرجت؛ ولا فى أمر صعب إلا هان. قال: وأنت يا أخى إذا كنت فى شدة فأقسـم على الله به، وقد نصحتك، والله يعلم ذلك. قال الشيخ أبو عبد الله الشاطبى: كنت أترضى على الشيخ فى كل ليلة كذا وكذا مرة وأسأل الله به فى جـميع حوائجى فأجد الـقبول فى ذلك معجـلا؛ فرأيت رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله إنى أترضى على الشيخ أبـى الحسن فى كل ليلة بعد صلاتى عليك وأسأل الله به فى حوائـجى أفترى على فى ذلك شـيئاً إذ تعديتك؟، فقـال لى: أبو الحسن ولدى حساً ومعنى والولد جزء من الوالد، فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل، وإذا سألت الله بأبى الحسن فقد سألته بى. اهـ. من «شرح البنانى على الحزب». وحج مراراً. قال ابن دقيق الـعيد: ما رأيت أعرف بـالله منه، ومع ذلك آذوه وأخـرجوه وجماعته مـن المغرب، وكتبوا إلـى نائب الإسكندرية: إنـه يقدم عليكم مغـربى زنديق؛ وقد أخرجنـاه من ديارنا، فاحذروه فدخـل الإسكندرية، فآذوه فظهـرت كرامات أوجبت اعتقاده رضـى الله عنه. قال الشعرانى فى خاتمة «المنن» حكى الشيخ تاج الدين بن عطا الله: أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلـى رضى الله عنه كان. يقـول: لا يكمل عالم فـى مقام العلـم حتى يبتلـى بأربع: «شماتة الأعداء، وملامة الأصـدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء. فـإن صبر على ذلك جعله الله إماماً يقتدى به». ولما شاع أمره فى بلاد المغرب تجارأت عليه الأعداء والحسدة من كل جانب، ورموه بالعظائم، وبالغوا فى أذيته حـتى منعوا الناس من مجالسته، وقالوا: إنه زنديق، ولما أراد السفر إلى مصر كتبوا إلى السلطان مصر مكاتبات: إنه سيقدم عليكم مصر مغربى مـن الزنادقة أخرجناه مـن بلادنا حين أتلف عقائـد المسلمين، وإياكم أن يـخدعكم بحلاوة منطقة، فإنه من كبار الملحدين، ومعه استخدامات من الجن فما أن وصل الشيخ إلى مدينـة الإسكندرية حـتى وجد الخبر بـذلك سابقاً عـلى مقدمه. فـقال: حسبنـا الله ونعم الوكيل، فبالغ أهـل الإسكندرية فى إيذائه، ثم رفعوا أمره إلى سلـطان مصر، وأخرجوا له

مراسيم فيها ما يباح به دم الشيخ، فمد يده إلى سلطان المغرب، وأتى منه بمراسيمهم تناقض ذلك فيها من التعظيم والتبجيل ما لا يوصف تاريخه متأخر عن مراسيم، فتحير السلطان، وقال العمل بهذا أولى، وأكرمه ورده إلى الإسكندرية مكرماً، ولما تزايد عليه الأذى توجه إلى الله تعالى، وذلك: أنه أرسل له سلطان مصر يسأله الدعاء ويتعطف بخاطره. فكف الناس عنه الأذى حرمة للسلطان وبعضهم داوم على الأذى وكتبوا فيه للسلطان وقالوا: يا مولانا إنه سيماوى فتغير السلطان، ثم أرسلوا إليه مكاتبات أنه يضرب الزغل وأنه كيماوى، وحذروا الناس من مجالسته واتفق أن خازندار السلطان محمد ابن قلاوون وقع فى أمر يوجب القتل عند الملوك فأمر بشنقه، فهرب، واختفى بالإسكندرية، وأقام عند الشيخ، فبلغ الخبر السلطان، فكتب إليه: ما كفاك ضرب الزغل حتى إنك تؤوى غريم السلطان؟، فأرسله ساعة وصول كتابنا إليك، وإلا فعلنا بك وفعلنا. فلم يرسله الشيخ، فغضب السلطان وأرسل يتوعد الشيخ بالقتل، ويقول له: كيف تتلف مماليك السلطان؟، فلما وصل إليه الخبر مع شخص من أخصاء السلطان. قال له الشيخ: معاذ الله أن نتلف أحداً من مماليك السلطان، وإنما نحن نصلحه، ثم قال لقاصد السلطان: ائتنا بما شئت من الرصاص من حواصل السلطان حتى أريك الإصلاح فأتى بشىء كثير فألقاه الشيخ فى فسقيه جامع من غير ماء، وقال للخازاندار: بُلْ علي هذا الرصاص، فَبَالَ عليه فصار ذهباً خالصاً. فقال له: أهذا إصلاح أم إفساد؟. فقال: إصلاح. ثم أمر القصاد بحمل ذلك إلى خزانة السلطان، فوزنوا ذلك فوجدوه خمسة قناطير، فقال: هذا هدية لمولانا السلطان. وقل له: يرضى عن مملوكه، فرضى عنه، ثم إن السلطان نزل إلى زيارة الشيخ فى الإسكندرية وأضمر فى نفسه أن يعلمه صنعة الكيمياء. فقال له: كيماؤنا التقوى، فاتق الله يعلمك حرف «كن». ثم لم يزل معظماً للشيخ حتى مات. اهـ.

(وحكى): المرسى رضى الله عنه عن شيخه صاحب الترجمة: قال: صليت خلفه صلاة فشهدت ما بهر عقلى شهدت بذن الشيخ والأنوار قد ملأته وَانْبَثَّتْ الأنوارُ من وجوده حتى لم أستطع النظر إليه. وقال المرسى رضى الله عنه: جُلْتُ فى الملكوت فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش. فقلت له: ما علومك؟. فقال: أحد وسبعون. فقلت: ما مقامك؟. قال: رابع الخلفاء، ورأس السبعة. قال: فقلت: فما تقول فى الشاذلى؟. قال: زاد على بأربعين علما، وهو البحر الذى لا يحاط به. ولما دخل الشاذلى رضى الله عنه الإسكندرية كان بها أبو الفتح الواسطى فى ليلته، وذلك أن من دخل بلداً على فقير بغير أذن فمهما كان أحدهما أعلى من الآخر سلبه، أو قتله؛ فلذلك ندبوا الاستئذان. **(ومن كلامه رضى الله عنه)**: إن أردت ألا يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم، ولا كرب، ولا يبقى عليك ذنب: فأكثر من الباقيات الصالحات. وقال: مَنْ أحب أن لا يعصى الله تعالى فى مملكته، فقد

أحب أن لا تظهر مغفرته ورحمته. وقال رضى الله عنه: لا يشم رائحة الولاية من لم يزهد فى الدنيا وأهلها، إذا افتقرت فسلم، وإذا ظُلمْتَ فاصبر، واسكت تحت جريان الأقدار، فإنها سحابة سائرة، وقال رضى الله عنه: منْ أدَبِ مجالسة الأكابر: عدم التجسس على عقائدهم. ومن أدب مجالسة العلماء: عدم تحديثهم بغير المنقول، وقال رضى الله عنه: رأيت أنى مع النبيين عليهم الصلاة والسلام. فقلت: اللهم اسلك بى سبيلهم مع العافية عما ابتليتهم فهم أقوى منى؛ فقال لى: قل: وَمَا قَدَّرْتَ علينا من شىء فأيدنا فيه كما أيدتهم، وقال رضى الله عنه: نمت ليلة فى سياحتى، فطافت بى السباع إلى الصبح، فما وجدت أنساً كتلك الليلة. فأصبحت، فخطر لى أنه حصل لى مقام الأنس بالله شىء؛ فهبطت وادياً فيه طيور حجل، فأحست بى، فطارت فخفق قلبى رعباً، فنوديت: يا من كان البارحة يأنس بالسباع ما لك وجلت من خفقان الحجل؟. لكنك كنت البارحة بنا، واليوم بنفسك. وكلامه رضى الله عنه كثير عال كبير تركناه مخافة التطويل. وقد أفرد ابن عطاء الله ما يتعلق بالتأليف فكان مجلداً حافلاً، وقد ذكر الشيخ الشعرانى فى «طبقاته»: نبذة عظيمة عن كلامه فعليك به. قال أبو الحسن صاحب الترجمة رضى الله عنه: رأيت الخضر عليه السلام فقال: يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل، وكان لك صاحباً فى المقام والرحيل.

(وصية عظيمة للشيخ وجدتها فى حياة الحيوان): قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: كن متمسكاً بهذه الصفات الحميدة تفز بالدارين. لا تتخذ من الكافرين ولياً. ولا من المؤمنين عدواً. وارحل بزادك من التقوى فى الدنيا. وعد نفسك من الموتى. واشهد لله تعالى بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة. وحسبك عمل صالح وإنْ قَلَّ. وَقُلْ: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١). فمن كان متمسكاً بهذه الصفات الحميدة ضمن الله له عزّ وجلّ أربعة فى الدنيا: «الصدق فى القول، والإخلاص فى العمل، والرزق كالمطر، والوقاية من الشر». وأربعة فى الآخرة: «المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى، واللحوق بالدرجة العليا»، وإن أردت الصدق فى القول: فداوم على قراءة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(٢). وإن أردت الرزق كالمطر. فداوم على قراءة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾(٣). وإن أردت السلامة من شر الناس: فداوم على قراءة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(٤).

وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة: فداوم على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٥)، واقرأ سورة الواقعة، وسورة يس فإنه يأتيك الرزق كالمطر وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقك من حيث لا تحتسب: فالزم الاستغفار، وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويفزعك فقل أعوذ

(١) البقرة: ٢٨٥. (٢) القدر: ١. (٣) الفلق: ١. (٤) الناس: ١. (٥) الأنفال: ٤٠.

بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون. وإن أردت أن تعرف أى وقت تفتح فيه أبواب السماء، ويستجاب فيه الدعاء، فاشهد وقت نداء المنادى: فأجبه ففى الحديث: «من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادى». والمنادى: هو المؤذن، وإن أردت أن تسلم من أمر يريبك؛ فقل: توكلت على الحى الذى لا يموت أبداً والحمد لله الذى لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل، وكبره تكبيراً، وإن أردت أن تنجو من هم، أو غم، أو خوف يصيبك: فقل: اللهم إنى عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضائك أسألك بكل اسم لك هو سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم جلاء قلبى، وذهاب همى، فيذهب عنك همك وحزنك، وإن أردت أن يداويك الله تعالى من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم؛ فقل ما ورد فى الحديث: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»، فإنها دواء مما ذكر. وإن أردت أن تنجو مما يصيبك من مصيبة؛ فقل: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتى، فأجرنى، وأبدلنى خيراً منها، ومنه حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا. على الله وعلى الله توكلنا، وإن أردت أن يذهب همك، ويقضى دينك؛ فقل: ما ورد على النبى ﷺ حين سأله السائل، فقال: ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك ويقضى دينك؟. قال: بلى يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: «**اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والبخل، وأعوذ بك من الدين، وأعوذ بك من قهر الرجال**».

وإن أردت أن توفق للخشوع: فاترك فضول النظر. وإن أردت أن توفق للحكمة: فاترك فضول الكلام. وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة: فعليك بالصوم، وقيام الليل والتهجد فيه، وإن أردت أن توفق للهيبة: فاترك المزاح والضحك، فإنهما يسقطان الهيبة، وإن أردت أن توفق للمحبة: فاترك فضول الرغبة فى الدنيا، وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك: فاترك التجسس على عيوب الناس، فإن التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان. وإن أردت أن توفق للخشية: فاترك التوهم فى كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق. وإن أردت ألا يموت قلبك: فقل كل يوم مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت. وإن أردت أن ترى النبى ﷺ يوم القيامة يوم الحسرة والندامة: فأكثر من قراءة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(1)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾(2)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾(3). وإن أردت أن ينور وجهك: فداوم على قيام الليل. وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة: فلازم الصوم. وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر: فاحترز من النجاسات، وأكل المحرمات، وارفض الشهوات. وإن أردت أن تكون أغنى الناس: فلازم القناعة. وإن أردت أن تكون خير الناس: فكن نافعاً للناس. وإن أردت أن تكون أعبد الناس: فكن متمسكاً بقوله ﷺ: «من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات ليعمل بهن أو يُعَلِّم مَنْ يعمل بهن؟. قال أبو

---

(1) التكوير: 1. (2) الانفطار: 1. (3) الانشقاق: 1.

هريـرة. قلت: أنا يـارسول الله فأخذ بـيدى وعد خـمساً، وقال: اتـق المحارم تكن أعـبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى النـاس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسـك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الـضحك تميت القلب».
وإن أردت أن تكون من المحـسنين الخالصين: فاعبـد الله كأنك تراه، فإن لم تكـن تراه فإنه يراك. وإن أردت أن يـكمل إيمـانك: فَحَسِّنْ خلـقك. وإن أردت أن يـحبك الله: فـاقض حوائج إخوانك المسـلمين ففى الحديث: «إذا أحب الله عبداً صير حـوائج الناس إليه». وإن أردت أن تكون مـن المطيعـين: فَأَدِّ مَا فرض الله عليك. وإن أردت أن تـلقى الله نقـياً من الذنوب: فاغتسل من الجنابة، ولازم غسـل الجمعة تلق الله وما عليك ذنب. وإن أردت أن تحشر يـوم القيامة فى الـنور الهادى، وتسـلم من الظلـمات: لا تظلم أحداً مـن خلق الله تعالى. وإن أردت أن تقل ذنوبك: فالزم دوام الاستغفار. وإن أردت أن تكون أقوى الناس: فتوكل على الله. وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق كالمطر: فلازم الطهارة الكاملة. وإن أردت أن تكون آمنًا من سخط الله تعالى: فلا تغـضب على أحد من خلق الله تعالى. وإن أردت أن يستـجاب دعاؤك: فاجتنـب الربا. وأكل الحرام، وأكل الـسحت. وإن أردت ألا يفضحك الله على رءوس الأشهاد: فاحفظ فرجك ولسانك. وإن أردت أن يستر الله عليك عيبك: فاستر عيوب الناس، فإن الله ستـار يحب من عباده الستيرين. وإن أردت أن تمحى خطاياك: فأكثر من الاستغفـار، والخضوع، والخشوع، والحسنات فى الخلوات. وإن أردت الحسنات العظام: فعليك بحسن الخلق، والتواضع، والتصبر على البلية. وإن أردت السلامة من السيئات العظام: فاجتنب سوء الخلق، والشح المطاع. وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار: فعليك بإخفاء الصدقة، وصـلة الرحم. وإن أردت أن يقضى الله عنك الدين: فقل ما قاله النبى ﷺ للأعـرابى حين سأله، وقال عليه الصلاة والسلام له: لـو كان عليك مثل الجبال ديناً أداه الله عنك. قال: «**اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، وأغننى بـفضلك عمن سواك**». وفى الحديـث: لو كان على أحدكـم جبل من ذهب ديـناً فدعا بذلك لـقضاه الله عنه، وهو: «**اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمنى برحـمة تغنينى بها عمن سواك**». وإن أردت أن تنجو من هلكة: فالزم ما فى الحديث: «**إذا وقعت فى وَرْطة، فقل: «بسـم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم**»، فإن الله تعالى يصرف عنك مـا شاء من أنواع البلاء والورطة». بفتح الواو وإسكان الراء: الهلاك. وإن أردت أن تأمـن من قوم خفت شرهم: فقل ما ورد فى الحديث: «**اللهـم إنا نجعلك فى نـحورهم،ونعوذ بك مـن شرورهم**». أو تقـول: «**اللهم اكفنا بما شئت، وكيف شئت إنك على كل شيد قدير**». وإن أردت أن تأمن سلطاناً: فقل ما ورد فى الحديث: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، لا**

إله إلا أنت، عزّ جارك وجلّ ثناؤك لا إله إلا أنت». ويستحب أن يقول ما تقدم: «اللهم إنا نجعلك فى نحورهم إلخ. وفى الحديث: «إذا أتيت سلطناً مهاباً تخاف أن يسطو عليك، فقل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعزُّ منْ خلقه جميعاً الله أعزُّ وأكبر مما أخاف وأحذر، والحمد لله رب العالمين». وإن أردت ثبات القلب على الدين: فادع بما أسند مرفوعاً: أنه كان من دعائه ﷺ: «اللهم ثبت قلبى على دينك». وفى رواية «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك». اهـ.

توفى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه سنة ست وخمسين وستمائة، وهو قاصد الحج فى شهر رمضان؛ ودفن بصحراء عيذاب «بحميثرا» من الصعيد، وكان ماؤها أجاجاً، فعذب.

(ومن كراماته): زيادة على ما سبق ما نقله ابن بطوطة فى رحلته، قال: أخبرنى الشيخ ياقوت العرشى عن شيخه الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه: أن أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يحج كل سنة، فلما كان فى آخر سنة خرج فيها. قال لخادمه: استصحب فأساً، وقفة، وحنوطاً، فقال له الخادم: ولماذا يا سيدى؟. فقال: فى «حميثرا» سوف ترى، و«حميثرا» بصعيد مصر فى صحراء «عيذاب»، فلما بلغ «حميثرا». اغتسل الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، وصلى ركعتين. فقبضه الله تعالى فى آخر سجدة من صلاته، ودفن هناك. قال: وقد زرت قبره، وعليه قبة مكتوب عليها نسبه إلى الحسين رضى الله عنه. كذا بالنسخة التى بيدى. وهو مخالف لما مر من أن نسبه ينتهى إلى الحسن ومن حفظه حجة، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

يقول مؤلفه السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى: كان الفراغ منه يوم الخميس المبارك السادس والعشرين من شهر الله الحرام رجب الذى هو من شهور سنة تسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين والثقلين سيدنا محمد ﷺ.

●●●●●

فهرس نور الأبصار

الموضوع	الصفحة

●●●●●